ديوان

الشاعر حسن جاد حسن

(١٩١٤ — ١٩٩٥)

جمع وتحقيق

م/ عبد الرحمن إبراهيم الغزنوي

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ/٢٠١٦م

ملتزم الطبع والنشر

دار الثقافة اللغوية

٢ شارع خالد بن الوليد - المنصورة - القاهرة

ت: ٢١٣١١٠٤- فاكس: ٠٥٠٢١٣١١٠٢

٠١٠٠٥٨٨٥٠٣١ - ٠١٠٦١٨٩٨٧٧٠

Wael_elnagdy@yahoo.com

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠١٦/ ٧٤٨٣

ديوان الشاعر

حسن جاد حسن

مقدمة الديوان



مقدمة الديوان

هذا هو العمل الكامل الجامع لشعر الأستاذ الدكتور/ **حسن جاد حسن** شاعر الأزهر والعروبة والإسلام، جمعتُه على منهجه الذي ارتضاه وعلى اتفاقٍ كان بيني وبينه ولهذا الاتفاق قصةٌ نوردها في موضعها بعد قليل عند الحديث عما عملته فيه وما يمتاز به على الجمع الذي سبقه.

جمعَ هذا العملُ دواوين الشعر الثلاثةِ الأصول التي أصدرها الشاعر في صورة مخطوطات أو مطبوعة بنفس منهج الجمع الذي جمعتُه للشاعر في آخر حياته في عام ١٩٩٣م كما يأتي:

١- ديوان **زورق الشجون** وهو الديوان الوحيد المطبوع للشاعر في عام ١٩٣٤م وموجود منه نسخة من طبعته الثانية في ١٩٣٥م عندي ، واختار الشاعر منها ما ارتضاه تحت عنوان من شعر ما قبل العشرين بعد إضافة وحذف وتعديل نبهت عليها في مواضعها وتركتُ بعضها من باب الاختصار أحيانا، ولعدم رضاه عن مستواها الفني أحيانا أخرى حيث كتبها الشاعر في سن مبكرة واخترتُ بعضا آخر منها لرؤية كنتُ صرحتُ بها للشاعر في حياته فأجاز رأيي ولكن ترك لي تنفيذه كما سيأتي بعد ذلك.

٢- ديوان **وحي الربيع** وهو المخطوط الذي انتهى الشاعر من تجهيزه في بداية ١٩٥٢م وكان مشتملا على غالب شعره إلى هذه السنة، وقد أضاف إليه بعض الأشعار من ديوان زورق الشجون، وكان فيه باب كامل للشعر الملكي، وهذا الديوان كما جاء في مقدمته التي كتبها الشاعر كان معدا للنشر من خلال مجمع فؤاد الأول للغة العربية (مجمع اللغة العربية بالقاهرة حاليا) ولكن شاء الله أن تقوم ثورة يوليو ١٩٥٢م وكان الشاعر من جملة الشعراء الذين دخلوا القصر في مناسبات

كثيرة مهنئًا ومعزّيًا وفي حفلات تكريمه بالتفوق والجوائز الملكية، فخاف الشاعر على نفسه من بطش القائمين على الثورة والحكم فآثر السلامة، ووضع هذا الديوان في غياهب مكتبته وكتب بخطه اعتذارا في بداية باب الشعر الملكي جاء فيه " جرتْ الأحداثُ الأخيرةُ في مصر بعد أن تم نسخ وتجليد هذه النسخ، فلم يكن بدٌّ من بقاء هذا الباب على حاله كقطعة من التاريخ الفني مرتبطة بتاريخ مصر، على أنه تاريخ لطور من أطوار الشعور والتجاوب النفسي، وما الأدب إلا سجل الأحداث، وصورة لما تختلج به النفس من المشاعر في أطوار حياتها، وكما قلتُ في المقدمةِ إن شعرَ المناسباتِ هذا إنما كان صدىً لما تتجاوب به المشاعرُ وقت المناسبة. على أن حظ المناسبة في هذه القصائد ضيلٌ بجانب ما فيها من معان قوميةٍ واجتماعيةٍ توحي بضرورة الإبقاء عليها للفن والتاريخ "[1]، ثم أخذ الشاعر كثيرًا من قصائده بعد ذلك وأعاد صياغتها في مناسبات أخرى فمثلا أخذ قصيدة "مهرجان النيل" وكانت في ١٩٤٥م وجعلها "مهرجان الجلاء" وكانت في ١٩٥٤م ، وهكذا أعاد بثَّ كثيرٍ من هذه القصائد في صورة أخرى ومناسبة ثانية فنبهتُ على ذلك وتركتُ القصيدتين إذا كان ممكنا أن تقوم كل واحدة منهما بنفسها لأمور أهمها دراسة وتتبع أثر السياسة والحياة الاجتماعية في هذه الفترة في نفس الشاعر وإجباره على التحول من جهة كان يرتضيها دون ضغوطٍ إلى رأيٍ تحت ضغط هذه الظروف الجديدة.

وهذا الديوان بالذات كان سببا في إصدارتي هذه وقصة ذلك أنني كنتُ جمعتُ للشاعر جمعه الأخير قبل وفاته بعامين واستمر إلى ما قبل وفاته بقليل وقام في هذا الجمع بالاختصار والحذف المخلّ لأغراض كان أهمها استرضاء جهة من الجهاتِ

---

(١) هذه ملاحظة كتبها الشاعر بخطه على مخطوط الديوان المذكور ويظهر فيها محاولا التبرير لوجود هذا الشعر خشية أن يبطش به إذا وجد هذا الشعر الملكي عنده، حيث الثورة الفائرة على كل منتسب للملكية.

لتقوم على طباعة الديوان، فكان هذا الحذف لاختصار حجم الديوان ليناسب دعم هذه الجهة من ناحية ولاسترضاء القائمين عليها حيث كان في شعره لمز كثير لبعض أصحابها، وهجاء مباشر للبعض الآخر – وهذا سبب تأخر الديوان في الظهور في فترة ما بعد ١٩٥٢م إلى ١٩٩٠م تقريبا – ولذا طمس كثيرا من الأبيات التي تدل على أشخاص أو هيئات، وهذا الاختصار أو الطمس قد أخلَّا كثيرًا فاعترضتُ على ذلك وناقشتُ الشاعر فيه في مجالسنا التي كانت تمتد من التاسعة صباحًا حتى الثانية عشر منتصف الليل يتخللها وقت الغداء والقيلولة ثم نستمر، وكان الرجل موافقا على رأيي ولكن شرح لي وجهة نظره وأسبابه حيث يريد أن يمر الديوان بسلام ويُطبعَ في حياته ليطمئن عليه وهذا خير من ضياعه، فلما وجدت عجزه وقلَّةَ حيلتِه طلبتُ منه أن أقوم أنا بإعادة هذا الجمع بحيث أضع فيه ما عجزنا أن نضعه هنا، سواء أكانت أسبابنا اقتصادية أم سياسية فوافق على ذلك وفرح به فرحًا شديدًا، ودفع إليَّ المخطوط الأصلي لوحي الربيع لاستخدامه عندما أضع نسختي ودفع إليَّ أيضا نسخة من الديوان المجموع في ١٩٨٤م بواسطة تلميذه د. محمد عبد الرحمن خضير، وكثيرا من مخطوطات القصائد التي لم تكن نشرت من قبل خاصةً في باب سوط النقد حيثُ كان وضعها في ديوان ١٩٨٤م يحرجُ الشاعرَ إذ كان مشرف الرسالة أحد من هجاهم أيضا وغيره كثير.

٣- ديوان ١٩٨٤م والذي جمعه الشاعر بمساعدة تلميذه محمد عبد الرحمن خضير باحث الدراسات العليا في هذا الوقت لعمل رسالة الماجستير بعنوان " الاتجاهات الشعرية في شعر حسن جاد حسن " وكان هذا المخطوط ضمن رسالته–والذي صار أستاذا في الأدب بعد ذلك– وحدثني الشاعر والباحثُ كلاهما أن هذا الجمع كان من خلال الشاعر حيث كان يملي على الباحث ويوجهه وأن

الدور الذي قام به الباحث كان مقتصرًا على تنفيذ ما يراه الشاعر وهذا لا يقلل من الجهد الكبير الذي بذله الباحث في جمع شتات هذا الديوان من آلاف القصاصات والمسوَّدات التي احتفظ بها الشاعر، ولما وجد الشاعر اعتراضي على كثير مما صنع في ديوانه دفع إليَّ المخطوطات كما سبق وذكرت.

بالإضافة إلى الجمعِ الأخيرِ في ١٩٩٣م وكنتُ القائم به وقد أنجزتُه بمساعدة الشاعر في تمام عافيته ودفع نسخة منه إلي أحد الأساتذة بالأزهر وأبقى نسخة منه لدى ابنته الصغرى أمل حسن جاد بالقاهرة وقبل العمل في هذا الديوان أعدتُ النظر في هذه النسخة ولم يُكتب لها أيضا الظهور مطبوعة لأسباب مجهولة حتى الآن. فلم يكن إلا ما ذكرتُه من اختلافات لذا أردت أن أنبه أخيرًا أن هذا الجمع هو الأكملُ على الإطلاق جاء على نفس منهج الجمع السابق برئاسة الشاعر نفسه في ١٩٩٣م، مع سدِّ الخلل الذي ذكرناه وكان يقره الشاعر كما سبق. ورأيت أن أتمم هذا العمل عرفانا بالمحبة التي جمعتني بصاحب هذا الديوان طيب الله ثراه — وحفظا لتراثه من الضياع لأضمن أن يصير إلى المكتبات العالمية لحفظه وإلى أيدي الباحثين لإجراء الدراسات النافعة عليه وفاءًا لصاحبه الذي لم ينل حظه من الشهرة والتكريم مع كثرة مواهبه ونبوغه كما سيرى القارئ الكريم عند الاطلاع على هذا العمل العظيم.

***



حياة الشاعر في سطور[١]

-١-

هو / حَسَن جَاد حَسَن عَطا الله.

وُلِدَ في ١٣ يناير عام ١٩١٤ م بقرية (مِنْشاة الجَمَّال) التابعة لمركز دكرنس[٢] محافظة الدقهلية . ونشأ في أسرة متواضعة، وكان أبوه شيخا للقرية يتولى إدارة شئونها، كما كان حافظا للقرآن الكريم ملمًّا بجانب من الثقافة الإسلامية والتفقه في الدين. أما أمُّه فتنتسب إلي أسرة تنتمي إلي قبيلة من القبائل العربية . وهكذا نشأ في أسرة محافظة متديِّنةٍ يحفظ أكثر أفرادها القرآن الكريم، منهم من تعلم في الأزهر وحصل على الشهادة العالمية ، ومنهم من تعلم في المدارس المدنية ووصل إلي وظيفة مدير منطقة تعليمية.

-٢-

وقد توفِّيَ والده وهو في سِنِّ الخامسة فكفلته أمه وأدخلته (كُتَّابَ القريةِ) حيثُ حَفظَ القرآنَ الكريم وأحسن تجويده. وفي هذه الفترة بدأ يُحِسُّ مرارةَ اليُتْمِ حيثُ افتقدَ حنانَ الأبِ ورعايته، كما افتقد رعايةَ الكبار من إخوته لأبيه، وإن كان حنان أمه قد عوضه بعض التعويض إلي جانب خالٍ له يُدعي (مُختار) كان يغمره بعطفه وحنانه، غير أن المنيةَ عاجلته في ريعان الشباب ، أما خالُه الآخر(علي) الذي عمر طويلا فقد كان جافي الطبع غليظ القلب، كم عانى الشاعر من قسوته وجفائه مما أثَّرَ في حياته أسوأ الأثر.

---

(١) كما اعتمدها الشاعر في آخر مراجعة معه ١٩٩٤م .

(٢) حاليا تابعة لمركز منية النصر (بعد التقسيم الإداري الأخير).

-٣-

التحق الشاعر بمعهد دمياط الابتدائي في سنة ١٩٢٦م وكان من زملائه فيه الشيخ محمد خاطر -مفتي الجمهورية-، والشاعر طاهر أبو فاشا.

ثم التحق بمعهد الزقازيق الثانوي في سنة ١٩٣٠م، حيث كان من زملائه الجدد فيه الشيخ محمد متولي الشعراوي، والدكتور محمد الطيب النجار -مدير جامعة الأزهر-. وفي هذا المعهد بدأت شاعريتُه تتفتح، حيث أخذ ينظم الشعر في كل مناسبة، وأصدر ديوانَه الأول (زَورقُ الشجونِ) وهو في السنة الرابعة الثانوية سنة ١٩٣٤.

وفي سنة ١٩٣٥م التحق بكلية اللغة العربية بجامعةِ الأزهرِ، وكان من المتقدمين فيها حيث كان ترتيبه(الثاني) دائما، وحصل علي الشهادة العالية ففاز بجائزة الملك فؤاد سنة ١٩٣٩م وكانت تمنح للأول والثاني في الشهادات العالية.

وفي هذه المرحلة اتصل بكبار الأدباء والشعراء، وكانت هناك ندوة أدبية في (كازينو بابِ الخَلقِ) يجتمع فيها مع الأدباء والشعراء من زملائه الشباب مثل: السيد قُطب، ومحمود حسن إسماعيل، وأحمد فتحي، وطاهِر أبو فَاشا، وأحمد مخيمر، والعوضي الوكيل، ومحمد فهمي عبداللطيف، وغيرهم. كما كان يتردد علي ندوة أحمد الزِّين والهَرَّاوِي ومحمد الأسمر بقهوة الحلمية. وندوة الشيخ حسن القاياتي بعطفةِ السُّكَّرية عند بوابةِ المتولي.

وفي هذه المرحلة كذلك بدأ ينشر قصائده في الصحف والمجلات، ويشترك في المسابقات الأدبية، وقد حصل علي كثير من الميداليات الذهبية، وألقى قصائده الفائزة في دار الأوبرا الملكية.

-٤-

ثم التحق بقسم الدراسات العليا متخصصًا في ا(البلاغة والأدب) في سنة ١٩٣٩م. وفي هذه المرحلة اشترك في مسابقة الشعر البريطانية التي كانت تُعقد كل عام من سنوات الحرب العالمية الثانية، ففاز بالجائزة الأولى عن قصيدة (دنيا الغد) وذلك في سنة ١٩٤٤م. كما فاز بالجوائز الثلاث عن قصائده (أمل الفلاح – الجامعة العربية – نشيد النصر) في سنة ١٩٤٥م.

وفي ذلك العام (١٩٤٥م) تقدم لامتحان الدراسات العليا فرسب في درجتين فقط [1] بسبب تعنُّت اللجنة بينما حصل علي أكبر الدرجات في جميع المواد، وهنا أحسَّ الشاعر بالضياع إذ كان يعيش على تلك الإعانةِ اليسيرة التي كان الأزهر يَمنحها لطلاب الدراسات العليا حيث لم يكن لهم عمل يعيشون منه بل لم يكن أحد منهم يستطيع أن يجد أيَّ عمل في ذلك الوقت. وكان الشاعر قد قنع بهذه الإعانة التي كان يحصل عليها في الكلية أو الدراسات العليا، إذ لم يشأ أن يرهق أمه أكثر مما أرهقها في التعليم الابتدائي والثانوي حيث كانت تبيع ما تملك لتنفق عليه. ومن هنا ضاق الشاعر وأخذ يعبر عن ضيقه بذلك الهجاء [2] الذي اشتهر وشاع حتى أصبح لونا بارزا من ألوان شعره، فقد راح منذ ذلك الحين يتتبع أخطاء الشيوخ وينقد كل مظهر من مظاهر الرياء أو النفاق أو إهمال حقوق الأزهر.

وفي هذه السنوات الأخيرة من سِنين دراسته – الدراسات العليا– كان يلتقي كل ليلة في ندوة تضم الشاعر عبدالحميد الديب، والشاعر محمود أبو الوفا، والدكتور عبدالرحمن عثمان في منزل عبدالحميد قطامش المحامي بحيِّ العِمري ببابِ الخلق.

---

(١) في مادة البلاغة.

(٢) بدأها بقصيدة ياسين البوَّاب معرِّضا بأستاذه في البلاغة وكان من أصل سوداني.

وأخيرًا حصُل على شهادة الدكتوراه في (البلاغة والأدب) سنة ١٩٤٦م (بتقدير ممتاز) ، وذلك بعد أن توفيت والدته بشهر واحد قبل حصوله على هذه الشهادة وقبل أن يلتحق بوظيفة كان ينتظرها ليردَّ لأمِّه بعض الجميل على ما قدمته له من تضحية ورعاية وطول انتظار، فكان موتها صدمةً كبيرة أنسته فرحته بالشهادة والوظيفة.

ثم عُيِّنَ مدرسًا بكلية اللغة العربيةِ بالقاهرةِ في أواخر سنة ١٩٤٦م . ثم أستاذًا مساعدًا في سنة ١٩٦٤م. ثم أستاذًا في سنة ١٩٦٩م. ثم رئيسًا لقسم الأدب في سنة ١٩٧٦م. ثم عميدًا للكلية في سنة ١٩٧٨م.

وفي سنة ١٩٥٤م ألْقى قصيدة في عيد الجلاء أمام (جمال عبدالناصر) ورجال الثورة جميعًا طالب فيها بحقوق الأزهر المهدرة بصراحة وشجاعة أخافت المسئولين في الأزهر، غير أن جمال عبدالناصر أعجب بصراحته وشدَّ على يده شاكرًا ومقدرًا ومعجبًا[١] .

وفي عامي ١٩٦٠-١٩٦١م أعير لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض(الكليات والمعاهد العلمية سابقًا)[٢].

وعند إنشاء جامعة الأزهر الجديدة قدم قصيدة لعاهل الكويت [٣] فتبرع لهذه الجامعة بنحو مائتي ألف جنيه.

---

(١) وكان هذا سببا في ضمه إلي الاتحاد الاشتراكي من قبل عبدالناصر حيث أرسل إليه مندوبا بالاستمارة في البيت ولم يفلت إلا حين سافر إلي السعودية بعد ذلك (بحسب قول الشاعر).

(٢) وهناك التقي الشيخ عبدالعزيز بن باز وأهدى له قصيدة : تحية صادقة.

(٣) عنوان القصيدة تحية جامعة الأزهر ١٩٦٦م.

وفي عـام ١٩٦٩م أُعـير للجامعـة الإسـلامية بليبيـا. وظـل هنـاك حتـى عـام ١٩٧٣م[1].

وفي سنة ١٩٧٣م فجعه القدر في ولده الوحيد (محمد) وكان طالبًا بالثانوية العامة حيث فقد بفقده كل أمل كان ينتظره منه في شيخوخته، وقد حطمت هذه الفاجعة نفسه وذهبت أو كادت ببصره وزادته انطواءً على نفسه إلي جانب انطوائه طول حياته بسبب اليُتم والحرمان من رعاية الأب والإخوة فزهد في الشهرة، وتحاشى الأضواء، وانصرف إلى همومه وأشجانه[2].

وفي سنة ١٩٧٦م عُيِّنَ عضوًا بلجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب.

وفي أبريل سنة ١٩٧٨م أقيم مهرجان شعري كبير ضم شعراء الجمهورية وشواعرها، وفي هذا المهرجان اختار الأدباء تنصيبه عميدًا للأدب العربي[3]، وقد أحدث ذلك ضجة كبرى في الصحف العربية ووسائل الإعلام، غيرَ أن الشاعر رفض هذا التنصيب الذي رأى نفسه دون مستواه أو الأهلية له[4].

وفي سنة ١٩٨١م منحه الرئيس محمد أنور السادات (وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى) وذلك بعد أن أُحيلَ إلى التقاعد عام ١٩٧٩م وعمل أستاذا متفرغا بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر.

---

(١) وكانت وفاة ولده سببا في إنهائه لإعارته.

(٢) سطَّر فيه رثائيته المشهورة والتي تعدُّ من أقوى قصائد رثاء الأبناء.

(٣) جريدة الأخبار العدد ٨٠٥١ – ٥ أبريل ١٩٧٨م.

(٤) مقال للشاعر بجريدة الأخبار العدد ٨٠٥٨ – ١٢ أبريل ١٩٧٨م.

-٦-

أما أهم مؤلفاته فهي:

١) الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام.

٢) الأدب العربي في ظلال الأمويين والعباسيين.

٣) ابن زيدون، عصره، حياته، أدبه [١].

٤) الأدب العربي في المهجر [٢].

٥) دراسات في النقد العربي القديم.

٦) على هامش النقد الأدبي الحديث.

٧) الأدب المقارن.

٨) ميزان الشاعر في العروض والقوافي.

٩) ديوان حسن جاد – هذا المخطوط –.

وقد أشرف – وما يزال – [٣] على أثر من مائتي رسالة ماجستير ودكتوراة في الأدب والنقد قديمه وحديثه.

هذا، وقد سجل أحدُ الطلاب بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر رسالة للماجستير في دراسة شعره[٤].

---

(١) رسالة الدكتوراة.

(٢) مطبوع بدار قطري بن الفجاءة في قطر.

(٣) هذا في عام ١٩٨٤م سنة جمع الديوان ورسالة الماجستير الممنوحة فيه.

(٤) الاتجاهات الفنية في شعر حسن جاد: محمد عبدالرحمن خضير. رقم الإيداع: ١٠٣٦ بمكتبة كلية اللغة العربية بالأزهر بالقاهرة؛ وكان من حظ الطالب أنه قام بجمع الديوان بين يدي الشاعر للمرة الأولى والتي كانت نواة الجمع الأخير الذي قام به الشاعر والذي قمنا نحن بإعداده مرتين الأولى كانت بين يدي الشاعر وهذه الخيرة على نفس المنهج بعد استكمال ما كان ناقصا.

الشِّعْرُ

الـــشِّعرُ فـــيضُ خـــواطرٍ تتـــدفقُ   والـــشعرُ ومـــضُ مـــشاعرٍ تتـــألَّقُ

والـــشعرُ نـــبضُ القلـــبِ في خفقانِـــه   وعبـــيرُ رُوحٍ عبقـــريٍّ يَعبَـــقُ

والـــشعرُ موســـيقى الكـــلامِ مفـــصَّلا   لا مـــا يُبَعْثَـــر نظمُـــه ويفـــرَّقُ

صـــورٌ شـــجيَّاتُ الـــرنينِ أصـــيلَةٌ   لا مـــا يُـــزَوَّرُ نَـــسجُه ويلَفَّـــقُ

عربيَّـــةُ القـــسماتِ.. لا عجميـــةٌ   فالـــشعرُ نعـــمَ اليعـــربِيُّ المُعْـــرِقُ

صـــدَّاحُه شـــاقَ البلابـــلَ شـــدوه   والـــروضُ نـــشوانُ الخمائـــل شـــيِّقُ

اقـــرع بـــه ســـمع الزمـــان فإنَّـــهُ   زمـــنٌ أصـــمُّ المـــسمَعيْنِ مُخَـــرَّقُ

العبقـــريُّ بـــه يـــضيعُ ترفُّعًـــا   ويفـــوزُ فيـــه الجاهـــلُ المتمَلِّـــقُ

والأحمـــقُ الرعديـــدُ في ميزانـــهِ   بطـــلٌ، ولـــو لاقـــاهُ هـــرٌّ يَفْـــرَقُ

والعجـــزُ زُهـــدٌ، والفكاهـــة حكمـــةٌ   والجُـــبنُ حلـــمٌ، والـــصراحةُ مَوْبِـــقُ

نفثـــاتُ أشـــجانٍ زحمـــنَ مـــشاعري   ومـــن الـــشُّجونِ ســـجينُها والمُطلَـــقُ

الشعر الديني



دعــاءٌ

يــا ســميعَ الــدعاءِ للــسائلينا وَمجيبًــا ضراعــةَ الــضَّارِعينا

يــا مغيــثَ الملهــوفِ يــا كاشــفَ الــضُّرِّ عــن اليائــسينَ والبائِــسينا

يــا نــصيرَ المظلــومِ يــا قــاهرَ الظــالمِ يــا مُلهــمَ الحيــارى اليَقينــا

فــرِّجْ الكــربَ عــن عبــادِك يــاربُّ وأطلــعْ ســناك للمُــدْلجِينا

ماجــتْ الأرضُ بالــشقاءِ فباتــتْ تغمــرُ الأفــقَ صــيحةً وأنينــا

وجفاهــا الــسلامُ حتــى لقــدْ أمــسى بنوهــا وأصــبحوا خائِفينــا

وغَــدَا المُــسلمونَ فى كــلِّ وادٍ مِــنْ شَــتَاتٍ أذلَّــةً صَــاغِرينَا

يترامــون فى المالــكِ أشــلاءً وكــانوا الأعــزةَ الفاتِحينــا

أيــنَ ســلطانُهم؟ وأيــنَ جــلالٌ كــان يعنــو لعــزِّه المالكونــا ؟

مِــحنٌ مالهــا ســواكَ قــد استعــصتْ وأعيــتْ عبــادَك العاجِزينــا

وهمــومٌ كأنَّهــا ظُلَــلُ المــوجِ عــدَوْنا فى لُجِّهــا مُغْرَقينــا

وظَــلامٌ يطــوى النفــوسَ عــلى اليــأسِ طغــى ليلُــه فــأعْمَى العُيونــا

ورجــاءٌ يمــوتُ إثــرَ رَجَــاءٍ ودُعــاءٍ لايــسعفُ الــدَّاعِينا

كُلَّــما طــافَ بــالخَواطرِ فــألٌ طــارَ نحْسًا مــن صيحةِ الناعِينــا

وإذا نغَّمَ المسرَّةَ شادٍ حوَّلتْها الخطوبُ لحنا حَزينا

قَلقٌ لا يريمُ ، يا ربُّ رُحماك فما زلتَ أرحمَ الراحمينا

أنتَ ملءُ السماءِ والأرْضِ نُورا تَجْتَليه بصائرُ المؤْمنينا

صَدَفَ الناسُ عن سناكَ فَضَّلوا من عَماهُم صراطَكَ المُسْتَبينا

وأذَلُّوا النفوسَ حِرْصا وشُحًّا فهوَتْ تَحت أرْجُلِ الواطِئينا

واستحرَّتْ ضراوةَ الحِقْدِ حتى وَأَدَ الحُبَّ فى القلُوبِ جَنينا

مأتَمٌ تندُبُ الفضيلةُ فيه خُلقا ماتَ أو ضَميرًا طَعِينَا

ربِّ لا تأخذْ الضعافَ بذنبٍ قد جناهُ فى مُلكك الظالِمونا

نفحةً من رضاكَ ، وَمْضَةَ إشراقٍ تَردُّ المُنى إلى اليائِسينا

واجلُ هذا الليلَ الطويلَ بفجرٍ يهتدى فى ضيائِه الحائرونا

واكتب النصرَ للعروبةِ -ياربُّ-، ووفقْ رجالَهَا العامِلينا

واحفظْ الدينَ من سهامَ الأعادِى وأعِزَّ الإسلام والمُسلمينا

***

من وحى القرآن الكريم(*)

فى احتفال جمعيةِ المحافظة على القرآن الكريم

يـا سـاقيَ الأرواحِ مـن كاسـاتِه روحى[1] فداك فهاتِ جامَكَ هاتِهِ
واسكُبْ غناءَكَ فى مسامعِ مُهْجَتِى[2] يَشْدُ الفُؤادُ على صدى رَنَّاتِه
رتِّلْه يا غَرِدَ السماءِ مُفَصَّلا تَعْنو النُفوسُ إلى بَليغِ عِظَاتِه
يامن نداماهُ القلوبُ وراحُه من كرمةِ البارِى ومن جنَّاته
عطِّرْ به الدُّنيا فأيَّةُ نَفحَةٍ أندى من القرآنِ فى نفحاتِهِ؟
واشجِ القلوبَ به فأيَّةُ نغْمَةٍ أشْجى من القرآنِ فى نغماتِه؟
واجلُ النفوسَ به فأيَّةُ جَلوةٍ أبهى من القرآنِ فى كلماتِه؟
افتحْ مغالقَها تَعُدْ صوفيَّةً سَكْرى المشاعرِ مِنْ طِلا آياتِه
إنْ تَسْقِها مِن كَرْمَةٍ تُفتحْ لها حُجُبَ السماءِ عن الإلهِ وذاتِهِ
عينٌ من الفُصْحى ونبعُ هدايةٍ يشفى غليلَ الروحِ عذبُ فراتِه
يحيا به مَيْتُ القلوبِ بشاشةً كالجَدْبِ أحيا الغيثُ مَيْتَ نباتِه
السحرُ كلُّ السحرِ فى ألفاظِه والجرْسُ أحلى الجرْسِ فى نَبراتِه
أعيا العُقولَ مَعَانيا ومَرَامِيا ورمَى فُحولَ القَولِ عن صَهَواتِهِ
من راحَ من جهلٍ يعارضُ شمسَهُ أعْشى نواظرَهُ بفرطِ إياتِه

(*) هذه إحدى روايات القصيدة (آخر ما اعتمد الشاعر منها) ولكن لها الصدارة أولى فى ديوان وحى الربيع أطول منها وبها تقديم وتأخير وتغير فى المعنى حذف هناك وإضافة هنا ، وإنما قلت ذلك لآن الاختلاف بينها يصعب تتبعه فى الهامش .

(١) فى مخطوط من وحى الربيع :"نفسى فداؤك هات كأسك هاته ".

(٢) هذا البيتُ من وحي الربيع أضيفَ بعد ذلكَ للقصيدةِ متأخرًا عن زمنِ القصيدةِ وعنْ عامِ (١٩٥٢م) تاريخ مخطوط.

حسْبُ النبيِّ بـه قـوارعَ حُجـةٍ ... دكَّت صروحَ الشركِ فوقَ مَناتِه
من كل بالغِ حكمةٍ أصغَى لها ... سمعُ الزمانِ وزفَّهَا لرواتِه
أوكلِّ رائعِ قصةٍ تأثيرُها ... راعَ الجحودَ وهزَّ صُلبَ قناتِه
أوكلِّ ذكرٍ من جلالةِ قُدْسِه ... وَجِلَ الفؤادُ ولجَّ فى دقاتِه
أوكلِّ موعظةٍ بكى من وقعِها ... طَرْفُ العَصيِّ وتاهَ فى عَبَراتِه
إسمعْ لشدوِ النشءِ فى ترتيلِه ... ينسابُ قُدْسيًّا على لهواتِه
تحْسَبْ عصافيرَ الربيعِ ترنَّمَتْ ... فى الروضِ واجتَمَعَتْ على دوْحَاتِه
قبَسٌ من الرحمنِ يهدى مَنْ سَرَى ... فى ظُلمةِ الدنيا سَنا مِشكاتِه
ومشارعٌ للحقِّ والأخلاق مِنْ ... آدابِه تَحْميهِ مِنْ عَثراتِه
تفنى دساتيرُ العبادِ وإنما ... دستورُه ماضٍ إلى غاياتِه
جَلَّ المشرِّعُ كلُّ شرعٍ غيرَه ... تتخبطُ الأزمانُ فى غَلَطَاتِه
يا باعثًا روحَ السلامِ بهديِه ... ضلَّ الأنامُ عن السلامِ فهاتِه
الكونُ مضْطَربُ الخواطرِ حائرٌ ... تتعثَّرُ الآمالُ فى خُطْوَاتِه
يعدو القوىُّ على الضعيفِ كأنَّه ... ذِئبٌ تَرَصَّدَ فى الخفاءِ لشاتِه
دُنيا من الجشعِ البغيضِ وعالمٌ ... قدْ ضَلَّ بالأهواءِ فى غَمَرَاتِه
صدفتْ عن النورِ البهىِّ عيونُه ... فتخبَّطَتْ فى الوهمِ من ظُلُماتِه
لو أنَّه غَصى إلى القرآنِ لمْ ... يرما يَطِبُّ لدائِه كأُسَاتِه
هو طُهْرُ هذى الأرضِ من أوضارِها ... وخلاصُ هذا الكونِ من آفاتِه
وزكاةُ ما فى النفْسِ من أوزارِها ... وشفاءُ ما فى الصدرِ من علَّاتِه
عودوا إليهِ لتستقيمَ حياتُكم ... وخذوا الحقيقةَ من لِسانِ دُعَاتِه
فأقلُّ ما يدعُو إليه سعادةٌ ... للعالَمِ الْمُلْتاعِ مِنْ وَيْلاتِه

من رحيق التوحيد

مهداة إلى صديق العمر ورفيق الشباب الداعية الإسلامي الكبيرِ فضيلة الأستاذ الشيخ/ محمد متولي الشعراوي.

ساقٍ مِنْ الخُلْدِ رُوحى مِنْ نَدَاماهُ ... تَفُوحُ مِنْ عَبَقِ الفِرْدَوْسِ رَيَّاهُ
يطوفُ بالكأسِ سَكْرَى من أنَامِله ... ويسكبُ الرَّاحَ نَشْوىً مِنْ سَجَاياهُ
دعْ شاربَ الإثمِ مُغْترًّا بنشوتِه ... وخلِّ ساقِيهِ مَفْتُونا بِدُنياهُ
صرعى السُّلافَةِ أشتاتٌ وإنْ ظَهروا ... كأنَّهم مِن حُمَيَّا الرَّاحِ أشْباهُ
والحُبُّ جَمَّعَ أَهْلَ العِشْقِ فى وَلَهٍ ... وكُلُّ ذى صَبوةٍ غَنَّى بِلَيْلاهُ
للرُّوحِ خَمْرٌ وللأَجْسامِ خَمرتُها ... شَتَّان بَينهما والكلُّ قد تَاهُوا
فَخَمرةُ الفمِّ كمْ تَهْوى بِشَارِبِها ... إلى حَضيضٍ مِن الأرْجاسِ مَهْواهُ
وَخَمْرَةُ الرُّوحِ كم يَرقَى بِذَائِقِها ... شَوْقٌ إلى سِدْرةِ الرَّحْمنِ مَرقاهُ
فَهاتِها يا نَديْمَ الرُّوحِ واسْقِ بِها ... مِن كَرمَةِ الله وانْهَلْ مِنْ عَطَايَاهُ
واستجْلِ فى مَلكوتِ الله ما شَهِدَتْ ... آياتُهُ أنَّهُ لا رَبَّ إلا هُو
خواطرٌ ما جري يوما بها قلمٌ ... كلاّ ، ولا رددتها قبلُ أفواهُ
عُلويةُ الفيضِ شَعْرَاويةٌ بَهرتْ ... سمعَ الزَّمانِ صديً فاختالَ عِطفاهُ
عِظاتُها هزَّتِ الدنيا فَرقَّ لها ... قلبُ الوجودِ وقد مسَّتْ حَنايَاهُ
كَمْ مِن عَصيٍّ جحودٍ حينَ يَسْمعُها ... تَفيضُ من خَشْيةِ الرَّحمنِ عَيناهُ
إنِّى لأعْذِرُ مَأْخُوذًا بروعَتِها ... وقَد تَولَّاهُ مِنها مَا تَولَّاهُ
لم يدر إلْهَامَ أهْلِ الحُبِّ غيرُ فَتىً ... قَدْ ذَاقَ من كَأْسِهِ يَومًا وعَانَاهُ
هِيَ الفُيوضَاتُ تَجْرِى بالفُتُوحِ عَلى ... قَلْبِ المُحِبِّينَ مما أَلْهَمَ اللهُ
سُبْحَانَهُ يَمنحُ الفَضلَ الجَزيْلَ ولا ... يُعْطاهُ إلا مُنِيبُ القَلْبِ أوّاهُ

***

لله إلهام شعراوي وعَهدُ صِبًا ... في ظِلِّ أزْهَرِنا المَعْمورِ عِشْناهُ

نَمَتْهُ كُليةُ الفُصْحَى فَشَرَّفَها ... حَتَّى اعتلتْ مِنْ سِنَامِ المَجْدِ أعْلاهُ

أفْدِيهِ وِرْدَ صَفَاءٍ كُلَّما ظَمِئَتْ ... أرْواحُنا لِرحِيقِ الصَّفْوِ جِئْناهُ

يَسْقِي بِخَمْرِ شُهُودٍ كُلَّما عَبقَتْ ... فِى جَلْوَةِ القُربِ لمْ تُخْطِئْ نَدامَاهُ

فَقُلْ لِمَنْ عَمِيتْ جَهْلًا بَصِيرَتُه ... هُنا مِنَ النُّورِ أهْدَاهُ وأسْنَاهُ

وقُلْ لِمَنْ كَدِرَتْ بالطِّينِ صُورتُه ... هُنا من الرُّوحِ أنْقاهُ وأصْفاهُ

فِى سَكْرةِ المَحْوِ حِينَ الحَقُّ أشهده ... بِحضْرَةِ القُدْسِ أفْنَاهُ فَأَبْقَاهُ

ومَنْ يَمُتْ بِفَناءِ القُرْبِ يَحْيَ بِه ... فَموتُه عَنْ حُظوظِ النَّفسِ مَحْيَاهُ

قُمْ أيْقظْ النَّفْسَ من غَافِى مَشَاعِرِها ... وأرْهِفْ القَلْبَ إحْسَاسا بِمَعْنَاهُ

لا يَسمعُ الحَقَّ مَنْ فى قَلبِه صَمَمٌ ... ولا تُسيغُ نِداءَ الرُّوحِ أُذْنَاهُ

وليسَ يُبصرُ نُورَ الله مَنْ غَشِيتْ ... مِنْ ظُلْمَةِ الرِّجْسِ والآثَامِ عَينَاهُ

هِيَ الطَّريقُ الذِى مَا ضَلَّ سَالِكُها ... يومًا ولا جَمَحتْ فِيهِ مَطَايَاهُ

***

بَحْرُ الحَقِيقَةِ أسْرَارٌ مُحَجَّبَةٌ ... مَنْ خَاضَ لُجَّتَهُ يَعرِفْ خَفَايَاهُ

وكَمْ عَلى الشَّطِّ مِنْ صَادٍ لمَوْرِدِه ... الوَجْدُ أرَّقَهُ والشَّوْقُ أضْنَاهُ

تَحَرَّقَتْ رُوحُه اللَّهْفَى فَراحَ عَلى ... شَوْقٍ تُلَوِّحُ للرُّبَّانِ كَفَّاهُ

ربَّاهُ خُذْ بِيدى وارْحَمْ ضَراعَتَها ... أنَا الغَريبُ بِدُنْيا النَّاسِ رَبَّاهُ

أنَا الغَرِيقُ ونَارُ الشَّوقِ تَلفَحُنى ... أوَّاهُ مِن لَفحاتِ الشَّوْقِ أوَّاهُ

رَفَّ الشِّراعُ عَلى فُلْكِ النَّجَاةِ وَقَدْ ... سَرَى ، وبِاسْمِكَ مَجْرَاهُ ومُرْسَاهُ

فَخُذْ مَعَ الرَّكْبِ مُشْتَاقًا لِصُحْبَتِهم | وإنْ تَنَاءَتْ بِهِ عَنْهُم خَطَايَاهُ
إنْ لَمْ يَكُنْ لِيَ مِنْ جَاهٍ لِيُلْحِقَنِى | بِالسَّالِكِينَ فَفِى حُبِّى لَهُم جَاهُ
أوْ كَانَ لِي مِن ذُنُوبِى مَا أَنُوءُ بِه | فَرُبَّ ذَنْبٍ كَرِيمُ الصَّفْحِ غَطَّاهُ
وإنْ ذَوَى أمَلِي يَأْسًا تَدَارَكَهُ | مِنْ غَيْثِ لُطْفِكَ إحْسانٌ فَأَحْياهُ
كَمْ مُعْدِمٍ مِنْ غَناءِ الصَّالِحاتِ أتَى | لبَحرِ جُودك يا ربِّى فأغْناهُ
وغارقٍ فى خِضَمٍّ من مآثِمه | قد لاذَ بالمَرْفَأِ الأسْنى فنجَّاهُ
ورُبَّ مُسْتَوْحِشٍ بِالبُعْدِ مُنْقَبِضٍ | مَنَحْتَهُ أُنْسَ بَسْطٍ مِنْكَ أدْناهُ

***

ومْضًا مِنَ الشُّعْلة الكُبْرى تُضِئُ به | نَفْسِي وتَعرجُ رُوحى فَوق مَرْقاهُ
ونَفْحةً مِنْ عَبيرِ القُدْسِ تَنْفَحُنِى | فَأنْثَنِى وأنَا بِالعِطْرِ تَيَّاهُ
ورَشْفةً مِنْ رَحِيقِ الحُبِّ تُسْكِرُنِى | وَجْدًا وتُذْكِرُنِى ما كنتُ أنْسَاهُ
ونَبرةً مِنْ أغَانى الخُلدِ تَجعلُنى | صَدَّاحَ أيْكٍ عَلى أفْنانِ طُوبَاهُ
يَا ربِّ بَابُكَ حِصْنٌ ، مَن يَلوذُ بِه | يَنْجو وتُؤْمَنُ فِى الدَّارَيْنِ عُقْباهُ

***

مولد النور

أُلْقيت في احتفال الأزهر بالمولد النبوي الشريف وأذاعتها الإذاعة

شـاقَ الوجـودَ صباحُهُ المتـألِّقُ ... يـوم بمولـد نـور طـه يُـشرِقُ

سرٌّ حوتْـه مـن الـسماءِ سريـرةٌ ... نـشوي بأضـواءِ النبـوة تخفِـقُ

تَتَحـرَّقُ الـدُّنيا إلي مِيعَـادِهِ ... شَـوْقًا يُـسهِّدُ ليلَهَـا ويـؤرِّقُ

وتبيـت تحـسد يومَـه أيامهـا ... وتـود لـو عجلـت إليـه فتلحـق

والكون مشبوب الضرام مفزَّع ... قـد لفـه ليـل الظـلال المطبـق

والناسُ فَوضَى لا تَرَى مِنْ بَينِهم ... إلا عَبِيـدَ حِجَـارَةٍ لا تَنْطِـقُ

ضَلُّوا عَن الحقِّ القَويمِ يَصمُّهُمْ ... بَغـيٌ ويُعْمـيهم هَـوىً وتـشدُّقُ

وإذا البـصائِرُ بالعَمايَـةِ أظْلَمَـتْ ... لم يَـسْتَبِنْ نُـورَ الـسَّماءِ مُحـدِّقُ

حتـى أرادَ اللهُ رَحْمَـةَ خَلْقِـهِ ... واللهُ يَلْطُـفُ بالعِبـادِ ويَرفُـقُ

فِي لَيلَـةٍ نَـسجَ الربيـعُ رِداءَهـا ... وسَرَى النَّسيمُ بِها عَبِيرا يُنشَقُ

والأُفْـقُ فَـوَّاحُ الأرِيْـجِ كَـأَنَّما ... فِي كُـلِّ نَاحِيَـةٍ بُخُـورٌ يَعْبَـقُ

عَطِـرٌ بأنْفـاسِ المَلائِـكِ أقبلـتْ ... تَطـوي الفَـضَاءَ مَواكِبـا تَتَحَلَّـقُ

في مِهرجـانٍ للـسماءِ تجاوبـت ... أصْـداؤه فمزَغْـرِدٌ ومُـصَفِّقُ

والحُـورُ تَبْتَـدِعُ الغِنـاءَ بَـشائِرًا ... سَـمْعُ الزمـانِ بهـا حَفِـيٌّ شـيق

والـنَّجْم نَـشوانُ المُنـي مُتـشوِّفٌ ... والليـلُ هَـيمانُ الـرُّؤَي مُتَـشوِّقُ

والأرضُ عُـرْسٌ والرُّبـا مُزْدَانـةٌ ... فَـاحَ العَـرَارُ بهـا ورَفَّ الزَّنْبَـقُ

والـشِّرْكُ لَهْفـانُ الـسُّؤالِ وقَيْـصَرٌ ... حَـيرانُ مَبْهُـوتٌ وكِسْرَي مُطْرِقُ

دوَّت بآفـاقِ الوجـودِ وجَلجَلـتْ ... بـشرىً تَـروْعُ المُشْرِكِين وتَـصْعَقُ

طَـارتْ بألبـابِ الحُـدَاةِ فَوقَّفُـوا وتَلَفَّتَـتْ شَـوقًا إِليهـا الأَيْنُـقُ
والنُّورُ يَهزمُ في الشِّعابِ ظَلامَها ويُغِـيْرُ مِنْـه عَـلي المَفَـاوزِ فَيْلَـقُ
وأشَـاعَ في الـدُّنْيا جَـلالُ بَهائِـهِ فَجْـرٌ عَليـهِ مِـن النُّبـوةِ رَوْنَـقُ
وُلدَ الهُدَي والنُّورُ فانْجابَ الدُّجي عَنهـا وطَالَعهـا الـصَّباحُ المُشْرِقُ

***

يَـا مَـنْ أعَـاد إلي الوجـودِ شَـبابَه فَكَـساهُ حُلَّتَـهُ الرَّبيـعُ المُونِـقُ
وجَـرَي عَـلي فَمِـهِ البَيـانُ كَأنَّـه نَبْـعٌ تَفَجَّـرَ أَوْ حَيًّـا يَتَـدَفَّقُ
أنقذتَ مـن رِجسِ الـضلالَةِ أمةً دبَّ لفـسادُ بهـا وشـاعَ المَوْبـقُ
وجَمَعتَ مابين القُلوبِ فلم يَعُدْ بَـاغٍ يُـصَاوِلُ أَوْمَغِـيظٌ يَحْنِـقُ
لا جَـاهَ إلا الـصَّالحاتُ ولاغِنـىً إلا أصـابَ الحـقَ فِيـه المُمْلِـقُ
حَـرَّرْتَ بِالتَّوْحِيـدِ رِقَّ عُقُولِهـا ومِـنَ النُّهـى مَايُـستَرَقُّ ويُعتَـقُ
وَفَتحتَ إسْعادًا وكـمْ مـن فـاتحٍ فى غـزوِهِ حـلَّ الـشقَاءَ المُرْهِـقُ
مـا كـانَ إلا للعَدالـةِ والهُـدَى رُمْـحٌ يُـسدَّدُ أوْ حُـسَامٌ يُمْـشَقُ
وبَنيـتَ مُلكـا بَاذِخًـا بـشريعَةٍ تَـسعُ الحَيـاةَ جَدِيـدُها لا تَخْلَـقُ
إنَّ الـذينَ تَنكَّبُـو مِنْهاجَهَـا ضَلُّوا الطَّريقَ إلى السَّلامِ وأخْفَقُوا
وإذا استبدتْ بالـسَّلامِ مَطـامِعٌ كـانَ البَـشيرُ بـه غُرابًـا يَنْعَـقُ
عَـصَفتْ بـه دُولٌ تُعَرْبِـدُ باسْـمِه حُمْقـاءُ يَـدفِعُها الـصِّراعُ الأَحْمَـقُ
مَسْعورةُ الأطْماعِ ضَارِيَةُ الشَّرَى تَغزُو الـشُّعُوبَ وتَـسْتَرِقُّ وتَسْرِقُ
مَـشْبوبَةُ الأحْقـادِ كُـلُّ فَريـسةٍ عَـزلاءَ يـشويها لظَاهـا المُحْـرِقُ

مَغْـرُورَةٌ بِقُـوى الـدَّمارِ تَـصُبُّها   حِمَـمًا عـلى الْمُسْتَـضعفِينَ فَتَـسْحَقُ
ويُقَـالُ عِلْـمٌ خَـارِقٌ وحَـضَارةٌ   شَـمَّاءَ تَـسْمو بالحَيَـاةِ وتَـسمُقُ
أيكُـونُ تَـدْميرُ الحَيَـاةِ حَـضارَةً؟   ويُعَـدُّ عِلْـمًا مَـا يُبِيـدُ ويُزْهِـقُ ؟
إنْ كَـانَ مَفْهـومُ الحَـضارَةِ هَكَـذا   فَالغَـابُ مِنهـا بالتَّمَـدُّنِ أخْلَـقُ
والعِلْـمُ إنْ لَمْ يَعْتَـصِمْ بِعَقِيـدَةٍ   فَالجَهْـلُ أسْـلَمُ والبَـداوَةُ أوْفَـقُ
مَـنْ غَـرَّهُ الـبَرَّاقُ مِـنْ مَدَنِيَّـةٍ   فالـسَّيفُ يَلْمَـعُ بـالمنُونِ ويَـبْرُقُ
أوْ كَـانَ مَفْتُونـًا بِعِـرْقِ حَـضَارةٍ   فَحـضارَةُ الإسْـلامِ مِنهـا أعْـرَقُ
لـمـَّا أضَـاعَ الْمُـسلمونَ زِمامَهـا   غَـزت الخُطوبُ دِيارَهُمْ فَتَفَرَّقُـوا
نَامُوا عَلى المَجدِ القَديمِ فَإنْ صَحَوا   فَعَـلى أدِيْـمٍ بَيـنَهُمْ يَتَمَـزَّقُ
جَهْـدٌ يُبَـدَّدُ فى القُـشورِ وليتَـه   فِي جَمـعِ شَـمْلِهِمُ المُبَـدَّدِ يُنَفـقُ
مـابَينَ مَحْجُـوبِ الحِجَـا مُتَعَـصِّبٍ   ومُفَــرِّطٍ فى دِينِــه يَتَزَنْــدَقُ
كَـمْ ذَا دَهـا الفتيـانَ دَاءٌ مُعْـضِلٌ   وألَمَّ بالفَتيــاتِ خَطْــبٌ مُحْــدِقُ
يـارُبَّ عَـوْراتٍ يُكَـشِّفُ سِـتْرَهَا   سَـمْتٌ لـه يَندَى الجَبِينُ ويَعْـرَقُ
رُحْنـا نَهِيمُ بكـلِّ رِجْـسٍ وافِـدٍ   يَــدْعُو إليــه مُزَيِّــفٌ ومُــزَوِّقُ
وشَرِيْعَـةُ القُـرآنِ أعْـدَلُ مَـنهَجٍ   وأصَــحُّ مُحْـتكَمٍ إليــهِ وأوْثَــقُ
زَمــنٌ يَـضيعُ العَبْقَـرِيُّ تَرَفُّعًـا   فِيــه ويَــسْمو الجَاهِــلُ الْمُتَمَلِّــقُ
فـالحِلْمُ جُـبْنٌ والـسَّفَاهَةُ حِكْمَـةٌ   والجَهْـلُ عِلْـمٌ والـصَّرَاحَةُ مَوْبِـقُ
الأمــةُ العــزْلاءُ أيــنَ مَكانُهــا   مِمَّـا يَـصولُ بِـه القَـوِيُّ الأخْـرَقُ؟
لا يَــسْتَرَدُّ الحَــقَّ فِى أيَّامنــا   خُطَبٌ على خَطْبِ الزَّمانِ تُنَمَّقُ

والنَّادِبَاتُ من القوافِي وحْدَها ... لا يشتفى جرح بها أو يُرْتَقُ
السَّيْفُ أصْدَقُ فِى الحَقِيقةِ مَنْطِقًا ... إنَّ كانَ لا يُجْدِى الحقيقةَ مَنْطِقُ
والخَيْلُ أفْصَحُ مِن خَيالِ شَاعِرٍ ... يَخْتالُ فِى أُفْقِ المُنَى ويُحَلِّقُ
ياليتَ شِعْرى أيْن سَالفُ قُوةٍ ... كانَتْ عُروشُ البَغْيِ مِنْها تَفْرَقُ
رَفَعتْ دَعائِمَها سَواعِدُ وَحدةٍ ... رَاحَتْ بِها تَفْرى الخُطوبَ وتَمْحَقُ
أمَلُ العُروبَةِ فى لَهِيبِ صِراعِهَا ... بِسوى اتِّحادِ الصَّفْ لا يَتَحَقَّقُ

***

عُذْرًا أَمِيرَ الأَنْبياءِ فَأَنتَ مَن ... يُغْشَى سَناه مَنْ يحومُ ويَرْمُقُ
لايستطيعُ وفاءَ قَدرِكَ شَاعِرٌ ... فَذٌّ ولا يَقْوى خَطِيبٌ مُفْلِقُ
أَشْدُوا ومَا أنَا غَيْرُ عُصْفُورٍ هَفَا ... حَولَ الحِمَى يحسُو الثَّنَا ويُزَقْزِقُ
حَسْبى على أعْتابِ بَابِكَ وَقْفَةً ... فيها الرَّجاءُ لِمنْ يَلوذُ ويَطْرُقُ
قَدْ تُغْلَقُ الأبْوابُ إلا أنَّه ... بَابُ السَّمواتِ الذِى لا يُغْلَقُ
أطفِئْ لَظَى رُوْحى المَشُوقِ فإنَّه ... يَظْمَا بدَمْعِي المُستَهِلِّ ويَشْرُقُ
هَبْ لى بفضلِك يَا مُحمدُ جَلْوةً ... تَصفُو بها نَفسى ورُوحِى تُشْرِقُ
ردَّدْتُ ذِكْركَ والهُمومُ عَوابِسٌ ... فَتبسَّمَتْ وانْجَابَ هَمِّى المُطْبِقُ
وهَتفْتُ باسمِكَ فى القَصيدِ فصارلى ... تَاجًا يَتيهُ بِه ويُزْهَى المَفْرِقُ
يارَبِّ إنْ عزَّ الرجَاءُ فلم يَزَلْ ... يُومى إليكَ مُغرِّبٌ ومُشَرِّقُ
فانْصُر مَساعِينا بحقِّ مُحمد ... واكشِفْ بفضْلِكَ ما يُعانِى المشَرِقُ
مَنْ يَعْتَصِم بِك يَقْو جَانبُه ومَن ... تَهْدِيهِ يَنْجَحُ سَعْيهُ ويُوفَّقُ

عبرة الهجرة سنة ١٩٧٦م

فِى كُلِّ عَامٍ ذِكْرُه يَتَجَدَّدُ ... يَومٌ عَلَى مَرِّ الزَّمانِ مُخَلَّدُ

حَسَدَتْ عَشيَّتَه الليالِى رَوْعَةً ... ومِنَ اللَّيالِى مَا يَرُوْعُ فَيُحسدُ

لما أطلَّ على الوجُودِ هلالُه ... هتَفَتْ منابرُهُ وضَجَّ المسْجِدُ

واستشرفَتْ لسَناهُ بيضُ مآذِنٍ ... تَسْتطلِعُ الآمالَ فيهِ وتَرْصُدُ

وكَأنَّها أيْدٍ رُفِعنَ ضَوارِعًا ... بالأُفْقِ تَدْعُو رَبَّها وتُمَجِّدُ

مِنْ كلِّ مئذنة تشيرُ كأنها ... سبابةٌ لموحِّدٍ يَتَشهدُ

والرَّوْضُ نَشْوانُ الخَميلِ مُسَبِّحٌ ... والطَّيرُ جَذلانُ النَّشيدِ مُغرِّدُ

هِى نَشوةُ الدُّنيا بأروعِ قِصَّةٍ ... نَسجَ الفَخَارُ خُيوطَها والسُّؤدَدُ

يَعْنُو لَها التاريخُ مَبْهورًا بِما ... يَرويهِ مِنْ أمْجَادِها ويُعَدِّدُ

رَدِّدْ صَداها يا هِلالَ مُحَرَّمٍ ... فَلأنْتَ أصْدقُ مَن يَعِى ويُرَدِّدُ

فِى لُجَّةِ الأحداثِ تَطفُو زَوْرقًا ... يَحْنو عَلى غَرقى الحَياةِ ويُنْجِدُ

وغَياهِبُ الأيَّامِ لُحْتَ بِليلِها ... أمَلًا يَشُوقُ البائِسينَ ويُسْعِدُ

فاطْوِ الزَّمانَ إلى مَشَارِفِ لَيلةٍ ... سَجْواءَ أنْجُمها عُيونٌ سُهَّدُ

شَهِدَتْ مُؤَامَرَةَ النَّدِىِّ وكَيدِهِ ... والشِّرْكُ مخمورُ الحُوارِ مُعَرْبِدُ

وإذا النِّداءُ مِنْ السمَّاوَاتِ العُلَى ... دَوَّى فَلبَّاهُ النَّبِىُّ الأمْجَدُ

مَنْ ذَلك السَّارِى يَشعُّ بِه الدُّجى ... فكأنَّه بَينَ المَفاوِزِ فَرْقَدُ؟[1]

ومَنِ المُفارِقُ موطنًا يَصْبو لَه ... ويُحبُّه فَيُذَادُ عَنْهُ ويُبْعَدُ؟

---

(١) فرقد فى تهذيب اللغة الفرقدان نجمان فى السماء لا يغربان وربما قالت العرب لها الفرقد.

ومَــنْ المهــاجِرُ تقتفــى آثــارَهُ ... فى كــلِّ وادٍ أعــينٌ تترَصَّــدُ ؟
أغراهُمُ الشيطانُ فاحْتشَدوا على ... إيْذائِــه وتهَــدَّدُوا وتوَعَّــدُوا
ونبَتْ بـه أمُّ القُـرى وهْـوَ الـذِى ... بالـصِّدْقِ فِيهـا والأمَانـةِ يُعْهَـدُ
نُـورٌ يُطـارِدُهُ الظَّـلامُ جهَالَـةً ... والحَقُّ يُنْكِـرُه الـضَّلالُ فيُجْحَـدُ
وإذَا تَنَاهَى الجَهْلُ واعْتكَرَ الدُّجى ... فـالطَّرْفُ عَنْ نُـورِ الحَقِيْقَـةِ أرْمَـدُ
سَـارٍ وعَـينُ اللهِ تَرعـى دَرْبَـه ... مَـاضٍ إلى الغَايـاتِ لا يَـتَرَدَّدُ
يَتـسَابَقُ الرَّمْـلُ المَشُوقُ لخَطْـوِهِ ... لَـثْمًا ويخْـضَرُّ الثَّـرَى والفَدْفَـدُ (١)
والـنَّجْمُ داعٍ والهـلالُ مُـؤَمِّنٌ ... والأُفْـقُ حَـانٍ والرُّبَـى تتَنَهَّـدُ
سِرٌّ يُعانِقُــهُ الظَّـلامُ وتَنْحَنِـي ... لِجلالِـهِ شُـمُّ الجِبـالِ وتَـسْجُدُ
ضَاقَتْ بِهِ الأوْطَانُ واتَّسَعَتْ لَـه ... جَنَبـاتُ غَـارٍ فى شَرَاهُ يَرْقُـدُ
لَـوْلا العِنايَـةُ نَـمَّ عَنـه عَبـيرُهُ ... أرَجًـا ودَلَّ سَـناهُ مَـنْ يَتفَقَّـدُ
ياصَـاحِبى فِى الغَـارِ لاتَحْـزَنْ ولا ... تخْـشَ الأذاةَ فـإنَّهُمْ لـنْ يَهْتَـدُوا
سُبْحَانَهُ مَعَنا وكَيْفَ يَخافُ مَنْ ... صَـدَقَتْ عَزيمتُـه وصَـحَّ المَقْـصِدُ
واسـتقبلتْ رَكْـبَ النُّبـوَّةِ يثْـرِبٌ ... نَـشْوى تُغَنِّـى فرحـةً وتُزَغْـرِدُ
مَـنْ ذلـك الـسَّارى يَقـودُ كَتائبًـا ... صُـمًّا تَـرُجُّ الأرضَ رَجًّـا يُرْعِـدُ؟
فى جَحْفَـلٍ لَجْـبٍ يَـضِجُّ مُكَـبِّرًا ... إنْ رَاحَ يَهْـبِطُ وَادِيـا أو يَـصْعَدُ
ويَـشُقُّ بـالزَّحْفِ المُقَـدَّسِ دَرْبَـه ... ويَـدُكُّ شُـمَّ الرَّاسِـياتِ ويَمْهَـدُ
هَـذا طَريـدُ الأمـسِ يـا أُمَّ القُـرى ... إذْ عَـزَّ نَـاصِرُهُ وقَـلَّ المُـسْعِدُ

---

(١) الأرض المرتفعة فيها حصى .

هَـذا المُهـاجِرُ فى الـدُّجى مُتَوجِهًـا يَخْشى الأذَى ويَخافُ مَنْ يَتَوعَّـدُ
وافـاكِ فى وضَـحِ النَّهـارِ مُجَاهِرًا والأُفْـقُ ضَـاحٍ والطَّرِيـقُ مُعَبَّـدُ
هَــذَا لِــوَاءُ الله عَــادَ مُرَفْرِفًــا بِــالحَقِّ يَرْفَعُــهُ اللِّــواءُ المُفْــرَدُ
يَتعجـلُ البيـتُ العتيـقُ لقـاءَهُ والــشَّوْقُ فى جَنبَاتِــهِ يَتَوقَّــدُ
والكَعْبـةُ الغَـرَّاءُ نَكَّس حَولهـا مَـا كَـان دُونَ الله فِيهـا يُعْبَـدُ
والـشِّرْكُ أذْعَـنَ خَاشِـعًا لِجَلالِـه مُـسْتَرْحِمًا يَرْجُـو الأمَـانَ ويَـشْهَدُ
وأتَــمَّ نِعمتَــهُ الإلــهُ لِعَبــدِه عُقْبـىً مُظَفَّـرَةٌ وعَـوْدٌ أحْمَـدُ
سُبْحانك اللهـمَّ وَعْـدُكَ صَادقٌ صَـدقَتْ بَـشائِرُهُ وصَـحَّ المَوْعِـدُ
أعْـزَزْتَ بِـالفَتْحِ المُبِـينِ مُحَمَّـدًا فَـسَمَا وعِــزُّ الفَـاتِحِينَ مُحَمَّـدُ
أعْظِـمْ بِهـا ذِكْـرَىً تَطُـوفُ بأمَّـةٍ تَمْضِى عَلَى دَرْبِ النِّضالِ وتَـصْمُدُ
تَــستَلْهِمُ النَّفَحـاتِ مِــن آيَاتِــه عِـبَرًا وتَـستَوْحِى الرَّشـادَ فَتَرْشُـدُ
هِـى قِـصَّةُ الحَـقِّ المُـضَامِ يُحِقُّـه صَــبْرٌ وإيْــمانٌ بِــه وتَجَلُّــدُ
وجَـلالُ مَوْعِظَـةٍ يَعِـى أسْرَارَهَـا مُتَحَــرِّرٌ مِــنْ قَيْـدِهِ ومُقَيَّــدُ
رَمــزُ الفــداءِ العَبقـرِىِّ وقـدوةٌ فى التــضْحِياتِ لأمــةٍ تُــستَعْبَدُ
ومَنَــارةٌ يَرْقَــى عَــلَى أضْــوائِهَا دَرَجَ المَعَـالِى كُـل شعب يـصعد
للحَـقِّ مَهْـمَا طَـالَ لَيـلُ ضَـياعِهِ فَجْــرٌ يُمَــزِّقُ لَيلَــهُ ويُبَــدِّدُ
لـولا العَقِيـدَةُ مـا اسْتَمَاتَ مُقاتِـلٌ أوْ راح يَبْـذُلُ رُوْحَـهُ مُسْتَـشْهِدُ
لَوْلاسَــنا الإيــمانِ لم نعــبرْ إلى سِـيْنَا نُقَتِّـلُ فى العَـدُوِّ ونَحْـصُدُ
يومٌ -أعـادَ لنـا الكَرامَـةَ - أبْيضٌ فَجَـأَ العَـدوَّ بــه نَهـارٌ أسْـود

قَدْ أذْهَلَ الدُّنْيا صَدَاهُ رَوْعَةً | فَحَدا بِه الحَادِى وغَنَّى المُنْشِدُ
دَعْ ما يُشِيعُ المُغْرِضُونَ فَإنَّنا | بالعَدْلِ نَبْتَدِرُ السَّلامَ ونَنْشُدُ
وإذا أتَاحَ الحَقَّ سِلْمٌ عَادِلٌ | فَالحَرْبُ حُمْقٌ والقِتَالُ تَمَرُّدُ
شَعبٌ على الإيمانِ يَبنى | مَجْدَهُ ويُقيمُ نَهْضَته بِهِ ويُشَيِّدُ
يحدو مَسيرتَهَ زعيمٌ[1] مؤمنٌ | بطلٌ من الله القوىِّ مُؤَيَّدُ
قَدْ عَوَّدَ الشَّعْبَ الصَرَاحَةَ واثِقًا | والمَرْءُ فى الدُّنيا ومَا يَتَعَوَّدُ
وإِذَا دَجَا لَيْلُ الخُطُوبِ أضَاءَهُ | رأىٌ لَه فى الحادثاتِ مُسَدَّدُ
يَا قَائِدَ النَّصْرِ العَظِيمِ تَحيةً | تُوحِى بها الثِّقَةُ التِى لاتَنْفَدُ
قَدْ أقبلَ العامُ الجَديدُ مُوَحِّدًا | عِيدينِ رَمْزُهُما المَسِيحُ وأحْمَدُ
فَاجْمَعْ على التَّوحِيدِ أبْناءَ الحِمى | ما خَابَ شَعْبٌ شَمْلُهُ مُتَوَحِّدُ
واضْرِبْ عَلى يَدِ الانْحِرَافِ فَإنَّهُ | دَاءٌ يخرِّبُ ما نَشِيْدُ ويُفسِدُ
مِنْ كُلِّ مُختَلِسِ الثَّراءِ ونَاهِبٍ | خَرِبِ الضَّميرِ ونَاهِزٍ يَتَصَيَّدُ
يا طَالمَا أغْرَى الفَسَادَ تَسَامُحٌ | ولشدَّ ما ردَعَ الفَسادَ تَشَدُّدُ
وأقِمْ عَلى الأخْلاقِ شَامِخَ نَهْضَةٍ | يَنْهَض بِها صَرْحٌ أشَمُّ مُوَطَّدُ
يا رَبِّ كَلِّلْ بالنَّجاحِ كِفَاحَنا | وأتِمَّ مَا نَسعى إليهِ ونَقْصِدُ

***

---

(١) محمد أنور السادات رئيس الجمهورية من ١٩٧٠ حتى ١٩٨١م.

العلمُ والإيمانُ

ألقيت فى حفل أقامه اتحاد الأزهر بدارِ الشبانِ المسلمين مع محاضرةٍ ألقاها الزميل الشيخ الداعية / محمد متولى الشعراوى وذلك أثناء زيارةِ (خرشوف) لمصر بعدَ صعودِ (جاجارين) إلى القمر وإدّعائه بأنه بحث عن الله فلم يجده.

غزا الفضاءَ عُقابًا واعْتلى القَمَرا ... وغَاصَ فى الماءِ حُوْتًا واقْتَنى الدُّرَرا

وغَالَبَ البَحْرَ حَتَّى رَاضَ جَامِحَهُ ... وذَلَّلَ البَرَّ حَتى أنْطَقَ الحَجَرَاْ

وجَال فى القَفْرِ فاخْضَلَّتْ خَمائِلَهُ ... وشَقَّ فى الصَّخْرِ حَتَّى فَجَّرَ النَّهَرَا

طوىَ المسافاتِ فى لمحٍ وقرَّبَها ... فما تُحسُّ بها بُعْدًا ولا سَفَرَا

آمَنتُ بالعلمِ يُعلى كلَّ شَامخةٍ ... ويجْلبُ الخَيرَ أو يَستَدْفِعُ الضَّرَرَا

آمَنتُ بالعلمِ يَبْنِى للسلامِ ولا ... أدِينُ بالعلمِ يجنى الفَتكَ والخَطَرا

والعِلمُ إنْ لم تَقُدْهُ نَحو غَايَتِهِ ... رُوْحٌ تَرَدَّى إلى المَهْواةِ وانْحَدَرَا

أودَى بعامرِ (هُورْشِيما)وغامِرِها ... ولم يغادِر بها رسْمًا ولا أثَرا

وخَلَّفَ العالَمَ المُلتاعَ فِى قَلقٍ ... وشَبَّ فِيهِ أُوَارَ الخَوفِ فَاسْتَعَرَا

سُبْحَانَ مَنْ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مِنْ قِدَمٍ ... وبَثَّ فِى الكَوْنِ مِن آياتِهِ عِبَرَا

فِى الأرْضِ آياتُه للمُؤْمنينَ هُدىً ... وفِى السَّماءِ بَراهِينٌ لِمَن نَظَرا

أخْلِقْ بِمَن يجتَلِيها أنْ تُعَرِّفَهُ ... باللهِ لَو أنَّه فِى صُنْعِهِ فَكَرَا

فَاعَجَبْ لمَغْرورِ عِلْمٍ ما أفَادَ بِه ... فِيما يُشاهِدُ إيْمانًا ولا اعْتَبَرا

كَمْ طَافَ بِالأَرْضِ واجْتازَ الفَضَاءَ عَلى ... نَجائِبٍ مِنْ سَفِينٍ يُبْهِرُ النَّظَرَا

وطَارَ فِى مَلكوتِ اللهِ مُقْتَحِمًا ... حَتى إذا ما اسْتَوى فِى أُفْقِه كَفَرَا

وعَادَ يَسأَلُ : أيْنَ اللهُ ؟ فِى صَلفٍ ... وقَدْ تَخايَلَ إعْجابًا بِما ظَفَرا

إنِّى بَحَثْتُ فما صَادَفْتُ مِن أَثَرٍ ... يَـنُمُّ عَنـه ولَمْ أَسْـمعْ بِـه خَـبَرَا
ولمْ أرَ المَنَّ والسَّلْوى كَما زَعَموا ... ولا وَجَـدْتُ مِـنَ الأقْـوَاتِ مُـدَّخَرا
يامَنْ يَكُفُّ غُرُورُ العِلْمِ نَاظِرَهُ ... عَـنْ رُؤْيَـةِ الله فَكِّرْ وارْجِعِ البَـصَرَا
سُبْحانَه جَلَّ عَنْ كَيْفٍ وعَنْ جِهةٍ ... ولَـستَ إلا هَبـاءً طَـارَ وانْتَشَـرا
هَلْ كُنْتَ تَغْزُوا الفَضَا إلا بِقُدْرَتِهِ؟ ... وهَـلْ بِغيـرِ هُـدَاه كُنـتّ مُقْتَـدِرا؟[1]
اللهُ سُـبْحَانَهُ مِـلءُ الوُجُـودِ رُؤى ... واللهُ نُـوْرُ بِكُـلِّ الكَائِنَـاتُ سَرَى
فِى اللَّيلِ قد سَبَّحَتْ فِى بَحْرِ ظُلْمَتِهِ ... بِيضُ النُّجومِ وقد نَضَّتْ به الأُزُرَا
فِى بَسْمَةِ الفَجْرِ يُزْهَى فِى غَلائِلِهِ ... بِيْضًا ويَسْكُبُ مِنْ خَمْرِ النَّدَى سَكَرَا
فى غُرَّةِ الصُّبْحِ يَجلو مِنْ سَبَائِكِهِ ... عَـلَى جَبِـينِ الضُّحَى فى رأْدِهِ غُـرَرَاْ
فِى الرَّوْضِ طَافَ به رُوْحُ الرَّبيعِ وقَدْ ... مَـسَّتْ أنامِلُـهُ مَغْنـاهُ فَـازْدَهَرَا
بَثَّ الحَياةَ فأمْسَى طَيْرُهُ غَرِدًا عَلى ... الغُـصُونِ وأضْـحَى غُـصْنُهُ وَتَـرَا
فِى الزَّهْـرِ وَشَّـاهُ مَنْظومًـا ومُنْتَثِرًا ... وفِى العَبِـيرِ إذَا مَـا ضَـاعَ وانْتَـشَرا
فِى رِقَّـةِ النَّـسمَةِ العَـذْراءِ عَـابِرَةً ... قَـد عَطَّرتْهَـا أزَاهِـيرُ الرُّبـا سَـحَرَا
فِى غَضْبَةِ البَحْرِ ، فى عَصْفِ الرِّياحِ وفى ... قَـصْفِ الرُّعُـودِ ، وفِى البَرْقِ الـذى سَفَرَاْ
فى النَّـيِّرَيْنِ، و فى الأفْـلَاكِ دَائـرةً ... فى الشُّهْبِ ، فى الفُلْكِ المَشْحُونِ حِينَ جَرَى
فِى النَّفْسِ ، والنَّفْسُ دُنْيا مِن عَجَائِبه ... فِى الخَلْـق أبْدَعَـهُ سُـبْحانَهُ وبَـرَا
فى أنَّـةِ البَـائِسِ المَكْسورِ خَـاطِرُهُ ... إذا اسْـتجارَ بِـهِ فى كِـسْرِه جَـبَرا

---

(١) من العجيب أن جاجارين الذي اغتر بصعوده إلى الفضاء كاول إنسان مات في أثناء تحليقه بطائرة ميج – ١٥ وذلك في مارس ١٩٦٨.

فِي عِبْرَةِ الدَّهرِ، في المظلومِ أنصفَهُ ... وحَطَّمَ الظالِمَ المَغرُورَ فانْكَسَرا
في الخَطْبِ يحملُ في أطْواءِ مِحْنتِهِ ... لُطْفًا تَخَفَّى وراءَ الخَطْبِ واسْتَتَرا
وفي الجَمالِ يُجَلِّيهِ لَنا فِتَنًا ... وفي الطَّبيعَةِ يَجْلُوها لَنا صُوَرَا
فِي كُلِّ شَيءٍ تَجَلَّى اللهُ مُقْتَدِرًا ... وفي مَظَاهِرِ هَذا الكَونِ قَدْ ظَهَرَا
أخْلِقْ بِشَعْبٍ سعى باللهِ مُعْتَصِمًا ... أن يُدْرِكَ الأمَلَ المَنْشودَ والوَطَرَا
وَلَيسَ يُجْدِي سِلاحٌ وحْدَهُ أبَدا ... إذا الفُؤادُ مِنَ الإيْمانِ قد صَفِرَا
وللعَقِيدةِ في بأسِ النِّضَالِ لَظًى ... لَو مَسَّ حِصْنًا من الفُولاذِ لانْصَهَرَا
ولا يُفَلُّ شَبَا الإيمانِ مُنْصَلِتٌ ... وكَمْ يَفُلُّ شَباهُ الصَّارِمَ الذَّكَرا
الروحُ في كُلِّ جيشٍ سِرُّ قُوتِهِ ... ولَنْ تَراهُ بِغَيرِ الرُّوحِ مُنْتَصِرَا
لَمَّا مَضَى جَيْشُنا باللهِ مُعْتَصِمًا ... دَكَّ الحُصُونَ وردَّ البَغْيَ مُنْدَحِرا
وراحَ يَعْبُرُ آفَاقَ القَناةِ إلى ... سِينا ولَولا سَنا الإيْمانِ مَا عَبَرَا[1]
والرُّوحُ فِي الشَّرقِ سرٌّ مِن ودَائِعِهِ ... لَولاهُ ذابَ على الأيامِ وانْدَثَرَا
شَبِيبَةَ العُرْبِ حَيَّا اللهُ وَثْبَتَكم ... وزَادَكُم فِي الكِفَاحِ الحُرِّ مُصْطَبَرَا
فامْضُوا عَلَى الدَّربِ للآمَالِ واتَّحِدُوا ... صَفًّا قَوِيًّا وذُودُوا الشَّوْكَ والإِبَرَا
حَمَى الأسُودُ حِماكُمْ في مَناعَتِهِ ... فَأخْرِجُوا من شَراهُ الذِّئبَ والنَّمِرَا
لَقَدْ زَرَعْتُمْ بِأرْضِ المَجدِ غَرْسَكُمُو ... فَواصِلوا السَّعْيَ حَتَّى تُطْلِعوا الثَّمَرَا
شُدُّوا العَزائِمَ بالإيْمانِ تَقْوَ بِهِ ... فَلَنْ تَرَوا مِثْلَهُ أزْرًا ولا وَزَرَا

---

(١) هذه الزيادة متأخرة عن زيارة جاجاركين حيث كانت الزيارة في عهد الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٦٢م، أما هذه الأبيات فتتحدث عن نصر أكتوبر وعبور القناة أي بعد ١٩٧٣م.

والدِّينُ كَوْثَرُه يَشْفي الغَليلَ ولنْ تَـرَوا كَمَنْهَلِـه وِرْدًا ولا صَـدَرَا
خُذوا مِنَ العِلمِ وابْنوا كُلَّ صَالحةٍ وواكِبُوا رَكْبَهُ لَكِنْ خُذُوا الحَذَرَا
وطَهِّرُوا وِرْدَهُ مِنْ سُمِّ عَقْرَبِهِ وانْفُوا عن المَوْرِدِ الأوضَارَ والكَدَرا
نُورٌ منَ اللهِ يَعْمى عنْ هِدايته قومٌ أحالوهُ مِنْ إلحادِهِم سَقَرَا
لاتَسْتَهِينُوا بما شَبُّوهُ مِنْ شَرَرٍ قَدْ تَأْكُلُ النَّارُ مَنْ يَسْتصْغِرُ الشَّررا
رُدُّوا إلى مُسْتقِيمِ الدِّينِ جَامِحَهُ إنْ أنْتمو لم تَرُدُّوا جَمْحَهُ عَثَرَا
وامْضُوا عَلى هَدْيِهِ المأمُونِ واعْتَصِمُوا بِعُرْوَةِ الصَّبْرِ فَالعُقْبَى لِمَنْ صَبَرَا

في ذكرى إقبال

شاعر الإسلام

في مهرجان إقبال في بني غازي سنة ١٩٧٣م بمناسبة مرور مائة عام على مولده

شَاقَهُ الخُلْدُ رَوْنَقًا وجَلالا ... وشَجاهُ خَمائِلا وظِلالَا

تَطَّبيهِ رُبا الفراديسِ أيْكًا ... عَبْقَرِيَّ الرُّؤى سَنًا وجَمالا

يُطْلِقُ الرُّوحَ في السَّماءِ فتَطْوِي ... في مَداها الآبادَ والآزالا

والذُّرَا الحَالماتُ تُلهِمُهُ الشَّدْوَ فيسبِي قَوافِيًا وخَيالَا

شَاعِرٌ هامَ بالخُلودِ فغنَّاهُ دُعاءً وصَبْوةً وابتِهالَا

وَشَدَا بالجَمالِ فَوقَ رُباهُ نَغَما ساحِرَ الصَّدَى سَلْسالا

عَزَفَتْه قيثارةُ الرُّوحِ لحْنا ... باكِيَ الجَرْسِ أنَّةً وانفِعَالَا

هَزَّ سَمْعَ الوُجُودِ أرْضًا وأُفْقًا ... وَسَماءً وأنْجُما وهِلَالا

وسَرَى في عوالِمِ الرُّوحِ نَجْوى ... بَلغَتْ سِدرَةَ الجلالِ مَقالا

نغَمٌ خالدُ الصَّدَى سوف يبقى ... سرمديًّا يحرِّكُ الأجيالا

كُلما طافَ بالعشيةِ ساقِيهِ تَصبَّى الغدوَ والآصالَا

حانُهُ الأريحيُّ شَفَّ نَداماهُ ورقُّوا شَمائِلا وخِصالا

وتسامَوا بالقُربِ فاعتَلَوا الشمسَ بِسَاطًا والفرقدينَ مَجالا

وتساقَوا مِن كَرْمةِ الله كأسًا ... كرُمتْ عُنْصُرًا وطابَتْ خِلَالا

كـانَ فى العُـربِ جَـدُّها فارِضِـيا   وأبوهـا فى الـرُّومِ كـانَ جَـلاَلا [1]

يانـديمَ الأرواحِ هـاتِ اسـقِنيها   وأنِلنـى مِـن راحَتيـكَ نَـوالا

تَنْهـلُ الـروحُ مـن سناهَا فيجْلـو   عـن سَناهَا الحِجَابَ والأسْدَالا

وإذا الـنفسُ باكرتْهـا تجـلَّى الحـقُّ فيهـا سُـبحانَه وتَعـالى

مالـكٌ يَـصْطَفِى مِـنَ المُلْـكِ مـا شـاءَ بـما شَـاءَ قـادِرًا فَعَّـالا

يَقـسِمُ الحـظَّ فى المـدائنِ كالنـاسِ؛ ويجريـهِ حكمـةً لا ارْتِجـالا

حَـسْبُ (باكـستانَ)العظيمـةِ مجـدًا وفخـارًا أن أنجبـتْ (إقْبـالا)

إيـهِ ياشـاعرَ الحيـاةِ تَـسنَّمْتَ ذُراهـا تَـأمُّلا والقِـلاَلاَ

مُـستثيرا دفـائِنَ الـنَّفْسِ؛ مرتَـادًا خَفايـا آفاقِهـا ؛ جَـوَّالا

* * *

فاشـدُ للـنفسِ والحيـاةِ ورَقْـرِقْ   لحنَـكَ العـذْبَ دافِقـا سـيَّالا

وأعِـدْ فى مَـسامِعى شَـدوَ نَـايٍ   أنـتَ أفعمتَـهُ جَـوىً واشْـتعَالا

وحَدِيثٌ للروحِ قَـدْ شَـفَّ هَمْسا   وسَرَى فى النفوسِ سِحْرًا حَلاَلاْ

ولحونًـا صـوفِيَّةً ضَـاقَ عَنهـا   وترُعَـىَّ عـن مَـداها كَـلالا

قـد كـشفْتَ المكنـونَ مـنْ كـلِّ سِرٍّ   وحطَمْـتَ القيـودَ والأغْـلالَا

ورأيـتَ الحيـاةَ فى سـيرِها الـدَّائِبِ مجْـدًا وقـوةً ونِـضَالا

إنـما اليـأسُ والتـشاؤُمُ ضَـعفٌ   فاغتَنِمْهـا بـشاشةً و أفْتِئَـالا

---

(١) كانَ إقْبالُ يَعْتَزُّ بالشاعرِ الفَارسِى جَلال الدين الرُّومى ويَعترفُ بفضله عليه وهو فى حسه الإلهى متأثرٌ بابنِ الفَارِضِ.

فــازَ مَــنْ واجَــه الحيــاةَ قويــا   لا يبــالى الــصِّعَابَ والأهْــوَالا

فــتخطَّ العِقَــابَ واقــتَحمْ الــصَّعْبَ وحقِّــقْ لــذاتِكَ اسْــتِقْلالا

قــوةُ الــذَّاتِ للجماعــةِ دِرْعٌ   تَتحــامَى بــه وتقــوى صِــيالًا (١)

إنَّهــا قــوةُ الكِيــانِ ، ولــيسَ الــضَّعْفُ إلا تَفتُّتًــا وانْخِــذَالا

فَبهــا تــصبحُ الرمــالُ جِبَــالاً   وبِــه تــصبحُ الجِبــالُ رِمَــالَا

قَطْـرُةُ المـاءِ مَاسـةٌ حِـينَ تَقْـوى   فَـدَعْ الـضَّعْفَ واطْـرِحْ الاتِّكَـالاْ

واسْـمُ بِـالنَّفسِ أنْ تـذل سُـؤَالا   آفَــةُ الــنَّفسِ أَنْ تَــذِلَّ سُــؤَالاْ

مـا ارْتَقَـتْ أمـةٌ بـضَعْفِ بَنِيهَـا   تَعِــسَتْ أَمَّــةٌ بَنُوهــا كُــسَالىْ

كنــتَ يــا شــاعرَ الحقيقــة والحــقِّ شِــعَارا وقُــدْوَة ومِثــالَاْ

قَـدْ عَـبَرتَ الحيـاةَ لم تبـغِ جَاهًـا   مِـنْ غُـرُورِ الـدُّنْيا ولا رُمْـتَ مَـالَاْ

لـيسَّ مَـنْ يَرْفَـعُ الـشَّعارَ كَلامًـا   مِثْـلَ مَـنْ يَرْفـعُ الـشِّعَارَ فِعَـالَاْ

مَنْطِــقُ الحــقِّ لم يَعُــدْ مَنْطِــقُ العَــصْرِ فخاطِــبْ بــالقُوَّةِ الانْــذَالَاْ

* * *

شَــاعِرَ الــشَّرْقِ كَــم تَغنَّيْــتَ بالــشَّرْقِ وباهيــتَ بِاسْــمِهِ مُخْتَــالَا

لاتَــرى فى حَـضارةِ الغَـرْبِ إلا   خُلَّبًــا خَــادِعَ الــوَمِيضِ وآلا

دُميــةٌ تخْــدعُ الغرِيــرَ بمرْآهــا   وتُغــرْى بَزَيْفِهــا الجُهَّــالَاْ

لم يَقُــدْهَا إلى الهُــدَى أَلَــقُ الــرُّوحِ فَــضَلَّتْ تمَزُّقــا وانْحِــلَالَاْ

---

(١) كان إقبال يدعو إلى القوة ، قوة (الذات الذاتية) ويرى أنها أساس قوة الجماعة، فالقطرة حين تقوى تكون ماسة ، والجهل حين يضعف يعود رملا.

أصبَحتْ منْ ضَراوةِ العِلمِ غَابا وغــدَتْ مــن سُـعَارِه أدْغَــالا

ومِـنَ العِلْـمِ مـا يَكـونُ حرامًـا ومـن العِلـمِ مـا يكـونُ حَـلالَاْ

وإذا العِلْـمُ لم يُـسانِدْهُ دِيـنٌ كـانَ جَهْـلًا ونِقمـةً وضَـلَالَاْ

ولقَـدْ يَعمـرُ الحيـاةَ، وقَـدْ يغـدو سِـلَاحا مُخَرِّبـا قَتَّـالَا

وإذا العِلـمُ كـانَ سَـيفَ غُـرورٍ حَـوَّلَ الأرْضَ كُلَّهـا أطْـلَالَا

ومتـى كانَـتْ الحـضارةُ غَـدْرا وانْتهابًـا وخِدْعَـةً واحْتَيـالَا ؟!

واعتـداءً عَـلى الـشُّعوبِ وبَطْـشًا وانتِهاكًا لحقِّهَا واغْتِيالَاْ؟!٥٣/ ٩٠

بهُـدى الحـقِّ والنُّبُـوةِ كـانَ الـشَّرْقُ أسْـمَى حَـضارَةً ومَجَـالَا

وعـلى الـرُّوحِ وهْـى سرُّ هُـدَاهُ أنْجَـبَ المُـصْلِحِينَ والأبْطَـالَا

***

فَيلـسُوفَ الإسـلام ضـوَّأْتَ مَغْنَـاهُ وجَـدَّدْتَ بِالـسَّنَا الآمَـالَاْ

وعَـلَى دَرْبِـه هَـدَيْتَ الحَيـارَى وفتَحـتَ الأبـوابَ والأقْفَـالَا

وجَلَـوْتَ الفِكْـرَ المغـبَّرَ حتـى عـادَ كالـسيفِ جَلـوةً وصِـقَالا

راعـكَ المـسلمون حـين أضَـاعوا المَجْـدَ لمـا تقطَّعُـوا أوْصَـالَاْ

طُـورِدُوا كـالجَرَادِ فى كـلِّ أرضٍ بَعـد عـزةٍ وعـانوا الإذْلَالا

أيْـنَ أيـامُ بأسِـهم فَـزَّعَ الـدنيا صـداهُ ،فأجْفَلَـتْ إجْفـالَا

وَخُطـاهُم قـد رجَّـتِ الأرضَ زحفًـا: قُدُسِـيًّا، فزلزلـتْ زِلـزَالا؟

وهِتـافٌ مُجَلجِـلٌ ضَـجَّ بـالتَّكبيرِ فَتْحًـا ، ولِلـسَّماءِ تَعـالى ؟

كَـــمْ إلى الاتِّحَـــادِ نادَيْـــتَ لَمَّـــا ... لم تجِـدْ كالـشتاتِ داءً عُـضَالا(١)

ودُعَـــاءُ التوحِيـــدِ فى أُذُنِ الـــشَّرقِ أذَانٌ تَـــشْدو بـــه إهْـــلالا

ضَجَّ فى مَسمعِهم فأصْغَوا خُشُوعًا ... ورأَوا فِيكَ مِن جَديدٍ (بِلَالَا)

أىُّ دُنيـــا لِمَـــنْ يُـــضَيِّعُ دِينًـــا ... وبِـهِ تَبلـغُ النُّفُـوسُ الكَـمَالَا؟!

يستَوى الكـلُّ فيه سُودًا وبِيْضًا ... لا عَبيـــدًا وســـادَةً أقْيـــالَا

إخـوةٌ فى الحُقُـوقِ مهـما تَنـاءَوا ... عُنـــصُرًا أو تبـــاينُوا أشْـــكَالا

وهـــو اللهُ فـــوقَ كـــلِّ البَرايـــا ... واحـــدٌ جَـــلَّ قـــدَّرَ الآجَـــالَا

مـا عـلى المسلمينَ لـو وحَّـدُوا الـصفَّ فقـادوا المنـى وراضُـوا المُحَـالا؟!

واســـتردُّوا بالاتِّحَـــادِ المُرَجَّـــى ... وطَنًـا ضَـائِعًا ، ومَجْـدًا مُـدَالَا؟

يَنعَـــبُ البُـــومُ فى حِمَـــى المَـسْجِدِ الأقْـصَى وفى القُـدْسِ مَنْـدباتُ الثَّكَـالَى

والقَدَاسَـــاتُ دَنَّـــستْهَا خُطَـــا الـــرِّجْسِ هَوَانـــا ، وأوطَأَتْهـــا النِّعَـــالا

وكـــأنَّ المـــآذِنَ الـــشُّمَّ أيْـــدٍ ... ضَـــارِعاتٌ شـــكايةً وسُـــؤَالَا

مُعْـــوِلاتٌ ومَـــا لَهُنَّ مُـــصِيخٌ ... ليتَ شِعْرِى مَنْ يَسْمَعُ الإعْوَالَا ؟

عُـصْبَةٌ فى الحِمَـى تَعيـثُ ذِئابًـا ... وعَـــلى أرضِـــه تَـــدبُّ صِـــلَالَا

***

أيُّهـــا المُحتَفُـــون فى يـــومِ إقبـــالٍ وفـــاءً ترجَمتُمُـــوهُ احْتفـــالا

كـــان فينـــا مَبادِئـــا أتَمَنَّـــى ... مِـلءَ قلبـى لـو تُرْجِمتْ أعْمَالا

---

(١) كان إقبال يدعو إلى الإتحاد ، ويرى التوحيدَ وسيلةً الوحدةَ والقوةَ ، وفى ظِلالِه يَستَوى النَّاسُ، وبه تتحققُ الآمالُ.

شَاعرَ الحقِّ والجَمالِ رأيتَ الشعرَ حقًّا وقُوَّةً وجَمالَا
وصَلاةً رُوحيَّةً تتسامَى ليسَ بالشِّعرِ ما يكونُ ابتذَالا
إنَّما الشِّعرُ نفحةٌ من عبيرِ الرُّوحِ تَهفو قَداسةً وجَلالا
وسُمُوٌّ يرقَي إلى الله بالشاعر حتى يُدنيهِ منه اتصالا
شاعرَ الخُلْدِ كَمْ صبَوْتَ إليه فاغنَم الخُلْدَ مَنزلا ومَآلا

* * *

فجـر الهدى سنة ١٩٤٥م (*)

مِنْ نُور طَلْعَتكَ استَفَاضَ بَهاؤُها ... واسْتَبْشَرَتْ بك أرْضُها وسَماؤُها

أَشرَقْتَ يَا فَجْرَ الهُدَى فى أُفْقِهَا ... فَصَبَا لِنُورِكَ صُبْحُها ومَسَاؤُهَا

كانِتْ ظلَاما يخبطُ السَّارِى به ... ويُضلُّ عن قَصْدِ السَّبيلِ عَماؤُها

دُنْيا فَسادٍ يُسْتَحَلُّ حَرِيمُها ... للظَّالِمِينَ وتُسْتَباحُ دِمَاؤُها

الحَرْبُ يُذْكِيها لَظَى عَصَبِيَّةٍ ... هَوْجَاءُ شَبَّ أُوَارَهَا سُفَهَاؤهَا

والأقوياءُ بِها على طُغْيانِهم ... سَادَاتُها وعَبِيدُها ضُعَفاؤُها

والجهلُ رَانَ على القُلوبِ فَلاتَعى ... صوت السماء إذا استَهَلَّ نِدَاؤها

وعَبِيدُ أحْجارٍ إذَا هَتَفُوا بِها ... أعْيَتْ وكَيفَ تُجِيبُهُم صَمَّاؤُها[1]

دُنْيا تَدَارَكَت العِنايَةُ لَيلَها ... فَسَرَتْ تُبَشِّرُ بِالسَّنا بُشَرَاؤُها

وانْشَقَّ فِى آفَاقِها فَجْر الهدى ... عن نور طه فانجلت ظلماؤها

وسَرَتْ بِمَكَّةَ نَشوةٌ عُلْوِيَّةٌ ... واسْتَشْرَفَتْ لِسَنَا الهُدَى بَطْحَاؤُها

وتَهامَسَتْ بالبُشْرَياتِ رِمَالُها ... وتَعَطَّرَتْ بِمُحَمَّدٍ أرْجَاؤُها

ومَشى الصَّباحُ إلى البِطاحِ بدعوةٍ ... الحقُّ والعدلُ القويمُ لواؤُهَا

يا بَاعِثًا رُوحَ الحَياةِ بأُمَّةٍ ... طَمَّ الفَسادُ بِها ودَبَّ فَنَاؤُها

ومُحَرِّرًا أجْسَامَها وعُقُولَها ... مِنْ بعد مَا فَتكَتْ بها أهْواؤُها

ومُداوِيًا عِلَّاتِها وسَقَامَها ... من بعدِ مَا اسْتَعْصَتْ وعَزَّ دَواؤُها

(*) لا توجد فى مخطوط (وحى الربيع ١٩٥٢م) ولكنها معدّلة عن قصيدة لحن السلام في عبد الفاروق بنفس المطلع مع حذف وإضافة وتقديم وتأخير والقصيدة الثانية في باب الشعر الملكي مع تغيير حركة الهاء من الضم إلى الفتح هنا.

(١) الحجارة الصلدة.

وحَّدْتَها بَعدَ الشَّتاتِ فأُخمِدَتْ ... نَارُ العَداوَةِ وامَّحَتْ بَغْضَاؤُهَا

لله مَمْلَكَةٌ بَنَيتَ أَساسَها ... بالعَدْلِ فَارْتَفَعتْ وعَزَّ بِناؤُها

هَوتْ المَمالِكُ حولَها وتَصدَّعَتْ ... جَنبَاتُها لَمَّا سَرتْ أَنباؤُها

والمُسْلِمونَ الأوَّلُون بِظِلِّها ... عَزُّوا وذَلَّ لبَأْسِهِمْ أعْدَاؤها

ما بالهم غزت الخطوب شعوبهم ... وتلاحقت بدیارها أرزاؤها

وَعَدتْ على أمجادِهم مَدنِيَّةٌ ... بَرَّاقَةٌ خَدَعَ الغَرِيرَ طِلاؤُها

هِي دَولةُ الإسْلامِ لَيْسَ لِمجْدِها ... عَوْدٌ إذَا لَمْ يَتَّحِدْ زُعَماؤُها

كَلا ولَنْ تَقْوَى إذا لَمْ تَأْتَلِفْ ... صَفًّا ووَحَّدَ شَمْلَها أَبْنَاؤُها

يا سيِّد الفُصْحَى ومُعجِزَ أَهْلِها ... ماذا أَقُولُ وفى يَدَيْكَ لِواؤُها؟

اللهُ قَدْ أثْنَى عَلَيْكَ فَما الذِي ... من بعدِهِ يُثْنِى بِه شُعَرَاؤُها؟

ذِكْرَاك فى أمجادِها وبهائِها ... بَهَرَ المشَاعِرَ نورُها وسَناؤُها

ومَقَامُ مَدْحِك فى سُمُوِّ جَلالِه ... تَركَ اليَراعَةَ بادِيًا إعْياؤُها

حَسْبِى عَلى أَعْتَابِ بَابِكَ وَقْفَةً ... عُمْرِى وآمَالُ الحَياةِ فِداؤُها

بَابُ السَّماءِ لقاصدِيها بَابُها ... وفِنَاءُ رَبِّ العَالَمِينَ فِناؤُها

وسعتْ ذنوبَ اللائذينَ رحابُها ... كَرَمًا وأغْرى العائدينَ سَخَاؤُها

يا أكْرمَ الكُرمَاءِ هَبْ لِي نَفْحَةً ... تَصْفُو بِها نَفْسِى ويُشْفَى دَاؤُها

إنْ كانَ غَشَّاها ظَلامُ هُمُومِها ... فَسَناكَ من صدأِ الهموم جِلاؤُها

رَدَّدْتُ ذِكْرَكَ والهُمُومُ عَوابِسٌ ... فَتبَسَّمَتْ لِي وانْثَنَتْ لأْوَاؤُها

وهتفتُ بِاسْمِكَ والرِّياحُ عَواصِفٌ ... فَسَرَتْ تُبَشِّرُ بالأمَانِ رُخَاؤُها

* * *

هجرة الحق سنة١٩٤٢م(*)

سَائِلِ الأُفْقَ عَنْ سَناهُ المُنَضَّرْ   أيُّ صُبْحٍ عَلَى مُحَيَّاهُ أَسْفَرْ
الهِلالُ الوليدُ ضَوًّا مَرَآهُ فَسبْحَانَ مَنْ بَرَاهُ وصَوَّرْ
زَوْرَقٌ فِى غَياهِبِ المَوْجِ يَبْدو   ورَجَاءٌ فِى ظُلْمَةِ اليَأْسِ يَظْهَرْ
هَلَّلَ المُسْلِمونَ حِينَ رَأَوْه   واجْتَلاهُ الشَّرْقُ الجَرِيحِ فَكَبَّرْ
تَتَلأْلأُ العُيُونُ حَولَ سَناهُ   شَاخِصَاتٍ بِكُلِّ طَرْفٍ مُحَيَّرْ
ضَارِعَاتُ المُنَى إلى الله لَهْفَى   عَلَّهُ أنْ يَكُونَ بِالنَّصْرِ بَشَّرْ
وشَوادِى الطُّيورِ حَامَتْ عَلى الرَّوْضِ تُغادِيهِ بالنَّشِيدِ المُعَطَّرْ
ضَجَّ فِى سَمْعِها الغَدَاةَ هِتافُ الكَوْ   نِ يَنْسابُ بينَ نَايٍ ومِزْهَرْ
ودُعَاءُ الوُجُودِ كَبَّرَ لله فَهزَّتْ أصْداؤُهُ كُلَّ مَظْهَرْ
نَشْوةٌ تَغْمُرُ الحَيَاةَ لِذِكْرَى   يَزْدَهِى مَجْدُها الأَنَامَ ويَبْهَرْ
هِىَ صَوتُ التَّاريخِ فَلتَسْمعِ الدُّنْيا   لِصَوتٍ مِنَ السَّماءِ تَحَدَّرْ
هِجْرةُ المُصْطَفى ورَجْعُ صَداها   عِظَةٌ مِنْ مَواعِظِ الحَقِّ تُؤْثَرُ
مَنْ تُرى ذلك الغَريبُ بِأرضٍ   هِى أوْطَانُهُ وبالأهْلِ تَزْخَرْ؟
أنْكَرَتْهُ والحَقُّ فِيها غَرِيبٌ   لَيسَ بِدْعًا أنْ يُسْتَباحُ ويُنْكَرْ
دبَّرَتْ غَدرَها ولَيس بِمُجْدٍ   غَادرًا كَيدُهُ إذا اللهُ دَبَّرْ
أرْهَفَ الليلُ سَمْعَهُ لِخُطَاهُ   هَامِساتٍ بِما يَخَافُ ويَحْذَرْ
واحتَواهُ الظَّلامُ سِرًّا مِنَ الله عَليهِ عَينُ العِنَايَةِ تَسْهَر
كَادَ إشْراقُهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ   بِمُحَيًّا فى فَحْمَةِ الليلِ أقْمَرُ

(*) هذه القصيدة لها رواية أخرى ولكن هذه تتضمن معظم الأبيات الواردة فيها ، فقد غير فى المعانى وزاد فى أبيات القصيدة وبدل فى الترتيب حتى يمكن عدها قصيدة أخرى مقاربة لها .

والفَضَاءُ الفَسيحُ يُنْبِئُ عَنْهُ بِعَبِيرٍ يَفُوح مِنْه وعَبْهَرْ
عَمِيتْ عَينُ مُقتَفِيهِ عِنْ الغَارِ ولولا رعايةُ الله أَبْصَرْ
شدَّ عزمَ الصدِّيقِ من رجْفَةِ الخوفِ بعزمٍ على المخاوفِ أصبرْ
رَبِّ أنتَ النصيرُ إنْ عَقَّنِي الأَهْلُ ومَنْ يَعْتَصِمْ بِحُبِّكَ يُنْصَرْ
وَطَنُ الحَقِّ مَوْطِنِى ، فَلَكَ الأمْرُ كَما شِئْتَ والقَضَاءُ المُقَدَّرْ
مَنْ تُرَى ذَلك الذى غَيَّرَ التَّارِيخَ فَتْحًا وهَزَّ كِسْرَى وقَيْصَرْ ؟
من تُرى الفَارسُ الذى زَلزَلَ الأرضَ ، وفى كَفِّه اللِّواءُ المُنَشَّرْ ؟
مَن تُرى الفَاتِحُ الذى طَالعَ الوادى بِجَيشٍ مِنَ الضَّراغِمِ يَزْأرْ؟
تَرْجُفُ الأرْضُ والجِبالُ لِمَرآهُ وتَرُجُّ مِنْ خُطاهُ وتُذْعَرْ
ذَاكَ أمَّ القُرى طَرِيدُكِ بالأمْسِ ومَنْ يَصْطَبِرْ على البَأْسِ يَظْفَرْ
إنَّ لِلحَقِّ سَاعَةً يَقْهرُ البَاطِلَ فيها مهما طغَى وتَجَبَّرْ
اسمَعِي ياشِعابَ مَكَّةَ هَذِى هتفَةُ النَّصْرِ للنبىِّ المُؤَزَّرْ
واشْهَدِي يا سَماءَها : زَلْزَلَ الشِّرْكُ ودَوَّتْ فِى الأُفْقِ : اللهُ أَكْبرْ
أيُّها الشَّرْقُ هَذِه قِصةُ المَجْدِ فلا يَزْدَهِيكَ مجْدٌ مُزَوَّرْ
هِجْرَةُ الحقِّ عِبْرَةٌ لَو نَعِيهَا وهْى دَرْسُ السَّماءِ لو نَتَدَبَّرْ
هى رَمْزٌ لنُصرَةِ الحقِّ مَهْما طالَ بالظُّلْمِ المَدى وتنَمَّر
وعَلَى التَّضْحياتِ والصَّبْرِ عُنَوانٌ وللعَزْمِ والإرادَةِ مَظْهَرْ
ومِثالُ الفِداءِ فى كُلِّ عَصْرٍ والصُّمُودِ الصُلبِ الذى لَيس يُقْهرْ
ومنارٌ لأمَّةٍ تَتَسامَى ولِشَعبٍ يُريدُ أنْ يَتَحَرَّرْ
يا نَصيرَ الحُقوقِ قُمْ فانْظُرِ اليومَ تَرَ الحَقَّ يُسْتَباحُ ويُهْدَرْ
شِرْعَةُ الغَابِ أصْبَحَتْ تَحكُمُ الدُّنيا بِنابِ مخالسِ الفَتكِ أصْفَرْ
لاتُبالى بِمنْطِقِ الحملِ الوادِعِ إنْ صَاحَ فى شَراهَا غَضَنفَرْ

يـا نبـيَ الإسراءِ مَـسْراكَ فى القُـدْسِ مَـشَى الـرِّجْسُ فى ثـراهُ المُطْهَـرْ[1]

واستبدَّ الذئابُ بالمسجدِ الأقْصى وداسُـوا محرابَـه والمنـبرْ

والأذَانُ القُدُسِـيُّ قـد خَنقَتْـهُ ضَـجَّةُ البُـومِ بالنَّعِيـبِ المُنْكـرْ

وكَـأنَّ المـآذِنَ الـشُّمَّ أيْـدٍ لفَلَـسْطينَ بِالـشكايَةِ تَجْـأرْ

نَظْـرَةً مِنْـكَ يـا مُحَمَّـدُ تُحيـى عَزَمـاتٍ كـادتْ تُفَـلُّ وتُبْـتَرْ

مـددًا مـن هُـداكَ يَجْمـعُ شَـمْلَ العُـرْبَ والمُـسلِمينَ صَـفًّا مُـؤَزَّرْ

ومْـضَةً مِـنْ سَـناكَ تُجْـلِى دُجَـى الليـلِ وتَجلـو وجَـه الـسَّلامِ المُعَفَّـرْ

نفحـةً مـن رِضَـاكَ تَجْـبُرُ كَـسرا كـلُّ كـسرٍ بنفحـةٍ منـك يُجـبرْ

رَبِّ ثَبِّـتْ عَـلَى الطَّرِيـقِ خُطَانَـا وأنِـرْ دَرْبَنـا فَـلا نَتَعَثَّـرْ

وبِخَـيرِ الـوَرَى نَبِيِّـك وفِّقْنـا ويَـسِّر مِـنْ أمْرِنـا مَـا تَعَـسَّرْ

واجْمَـعْ الـشَّمْلَ واشْـدُدْ العَـزْمَ يـاربِّ فَـلا نَنْـثَنِ ولا نَتَقَهْقَـرْ

كَـمْ خُـدِعْنا بِحَولِنـا فَتَلاشَـى واعْتَزَزْنَـا بِنَـصْلنَا فتكَـسَّرْ

لـكَ يـاربِّ وَحـدَكَ الحَـوْلُ والطَّـولُ ومَـنْ يَـسْتَعِنْ بِغـيرِك يُقْهَـرْ

قَـدْ فَزِعْنَـا إلى جَنابِـكَ يـارَبِّ ومَـنْ يَعْتَـصِمْ بِحَبْلِـكَ يُنْـصَرْ

---

(١) هذه الأبيات تتحدث عن القدس ما بعد ١٩٤٨م وهذا بعد مدة طويلة من تاريخ القصيدة الأول١٩٤٢م بل وبعد ديوان من وحى الربيع (١٩٥٢م مخطوط).

مولد الربيع سنه ١٩٤٠م(*)

طَـافَ بالمَـشْرقينِ نُـورُ مُحَمَّـدْ ... فَـشَدا الطَّـيْرُ فِي الرِّيـاضِ وغَـرَّدْ
وتهَادَى فِي الكَوْنِ مَوْكِبُ ذِكْرَى ... كُـلَّ عـامٍ جَمالُهـا يَتجـدَّدْ
يَقْبِسُ الشَّرْقُ نَفْحَةً مِنْ سَنَاها ... فَيُغادِيـهِ كُـلُّ مَجْـدٍ مُحَـسَّدْ
كُلَّـما أظْلَـمَ الطَّريـقُ أضَـاءَتْهُ فَأضْـحَى الطَّريـقُ وهْـوَ مُعَبَّـدْ
وإذا بالحَيـاةِ أشْـكَلَ أمْـرٌ ... فَعَـلَى ضَـوْئِها يُحَـلُّ المُعَقَّـدْ
هَكَـذا فَلْتَعِـزَّ ذِكْـرَى نَبِـيٍّ ... مَـنْ يَـصُنْ عَهْـدَهُ يَعِـزَّ ويَـسْعَدْ
إنْ يَكُـنْ بالأَعْيـادِ فَـاخَرَ قَـومٌ ... فَهْى عِيدُ الأعْيادِ والدَّهرُ يَشْهدْ
أويَكُـنْ للأَيـامِ ذِكْـرَىً فَـذِكرَى ... مولـدِ المُـصطَفى أعَـزُّ وأَمْجَـدْ
وإذا الغَـرْبُ بالبُطولَـةِ بَـاهَى ... نَـسَخَ الـشرقُ فَخْرَهُ بِمُحَمَّـدْ

***

يـاربيعَ الحَيـاةِ هـا عِيـدُ مِـيلادِكَ أنْـدَى مِـن الرَّبيـعِ وأنْـضَدْ
لـبِسَ الكـونُ فيـه حُلَّـةَ بِـشْرٍ ... وصَـفا الجَـو بعـدما كـانَ أرْبَـدْ
وسَرتْ فى النُّفـوسِ هِـزَّةُ فَخْـرٍ ... ومَشَتْ فِي الصُّدورِ نَشوةُ سُؤدَدْ
لا أرَى فى الربيعِ مـا يَرتَـأى النـا ... سُ كَفَضْلٍ فِيـه المَبـاهِجُ حُـشَّدْ
وجَمـالٌ فى الكَـونِ خَـالٍ مِـن الـرُّوحِ كَـوَرْدٍ عَـلى ضَرِيـحٍ مُـشَيَّدْ

(*) هـذه القـصيدة قـام باختـصارها في نـسخة ١٩٨٤م بحـذف عـشرة أبيـات هـى(٥، ٧، ٨، ٩، ١٣، ١٤، ١٥، ١٨، ٢١، ٣٢) طلبا للاختصار .ثم ترك باقى الأبيات على ترتيبها كما بعد الحذف مع تغيير بعض المواضع فى :

١ - ياربيع الوجودِ عيدُك رُوحٌ ... تتسامَى على الرَّبيعِ المُجَسَّدْ (مكان البيت رقم ١٠ الحالي).

٢ -«وشَعَّتْ على الدُّجَى فَتَبَدَّدْ» مكان الشطر الأخير من البيت الأخير.

هُـو رُوحٌ تَـشِعُّ فى كُـلِ نَفْـسٍ تَتَـسامَى إلى الجَـمالِ وتَـصْعَدْ
إيـهِ يـا مُنقـذَ الأنـامِ مِـن الجَهْـلِ ويـا خَـيرَ مَـنْ هَـداهُمْ وأرْشَـدْ
وُلِـدَ النُّـورُ مُـذْ وُلِـدتَ فَـدُكَّتْ شُرُفـاتُ الطُّغيـانِ مِن كُـلِّ مَعْبـدْ
وإنْجلَتْ من غَياهِـبِ الظُّلْـمِ دُنْيا كَـانَ فِيهـا صُـمُّ الحِجَـارَةِ يُعْبـدْ
وتَمَـشَّتْ هِدايَـةُ اللهِ فى الأرْضِ كَنـورِ الـصَّباحِ سـاعَةَ يُولَـدْ
ضَلَّ مَنْ صَدَّ عَنْ هُـداكَ وأعْمَـى عَيْنَـه عَـنْ ضِـياءِ نُـورِكَ وارتَـدْ
ولـك المُعجِـزاتُ مـن فلـق الـصُّبحِ عـلى صـحةِ الرسـالةِ تـشهدْ
كـمْ حَمَلْـتَ الأذَى جِهَـادًا ومَـا نُـؤْتَ بأعبائِـهِ وذُو العِـبءِ يُجْهَـدْ
وسَـلَكْتَ الأُمُـورَ سِـلْمًا وحَرْبًـا في اضْـطِبارٍ فـذٍّ وعـزْمٍ مُوطَّـدْ
بينَ سيفٍ مـن منْطِـقِ الحـقِّ هـادٍ وسِـلاحٍ عـلى الـضلال مجـرد
عَجَبًـا للـذى يُغـالط فى الحـقِّ ومَـنْ يَـسْلُكُ الحَقِيقَـةَ يَهْتَـدْ
سَـخِرُوا مِنْـكَ يَـا أعَـزَّ أمـانى الأرضِ بـل أنْـت للـسَّماواتِ فَرْقَـدْ
لـو سـلكَت الـسبيلَ للحَجـرِ الـصَّلْدِ بِـدَعْواكَ مَـا تَـأبَّى وفَنَّـدْ
وإذا جِئْتَـهُ أتَـشهدُ بـاللهِ وأنِّـى رَسـولُه؟ قَـالَ: أشْـهَدْ

***

يـا إمـامَ الجِهـادِ قـم فـانْظُرِ اليـومَ تَـرَ الحَـرْبَ للمَطـامِعِ تُقْـصَدْ
حَـشَدوا للـدَّمارِ كُـلَّ سِـلاحٍ وتَجَنَّـوا عـلى الـضَّعِيفِ المُـصفَّدْ
طَمَـعٌ سَـاقَهم إلى الحَـرْبِ بَهْـمًا ومِـنَ الحَـرْبِ مـا يُـذَمُّ ويُحْمَـدْ
ولـو أنَّ القتـالَ كَـان عَـلى الحَـقِّ لَكـانَ الجبـانُ مَـنْ يَـتَرَدَّدْ
ولَـوْ أن الـشُّعوبَ أصْـغَتْ إلى الـدِّينِ لَمَـا بَـاتَ فى الـشُّعوبِ مُـسَوَّدْ
شِرْعَـةٌ تكفـلُ الحُقـوقَ وتَحمـى مِـنْ شُرورِ الطُّغيـانِ كُـلَّ مُهَـدَّدْ
لَـو أتَوْهـا لـضَمَّدَتْ كُـلَّ جُـرْحٍ ولَـضَمَّتْ مِـنْ شَـمْلِهِمْ مـا تَبَـدَّدْ

العام الجديد ١٩٣٨م (*)

بُشْراكَ بالعامِ الجَديدْ ... قُمْ حَيِّ مَطْلَعَهُ السَّعيدْ
لَمَّا أطَلَّ عَلى الوُجُودِ هَلا لَهُ طَرِبَ الوُجودْ
وتَهَلَّلَ الأُفُقُ المُشْرِقُ لِمَولِدِ النُّورِ الجَديدْ
وُلِدَ الهِلالُ بِمَهْدِهِ، والأُفْقُ مِنْ أحْلَى المُهُودْ
يَخْتالُ فِيهِ كَزَوْرَقِ الأَحْلامِ فِي خَطْوٍ وَئِيدْ
عَلِقَتْ بِهِ الأبْصارُ حَتَّى مَا تَرِيْمُ ولا تَحِيدْ
تَستَطْلعُ المَجْهولَ مِنْ غَدِهَا الضَّنِينِ بِمَا تُرِيدْ
قَالُوا قَرِيْبٌ؟ قُلْتُ : لا ... واللهِ إنَّ غَدًا بَعِيدْ

***

قُلْ يَاوَليدَ الدَّهْرِ حَدِّثْ مَا وَرَاءَكَ يَا وَليدْ ؟
جَدَّدْتَ أرْوَعَ ذِكْرياتِ المَجْدِ فِي المَاضِي المَجِيدْ
مَنْ ذَلكَ السَّارِي بِجُنْحِ الليلِ يهزأُ بالوَعِيدْ ؟
يَمْشِي غَرِيبَ الدَّارِ فِي ... أَوْطَانِهِ مَشْيَ الشَّرِيْدْ
الأهْلُ تُنكرهُ وتَعرِفُهُ المسَالكُ والنُّجُودُ
وربوعُ مكةَ كُلُّها ... تُومِي إليهِ بالسُّجودْ
والليلُ يُرْهِفُ سَمْعَه ... لِخُطَاهُ والنَّجمُ الشَّهِيدُ
لَمْ يُثْنِهِ عَنْ عَزْمِهِ ... وَعْدُ العَشِيرَةِ والوَعِيدْ

(*) الإصدارُ الأحدث للشاعر حذف الأبيات ،١٢ ،١٦ ،٢٣ ،٢٧ ، ٢٩-٣٦ طلبا للاختصار والتغير فى :- (١) نقل البيت رقم ١٠ وحافظ على باقى الترتيب بعد الحذف كما هو (٢) شطر البيت ١١ فى النسخة الأقدم بلا من "يهزأ بالوعيد" كان بدلاً منها "فى سجواء بيد".

مِـــنْ ذلــــكَ الغـــازِي كَــــأنَّ خُطَــــاهُ زِلْــــزَالٌ شَــــدِيدْ ؟

الأرْضُ تَرْجُـــفُ تَحْتَـــه وتَكَـــادُ مِـــنْ هَـــوْلٍ تَمِيـــدْ

قَـــادَ الجُيُـــوشَ مُظَفَّـــرًا يَخْتَـــالُ في خَفْـــقِ البُنُـــودْ

قَـــدْ رَاعَ مَكَّـــةَ زَحْفُهـــا قُـــدُمًا ، وأهْلُوهَـــا قُعُـــودْ

وكَـــأنَّما تكْبِيرُهـــا في سَـــمْعِهِم قَـــصْفُ الرُّعُـــودْ

واسْتَـــسْلَمَ الطَّـــاغِي وأسْـــلَمَ كُـــلُّ جَبَّـــارٍ عَنِيـــدْ

وانْـــدكَّ طَـــودُ المُـــشْرِكِينَ وزُلْـــزِلَ الحِـــصنُ العَتِيـــدْ

وتَـــدَاعَتْ الأصْـــنَامُ وانْكَفَـــأتْ عَـــلى هَـــامِ العَبيـــدْ

اللهُ أكْـــبرُ هَـــذِه عُقْبَـــى التَّجَلُّـــدِ والـــصُّمودْ

هِـــى هِجْـــرةُ الحَـــقِّ الغَريـــبِ وقِـــصَّةُ المَجْـــدِ الفَريـــدْ

* * *

قُـــلْ يـــا وَلِيـــدَ الـــدَّهْرِ حَـــدِّثْ مَـــا وَرَاءَكَ يَـــا وَلِيـــدْ ؟

مَـــاذَا يُخَبِّئُـــهُ غَـــدٌ ومَـــنِ المَـسُودِ ومَـــنْ يَـسودْ ؟

وأَدَ الـــسَّلامَ دُعَاتُـــه ورَمَـــوْهُ في ظُلْـــمِ اللُّحـــودْ

هُـــمْ حَاسِـــدُوه وقَـــدْ يَغُـــرُّكَ بابْتِـــسامَتِهِ الحَـــسودْ

لَـــيسَ الـــشَّهِيدُ قَتِـــيلَهُمْ إنَّ الـــسَّلامَ هُـــو الـــشَّهِيدُ

الغَـــربُ حَـــادَ عـــن الهُـــدَى ونَـــأى عـــن القَـــصْدِ الـــسَّدِيدْ

والـــشرقُ مَغْلـــوبُ القُـــوى أســـوانُ يَرْسُـــفُ في القُيـــودْ

دَبَّ الفَـــسادُ بِـــه وأوْهَـــنَ عَزْمَـــهُ طُـــولُ الرُّقُـــودْ

لَمْ يَجْـــنِ مِـــنْ آفاتِـــه غَـــيرَ الأمَـــانِى والوعُـــودْ

قُـــلْ يـــا وليـــدَ الـــدَّهر حَـــدِّثْ مـــا وراءَك ياوَليـــدْ؟

* * *

البطل المسلم
محمد على كلاي

أقامت جامعة الأزهر حفل تكريم لبطل الملاكمة العالمي المسلم محمد على كلاي يوم الثلاثاء ٣١ مايو١٩٦٦م ، ألقيت فيه هذه القصيدة وقد تأثر البطل بها دون ترجمة وكان يهتز لموسيقاها الشعرية، وطلب ترجمة معانيها، ثم قال في خطبته: إنني تأثرت بهذه القصيدة أبلغ التأثير وشعرت أمام عواطفها الجياشة بمسئولية البطولة التي أتشرف بحملها ...

نشرت هذه القصيدة في جريدة الجمهورية

بِنتَ الكِنَانِيِّ العَتِيقِ تَوسَّمي ... وتفرسي وجْهَ الكَمِيِّ المُعْلَمِ
يا كَعْبَةَ الإسْلامِ شَاقَكِ مُسْلِمٌ ... بَطلٌ على طُولِ المَدَى لَمْ يُهْزَمِ
أعَرفْتِهِ؟ هَذا (كِلايُ) فَعَانِقِي ... فِيهِ اعْتزازَ المُسْلِمين ، وسَلِّمِي
أهْلًا (مُحَمَّدُ) بين شَعْبٍ هَاتِفٍ ... لَكَ بِالقُلوبِ مَحَبَّةً قَبلَ الفَمِ
قَدَرَ البُطولَةِ فِي الرِّياضَةِ بَعْدَما ... عَرَفَ البُطولَةَ فِي الرئيسِ المُلْهَمِ
يلتفُّ حولكَ فى النِّزالِ مشاعرًا ... تَطوى الأثِيرَ على القُلوبِ الحُوَّمِ
راعت بطولتُك الشعوبَ وتوَّجتْ ... بالفخر هامةَ كلِّ شعبٍ مسلمِ
فى الشَّرْقِ والغَرْبِ اسْتَطارَ دَوِيُّها ... وطوى الجواءَ فهز سمع الأنجم
قُلْ لى بِربِّكَ : أىَّ بَأْسٍ تَحتَوى ؟ ... ولأَيِّ جِنْسٍ فِي الضَّراغِمِ تَنْتَمِي؟
وبأىِّ ظُفْرٍ فى الفَرِيسَةِ نَاشِبٍ ... تُصْمى فَلا يَرْتَدُّ إلا بِالدَّمِ؟
وبِأيِّ قوَّتِكَ التى تُعْيِى القُوَى ... فى السَّاعِدِ المَفْتُولِ أَمْ فى المِعْصَمِ؟
قُدَّتْ مِنَ الفُولاذِ قَبْضَتُكَ التى ... تَرْمِى بِها الخَصْمَ العَنِيْدَ فَيَرْتَمِى؟
تَنقضُّ صَاعِقَةً ، وآنًا عاصِفًا ... يلوى وتَلْبدُ تارةً كالضَّيغَمِ

خَيَّبْتَ آمَالَ المُلوكِ وظَنَّهمْ   فِيمنْ يلوذُ بِعَرْشِهِمْ أَوْيَحْتَمِي[1]

وصَرَعْتَ أبْطالَ الصِّدامِ فَغُودِرُوا   بَينَ الحَقودِ عَليكَ والمُسْتَسْلِمِ

لاذُوا بِمخْلوقٍ ولُذْتَ بِخالِقٍ   شَتَّانَ بَينَ مُحَقِّقٍ ومُرَجِّمِ

مَنْ غَرَّهُ جَاهُ المُلوكِ وزَيْفُهُ   فَاللهُ جَاهُ المُسْلِمِ المُسْتَعْصِمِ

ياقاهِرَ الأَبْطالِ حَسْبُكَ عِصْمَةً   ثِقَةٌ بِربِّكَ والنَّبِيِّ الأَكْرَمِ

مَنْ كَان يَجْمَعُ بينَ قُوَّةِ رُوْحِه   والجِسْمِ أقْدمَ واثِقًا لَمْ يُحْجِمِ

أطْلقتَ بالإسْلامِ صَيحةَ مُؤْمِنٍ   فى معشَرٍ صُمِّ المَسامعِ نُوَّمِ

وحَمَلْتَ مِشْعَلَهُ فَشَعَّ ضِياؤُها   فِى عَالَمَ خَرِبِ العَقائِدِ مُظْلِمِ

دِينُ المُساوَاةِ الذى لمْ يَعْتَرِفْ   بِالعُنْصِريَّةِ فى لَظاها الضَّرِمِ

السُّودُ مِثْلُ البِيْضِ ، كُلٌّ إخْوَةٌ   فى الحَقِّ، والعَربِىُّ مثلُ الأعْجَمِى

مُتكَافِئونَ ، فَلا تَبايُنَ بَينَهُم   باللَّوْنِ فيه ، ولا تَفاضُلَ بالدَّمِ

دِينُ السَّلامِ الحَقِّ غَيرُ مُلَثَّمٍ   كَمْ مِنْ سَلامٍ يَدَّعُونَ مُلَثَّمِ

قَتَلُوهُ أطْماعًا ، وأعْجَبُ قَاتِلٍ   بَاكٍ علَى مَقْتولِهِ فى المَأْتَمِ

اصْدَعْ بِدِيْنِكَ يا مُحَمَّدُ بَيْنَهُمْ   وأبِنْ حَقِيقَتَهُ لِمَنْ لَمْ يَفْهَمْ

أَقْنِعْ بِمَنْطِقِه القَوِيْمِ ، فَمنْ أبَى   صَلَفًا فَأَقْنِعْهُ بِكَفِّكَ والْكُمِ

مَنْ لَيسَ تُقْنِعُهُ الحَقِيقَةُ مَنْطِقًا   فَالبأْسُ أفْصَحُ فِى المَقالِ مِنَ الفَمِ

مَرْحَى فَتَى الإسلامِ حَقِّقْ باسْمِهِ   نَصْرًا حَليفَكَ دَائِمًا وتَقَدَّمِ

حَيَّتْكَ جَامِعَةٌ نَماها مُنْجِبٌ   هَرِمَ الزَّمانُ وعَزْمُهُ لَمْ يَهْرَمِ

دُمْ ظَافِرَ الكَلِماتِ ، جَبَّارَ الخُطَا   واسْحَقْ بِها شَرْكَ المَكَائِدِ واسْلَمِ

---

(١) إشَارةً إلى تَشجيع ملوكِ الغرب لخُصومه، وانتصاره عليهم بفضل اعتزازه بالله وحده.

فى ذكرى الإمام السنوسي بالجعبوب عام ١٩٦٩م

يَاحَادِيَ الرَّكْبِ هَذَا يَوْمُ ذِكْرَاهُ ... عَرِّجْ عَلَى سَاحِهِ وانْزِلْ بِمَغْنَاهُ

وَافَى عَلَى العَهْدِ أَهْلُ الشَّوقِ واسْتَبَقُوا ... عَلَى الطَّرِيقِ ونُورُ اللهِ يَغْشَاهُ

فى مَهْرَجَانٍ تَشُوقُ البِيدُ جَلْوَتَهُ ... وتَزْدَهِي الحَضَرَ المَأهُولَ بُشْرَاهُ

ومَوْكِبٍ بِجَلالِ الحُبِّ مُكْتَنِفٍ ... تَحْدُو مَلائِكَةُ الرَّحْمنِ مَسْرَاهُ

وعَطِّرُوا بِأَرِيجِ الشوقِ سُدَّتَهُ ... وضَمِّخُوا بِعَبِيرِ الحُبِّ مَثْواهُ

فَقِفْ بِنَا نَلْتَمِسْ مِن فَيْضِهِ مَدَدًا ... وعُجْ بِنَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِ مَجْلاهُ[1]

ونَنْسِمُ الطِّيبَ فَوَّاحًا بِرَوْضَتِهِ ... ونُنْعِمُ الرُّوحَ إِسْعَادًا بِنَجْواهُ

إنْ رُمْتَ فى عَالَمِ الأَشْباحِ صُورَتَهُ ... فَأَرْهِفِ الرُّوحَ كَى تَحْظَى بُلُقْيَاهُ

طَافَتْ بِنا نَفَحاتٌ مِن عَوارِفِهِ ... وأَشْرَقَتْ قَسَماتٌ مِنْ مُحَيَّاهُ

فَضَوَّأَتْ بَاحَةَ الصَّحْراءِ وَمْضَتُه ... وعَطَّرَتْ واحَةَ الجغبوبِ رَيَّاهُ

لَوْلَا (مُحَمَّدُ) لم تَعْمُرْ مَفَاوِزُها ... ولا تَفَيَّأَتِ النَّعْماءَ لَوْلَاهُ

أَحْيَا القُلُوبَ بِنُورِ اللهِ فانْتَعَشَتْ ... كَالغَيْثِ طَافَ عَلى جَدْبٍ فَأَحْيَاهُ

وقَاوِمْ الجَهْلَ والإِلْحَادَ مُنْتَضِيًا ... عَزْمًا حَبَاهُ بِهِ المَولَى وأَوْلَاهُ

فَكَانَ فَجْرَ الحَيَارَى فى مَفَازَتِهِم ... سَرَى إلى لَيْلِهَا الدَّاجِي فَأَجْلَاهُ

كَمْ أَنجَبَتْ من بُطولاتٍ مَدارِسُهُ ... وأَطْلَعَتْ مِنْ مَنَاراتٍ زَوَايَاهُ

شَعَّتْ بِهَا دَعْوَةُ الإِصْلاحِ وانْطَلَقَتْ ... فِى الشَّرْقِ نَهْجًا لأُولاهُ وأُخْرَاهُ

للهِ سَاعٍ يَطُوفُ الأَرْضَ مُحْتَسِبًا ... مُجَاهِدًا فى سَبِيلِ اللهِ مَسْعَاهُ

---

(١) هذا البيت والبيتان التاليان له كان يقابلها فى النسخة علامة (X) التي تعنى الحذف وهذا المعنى (معنى المدد والجاه) قام بحذفه من أماكن كثيرة من الديوان أشرنا إليها.

قَدْ صَدَّ عن زهرة الدُّنيا وزُخرُفِها ... مَنْ راقبَ اللهَ لم يحفَلْ بدُنياهُ
سَارٍ يجوبُ الفيافِي كُلَّما وَطِئَتْ ... أقْدامُهُ سَبْسَبًا يَخْضَرُّ مَرْعَاهُ
إذا مَشَى راحَ رَمْلُ البِيدِ مُسْتَبِقًا ... خُطاهُ لَثْمًا وبَدْرُ الأُفْقِ حَيَّاهُ
لاغَرْوَ فَهْوَ سَبِيلُ الطُّهْرِ فِي نَسَبٍ ... أحَلَّهُ مِنْ سَناءِ المَجدِ أعْلاهُ
مِنْ عِترةِ الشرفِ العَالى وذِرْوَتِه ... وعُنْصُرِ الحسَبِ الغَالِي وأزْكَاهُ
فرعُ النُّبُوةِ فى أزْكَى مَنَابِتِها ... وقَدْ سَما بَأبى الزَّهْراءِ فرعَاه
مَنْ جَدُّهُ المُصْطَفَى بَاهِي الوَرى نَسَبًا ... وطَاوَلَ النَّجْمَ إعْلاءً وسَامَاهُ
حَسْبُ السُّنُوسِيِّ مِن أعْرَاقِهِ شَرَفٌ ... لَو لمْ يَحُزْ غَيرَه فى الفخْرِ أغْنَاهُ
لِبْيا الغَدَاةَ بِنُعْماهَا ونَهْضَتِها ... تَفَيَّأتْ وَارِفًا مِنْ ظِلِّ نُعْماهُ
تَحُفُّها بَرَكَاتٌ مِنْ مَنَاقِبِهِ ... رِزْقًا يَفيضُ بِبَطْنِ الأرْضِ مَجْرَاهُ
والدَّارُ تَعْظُمُ مِقْدارًا بِساكِنِها ... فَذًّا ولا تَرْفَعُ المَغْمُورَ سُكنَاهُ
والأرْضُ كالنَّاسِ يَجْرِى حَظُّها قَدَرًا ... فَالبَعْضُ أخْطَأَهُ والبَعْضُ واتَاهُ
كَمْ نَازِحٍ حَلَّ فى وادٍ فاسْعدَهُ ... ونَازِلٍ حَطَّ فى مَغْنىً فَأشْقَاهُ
سُبْحانَ مَنْ بِأَبِى المَهْدِيِّ أسْعَدَهَا ... دُنْيا وأكْرَمَها دِينًا بِتَقْواهُ
رِسَالَةٌ حَمَلَ الإدْريسُ رايَتَها ... وعَهْدُ صِدْقٍ تَلَقَّاهُ فَوَفَّاهُ
ودَعْوَةٌ بِالكِفاحِ الحَقِّ واصَلَها ... وإرْثُ مَجْدٍ عَظِيمٍ بَاتَ يَرْعَاهُ
تِلكَ الحَضَارةُ فِي لِيبيا مَظاهِرُها ... ثِمارُ غَرْسٍ تَوَلَّاهُ فَنَمَّاهُ
مَعاهِدُ العِلمِ والعِرْفانِ شَاهِدَةٌ ... بِما بَنتْ للعُلا والمَجْدِ يُمناهُ
أقَامَ جَامِعَةَ الإسْلامِ فَارْتَفَعتْ ... صَرْحًا أنَافَ عَلى الأفْلاكِ مَبْنَاهُ
تَشِعُّ بالدِّينِ فِي لِيبيا مَنارَتُها ... نُورًا فَيطْوِى رِحابَ الأرْضِ مَسْرَاهُ
وفَاضَ مَنْهَلُها يَنْبوعَ مَعْرِفَةٍ ... مَا أمَّهُ ظَامِئٌ إلَّا ورَوَّاهُ
يابارَكَ اللهُ فى الإدريسِ مِن مَلِكٍ ... أعزَّ بالدينِ والدُّنيا رَعاياهُ

طُفْ بالبلادِ تَجِدْ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ جِيلًا على خُلُقِ القُرآنِ رَبَّاهُ
دُورٌ لِحِفْظِ كِتَابِ الله عامرةٌ بالنَّشْءِ كالنَّحْلِ دَوَّى فى خَلايَاهُ
فى كُلِّ رُكْنٍ مِن "الجَغْبوبِ" نَاشِئةٌ مِنْهُم تُرَدِّدُ فى شَدْوٍ وصَايَاهُ
يَنْسابُ لحنًا شَجِيًّا من حناجِرهِم كأنَّ داودَ فى المزمارِ غَنَّاهُ
يا وَاحَةَ الطُّهْرِ عيشي فِي حِمَى مَلِكٍ تَفِيضُ بالخَيْرِ والنَّعْماءِ كَفَّاهُ
أَقَامَ بِالدِّينِ مُلْكًا عَزَّ جَانِبُه بَينَ المَمَالِكِ حَتَّى اخْتالَ عِطْفَاهُ
الملكُ رُكْنَاهُ أخْلاقٌ ومَعْرِفَةٌ ولا يقومُ إذا ما انهَدَّ رُكْنَاهُ
والعِلْمُ مَا لَمْ يَقُدْهُ نَحْو غَايَتِهِ هَادٍ مِنَ الدِّينِ لا تُحْصَى ضَحَايَاهُ
والعِلْمُ لَمْ يَكْبَحُ الإِيمانُ سَوْرَتَهُ غَرْثَانُ يَطْعَمُ مِنْ أَشْلاءِ قَتْلاهُ
سُعَارُهُ غَالَ "هُرْشِيما" فَدَمَّرَها ولَمْ تَزَلْ تَفْجَعُ الأكْوانَ بَلْواهُ
فَقُل لمن غَرَّهم فى العِلم مُخْتَرَعٌ ويْلاهُ مِن عِلمِكم ياقَومُ وَيْلاهُ
تَمَدُّنُ الدِّين أَسْمَى مِنْ حَضَارَتِكم رُوحا وأَيْنَ ثَراهَا من ثُرَيَّاهُ؟
عَزَّتْ بِه أُمَّةُ الإِسْلام فِي زَمَنٍ أَوْدَتْ بِقَيصَرِهِ بَأْسًا وكِسْرَاهُ
مَنْ مُرْجِعٌ مَجْدَها المَاضِي وعِزَّتَها أيَّامَ كَانَ لَهَا السُّلْطانُ والجَاهُ؟
رَمَى بِأشْلائِها فِي كُلِّ مُطَّرَحٍ دَهْرٌ تَوالَتْ بِدُنياها رَزَايَاهُ؟
فأينَ شَامِخُ مَجْدٍ كَانَ يرهَبُهُ؟ وأينَ بَاذِخُ فُلْكٍ كَانَ يَخْشَاهُ؟
مَاضٍ وَلوْ جَمعُوا أشتَاتَهُم ومَضَوا عَلى الطَّرِيقِ الذى قدْ سَنَّهُ اللهُ
أخْلِقْ بِهِمْ لَوْ أعادُوا الشَّمْلَ مُجْتَمِعًا كَمَا مَضَى أنْ يُعِيدوا مَا فَقَدْنَاهُ

***

ذكرى

اليومَ نَقْبِسُ مِنْ سَناهُ ضِياءَ ... ونُجَدِّدُ العَهْدَ القَدِيمَ وَفَاءَ

ونُطالعُ الذِّكْرى التى أمجادُها ... تَهَبُ النُّفُوسَ عَزيْمةً ومَضاءَ

ذِكْرى إمامِ العَارِفين فَإنها ... مَددٌ يَفيضُ على القُلوبِ صَفاءَ

فِى عَالَمٍ طَمَّتْ بِنا أهْوَالُه ... وغَدَتْ حَياةُ الناسِ فيهِ شَقَاءَ

تَتلاحَقُ الأرْزاءُ فِى جَنبَاتِهِ ... دُهْمًا فَمَنْ يَسْتَدْفِعُ الأرْزاءَ؟

تِيهٌ يضلُّ به السُّرَاة عَلى الدُّجى ... مَنْ لى بنورٍ يقشعُ الظَلماءَ؟

اللهُ نُورُ الكَوْنِ جَلَّ جَلالُه ... فَدَعْ التَّشَاؤُمَ واطْرَحْ البَأساءَ

وَاجْلُ الغِشَاوَةَ عَنْكَ تُبْصِرْ نُوْرَهُ ... يَسَعْ الوُجُودَ ويَمْلأُ الأرْجَاءَ

سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ لُطْفِكَ لَمْ يَزَلْ ... وسَنَاكَ يَلْمَعُ فى الدُّجَى لألاءَ

أكرمْتَنَا بالعَارِفِينَ فَانْ دَجَا ... يَأْسٌ مَحَوْهُ تَفَاؤلًا ورَجَاءَ

مِنْ بَحْرِ عِلْمِكَ قَدْ مَلأْتَ قُلُوبَهم ... وقَذَفْتَ فِيهَا نُورِكَ الوَضَّاءَ

كم ذا أفضت على الإمام مواهبا ... تُعيى العقولَ وتعجزُ العلماءَ

ما بَينَ فِقْهٍ للحَنيفِ وسُنَّةٍ ... وحَكِيمِ قَوْلٍ حيَّرَ الحُكَماءَ

ومَنَحْتَهُ سِرَّ الكِتابِ فَأَشْرَقَتْ ... آياتِهِ نُوْرًا وزِدْنَ جِلَاءَ

ومِنْ الفُيوضَاتِ التى فُتِحْتْ لَه ... شِعْرٌ يَفِيضُ فُيُغْرِقُ الشُّعَراءَ

قَدْ صِيغَ مِنْ بَحْرِ الحَقيقةِ وَزْنُهُ | فَانْسَابَ لَحْنًا واسْتَهَلَّ غِنَاءَ
نَحَرَتْ سفِينُ الواصِلينَ عُبابَهُ | فَجَرَتْ بِهَا رِيْحُ النَّجَاةِ رُخَاءَ
ولَكَمْ أدَارَ على النَدَامَى كَأْسَهُ | قَدْ أُتْرِعَتْ مِنْ كَرْمَةٍ صَهْبَاءَ
خَمْرُ الشُّهودِ ومَنْ يَذُقْهَا يَسْتَطِبْ | نَجْوَى الحَبيبِ ويَسْتَلِذُّ نِدَاءَ
وإلى سَمَواتِ التَّجَلِّي كَمْ سَما | وسَرَى إلى قُدْسِيِّهَا إسْرَاءَ

* * *

يَاربِّ مِنْ كَأْسِ الحَقيقةِ قَطْرةً | فَالرُّوحُ كَمْ عَانَتْ إليكَ ظِمَاءَ
ومِنَ الضِّياءِ العَبْقَرِيِّ شُعَاعَةً | حَتى أرَاكَ جَلالةً وبَهَاءَ
ومِنْ اليقينِ بفَضْلِ جُودِك نَفْحَةً | تَمحو العناءَ وتكشفُ اللأواءَ
ضُمُّوا الصُّفُوفَ ووَحِّدُوا مَجْهُودَكم | فَالخُلْفُ يَذْهَبُ بِالجُهودِ هَبَاءَ
ما أنْتمو بالأوفياءِ لعهدِه | إن انْتُمو لَمْ تدفِنُوا الشَّحْنَاءَ
اللهُ يَجمَعُكُمْ عَلى مَرضاتِه | مُتَآلِفِينَ مَوَدَّةً وإِخَاءَ

* * *

فى ظلالِ الحَرَم
سنة١٩٦٠م

يـاحِمَى الكَعْبَـةِ والبَيـتِ الحَـرامْ لَـكِ يـا أُمَّ القُـرَى مِنَّـا الـسَّلامْ

قَـدْ دَعَانَـا الـشَّوقُ يَـا مَهْـدَ الهُـدَى فَأَجَبنـــاهُ ولبَيِّنـــا الهُيـــامْ

أوْرِدِينـا الكَـوْثَرَ العَـذْبَ الـذِى يَنْقَـــعُ الغُلَّـــةَ فِيْنـــا والأُوَامْ

كـــمْ وردْنـــا زَمزمًـــا فى ظمـــأٍ فَـشفتْنا مِـــنْ تَبـــاريحِ الـسَّقَامْ

واسـتلمْنَا الـرُّكْنَ فانْجابَـتْ لنـا كُـــرَبٌ كنَّـــا نُعانِيهـــا عِظـــامْ

لـــكَ يـــاربِّ سَـــعَيْنَا خُـــشَّعًا وإلى بَيْتِـــكَ جِئْنـــا فِى الزِّحَـــامْ

وإلى الأَرْضِ التـــــى باركتَهـــــا نَفْـــزَعُ اليَـــوْمَ بآمـــالٍ جِـــسَامْ

شَـبَّ فِيهـا الـدِّينُ مَرْهُـوبَ الخُطَـا عَبْقَـــرِىَّ النـــورِ يَجْتـــاحُ الظَّـــلامْ

رَبِّ رُحمـــاكَ فهـــلْ مِـــنْ صَـــحْوَةٍ فى صَـدَاهَا البَعْـثُ للقـومِ النِّيـامْ ؟

أرْجِـــعْ العِـــزَّةَ يـــاربِّ لَـــه واحْمِـهِ واكْتُـبْ لَنـا حُـسْنَ الخِتـامْ

***

حنين قلب

صَبَا حِينَ هَبَّتْ صَبَا يَثْرِبِ فَحَنَّ إلى البَلَدِ الطَّيِّبِ

مَشُوقٌ يُصَفِّقُ بَينَ الضُّلُوعِ هُيامًا إلى المَوْرِدِ الأعْذَبِ

إلى مَهْجَرِ الحَقِّ مَهْدِ الضِّياءِ وَواحَةِ كُلِّ شَجٍ مُتعَبِ

فيَا مَنْ قَصَدْتَ إلى أرْضِها وفُزْتَ بِما رُمتَ من مأْرَبِ

بِرَبِّكَ قَبِّلْ ثَرىً طَاهِرًا تَعطَّرَ مِن خُطواتِ النَّبِي

وقُلْ يا مُحَمَّدُ نَفحةُ سُقيا لِظَمآنَ يَهفو إلى المَشْرَبِ

***

فلسفة الصبر

أقِلَّ من الشكوىَ فلستَ بظافرٍ ... من الناسِ إلا بالشماتَةِ والعَتْبِ

أتلجأُ ملهوفًا إلى غيرِ سامعٍ ... وتفزعُ مجروحًا إلى غيرِ ذى قَلْبِ؟!

ولستَ إذا أفضيتَ بالشَكْوِ لامْرِئٍ ... سِوى حَمَلٍ بَثَّ الشَّكاةَ إلى الذِّئْبِ

ولما رَأيتُ النَّاسَ لا ذُو مروءةٍ ... يُواسِى ولا مُصغٍ بِسمعٍ ولا لُبِّ

ولمْ ألقَهُم عِند التَّفَجُّعِ والأَسَى ... سِوى شَامِتٍ جَذْلانَ أو خَادِعٍ خِبِّ

كَتمتُ شَكاتِى فى فُؤادى وصُنتُها ... فما جاوَزَتْ صَدْرى ولا فَارقَتْ جَنبى

وقلتُ لمنْ يرثِى لكَربِى ومحنَتى ... رُويْدَكَ إنِّى ما شَكُوتُ مِن الكَربِ

ألفتُ وقوعَ الخَطْبِ حتى عَشِقتُهُ ... فَلَو مَلَّنِى خَطْبٌ سَعيتُ إلى خطبِ

وأتعبتُ دَهرى فى احْتمالِ صُروفِهِ ... فَصارَ كهَامًا بَعدما فَلَّهُ عَضْبِى

وألفيتُ مُرَّ الصَّبرِ شَهدا بِإلفِهِ ... فَلَمْ يَبقَ لِى فِيهِ ثَوابٌ لدي ربِّي

ولمْ أرَ كالتسليمِ للهِ رَاحةً ... تحوِّلُ بُغضَ النائباتِ إلى حُبِّ

* * *

الشعر الوطني





مهرجانُ الجَلاءِ

في احتفال الأزهر بالجلاء عام ١٩٥٤م بقاعةِ الإمامِ محمد عبده ،بحضور الرئيس جمال عبد الناصر وجميع قادة الثورة ورجال الدولة

سَنا فَجرِه المأمولِ لاحتْ بواكِرُهْ　　وهزَّتْ ربوعَ المشرقينِ بشائِرُهْ

أَطلَّ على ليلِ الحيارى وأشرقَتْ　　على ظُلماتِ اليأسِ غُرًّا مَناوِرُهْ

تواكبتْ الأيامُ حول صباحِه　　مواكبَ يُمنٍ طارَ بالسعدِ طائرُهْ

وخفَّ إليه الدَّهْرُ نشوانُ يجْتَلي　　مباهجُهُ والأفْقُ يَعبَقُ عاطِرُهْ

وطَالعتِ النيلَ السعيدَ بيمنِهِ　　مُنَى طالمَا جَاشتْ بِهن خَواطِرُهْ

تَزُفُّ بها بُشرى الجلاءِ وعيدَه　　فترقصُ فى شطِّيهِ نَشوىً أزاهرُهْ

تعانَقتْ الأرواحُ فوقَ ضِفافِه　　عرائِسَ وادٍ جُنَّ بالحُسْنِ سامِرُهْ

على لهواتِ الطيرِ من صبواتِها　　طرائِفُ شَدو أبدعتْها حَناجِرُهْ

هو النيلُ والبُشرى استخفَّتْ وقارَهُ　　ترنَّح عِطْفاهُ وجَاشتْ هوادِرُهْ

وما فاضَ فى شُطآنه غيرُ فرحَةٍ　　تبوحُ بها يومَ الجلاءِ سرائِرُهْ

فما هو ماءٌ ما يفيضُ وإنَّما　　عواطِفُهُ جَيَّاشَةٌ ومشاعِرُهْ

ثوى فى قيودِ الذلِّ سبعينَ حِجَّةً　　يكاتِمُ غيظًا أوتثورُ ثوائِرُهْ

وصابرَ الاستبْدَادَ مستأسِدَ المُنى　　يؤمِّلُ يومًا أن تُقالَ عواثِرُهْ

تَدَارَكَـهُ فجـرُ الخـلاصِ بنـورِه ... فَـصَحَّتْ أمانيـه وقـرَّتْ نـواظِرُهْ

فيالَكَ من عيدٍ على الشوقِ والمُنى ... أهلَّ على الوادِى فراقَتْ مَناظِرُهْ

هُوَالشعبُ والبُشرى تطيرُ سُباتُهُ ... يَكـادُ يراهـا اليـومَ حُلْما يُخـامِرُهْ

صحا بعد ليلِ اليأسِ غيرَ مُصدِّقٍ ... وقد راحَ ليلُ اليأسِ وانْجَابَ عاكِرُهْ

تحسَّسَ جُرحًا كان بالأمسِ نَاغِرا ... وقدْ صحَّ جُرحُ الأمسِ والتامَ ناغِرُهْ

إذا رفضَ الشعبُ المذلةَ لم يمُتْ ... ومهـما طـواهُ الظلـمُ فـالله نـاشِرُهْ

فمَنْ رامَ الاستقلالَ فليشهدِ الحِمى ... تغنَّـتْ بـه أريافُـهُ وحـواضِرُهْ

ومن ضاقَ بالأغلالِ فالقيدُ حُطِّمتْ ... سلاسِلُهُ والغُلُّ قُدَّتْ مكاسِرُهْ

ومـن ضـلَّ فى ليـلِ المظـالِمِ سَعيُهُ ... فقـدْ هُتِكـتْ أسـتارُهُ وسـتائِرُهْ

ومَنْ سرَّه أنْ يشهدَ البعثَ ماثِلا ... فَهـذِى معانيـهِ وتلـكَ مَفَـاخِرُهْ

كفـى يومَـهُ أنَّ الزَّمـانَ بـأسرِهِ ... أوائلُـهُ يحسُدْنَه وأواخِـرُهْ

***

رعى اللهُ أبطالَ الحِمى حينَ أطلعُوا ... وكـانَ سرابا يخدعُ العينَ ظاهرُهْ

وكـانَ لتُجـارِ السياسَةِ مَغـنما ... على سُوقِه السوداءِ قامتْ متَاجِرُهْ

وكـم مـن نـدى كـان قـصة لهـوه ... يرددهـا خمـوره ومقَـامرُهْ

فَسادٌ وظُلْمٌ وانْحِلالٌ ونَكْسةٌ أُصِيب بها الوادِى فَضَلَّتْ مَصَائرُهْ
ومَا كَحِمَى الأخْلاقِ حِصْنٌ لأُمَّةٍ إذا نُكِبَتْ فِيهِ فَماذَا تُحاذِرُهْ ؟
وقَدْ يَنْهَضُ الشَّعْبُ الجَرِيحُ بِرُوحِهِ ولَيسَ يَقومُ الشَّعبُ مَاتَتْ ضَمائِرُهْ
تداركَ رَحمنُ السَّماءِ مَصِيرَه وطَاحَتْ بِعَرْشِ الظَّالمين مَقَادِرُهْ
وأضْحَى حِمَى مِصْرٍ حَصِينًا مُمَنَّعًا تُهَابُ بَوازِيهِ وتُخْشَى قَساوِرُهْ
صَنادِيدُ صَاحُوا بالدَّخِيلِ فَزُلْزِلَتْ قَواعِدُهُ رُعْبًا وأجْلَتْ عَساكِرُهْ
لَقَدْ بَعَثُوا مِنْ رَقْدَةِ المَوْتِ وَادِيا أُعِدَّتْ لَه أكْفَانُه ومَقَابِرُهْ
ومَنْ يجعلِ الإخلاصَ رائِدَ عزمِه إلى رفعةِ الأوطانِ فاللهُ ناصِرُهْ

* * *

بَنِى الشَّرْقِ هَذا الغَرْبُ ضَلَّ ضَلالُهُ وأعْمَتْهُ أطْماعٌ تَظَلُّ تُساوِرُهْ
ودانَ بِشَرْعِ الغَابِ بَغْيًا وشِرَّةً فَضَلَّتْ عن الحَقِّ القَويمِ بَصائِرُهْ
يُعِدُّ أسَاليبَ الفَناءِ بِعِلْمِهِ هَل العِلمُ أن يُفْنَى مِن الكَونِ عَامِرُهْ؟
لقدْ عزَّهُ فى الشرْقِ قُوةُ رُوْحِه فراحَ بمجنونِ السِّلاحِ يُفَاخِرُهْ
إذا العَربُ الأمجادُ فِيه تَوَحَّدَتْ صُفُوفُهُمو عَادتْ أمَانًا مَخاطِرُهْ
وهَذا زمَانٌ ليسَ فِيه لأَعْزَلٍ مَكانٌ ولا يُصْغى لشَكْواهُ قَاهِرُهْ

فـما ينفـعُ المغلـوبَ قـوةُ حقِّـهِ … وَمنطـقُ سـفَّاكِ الحقـوقِ بَـواتِرُهْ

إِذَا الـذِّئبُ لَمْ يَسْمَعْ لِغَيرِ ضَراعَةٍ … مِنَ الحَمَلِ الـوَانِى فَمَا هـو عَـاذِرُهْ

هُـوَ الحَـقُّ لا يُعْطَـى لِذِلَّـةِ طَالِـبٍ … ولَكِـنْ إِذا ضَـجَّتْ غِـضَابًا كَـوَاسِرُهْ

***

أَسُودَ الحِمى حَياكُمُ الأَزْهَرُ الـذى بهِ … يُكَـبِّرُ للبُشْرى ويهتِـفُ شَـاعِرُهْ[1]

تَماثَـلَ للبَعْـثِ الجَدِيـدِ وقَـدْ صَـحَّتْ … أَمَانِيــهِ واهْتَــزَّتْ رَجَــاءً مَنَــابِرُهْ

أَلَـحَّ عليـهِ الـسُّقْمُ مِـنْ طُـولِ بَأْسِـهِ … وشُقَّتْ مِنَ الحَرمانَ مَطَلًا مَرائَرُهْ

وأوهَـنَ بـأسُ الظُّلْـمِ عَـزْمَ شُـيوخِهِ … وكَــانَ أَعَــزُّ المَــالِكِينَ يُحَــاذِرُهْ

فَـسَارَ يُلَقَّـى الأَمْـرَ مـن كُـلِّ تـابعٍ … وكَانـت علـى الحُكَّـام تُمْـلى أَوَامِـرُهْ

أَتنْـسَاهُ مِـصْرٌ وَهْـىَ تَفْخَـرُ بِاسْـمِهِ … ويَذْكُرُهُ بِالقَوْلِ لا الفِعْلِ ذَاكِرُهُ؟!

وتُمْنَـعُ - دُون الجَامِعَـاتِ- حُقُوقَـه … وتُعْطَى كَما شَاءَتْ مُناهَا نَظَائِرُهُ؟!

إذا مَاشَـكى قَـالوا عَهِـدنَاهُ قانِعًـا … تَقَـشُّفُهُ فى العَـيْشِ تَـرْوِى مَـآسِرُهُ

وإنْ ضَـاقَ بالحِرْمـانِ قِيـلَ لَـه اتَّئِـدْ … وعَلَّلَـهُ بالزُّهْـدِ مَـنْ لا يُـصَابِرُهْ

---

(١) بداية حديثة عن مظلومية الأزهر وهضم حقوقه برغم معارضة المشايخ للشاعر خشية بطش عبد الناصر، ولكن في نهاية القصيدة قام الرئيس وشدَّ على يده وقد وعد بإصلاح إداري للأزهر وقد وفَّى بذلك.

أَلـيسَ لنـا حـقُّ الحيـاةِ كغَيْرِنـا؟ وأينَ سَبيلُ العَدْلِ إِنْ جَارَ جَائِرُهُ؟

مَتى تُنْهِضُوهُ اليَومَ يَنْهَضْ بِه الحِمَى ويُزْهَى على المَاضِي ويَعتَزُّ حَاضِرُهْ

لبيك مصر سنة ١٩٥١م

داعِى الجِهادِ لِمَجْدِ مِصْرَ دَعَانِى ... لَبَّيْكَ أَيْنَ مِنَ الصُّفُوفِ مَكَانِى

لايَسْتَحِقُّ حَياتَهُ مُتَخَلِّفٌ ... لا يَسْتَجِيبُ لِدَعوَةِ الأوْطانِ

عَارٌ عَلى الأحْرارِ فى أوطانِهِمْ ... أنْ يَخْضَعُوا لِمَذَلَّةٍ وهَوَانِ

دَعْنِى أشُقُّ إلى الطُّغاةِ كَتائِبًا ... صُمًّا تَدُكُّ كَتائِبَ الطُّغيانِ

لا ساغَ ماءُ النيلِ يومًا فى فَمى ... إنْ لم أطَهِّرْهُ من (القُرصَانِ)

أيْنَ الجِهادُ أنا ، سَقَانِى وِرْدُهُ ... وَطَنٌ عَلى حُبِّ الجِهادِ نَمانِى

دَيْنٌ عَلَىَّ لأَرْضِهِ وسَمَائِهِ ... أنْ أفْتَدِيْهِ مِنْ يَدِ العُدْوانِ

هَذا الدَّمُ المَسْفوحُ مِن شُهَدَائِه ... قَدْ هَاجَ إحْساسِى وهَزَّ كِيانِى

دَعْنى أريقُ على نَوافِجِه دَمًا ... بَين العُروقِ يثورُ كالبُركَانِ

غَضْبانُ يَزْأرُ مُسْتَشِيطًا خائِفا ... مُتَأَجِّجًا لِمَساعِرِ النِّيرانِ

لَيْسَتْ تُظِلُّ أهْلَها حُرِّيةٌ ... حَتى تُرَوَّى بالنَّجيعِ القَانِى

ودَمُ الضَّحايا شُعْلَةٌ قُدْسِيَّةٌ ... تُذْكى فُؤادَ الخَامِلِ الوَسْنَانِ

إنْ لامَسَتْ قَلبَ الجَبانِ شَرارَةٌ ... مِنْها غَدَا مِنْ أشْجَعِ الشُّجْعَانِ

* * *

يامِصرُ فَجْرُ النَّصْرِ لاحَ فأَبْشِرى ... وسَرَتْ بَشَائِرُهُ مَعَ الرُّكْبانِ

نَفَرَتْ لِمطلَعِهِ خَفَافِيشُ الدُّجَى وانْشَتَّ شَمْلُ نَواعِبِ الغِرْبَانِ

أمُّ الحضارةِ أنتِ يامَهْدَ العُلَا والمَجْدِ اجْمعُ مِنْ قديمِ زَمَانِ(1)

قَدْ كُنْتِ فى جِيدِ المَشَارِقِ دُرَّةً ومَنَارَةً للعِلْمِ والعِرْفَانِ

أَيَّامَ كَانَ الغَرْبُ حَيْرَانَ الخُطَا مُتَخَبِّطًا فِى لَيْلِهِ المِدْجَانِ

يَعْشُو إلى أضواءِ مَجْدِكِ مِثْلما يَتلَمَّسُ السَّارِى شُعَاعَ أَمَانِ

مَجْدٌ بَنَاهُ الأَوَّلُونَ ، تَكِلْتِنَا إنْ لَمْ نَزِدْ فِى ذلكَ البُنْيَانِ

وثَرَىً خَصِيبٌ لا طَعِمْنَا خَيْرَهُ إنْ لَمْ يُخَضِّبْهُ دَمُ الشُّبَّانِ

لم تَبْقَ فى قوسِ التَّجَلُّدِ مَنْزِعًا سَبْعونَ فى كَبْتٍ وفى حِرمَانِ

حَتَّى إذا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ بِالعِدا وبَدَتْ وُعُودُهُمْ سَرابُ أمَانِى

ثَارَتْ عَلى الأغْلالِ آسَادُ الحِمى ونَبَتْ بِقَيدِ الذُّلِّ والإذْعَانِ

والصَّبْرُ فى بَعضِ الأمُورِ تواكُلٌ والحِلْمُ أحْيانًا تَعِلَّةُ وَانِ

والحقُّ لايُعْطَى بِذِلَّةِ طَالِبٍ لَكِنْ يُنَالُ بِصَولَةٍ وتَفَانِ

ما إنْ يُسيغُ الذئبُ مَنْطِقَ وَاقِعٍ فِى الحَقِّ مِن فَمِ وَادِعِ الحِمْلانِ

قُلْ لِلطُّغَاةِ الإنجليزِ تَرَصَّدُوا لِلوَادِعِينَ هُنَا بِكُلِّ مَكَانِ

---

(1) هذا البيت والأبيات الخمسة التالية له محذوفة من جمع ١٩٨٤م؛ لاختصار القصيدة.

وتَنَمَّرُوا كَيف اسْتَطَعْتُم واحْشِدوا ... عِنْدَ القِتَالِ كَتَائِبَ الفُرْسَانِ

سَدُّوا الفَضَاءَ بَوَارِحًا وبَوارِجًا ... ورمَوا بِكُلِّ قَذِيْفَةٍ وسِنَانِ

واستأسِدوا للآمِنين وفِى الوغى ... أنتم نِعامُ كَرِيهةٍ وطِعانِ

وتَجَهَّمُوا لذَوِى الحُقُوقِ وأرْعَدُوا ... وتَنكَّرُوا للفَضْلِ والإِحْسانِ

وانْسُو لِمِصْرَ جَمِيلَها فِى مَوْقِفٍ ... ضِقْتُمْ بِهِ حَرَجًا مَعَ الأَلْمانِ

هَذى بُطولَتُكُمْ وذَلك بأسُكُمْ ... ضُرِبَتْ بِه الأمْثالُ فِى عَبَدَانِ

صُولُوا كَما شِئْتُمْ فإنَّ مَصِيْرَكُم ... لليأسِ والتَّسليمِ والخِذْلانِ

ولْيَزأرِ الأسدُ العجوزُ ببأسِكُم ... فَزَئِيرهُ ضَربٌ مِن الهَذيانِ

إيمانُنا بالحَقِّ يُغْرى بَأْسَكُم ... والحَقُّ نِعمَ السَّيفُ فِى الأَيْمَانِ

* * *

مَنْ راحَ يُزهى بالسِّلاحِ فإنَّما ... أقْوَى السِّلاحِ حَرَارَةُ الإِيْمانِ

يا مَنْ دَعَوْتُم للسَّلامِ بِمَوْثِقٍ ... أكَّدتموهُ بأَغْلَظِ الأيْمانِ

أينَ السلامُ وأنتمو حُرَّاسُه؟ ... وُئِدَ السلامُ و لُفَّ فى الأكفانِ

شَيَّعْتموهُ وكُلُّكُم سَفَّاحُهُ ... بِئسَ المشيِّعُ للقتيلِ الجَانى

وبَكَيْتُمُوهُ بِأَعْيُنٍ خَدَّاعَةٍ ... فِيها بَرِيقُ الزُّورِ والبُهْتَانِ

لاتَغْـتَرِرْ بِالـسَّيْفِ فِى لَمعانِـه   فالفَتْـكُ كُـلُّ الفَتْـكِ فى اللَّمَعـانِ
شرُّ الخَلائِـقِ فى البريَّـةِ فاتِـكٌ   مُتنَكِّـرٌ فى مَسْحةِ الرُّهْبـانِ

* * *

دِيْنُوا بِشَرْعِ الغَابِ فَتْكًا واهْدِمُوا   بالعِلْمِ ما تَبْنِى يَدُ العُمْرانِ
والْوُوا عَن الحَقِّ المُسالِمِ جِيدَكم   واسْتَسْلِموا لِقيادةِ الشَّيطانِ
الشَّرقُ ثَار عَلَى القُيُودِ وَهَبَّ مِنْ   نَوْمٍ لِيَحْطِمَ صَوْلَةَ الأوْثَانِ
بَعْثُ السَّلامِ عَلى يَدَيهِ فَأْذَنُوا   مِنْهُ بِحَرْبٍ للسَّلامِ عَوَانِ
مَنْ صَمَّ عن داعِى السلامِ أصَمَّهُ   فى الرَّوْعِ قَصْفُ المِدفَعِ الرَّنَّانِ
فَخُذُوا مِنَ الشَّرْقِ الهُدَى وتَعَلَّمُوا   خُلُقَ الوَفاءِ وخَلَّةَ العِرْفَانِ
خُلُقُ الشُّعُوبِ أعزُّ ما تَبْنِى به   مُلكا وترفعُ رَايةَ السُّلطَانِ
والنَّصْرُ للحَقِّ المُبِينِ وإنَّهُ   دَانٍ ، وكُلُّ مُقَدَّرٍ بِأَوانِ

* * *

"يقظة النيل" سنة ١٩٥٠م (*)

صَرَخَـــتْ فِى عُبَابِـــهِ الآلامُ وصَـحَتْ فِى ضِـفَافِهِ الأَحْـلامُ

واسْـــتَهَلَّتْ بِالبُـــشْرَيَاتِ أَوَاذِيْـــهِ ومَاجَـــتْ بِـــشَطِّهِ الأَنْغَـــامُ

وتَهَـــادَتْ أَرْوَاحُـــهُ ثَمِـــلاتٍ نَفَحَتْهَـــا بَخَمْـــرَهِ الأَنْـــسامُ

وبـدا مِـنْ بـشائرِ الـصُّبحِ نُـورٌ طَـار منه الكَرى وولَّى الظَّـلامُ

وصَـــحا النِّيـــلُ صَـــارِخًا يَمْـــلأُ الـــدُّنيا زَئِـــيرًا فَتَفْـــزعُ الآكَـــامُ

مُسْتَـــشِيطًا يَكـــادُ يُلْهِبُـــهُ الغـــيظُ فَيَجْـــرِى بِـــاجَمْرِ وهْـــوَ ضِرامُ

وَدَّ لَـوْ كَـانَ فِى فَـمِ الظُّلْـمِ صَـابًا جَامُـــهُ للـــدَّخِيلِ مَـــوْتٌ زُؤَامُ

طَالمَـا أَخْمَـدَتْ مُنَـاهُ اللَّيَـالِي وجَثَـتْ فَـوقَ صَـدْرِه الأَيَّـامُ

رَابِـضًا تَجْـثُمُ الخُطُـوبُ عَلَيـهِ وهْـوَ مُـسْتَأْسِدُ المُنـى ضِرْغَـامُ

مَـلَّ مِـن قيـدٍ فهـبَّ غَـضوبا ونَبَـا بـالكَرى فَطَـارَ المَنَـامْ

واصْـــطِبارٌ أَغْـــرى عِـــدَاهُ بِوَادِيـــهِ ولِلْحِلـــمِ تَـــارَةً آثَـــامُ

قُـــلْ لـــداعِى الـــسَّلامِ فى ســـاعةِ المِحنـــةِ أَيْـــنَ العُهُـــودُ والأَقْـــسَامَ؟

(*) تم إثبات القصيدة بعضها فى ديوان من وحى الربيع وكان قد حذف منها أبيات فى جمع الديوان ١٩٨٤م، وذلك من باب الاختصار كما أخبرنى (الأبيات هى ٢ ، ٣، ٧، ٩، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٦، ٣٢) وحين ناقشته فى المراجعة أعطانى الإذن بعمل نسختى بدون حذف؛ لذا رأيت أن أتركها كما هي.

سَلْ عُبابَ المُحيطِ يُنبِئْكَ عَنْها ... وتُجيبُكَ القِيعانُ والألْغامُ

خَرِسَ اليومَ مَنطِقُ الحَقِّ لَمَّا ... ذَهَبَ الرَّوْعُ واسْتَتَبَّ السَّلامُ

رُبَّ أُسْدٍ فى ساحَةِ السِّلْمِ تَعْدُو ... وهْىَ فِى ساحَةِ الجِلادِ نَعامُ

ولَها فى حِمَى الأمانِ زَئيرٌ ... وإذا دارتْ الرَّحَى فَبُغامُ

لَمْ نَنَمْ عَنْ حُقوقِنا باصْطِبارٍ ... كَيفَ يُغضِى على الهَوانِ الكِرامُ

ولنَا القَلبُ مُشْعَلًا بأمانِينا وعَينٌ عَن حَقِّنا لا تَنامُ

نَحْنُ أبناءُ مَنْ أذَلُّوا اللَّيالِى ... وتَحدُّوا بَأسَ الزَّمانِ وسَامُوا

من عَراهُ فِى مَجْدِنا الفَذِّ رَيْبٌ ... حدَّثَتْهُ عَنْ مَجْدِنا الأهْرامُ

أوْ شَجاهُ مِنَّا بَلِيغٌ مِنَ الصَّمْتِ فَلِلصَّمتِ هَبَّةٌ وانْتِقامْ

كَيْفَ نَنْسَى ولِلدَّمِ الحُرِّ حَقٌّ ... يَقْتَضِينا وللدماءِ ذِمَامُ

إنَّها هَدْأةُ الشُّعورِ جَمامًا ... ولَقدْ يَسبقُ الجِهادَ جَمامُ

وإذا ما رأيتَ للَّيْثِ لِبْدًا ... فإلى الوثْبِ يَلبَدُ الضِّرْغامُ

وإذا لَمْ يَنْفَعْكَ فى الحقِّ لِينٌ ... نَفَعَتْ فيه شِدَّةٌ وعُرامُ

وإذا لَمْ تَعِشْ كَرِيمًا بِدُنياكَ فَخَيرٌ مِنَ الحَياةِ الحِمَامُ

يابَنِى النِّيلِ بُورِكَتْ يَقْظَةُ النِّيلِ فَلا يَقْعُدَنَّ بِكُمْ إحْجَامُ

وازْحَمُوا مَوْكِبَ الحَيَاةِ صِيالًا ... إنَّما المَجْدُ صَوْلَةٌ وزِحَامُ

كُلُّ صَعْبٍ يَذِلُّ إنْ رَاضَهُ العَزْمُ وأزْرَى بِبَأسِهِ الأقْدَامُ

آفَةُ الحَقِّ فُرْقَةٌ واخْتلافٌ ... وبَلاءُ المُطَالبِين انْقِسامُ

وادْعَمُوا بِالأخْلاقِ كُلَّ بِناءٍ ... يَحْمِ صَرْحَ البِنَاءِ مِنْها عِصَامُ

كُلُّ صَرْحٍ إلى انْهِيارٍ إذَا مَا ... لَمْ يَكُنْ للأخْلاقِ فِيهِ دِعَامُ

يَنْهَضُ الشَّعْبُ مِنْ شَبَا السَّيْفِ لَكِنْ ... مَا لِصَرْعَى أَخْلاقِ شَعبٍ قِيامُ

❋ ❋ ❋

بورسعيد

أصْبحتِ للشرقِ العَتيدِ مَنارَا | يَشدُو بِمجدِكِ عِزَّةً وفَخَارَا
ورفَعْتِ مِصرَ إلى السِّماكِ بوقْفَةٍ | سَحَقَتْ غُرورَ المُعْتدِى فَانْهَارَا
ياقَلْعَةَ الأحْرَارِ يَفْدِيكِ الحمى | مُسْتَلْهِمًا شُهَدَاءَكِ الأبْرَارَا
دافَعْتِ عَنه الظَّالمِينَ فَنُكِّسَتْ | أعْلامُهُمْ وحَصَدْتِهم أغْمَارَا
أمْسَيتِ مَقْبرةً لَهُمْ وجَهَنَّمًا | يَصْلَونَ فيها من عَذابِكِ نَارَا
ووَقَفْتِ فِى شَمَمٍ عَلَى أشْلائِهِمْ | حَتَّى رَأوْكِ المَارِدَ الجَبَّارَا
مَا هَزَّ عَزْمَكَ مِدْفَعُ فى قَصْفِه | أو طَائِراتٌ قَد قَذَفْنَ دَمَارَا
كَلَّا ولا دَبَّابَةٌ فِى زَحْفِها | تَرْمِى حُصُونًا أوتَدُكُّ جِدَارَا
عَلَّمْتِهِمْ مَعْنَى البَسَالَةِ فانْثَنَوا | يَتَراجَعُونَ إلى الجُحُورِ حَيَارَى
وصَمَدْتِ فَانْسَحَبُوا وَهُمْ فِى ذِلَّةٍ | بعدَ الهَزِيْمَةِ يَحْمِلُونَ العَارَا
وأعَدْتِ للدُّنْيا السَّلامَ مُرَفْرِفًا | وأحَلتِ لَيلَ الخَائِنينَ نَهَارَا
يا بُوْرسَعِيدُ وأنْتِ أُغْنِيةُ الحِمَى | يَشْدو بِهَا فَيُحَرِّكُ الأوْتَارَا
ويَهُزُّ سَمْعَ الدَّهْرِ مِنْ طَرَبٍ بِها | فَيُفَاخِرُ البُلْدانَ والأقْطَارَا
حَيَّيتُ شَعْبَكِ فى البُطُولَةِ خَالِدًا | ولَثَمْتُ أرْضَكِ للكِفاحِ شِعَارَا

كَلَّلْتِ بِالنَّصْرِ وحَمَيْتِهِ ... ورَفَعْتِ فَوق جَبينِ مِصْرَ الغَارَا

قُومِي انْهَضِي وابْنِي وعِيْشِي حُرَّةً ... وخُذِي مَكَانَكِ فِي السَّماءِ مَدَارا

***

أغنية لبورسعيد ١٩٥٦م

سَـــلامٌ عَـــلَى أرْضِـــهَا الطَّـــاهِرَةْ ووقْفَتِهَـــا الحُـــرَّةَ البَـــاهِرَهْ

مِثـــالُ الإبـــاءِ...ورمـــزُ الفـــداءِ وعنـــوانُ وثْبتنَـــا الظَّـــافِرَةْ

وقَلْعـــةُ أحرارِنـــا الثـــائرينَ عـــلى سَـــطْوةِ الـــدُّولِ الغَـــادِرَةْ

مَفَالِيـــكُ صُـــهْيونَ وانْجِلْـــتِرا وثَالِثُـــةٌ[1] فى الخَنـــا تَـــاجِرَهْ

تَـــصَدَّتْ لِحمْلَـــتِهِمْ بُورْسَـــعيدُ بِعَزْمَـــةِ أبْطَالِهَـــا الثَّـــائِرهْ

شَـــبَابًا وشِـــيْبًا وطِفْـــلًا صَـــغِيْرًا وثَكْـــلَى عَـــلَى غَـــدْرِهِمْ صَـــابِرَهْ

فَطَـــارُوا هَبـــاءً ووَلُّـــوا سِراعًـــا ودَارَتْ عَـــلى المُعْتَـــدِى الـــدائِرَهْ

❊❊❊

لَقَـــدْ أقْـــسَمتْ قَبـــلُ ألَّا تَهُـــونَ وألَّا يُدَنْـــسَهَا المُعْتَـــدُونْ

فَهَبَّـــتْ لِتَحْـــصُدَهُمْ فِى الفَـــضَاءْ وفِى ضَـــفَّةِ البَحْـــرِ أو فِى الـــسَّفِينْ

وفى كُـــلِّ فَـــجٍّ وفى كُـــلِّ بَيْـــتٍ وبَـــينَ مَخَـــابِئِهِمْ والحُـــصُونْ

وكَانَـــتْ لَهُـــم رَصَـــدًا كـــالمَنُونْ ومَقْـــبَرَةً لِحَـــصيدِ المَنُـــونْ

فَكَـــانُوا عـــلى مَوْعِـــدٍ للفَنـــاءِ مَظَلَّاتُهُـــمْ كَفَـــنُ الهَـــابِطِينْ

وبَـــرَّتْ مَـــدِيْنَتُنا بِـــاليَمينِ ومـــا خَفَـــضَتْ للطُّغَـــاةِ الجَبِـــينْ

---

(١) فرنسا (العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦م).

وقامَـــتْ وأصْـــغَى إليهـــا الزَّمـــانُ تُـــرَدِّدُ أُنْـــشُودَةَ الظَّـــافِرِينْ

***

لَقَـد أصْـبحتْ مَـثلًا فِى الأُمَـمْ لِعِـزِّ الإِبَـاءِ وَحُـرِّ الـشَّمَمْ

وصَـبرِ الكِفَـاحِ وبَـأسِ النِّـضالِ ونَـارِ الحَمِيَّـةِ فِى المُـصْطَدَمْ

فَـمَا راعَهـا زَحْـفُ دَبَّابَـةٍ ولا مِـدْفَعٌ قـاذِفٌ بـالحِمَمْ

ولا طَـائِراتٌ تَـصَبُّ الفَنَـاءَ عـلى الآمِنـينَ بِهـا والعَـدَمْ

عَـلى سَـمعِها كَـان قَـصْفُ المَـدَافِعِ أحْـلَى رَنِـينٍ وأشْـجَى نَغَـمْ

لقـد صَـمَدَتْ فى الكِفَـاحِ المَريـرِ ورَوَّعَـتِ الظُّلـمَ حَتـى انْهـزَمْ

ولمـا أبَـادَتْ فُلُـولَ الطُّغَـاةِ مَـشَتْ فَـوقَ أشْـلائِهِمْ والـرِّمَمْ

***

سَـلامٌ لأرْضِـكِ يابُورْسَـعِيدْ وبُـورِكَ هَـذا الكِفَـاحُ المَجِيـدْ

سَـحَقْتِ الظَّـلامَ وصُـنْتِ الـسَّلامَ بِعَـزْمِ الأُسـودِ وبَـأْسِ الـصُّمُودِ

وَدَافَعْـتِ عَـنْ مِـصْرَ كَيْـدَ الطُّغَـاةِ وحَقَّقْـتِ بِالنَّـصْرِ حُـرَّ العُهـودِ

وَسَـطَّرْتِ بالـدَّمِّ فـوقَ ثـراكِ سُـطُورَ الفِـدا فى سِـجِلِّ الخُلُـودْ

فَقُـومِى انْهَـضِى واصْـنَعى للوجـودِ حَيـاةَ الـسَّلامِ وأمْـنَ الوجـودْ

وفى ذمَّـة الـشرقِ يـافخرَ مـصرَ دِمـاءُ الجَـريحِ ورُوحُ الـشهيدْ

سَـــلامٌ لـــشعبكِ فى الخَالـــدينَ وبُـــوركَ نَـــصْرُكِ يـــا بُوْرسَـــعيدْ

***

لا

(لا)... كلمةٌ ردَّدَتْها ملايينُ الشفاهِ ، وأطلقتْها ملايينُ الحناجرِ فى العالمِ العربيِّ فتجاوبَتْ بها آفاقُ الدُّنيا وهى تَشقُّ بإيمانِها المضيءِ جَحافلَ الظلامِ الغَاشِمَةِ وتَجْتاحُ بِدَويِّها الرَّاعِدِ أصداءَ القنابلِ الآثمةِ وتستعْلِي بإبائِها الصَّامِدِ الصّلبِ على الأُسَاةِ .

(لا) .. كلمةٌ قالها الشعبُ العربىُّ لأول مرةٍ (للرئيس جَمال عبد الناصرِ حين أراد التخلي عن مسئوليةِ الحكمِ)[1] فى معركةِ العُدوانِ الصهيونى بعد هزيمةِ سنة ١٩٦٧م .

(لا) ..كلمةٌ راعدةٌ رادعةٌ جمعتْ كلَّ أناشيدِ الحماسِ والفِداءِ وجسَّدَتْ كُلَّ مشاعرِ الأمَّةِ العربيةِ فى التِحامِها القَوِىِّ وإبائِها الأبِىِّ ورفضها للهزيْمَةِ الغَاشِمِ وتَحدِّيهِ للعُدْوانِ المتآمِرِ ورفْضِهِ للاستسلامِ المُهين .

(لا) .. كَلمةٌ جَامعةٌ وحَّدَتْ الصفَّ العربىَّ على طريقِ الكِفاحِ المُسْتَمِرِّ للقَضاءِ على كُلِّ مَصالحِ الاستعمار في أرضِ العربِ وتطهيرها من لآثار العدوان ورجسه

(لا) .. ليس الهزيمة ولكنها عثرة الجواد الأرِنْ يتحفَّزُ للوثوبِ .

ليست نكسة ولكنها الجولة الأولى لعملاق يتأهب للانطلاق

(لا) ..لن نيأسَ ولن نُهادنَ ولن نَكُفَ فالطريقُ مفتوحٌ والمعركةُ مستمرةٌ والنصرُ لنا بعونِ اللهِ والعاقبةُ للمتقين ولا عدوانَ إلا على الظالمين.

لا ... لَـــنْ تَعُــوقَ مــسيرةَ الــشَّعْبِ الأبِــيِّ الــصَّلبِ عَثْــرَةْ
لا يــا جَمــالُ[1] فأنــتَ مَــنْ يَحْــدو خُطــاهُ المُــسْتَمِرَّهْ

---

(١) حذف ما بين القوسين في تعديل ١٩٩٥م لإزالة اسم جمال عبد الناصر من المقدمة.

مَـــنْ ذا يُنــيرُ لـــهُ الطَّريـــقُ سِـــواكَ أو يَجْتــازُ وَعْــرَهْ؟

لا لا لأولِ مَـــــــــرَّةٍ ونَقُولُهــا لــكَ ألــفَ مَــرَّةْ

لا لا يُرَدِّدُهــــا لَــــك الــشَّعْبُ الــذِى ولَّاكَ أمْــرَهْ

شَــعْبُ العُرُوبَــةِ كُلُّـــهُ لَهْفَــانُ فِى وَلَــهٍ وَحَــيْرَةْ

وبِكُـــلِّ قَلـــبٍ لوعـــةٌ وبِكــلِّ عَــينٍ ألْــفُ عَــبْرَهْ

قُــدْهُ يتــابعْ فِى طريـــقِ النَّــصْرِ والأمْجــادِ سَــيْرَهْ

قُـــمْ للعَـــدُوِّ وصُـــدَّهُ واسْــحَقْ مَكَايِــدَهُ وغَــدْرَهْ

لَا.. لَــنْ نكُــفَّ عَــنِ النِّــضَالِ وفى دِمانَــا نَــبْضُ قَطْــرَهْ

لا لَــنْ نَنَــامَ عَــنِ الحُقــوقِ وفِى الحَنــاجِرِ هَمْــسُ نَــبْرَهْ

لَا.. لَــنْ نَــذِلَّ ولَــنْ نَهــونَ ولــنْ نُهَــادِنَ قَيْــدَ شَــعْرَهْ

إنــا لــشعب ... عُــوده لا يــستطيعُ الغــدرُ كــسرَه

مــا إنْ يَفُــلُّ اليَــأسُ عَزْمَتَــهُ ولا الطُّغْيــانُ صَــبْرَهْ

طَــودٌ مَنيـــعٌ لا يُزَحْــزِحُ عَــارمُ الطُّوفَــانِ صَــخْرَهْ

أعْيَــتْ صَــلابَتُهُ الخُطُــوبَ وأعْجَــزَتْ مَــنْ رَامَ قَهْــرَهْ

اليـــومَ يَعْـــرفُ كَيـــفَ يَحْقِـــدُ بالمَزِيـــدِ وكيـــفَ يَكْـــرَهْ ؟

ويَزِيـــــدُهُ العُـــــدْوانُ إصْرَارًا، وتَـــــضْمِيًا وثَـــــوْرَهْ

هِـــى جَوْلَـــةٌ أُوْلَى لَـــه مِـــنْ بَعْـدِها فِى الحَـرْبِ كَـرَّةْ

يَـــسْقِى العَـــدُوَّ بِنَارِهـــا كَـأْسَ الـرَّدَى ويَنَـالُ ثَـأْرَهْ

مَـــنْ لـــيسَ يُخْلـــفُ وعْـــدَهُ للمـــؤمنينَ أعَـــدَّ نَـصْرَهْ

مَـــــنْ مُبْلِـــــغُ المتـــــآمِرينَ بِـــــأَنَّ للأَيَّـــــامِ دَوْرَهْ؟

وبِـــأَنَّ مَوْعِـــدَنا غَـــدًا مَعَهُـمْ ولَـو مَلَكُـوا المَجَـرَّهْ

قَـــدْ صَـــارَ مجْلِـــسُ أَمْـــنِهِمْ فى جَبْهَـــةِ الـــدُّنْيا مَعَـــرَّهْ

خَابَـــتْ أمَـــانِىُّ الـــسَّلامِ بِـــه ومَـــلَّ العَـــدلُ جَـــوْرَهْ

هُـــوَ مجلـــسُ الغَـــدْرِ الـــذِى أضْـــحَى للاسْـــتِعمارِ بُـــؤْرَةْ

قَـــدْ مَـــدَّ فِيـــهِ رُواقَـــهُ وأقَـــامَ فى مَبْنَـــاهُ وَكْـــرَهْ

وأحَالَـــــه لِعِـــــصَابَةٍ تَحْمِـــــى مَطَامِعَـــــهُ وشَرَّهْ

لَا.. يَاعِـــصَابَةَ (جُوْنْـــسنٍ[1]) مَـــا بَعـد هــذا اليَـوم غِـرَّهْ

وَطَـــنُ العُروبـــةِ لَـــنْ تُـــدَنِّسَ منـــه إسرائيـــلُ ذَرَّهْ

---

(١) جونسن الرئيس الأمريكي فى عام الهزيمة سنة ١٩٦٧م.

إنّا لَصفٌّ واحِدٌ يَحمي الحِمَى ويَصُونُ طُهْرَهْ

سَتظَلُّ مَعْرَكةُ المَصيرِ إلى مَداهَا مُسْتَمِرَّةْ

يا بِنْتَ أمْريكا غدًا تَتَجرَّعِينَ الكَأْسَ مُرَّةْ

وسَتَلْعَقِينْ جَزاءَ غَدْرِكِ بالحِمَى نَدَمًا وحَسْرَةْ

وستَصْطَلينَ بيومِكِ المَوعودِ - ياحَقْاءُ - جَمْرَهْ

إنَّا سنجْعَلُ مِنْ مصيرِكِ للوَرَى مَثَلًا وعِبْرَهْ

عُودِي لأُمِّك يا لَقيطَةُ إنْ أرضَ العُرْبِ حُرَّهْ

سَنَدُكُّ الاسْتِعمارِ فوقَ تُرابِها ونَخُطُّ قَبْرَهْ

***

مؤتمر القمة العربي

انعقد المؤتمر الأول لملوك ورؤساء الدول العربية بالقاهرة في يناير عام ١٩٦٤م.

دَعَى الدَّاعِى إلى الجُلَّى فَهَبُّوا ... غِضَابًا كُلُّهُم فى الخَطْبِ نَدْبُ

هُمُ العَربُ الأُباةُ إذا اسْتُثِيروا ... أثَاروا كُلَّ شَعْوَاءٍ وشَبُّوا

حَمَائِمُ فِى السَّلامِ ،أُسُودُ حَرْبٍ ... إذا حَمِيتْ غَداةَ الضَّيْمِ حَرْبُ

وأنْسَامُ الرَّبِيعِ إذَا اطْمَأَنُّوا ... أَعاصِيرٌ إذا ما نَابَ خَطْبُ

غُيوثُ نَدىً ، فإنْ عادٍ رَماهُم ... فَصَاعِقَةٌ عَلى العادِى تُصَبُّ

نَمَتْهُمْ فى الحَمِيَّةِ طُهْرُ أرْضٍ ... عَلى أقْدَاسِها دَرَجُوا وشَبُّوا

وأرْضَعهم إباءَ الضَّيمِ مجدٌ ... تَشعُّ بنورِه صُحُفٌ وكُتْبُ

تَسامَوْا فَوق كُلِّ هَوىً إلى مَا ... يَجِلُّ مِن الوِئامِ ويُستَحَبُّ

وجَدَّ الجِدُّ فالتَأَمُوا جِراحًا ... مُجابَهَةُ الخُطوبِ لَهُنَّ طِبُّ

تَلاقَوْا فى المُلِمَّةِ بَعدَ صَدْعٍ ... ورُبَّ مُلِمَّةٍ للصَّدْعِ رَأْبُ

سَلامًا أيُّها الأقْطَابُ فَامْضُوا ... إلى أَمَلٍ إلَيْهِ الشَّرْقُ يَصْبُو

* * *

هو الإقدامُ يُفْرِى كُلَّ صَعْبٍ ... فما اسْتَعْصَى على الإقْدامِ صَعْبُ

وفُلُّوا بالعَزَائمِ كُلَّ عَضْبٍ ... فليسَ يفلُّ للعزَمَاتِ عَضْبُ

وسِيروا نَحو غَايتِكُم وأنْتُم ... يَدٌ فِي الخَطْبِ وَاحِدَةٌ وقَلْبُ

لقد دَعَتِ العُروبَةُ فاستجِيبوا ... ونَادتْكُمْ لِنَجدَتِها فَلَبُّوا

وضَجَّتْ فِى فَلسطينٍ جِراحٌ ... بناغِرِها دَمٌ يَنْصَبُّ ، رَطْبُ

أنِينٌ مَا يزالُ للاجِئيها ... يُمِضُّ ، ونَارُ ثَأْرٍ ليسَ تَخْبُو

ومَا هِى للعُروبَةِ غَيرُ قَلبٍ ... رَماهُ مِن فُلُولِ الغَدْرِ خِبُّ

جَرَى بالطُّهْرِ مَاءُ النَّهْرِ فيها ... فَكيفَ يَعيشُ فِى مَجراهُ ذِئبُ؟

وكَيفَ يُرَنِّقُ "المكْرُوبُ" منه ... مَشارِعَ مَاؤُها الدَّفَّاقُ عَذْبُ؟

مياهُ اليَعربِىِّ لكم بأرضٍ ... مَنابِعُه عَليها ، والمَصبُّ

خُذوا - صَفًّا - عَلى يد غاصِبيهِ ... ولا تَدَعُوا عَقَارِبَهم تَدِبُّ

وفُضُّوا نَابَ إسْرائِيلَ واقْضُوا ... عَلى الأفْعَى التِى فِى الشَّرْقِ تَحبُو

أتنهضُ دَولةٌ فِى ظِلِّ مُلْكٍ ... دَعائِمُهُ مُخاتَلَةٌ ونَهْبُ ؟

وكيفَ يرومُ أرضَكُمو بُغَاثٌ ... وأنْتُمْ من بَوازِى الشَّرْقِ غُلْبُ؟

فُلُولٌ عَنْ رِحابِ الأرْضِ ذِيدُوا ... فَأَواهُمْ بِها غَصْبٌ وسَلْبُ

وليسَ لهم سوى التضليلِ دِينٌ ... وما لهمو بِغيرِ المالِ رَبُّ

* * *

أأقطـــابَ العُروبَـــةِ أشـــعلوها ... عـــلى صُـــهْيونَ نِيرانًـــا تُـــشَبُّ

وخَلُّـــوا النَّادِبـــاتِ مِـــن القَـــوافي ... فلـــيسَ يَـــرُدُّ حَقًّـــا ضَـــاعَ نَـــدْبُ

خُـــذُوا مِـــن عِـــبرَةِ المَـــاضِي ووَفُّـــوا ... بِوَعْـــدٍ ، إنَّكـــم فِي الوَعْـــدِ عُـــرْبُ

وخُطُّـــوا فى ائْتِمارِكُمـــو مَـــصِيرًا ... تَطَلَّـــع نَحـــوَه شَرْقٌ وغَـــرْبُ

وفِي أعنـــاقِكم دَيْـــنٌ كَبـــيرٌ ... يُطـــالِبُكُم بِـــه رَبٌّ وشَـــعْبُ

لَقَـــدْ دَنَـــتْ المُنَـــى ، فَـــالحُلْمُ حَـــقٌّ ... أرَاهُ وَاقِعًـــا ، والبُعْـــدُ قُـــرْبُ

رَعَـــى اللهُ اجـــتماعَكُمُ المُرَجَّـــى ... ووَطَّـــدَ شَـــمْلَكُم وُدٌّ وحُـــبُّ

***

نجد

قِيلَتْ هذه القصيدةُ فى الرياض بنجدٍ حين كنتُ مَبعُوثا إلى هناك عام ١٩٦٠م

تِلْـكَ الرِّيَـاضُ وهـذِهِ نَجْـدُ ... الـشِّعْرُ والتَّـارِيخُ والمَجْـد

مـاضى العُروبَـةِ فى مَفاخِرِهـا ... وعـلى رُباهـا رَفْـرَفَ الخُلْـدُ

وأرُومَـةُ الفُصْحَى وقَـدْ دَرَجَتْ ... فِى حِجْرِهـا ، وصَـفَا لَهـا الـوِرْدُ

شَـبَّ البيـانُ العَبقَـرِىُّ بِهـا ... فَرَعَتْـهُ وهْـىَ لعَبقَـرٍ مَهْـدُ

وعَـلى ثَراهَـا مِـنْ مَـشارِعِهِ ... هَطَـلَ الحَيـا وتَفجَّـرَ الـصَّلْدُ

كَـمْ أطْلَعَـتْ مِـنْ شَـاعِرٍ هَتَفَـتْ ... بِقَـصيدِهِ الآرامُ والأُسْـدُ

عُـصْمٌ إذا (ثَهْـلانُ) رَجَّعَهـا ... صَـغَتِ الرُّبَـا ، وتَلَفَّـتَ الوَهْـدُ[1]

يانَجـدُ أيـنَ صَـباكِ مُلهِمَـةً ... للـشِّعرِ وهْـىَ رقيقَـةٌ رَوْدُ[2]

مِـسْكِيَّةُ النَّفَحـاتِ ضَـمَّخها ... العَبْهَـرُ[3] المَنْـضُورُ والرَّنْـدُ[4]

والـبرقُ حَـنَّ لِخَفْـضِ وامِـضِهِ ... قَلْـبُ المَـشُوقِ فَكـادَ يَنْقَـدُّ

كَـمْ شَـامَهُ اللهفـانُ مُـدَّكِرًا ... وتَوَهَّمَتْـهُ حُلِيَّهـا الخَـوْدُ

---

(١) الوهد : الأرض المنخفضة.

(٢) رود : لينة .

(٣) العبهر : النرجس.

(٤) الرند : شجر طيب الرائحة .

وشَـمِيمُ ذَيَّـاكَ العَـرَارِ وقَـدْ ... رَقَّ العَـشِيُّ و رَاقَ يانَجْـدُ

طَـارَتْ إليـكِ بِنـا مُجنَّحَـةٌ ... كَـالبَرقِ أعَجْـلَ وَمْـضَهُ الحَفَـدُ[1]

رَكِبـتْ سراةَ الـرِيحِ مُلْجَمَـةً ... فعنـا الجِـماحُ ، وذُلِّـلَ القَـوْدُ

تَطْـوِى الفَـضَاءَ فَـلا يُعَوِّقُهـا ... بَحْـرٌ طَغَـى مَوْجًـا ولا طَـوْدُ

وتَـشُقُّ جَيـبَ الـسُّحبِ عَاتِيَـةً ... وأزِيزُهـا فِى جَوْفِهـا رَعْـدُ

تَـنْقَضُّ جارِحَـةً ، فَـإنْ صَعَدَتْ ... فَمُـسَدَّدٌ لم يُخطِـه القَـصْدُ

وكَـأنَّما الجَبَـلُ الأشَـمْ سَرَى ... مِنهَـا –كَثِيبًـا رَمْلُـهُ مَهْـدُ[2]

يَـصْبُو لأهْلِيـهِ بِمـصرَ وقَـدْ ... شَـطَّ المـزارُ ، وأوغَـلَ البُعْـدُ

حَتَّـى أظَلَّتْنَـا سَـمَاءُ رُبًـى ... فى ظِلِّهـا يَـسْتَرْوِحُ الجَهْـدُ

يـا سـاهرَ الأشْـواقِ أرَّقَـهُ ... طُـولُ الحَنِـينِ ، وشَـفَّهُ الوَجْـدُ

أقْبَلْـتَ مِـنْ وَطَـنٍ إلى وَطَـنٍ ... حَـانٍ فَـلا بُغْـضٌ ولا حِقْـدُ

أهْلُـوهُ أهْلُونَـا ، يُظَلِّلُنَـا ... عِلْـمٌ ، ويَجْمَـعُ بَيْنَنَـا الـوُدُّ

هَـوِّنْ عَلَيْـكَ فَلـستَ مُغْتَرِبًـا ... تِلْـك الـدِّيارُ لَنـا بِهـا عَهْـدُ

سَـبَقَ الخيـالُ إلى مَطَارِحِهـا ... قَـبْلًا ، وطَـار بِأُفْقِهـا يَـشْدُو

(١) الحفد : الإسراع .

(٢) المهد: الأرض المستوية.

ولَكَـمْ غَـدَا والـصُّبْحُ مُنْـبَلِجٌ ... وسَرَى وجُـنْحُ اللَّيـلِ مُرْبَـدُّ

ولَكَـمْ حَكَـى عَنْهـا وصَـوَّرَها ... فكَأَنَّهـا لِعُيونِنـا تَبْـدو

حَمَلَـتْ صِـباهَا مِنـه رَاوِيَـةٌ ... يَحْـدُوْهُ مِـنْ نَفَحَاتِـهِ النَّـدُّ (١)

وعـلى ضِـفافِ النيـلِ سـامِرُهُ ... قـد شـاقَهُ الإنـشادُ والـسَّرْدُ

اليـومَ رأىَ العَـينِ نُبْـصِرُها ... بَعْـدَ الخَيـالِ ويَـصْدُقُ الوَعْـدُ

وعَـلى رِمـالِ البِيْـدِ لاحَ لَنـا ... وَادٍ فَـسيحُ الأُفْـقِ مُمْتَـدُّ

مَـشَتْ الحـضَارَةُ في جَوَانِبِـهِ ... فَـصَبا إِلَيْهـا الـسَّهْلُ والنَّهْـدُ

وبَـدَتْ حَواشِـيهِ مُطَـرَّزَةً ... فَكَأَنَّـهُ مِـنْ وَشْـيِها بُـرْدُ

يَجلـو (الرِّيـاضَ) عـلى ترائِبِـه ... مَـصْقولَةً فكأنَّهـا عِقْـدُ

شَـادتْ يـدُ الفـنِّ الحَـديثِ بِهـا ... رُكنًـا وَطِيـدًا لَـيْسَ يَنْهَـدُّ

شُـمًّا بَـواذِخَ ، كُلَّـما نَهَـضَتْ ... عَـضْماءَ مِنْهـا طَالَهـا (٢) نِـدُّ

طَلَعَـتْ نُجـومُ الكَهْرُبـاءِ بِهـا ... فَازْدَانَـتْ الـشُّرُفَاتُ والعُمْـدُ

وتَـرى المَـوَارِقَ فِي طَرائِقِهـا ... زُمَـرًا يَنُـوءُ بِحَـصْرِها العَـدُّ (٣)

---

(١) الند : الطيب.

(٢) طالها: فاقها، والمقصود قصور الرياض وعمائرها.

(٣) المقصود هو السيارات الكثيرة الصاخبة.

مَجْنونــــةَ الأبــــواقِ نَــــافِرةٌ نَفْــرَ الظِّبــاءِ يَروْعُهــا الــصَّيْدُ
أيــنَ النَّــوَاجِى[1] فى مَفَاوزِهــا قُلُــصًا ، وأيْــنَ عِتاقُهــا الجُــودُ
أنــا مَــنْ صَـبا للبِيــدِ يَـأسِرُه مِنهــا فَــضَاءٌ مَالَــهُ حَــدُّ
وسُــكونُها ذَابَ الـضَّجِيجُ بِــه إلا رسـيمُ النــوقِ والوَخْــدُ
ومَــساؤُها الــسَّاجِى يَهــيمُ بــه ســارى الخيــالِ ويَقــدحُ الزَّنــدُ
ونُجُومُهــا حَبَبــا عــلى ثَــبَجٍ والليــلُ مَــدَّ عُبَابَــهُ المَــدُّ
ورِمَالُهــا تِــبْرًا يُفَضِّــضُهُ بَعْـد الأَصِيلِ مِـنَ الـضُّحَى رَأْدُ
وخيامُهـا الـسَّجْواءُ[2] قَـدْ سَعِدَتْ فِيهــا الحَيــاةُ وأسْــعَفَ الجِــدُّ
والــشاةُ والرَّاعِــى ومِعْزَفُــهُ والــشِّيْحُ والقَيْــصُومُ والمُــرْدُ[3]
قِـفْ سائِلِ الطَّلَـلَ المُحِيلَ بِهـا إنْ كــانَ فيــهِ لــسَائِلٍ رَدُّ
أيْــنَ (المُهَلْهِــلُ) فى مَلاعِبِهــا غَــزِلُ الــشَّبابِ يَــروحُ أو يَغْـدُو
وعَـلى (عُنَيْـزَةَ) أو بِـذِى حُـسُمٍ كَـمْ شَـدَّ وهْـوَ الفَـارسُ الجَلْـدُ[4]

---

(١) النواجى : النوق العتاق : الخيال.

(٢) السجواء الناعمة اللينة.

(٣) المرد :الغصن من شجر الأراك.

(٤) فى حرب البسوس .

يــا نــابغيَّ الليــلِ كيــفَ تَـرى | لَـــيلا لِيـــومِ الحَـــشْرِ يَمْتَـــدُّ ؟
كـمَ ضـاقَ قبلـك ذُو القُـرُوحِ بـه | فِى (إِثْمَـــدٍ) وأمَـــضَّهُ الـــسُّهْدُ[١]
نامَـــا بِليـــلٍ مـــا لأوَّلِـــه | مِـــن آخِـــرٍ أو يَـــأْتِىَ الوَعْـــدُ
أغْفَـى بِـه الأعْـشَى وكَـانَ بِهـا | صَـــناجةً بِـــسُرى الـــدُّجى تحـــدو
شَـــدَّتْ أنَامِلُـــهُ عَـــلَى وَتَـــرٍ | يَطْوِيـــهِ فى (مَنْفُوحَـــةٍ) لَحْـــدُ[٢]

* * *

أيْـــكَ البَيَـــانِ الحُـــرِّ مُنـــذُ نَـــما | في الجَاهِلِيَّـــةِ غُـــصْنهُ المَلْـــدُ[٣]
مـــا زِلْـــتِ فى الإسْـــلامِ حَلْبَتَـــهُ | وبـــه تَـــدَفَّقَ نَبعُـــكِ العِـــدُّ[٤]
حَتَّـــى أظلَّـــكَ بعـــد مَنْبَهَـــةٍ | لَيـــلُ الخُمـــودِ وأطْبـــقَ الرَّقْـــدُ
فـــالنَّبْعُ شَـــحَّ وغـــاضَ دَافِقُـــهُ | والـــرَّوضُ جَـــفَّ وصـــوَّحَ الـــوَرْدُ
والجَهْـــلُ أطْفَـــأ مِـــن خُرَافَتِـــهِ | نُـــورَ العُقـــولِ فَـــأَبْهَمَ القَـــصْدُ
ثـــم انْتبَهْـــتِ عَـــلى مُجَلْجِلَـــةٍ | للبَعْـــثِ يُطْلِقُهـــا فَتَـــى نَجْـــدُ[٥]

---

(١) المقود النابغة وامرؤ القيس فى شكواها من طول الليل.

(٢) منفوحة: بجوار الرياض وبها طلل الأعشى.

(٣) الملد: الناعم .

(٤) العد : الكثير الماء.

(٥) شجاع وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذى نهض بدعوة الإصلاح الديني فى نجد.

فَسَلى (عُيَينَةَ) كَيفَ ردَّدَها ... مِثْلَ الأذانِ إمَامُها الفَرْدُ
و(الدَّارِعِيَّةُ) كَيفَ رَنَّ بِها ... صَوْتُ البَشيرِ ورَفْرَفَ البَنْدُ
دِرْعٌ حَمَتْهُ حينَ لاذَ بِها ... وجُنودُها لِلوائِهِ جُنْدُ
والمَشْرَفِيَّةُ للهُدَى سَنَدٌ ... والدِّينُ نِعْمَ العَوْنُ والأَيْدُ (١)
تَقْوَى السُّيوفُ الفَاتِحاتُ بِه ... وبِدعْوَةِ الإصْلاحِ تَشْتَدُّ
والمُلْكُ مَا لَمْ يَستَقِلَّ عَلى ... أُسُسٍ مِن الأخْلاقِ يَنْهَدُّ
قَدْ يَنْهَضُ الشَّعبُ الجَريحُ إذا ... لَمْ يَنْطفِئْ مِنْ رُوحِهِ الوَقْدُ
ويَعُودُ مَرْفُوعُ اللِّواءِ وما ... لِمُضَيِّعٍ أخْلاقَهُ عَوْدُ
والعَبْد حُرٌّ مِنْ تَخَلُّقِهِ ... والحُرُّ مِن شَهواتِهِ عَبدُ
قُلْ للمُدِلِّ بِكُلِّ مُخْتَرَعٍ ... يُشْقِى الحَياةَ ورُوحُهُ صَلْدُ
أعْماهُ عَنْ نُورِ الهُدَى صَلَفٌ ... وأضَلَّهُ الإلحادُ والجَحْدُ
أيْنَ السَّعَادَةُ فى مُدَمِّرَةٍ ... تَفْنى؟ وأينَ العِيشَةُ الرَّغْدُ؟
قالوا : السَّلامُ فقلتُ : يَنْشُدُهُ ... يالَلْأسَى أعْداؤُهُ اللُّدُّ
وبَكَوْهُ مَوْءُوْدًا ، ومِنْ عَجبٍ ... يَبْكيهِ من بِيَمِيْنِهِ الوَأْدُ

---

(١) الأيْدُ:القوة.

مَدَنيــةٌ خُــدِعَ الغَريــرُ بِهَــا ... لِي فِي بريْــقِ طِلائِهَــا زُهْــدُ

قَلَــقٌ تعَقَّــدَتْ النُّفُــوسُ بِــه ... وتَوَقُّــعٌ للــشَّرِّ مُمْتَــدُّ

وصِرَاعُ غَــابٍ مِــنْ شَرِيعَتِــه ... أنْ يَــسْتَبِدَّ بــأعزلٍ وَرْدُ[1]

ولــرُبَّمَا جَــرَّ الخَــرَابَ عَــلَى ... دُنْيــا الخَلائِــقِ أحْمَــقٌ وَغْــدُ

الــسَّيفُ لَمْ يعتَــدَّ حَاملُــه ... بعقِيــدةٍ أوْلى بــه الغِمْــدُ

والعِلْــمُ ذُو حَــدَّيْنِ : نَافِعُــهُ ... حَــدٌّ وجَانِــبُ شَرِّهِ حَــدُّ

إنَّــا - ودِيــنُ اللهِ عُــدَّتُنا- ... لَــسنَا بِغَــيرِ اللهِ نَعْتَــدُّ

* * *

زَمَــنٌ أدَالَــكِ فِى تَدَاوِلِــهِ ... فَجَرى عليكَ الـنَّحْسُ والـسَّعْدُ

والــدَّهْرُ صَــفْوٌ بَعْــدَهُ كَــدَرٌ ... والعَــيْشُ صَــابٍ بَعْــدَهُ شَــهْدُ

قَــدْ أذَّنَ الفَجْــرُ المــضيءُ فَــلا ... يَحْجُبْــكَ عَــن أضْــوائِهِ سَــدُّ

صُــبْحُ العُروبَــةِ لاحَ بعــد دُجــىً ... مِــن لَيلهــا وتَبَــيَّنَ الرُّشْــدُ

فَخُــذى مَكانَــك فِى انْتِفَاضَــتِه ... نَهَــضَ الأسِــيرُ وحُطِّــمَ القَيْــدُ

قُــومِى انْهَــضِي وابْنِــى ولا تَهِنِــى ... كَــيْمَا يَعُــودَ لأرْضِــكِ المَجْــدُ

---

(١) الورد: الأسد القوي.

حَيَّـا صَـبـاحَ عُــلاكِ مُطْلَعُــهُ ... ولَــهُ الثَّنَـاءُ الجَـمُّ والحَمْـدُ

وسَقَى دِيـارَكِ- غَـيرَ مُفْسِدِها- ... غَـدقٌ عَمِـيمُ الـسَّحِّ يـا نَجْـدُ

صَرْخَةٌ عَرَبِيَّةٌ

أخِي العَرَبي (١)

غَـضْبَةٌ تُحَطِّـمُ القُيُـودَ ... أَبِيَّـهْ وتَـشُقُّ الطَّرِيـقَ للحُرِّيَّـهْ

وانْتِفَاضًا حُـرَّ الإِبَـاءِ عَزِيـزًا ثَـائِرَ الـرُّوحِ نَخْـوَةً وحَمِيَّـةْ

ثَـورَةَ المَـارِدِ المُكَبَّـلِ يَفْـرِى طَوْقَـهُ والسَّلاسِلَ الوَحْشِيَّهْ

لانْطِـلاقِ الآمَـالِ ، للمُثُـلِ العُلْيـا لِزَحْـفِ المَواكِـبِ القُدُسِـيَّهْ

لِعِنَـاقِ الأَشْـواقِ تَحْتَـضِنُ الفَجْـرَ وتَـشْدُو عَـلَى رُبَـاهُ النَّدِيَّـهْ

لانْتِـزاعِ الـصَّباحِ مِـن اللَّيْـلِ ومِـن سَـطْوَةِ الغَواشِـى الدَّجِيَّـةْ

لـشَقاءِ الفَـلَّاحِ ، للعامِـلِ المحـرومِ لابـنٍ مُستـضْعَفٍ وبُنَيَّـهْ

للمَلايِـينِ يَكـدَحُونَ لِيَجْنِـى خَـيْرَهُم ذُو المَطَـامِعِ الأَشْـعَبِيَّةْ

لَـكَ ، للجِيـلِ للغَـدِ المُتَمَنَّـى لِجَمَاهِـيرِ أَرْضِـنَا العَرَبِيَّـةْ

لِفَلَـسْطِينَ قَـدْ أَبَاحَـتْ حِمَاهَـا بِنْـتُ صُـهْيونَ لَعْنَـةُ الأَزَلِيَّـهْ

لِلْيَتَـامَى المُـشرَّدِينَ ، لـصَيْحاتِ صَـبِى مُـضَيَّعٍ وصَـبِيَّهْ

---

(١) الواضح أن هذه القصيدة كانت بعد منتصف ١٩٦٢ وقبل منتصف ١٩٦٧م حيث ذكر فيها استقلال الجزائر والدعوة إلى الوحدة العربية التى ظلت حلما للجماهير توهج بعد انفصال مصر عن سوريا فى ١٩٦١ بعد وحدة قصيرة بينهما ، ويتحدث فيها عن الانتصارات وهذا قبل ٦٧ بالطبع كما نعرف.

للثكَـــالى يَنْـــدُبنَ أهْـــلا ودَارا ويُوَلْـــولْنَ بُكْـــرَةً وعَـــشِيَّهْ

صَرَخَـــاتٌ تُفَتِّـــتُ الحَجَـــرَ الـــصَّلْدَ وتَـــسْتَرْحِمُ الوُحُـــوشَ الـــضَّرِيَّهْ

يَقْـــرَعُ الأرْضَ والـــسَّماءَ صَـــدَاها غَـــيرَ سَـــمْعِ الـــضَّمائِرِ البَـــشَرِيَّهْ

خِنْجَـــرٌ شَـــقَّ للعُروبَـــةِ قَلبًـــا لَمْ يَـــزلْ يَنْـــزِفُ الـــدِّماءَ الزَّكِيَّـــهْ

لِفَلَـــسْطِين يَـــا أخِـــى واحْفُـــرْ القَـــبْرَ لِـــوأدِ اللقيطَـــةِ الدَّوْلِيَّـــةْ

لِثَراهَـــا الـــسَّلِيبِ قَـــدْ دَنَّـــسَتْهُ عُـــصْبَةٌ مِـــنْ طَرائِـــدِ الهَمَجِيَّـــهْ

فاغْـــسِلِ العـــارَ عَـــنْ حِمَاهَـــا بِثَـــأْرٍ يَـــأْنَفُ الـــضَّيْمَ والخَنَـــا والدَّنِيَّـــهْ

لَـــسْتَ بـــاليَعْرُبِيِّ إنْ لَمْ تُعِـــدْهَا لِبَنِيهَـــا وأهْلِهَـــا يَعْرُبِيَّـــةْ

* * *

يَـــا أخِـــى أنْـــتَ فِى قُيُـــودِكَ لَيْـــثٌ عَافَـــتْ القَيْـــدَ رُوحُـــهُ الأسَـــدِيَّهْ

بَـــيْنَ جَنْبَيْـــكَ ثَـــوْرَةٌ مِـــنْ لَهِيـــبٍ تَتَحَـــدَّى القَـــذَائِفَ النَّوَوِيَّـــةْ

صَـــاغَكَ اللهُ حِـــينَ صَـــاغَكَ حُـــرًّا وحَبَـــاكَ الكَرامَـــةَ الآدَمِيَّـــهْ

فَـــوقَ أرْضٍ قُدُسِـــيَّةٍ بَارَكَتْهَـــا بالرِّسَـــالاتِ نَفْحَـــةٌ عُلْوِيَّـــهْ

مَهْـــبِطُ الحَـــقِّ والكَرَامَـــةِ والعَـــدْلِ ومَهْـــدُ النُّبُـــوغِ والعَبقَرِيَّـــهْ

وعـــلى صـــدرها العروبـــةُ شـــبت فى ظـــلال الإبـــاء والأريحيـــه

فَـامْشِ حُـرًّا بِهـا ، ولا تَخْفِـض الجَبْهَـةَ يومًـا إلا لِـرَبِّ البَرِيَّـةْ

وانْفِض الذُّلَّ وارْفعَ الرأسَ واشْمَخْ لَـسْتَ عَبـدا لِغاشِـمٍ أو مَطِيَّـهْ

فَلَـك الأَرْضُ والـذِى أنْبَتَتْـهُ وينابيعُهـا الـدَّفَاقُ الغَنِيَّـهْ

ولَـكَ المَـصْنعُ الـذى صَـاغَ مِـنْ كَـدِّك دُرَّالقَلائـدِ الذَّهَبِيَّـهْ

ولَـكَ القَـصْرُ شَـادَه سَـاكِنُ الكُـوخِ لِعِرْبيـدِهِ وكَـانَ ضَـحِيَّةْ

يُـتْرعُ الكـأسَ مـن دمـاءِ ضَـحاياهُ ومِـن أدْمُـعِ الجمـوعِ الـشَّقِيَّةْ

***

بِاسْـمِ تَارِيخِنَـا المَجِيـدُ، رَعَـى الـدُّنْيا وأرْسَـى قَوَاعِـدَ المَدَنِيَّـةْ

وبِآبَائِنَـا الأُلَى زَلْزَلُـوا كِـسْرَى ودَكُّـوا مَعَاقِـلَ القَيْـصَرِيَّهْ

والبُطُـولاتِ إذْ تَخُـوضُ المَنَايـا ظَامِئَـاتِ الـصَّدَى لِـوِرْدِ المَنِيَّـهْ

تَفْـتَحُ الأَرْضَ بَـين شَرقٍ وغـربٍ بِهتـافِ الهُـدَى وبالمَـشْرَفِيَّهْ

بانتفـاضِ الجَزائـرِ اليـومَ حُـرًّا بَعْـدَ طُـولِ المَعـارِكِ الدَّمَوِيَّـهْ

بانْبثـاقِ الفَجْـرِ الـذى صَـنَعَتْهُ فى حِمانـا الطَّلِيعَـةُ الثَّورِيَّـهْ

جَلْجَلَـتْ فِى ائْتِلاقِـهِ صَـيْحَةُ البَعْـثِ ودَوَّتْ فى مَـسْمَعِ البَـشَرِيَّةْ

بانْتِـصاراتِنا التِـى هـزَّتِ الـدُّنيا عـلى الغَـدرِ والقُـوى الكَيْدِيَّـهْ

بـالجَلاءِ الـذِى حَسِبْناهُ حُلْـمًا فتبَـدَّى حَقِيقـةً وَاقِعِيَّـهْ

بـانْتِزَاعِ القَنـاةِ بـالمَوْقِفِ البَاسِـلِ فى يَـوم بُورسَـعِيدَ الأبِيَّـهْ

زَمـنُ الـرِّقِ والطَّوَاغِيـتِ وَلَّى وتَهَـاوَتْ قِلَاعُـهُ الخَزَفِيَّـهْ

وزَمَـانُ الـشُّعُوبِ قَـدْ زَحَـفَ اليـومَ عـلى الاسْـتِغلالِ والفَرْدِيَّـهْ

مِـنْ هُنَـا يـا أخِـى مَـشَى مَوْكِـبُ النُّـورِ وسَـارَتْ قَوافِـلُ الحُرِّيَّـةْ

فاسْـلُكِ الـدَّرْبَ .. و احْـدُ رَكْـبَ الأمَـانِى وتَخَـطَّ الحَـوَاجِزَ الوَهْمِيِّـهْ

يَـدُك اليـومَ فِى يَـدِى نَـسْحَقُ الزَّيْـفَ ونَـشْدُ بِالوِحْـدَةِ العَرَبِيَّـهْ

***

الجامعة العربية
بمناسبة إنشاء جامعة الدول العربية (*)

يَومٌ مِنَ المَجدِ كَمْ غَنَّى بِه العَرَبُ   وَافَى العُروبَةَ فَجْرٌ مِنْهُ مُرْتَقَبُ

هَفَا لـه الشرقُ مَزْهُـوًا بِغُرَّتِـهِ   وهـزَّهُ نحـو شـادى مجـدِهِ العَـرَبُ

تَفِيءُ للوِحْدَةِ الكُبْرَى بِهِ دُوَلٌ   أَلْـوَى بِها بَـدَدٌ للشَّمْلِ مُنْشَعِبُ

قَدْ وَحَّدَتْ بينَها الآلامُ فاجْتَمَعَتْ   والـدِّينُ والفِكـرُ والآمـالُ والأدَبُ

وشَائِجُ لم يهنْ مِنْ وُدِّها نَسبٌ   أويَـدنُ للظـنِّ مـن أبوابِها سَـبَبُ

حَنَّتْ إليها قلوبُ الشَّرقِ مِنْ زَمَنٍ   وفِى الجَـوانِحِ شَـوْقٌ بَـاتَ يَلْتَهِـبُ

مُنَـىً تُفَرِّقُهَـا البَلْـوَى وتَجْمَعُها   وللبَلايَـا تَفَـارِيقٌ ومُلْتَحَـبُ(١)

هَامَـتْ بآفاقِهـا طَـيرًا مُفَزَّعَـةً   لَمْ يَشْفِ غُلَّتَها مِنْ وِرْدِها صَأَبُ(٢)

تناوشَـتْهَا فُـرَادَى فى مَسارِبِها   مخالِـبٌ تتَـأَبَّى شَـتَّها نَـصَبُ

(*) للقصيدة صورة أخرى مختصرة كان الشاعر قد اختصرها ضمن ما صنع بكثير من قصائده لنشرها فحذف الأبيات ١، ٢، ٤، ٥، ٦، ٨، ٩، ١١، وجعل مطلعها:

هـذا هـو الأمـلُ المنشودُ ياعربُ   لاحَتْ بشائِرُه فى الأفْقِ فَارتقبوا

أظَلَّكـم فيـه فجـرٌ شَـاقَكُم زَمَنًـا   وفِى الجَوانِح شَـوْقٌ بَـاتَ يَلتَهبُ

(١) ملتحب.

(٢) صأب: تكرار الشرب.

تَجَمَّعَتْ بَعدَ شَتِّ الشَّملِ فالْتَأَمَتْ ... جِراحُها وانْثَنَتْ عَنْ سَاحِها النُّوَبُ
وأصبحَ الشرقُ غابًا من تَضَامُنِه ... تُخْشَى بَوازِيهِ أو آسَادُه العُرُبُ
حِصْنٌ تَنكَّبُ عَنه الحَادِثاتُ أسًى ... فَدُونَ ما تَرْتَجِي مِنْ بَأسِهِ يَلِبُ[1]
عَزَّتْ بِهِ دُوَلٌ كَالعِقْدِ مُنْتَظِمًا ... حَبَّاتُهُ الذَّهبُ الإبرِيزُ والقَصَبُ
قَدْ اسْتَجَابتْ لدَاعِي الله فاعْتَصَمَتْ ... بِوِحْدَةٍ جَاءَ مِنها الوَحْيُ والكُتُبُ
لَوْلاَ التَّضَامُنُ مَا عَزَّتْ شَرِيْعَتُهُ ... أَوْكَانَ للضَّادِ ذَاكَ البأسُ والغَلَبُ
ولا تَآخَتْ قُلوبٌ طالَمَا نَفَرَتْ ... بِها الحَفَائِظُ واسْتَعْصَى بِها الشَّغَبُ
ولا اسْتَقَلَّتْ بحُكْمِ الأرْضِ مَملَكَةٌ ... أَقَامَها المُصطفى أو صَحبُهُ النُّجُبُ
إذا تَآلفَتِ الأرواحُ مُخلصَةً ... أفنَى المخاطرَ من إشْعَاعِها لهبُ
هُوَ التحالُفُ جَيشٌ لا يُطاقُ له ... بأْسٌ وكيفَ يُطاقُ العَارِمُ اللَّجِبُ
تُغْنيه عَن عُدَّةٍ رُوحٌ مُجَنَّدةٌ ... ما حَدَّ حِدَّتَها الصَّمْصَامة الذَّرِبُ
إذا أَتَمَّتْ شُعوبُ الشَّرْقِ وحْدَتَهَا ... عَزَّتْ عُرُوبَتُها واسْتَعْصَمَ العَرَبُ
بَنِي العُرُوبَةِ هَذا فَجْرُ نَهْضَتِكُم ... دَانت لِمشْرِقِه الأيامُ والحِقَبُ
قد ضَمَّكُم فِيه إخْوانًا وجَمَّعَكُم ... مَشاعِرًا بينها الأرْحامُ والنَّسَبُ

---

(١) في لسان العرب لابن منظور: اليلب : والدروع وهي يمانية.

إنْ رَجَّعَتْ فى ضِفافِ النيلِ هاتِفةٌ شَدا لها بالحِجازِ الصادِحُ الطَّرِبُ

أوْأعْوَلَتْ فى رُبُوعِ الشَّامِ نَائِحَةً أَجَابها مِن ذُرَا لُبْنانَ مُنْتَحِبُ

فَأَحْكِموا العُرْوةَ الوُثْقَى بَجامِعَةٍ تَعْدو لِعزَّتِها الافْلاكُ والشُّهبُ

إنْ تَرْفَعوا صرْحَها تَحْموا عَرينكُمو فَفِى حِمَى صَرْحِها الآمَالُ والأرَبُ(١)

لا يَقْصِدُ الذِّئبُ إلا كُلَّ قاصِيَةٍ مِنَ القَطِيعِ عَلَيْهَا وحَدَها يَثِبُ

مُدُّوا لَها فى رُبوعِ الأرْضِ أرْوِقَةً يَشُدُّها مِنْ شَبا عَزْماتِكُمْ طُنُبُ

فإنَّما هِىَ قَلْبُ الشَّرْقِ إنْ سَلِمَتْ أعْضاؤُهُ صَحَّ أوْ تَشْكُو الضَّنَى يَجِبُ

***

---

(١) هذا الشطر تم تغييره في إصدارة ١٩٨٤م بـ فلا تُلِمُّ به الأحداثُ والريبُ.

كفاح الجزائر
فى العيد الثامن للثورة الجزائرية

ضَحَايا كُلَّ يومٍ لا تُعَدُّ ... أليسَ لِظُلْمِ هَذا الشَّعبِ حَدُّ

يَزِيدُ عَلى الكِفاحِ المُرِّ عَزْمًا ... يَهُدُّ الرَّاسِياتِ ولا يُهَدُّ

ويَصْهَرُهُ النِّضالُ فَمَا تَنَاهُ ... وَعِيدُ البَأْسِ أو أغْراهُ وَعْدُ

إذا رَوَّى ثَراهُ دَمٌ زَكِيٌّ ... مَشَى بِعُرُوقِهِ للثَّأْرِ وَقْدُ

وإِنْ أضْناهُ قَيْدٌ زَادَ سُخطًا ... وثَارَ كَأنَّما فى القَيْدِ أُسْدُ

ولَيسَ بِمُرْهِبٍ سِجْنٌ صَغِيرٌ ... فَتًى أوْطانُه سِجْنٌ أشَدُّ

رَعاكَ اللهُ مِنْ شَعْبٍ أبِيٍّ ... أنَاخَ عَلِيهِ باغٍ مُسْتَبِدٌّ

يعانِى كُلَّ يَوْمٍ مِن فَرَنْسَا ... صُنوفًا مِن أَذاها تَستَجِدُّ

تَمَرَّسَ بالنِّضَالِ فَليسَ يومًا ... بِمُسْتَهْوِيهِ حُلْوُ العَيشِ رَغْدُ

وأرْضٌ تُنْبِتُ الأبطالَ حتى ... تَنَافَسَ فَوقَها شِيْبٌ ومُرْدُ

عَلَى (أوْرَاسَ) يُولَدُ كُلَّ يَوْمٍ ... فَتًى مُتَوَقِّدٌ عَزْمًا وَخَوْدُ

«جَمِيلَةُ»[1] بِنْتُهُ وكَفَتْهُ فَخرًا ... بُطولَتُها إذا الأبْطالُ عُدُّوا

---

(١) جميلة بوحيرد المجاهدة الجزائرية، انضمت إلى تحرير الجزائر للنضال ضد الاحتلال الفرنسي، وحُكم عليها بالإعدام ولم ينفذ بعد تضامن العالم معها.

أَفِيقِـي مـن سُـباتِكِ يـا فَرَنْـسا فَلَـيس بِمُـسْتَوٍ عِـيٌّ ورُشْـدُ
لَقَدْ صَحَتْ الشُّعوبُ على صِياحٍ أبِـيٌّ مَابِـه حُـرٌّ وعَبْـدُ
دَعِـي شَـعبَ الجزائِـرِ في حِماهُ ولا يَغْـرُرْكِ يـا حمقـاءُ جُنْـدُ
وخَـلِّي أرْضَـها لاتُنْجِـسِيها بِغَيِّـكِ إنَّهـا للطُّهْـرِ مَهْـدُ
أتَـصْمدُ للنِّـضالِ بِهـا بَغِـيٌّ تَـروحُ عَـلى دَعَارَتِهـا وتَغْـدو؟
هُـمُ العَـربُ الأُبَاةُ إذا اسْتُبِيْحَتْ دِيـارُهُمُ عَـلى البـاغِينَ شَـدوا
يَمِينـا لَـنْ تنـالى قَـدْرَ شِـبْرٍ سِـوى قَـبْرٍ لـدِيجُولٍ يُعَـدُّ
إذا مـا هَيْئَـةُ الأُمَـمِ اسْـتكانتْ ومـاتَ بهـا الـضَّميرُ وضـاعَ عهـدُ
سَنَمْـضِي فِي الكِفـاحِ إلى مَـداهُ فَلَـيسَ مِـنَ الكِفـاحِ المُـرِّ بُـدُّ
ونجْعَلُهـا جَحِـيمًا يـا فَرَنْـسَا ومَقْـبَرَةً بَهـا للبَغْـى لَحْـدُ
ونَبْنِـى فَـوقَ أشْـلاءِ الـضَّحايا كَرامَتَنـا التـى لا تُـسْتَرَدُّ
وترْفَـعُ صَرْحَ الاسْـتقلالِ حُـرًّا يَـرِفُّ بـه عـلى (أَوْرَاسَ) بَنْـدُ

***

بَنِى فلسطين

بَنِــى فَلَــسطِينَ نَفْــديها فَلَــسْطينا ... ونَفْتَــدِى أهْلَهــا الغُــرَّ الَمَيامِيْنــا

لمــا نَزَلْنــا بِساحَاتِ الخِيامِ جَرَتْ ... عَــلى ثَرَاهــا دُمــوعٌ مِــنْ مَآقِيْنَــا

وهَيَّج الشَّوقَ مَرْآى اللاجِئينَ بها ... مُشَرَّدِينَ مــن الأوْطَــانِ نَائِينــا

أسَتْ يَمِينُ "جَمالٍ" جُرحَ مِحْنَتِهِمْ ... وكَفْكَفَتْ دَمْعَ بــاكِيهِم وباكِينا

ومــا فَلَسْطينُ إلا مِصْرَ مَنْزِلَــةً ... وأهْلُهــا لَمْ يكونــوا غَيرَ أهْلِينــا

هِــى العُرُوبَــةُ والقُرْبَــى تُجَمِّعنَــا ... والدِّينُ والحَاضِرُ الدَّامِى ومَاضِينَا

جِراحُهــا تَتَلَظَّــى فى جَوانِحِنــا ... نَــارًا، وآمَالُهــا الكُــبْرَى أمَانِينــا

أقْسَمْتُ بالمسجِدِ الأقْصَى وحُرْمَتِهِ ... وبِالقَداسَــاتِ فيهــا والنَّبِيِّينــا

وكُــلُّ مِصرَ مَعى والعُرْبُ قَاطِبَةً ... قَلْــبٌ يَجِيشُ بأقْسامِ الأبِيِّينــا

ألَّا نَقَــرَّ ولا يَحْلُــو لَنــا وَسَــنٌ ... حَتَّى نُشَرِّدَ فى الآفاقِ صُهْيونا

ولَــن يَطيبَ لنــا فَخْــرٌ نَتيــهُ بِــه ... إلا إذا مــا رَدَدْنَاهــا بِأيْــدِينا

وكيــفَ نَحيــا كِرامًــا فى عُرُوبَتنــا ... إنْ لَم نُكَفِّنْ بها (جُولْدَا وجُورْيُونا)

* * *

نَحــنُ الأبــاةُ كــذاكَ الــدَّهرُ يَعْرِفُنــا ... فَلَمْ يُمرِّغ لنا فى التُّرْبِ عِرنِينَا

ومــا خَفَــضْنا لغَــيرِ اللهِ جَبْهَتَنــا ... ولا سَــجَدْنا بِهــا إلَّا مُــصَلِّينا

سَلْ المَمَالِكَ كَمْ ذَلَّتْ لِسَطْوَتِنا أوْ الجَبَابِرَ كَمْ دانُوا لغَازِينا

وَكَمْ دَكَكْنا حُصُونًا فى مَناعَتِها وكَم قَهَرْنَا مُلُوكًا مُسْتَبِدِّيْنا

فَهْل تُرانَا غَدونَا اليومَ تُعْجِزُنا لَقِيطَةٌ تَتَحَدَّانا وتَغْزُونا؟!

كَلَّا فَمَهْما تَبَنَّاها أبالِسَةٌ فِإنَّنا لم نَعُدْ نَخْشى الشَّياطِينا

إذَا اليَهودُ أراقوا -كَارهينَ- دَمًا على ثَراها أرقْناهُ مُحِبِّينَا

أَوْتزْكُمُ الحَرْبُ مِنْ خُبْثٍ أُنُوفَهُمُو فَمَا نَشُمُّ بِها إلَّا الرَّيَاحِينا

هُمْ يحرِصُونَ على الدُّنيا وقَدْ رَخُصَتْ حِين اشْترَيْنا بها الجَنَّاتِ والعِيْنَا

بَنِي فِلَسْطِينَ والآمَالُ تَحْفِزُنا وإنْ صَبَرْنَا على بَأْسَائِكُمْ حِيْنَا

إنَّا عَلى العَهْدِ لا تَبْلَى مَودَّتُنا يَومًا ولَسنا لِذِكْراكُمْ بِنَاسِينا

غَدًا سَيَجْمَعُنا عِيْدٌ بأرْضِكُمو نُزْجِى إلَيكُمْ بِه أسْمَى تَهَانِينَا

❊ ❊ ❊

تحية جامعة الأزهر

لعاهلِ الكويتِ سموِّ الأميرِ الصَّبَّاحِ السَّالمِ الصَّبَّاحِ – إبريل١٩٦٦ م (سلطان)

هَتَفَ البَشيرُ به فَشاقَ الأزْهَرا ... وأطَلَّ مَوْكِبُهُ السَّنِيُّ فَكَبَّرَا

شَقَّتْ مآذِنُه الزِّحامَ وأشْرَقَتْ ... مِنْ فوقِ كاهِلِهِ الأشَمِّ لِتَنْظُرا

واسْتَبشَرَتْ مِصْرُ فَأَشْرَقَ سَاحَةً ... واخْتَالَ مِحْرابًا وهَلَّلَ مِنْبَرَا

طَلَعَ الصَّباحُ بها فأطْلَع يُمْنُه ... ذَاكَ الصَّباحَ اليَعْرُبِيَّ الأنْضَرَا

فى مَوْكِبٍ حَرسَ الجلالُ جَمالَه ... وشَأى الثُّرَيَّا وهْوَ يَخْطُر فى الثَّرَى

والشَّعْبُ أفْئِدَةٌ يُسَابِقُ بَعْضُها ... بَعضًا لتَحْتَضِنَ الرِّكَابَ وتَظْفَرَا

حَاطَتْهُ أشْواقًا تُعانِقُ خَطْوَهُ ... حُبًّا وتَسْتَجْلِى المُحَيَّا النَّيِّرَا

لَمَّا تَجاوَبَتْ البَشائِرُ بِالحِمَى ... هُرِعَتْ إليهِ مِن المَدائِنِ والقُرَى

والنِّيلُ نَشْوانُ الضِّفَافِ مُصَفِّقٌ ... رَقَصَتْ خَمائِلُهُ مُغَرِّدَةَ الذُّرَا

يَجْرِى عَلى سَنَنِ الوَفَاءِ مُرَحِّبًا ... بِقُدومِ بَحْرٍ فى المَكارِمِ قَدْ جَرَى

مَنْ سَرَّهُ زَمَنُ الرَّبيعِ وحُسْنهُ ... فَلْيَشْهَدِ اليَومَ الرَّبيعَ الأكْبَرَا

* * *

(*) هذه هي القصيدة التي أهداها الشاعر العاهل الكويت فتبرع للأزهر – الجامعة – بنحو مائتي ألف جنيه إسهاما في إنشاء الجامعة الجديدة.

هَذَا (الصَّباحُ) مَعَ (الجَمالِ) تَلاقَيا ... لله ما أسمى اللقاء وأبهرا

أخوانِ بالحُبِّ الوثِيقِ تَبادَلا ... عَهْدًا يُصانُ وذِمَّةٌ لَنْ تُخْفَرَا

بَطلٌ يُعانِقُ فى الكفاحِ شَقِيقَه ... وغَضَنفرٌ حُرٌّ يَضُمُّ غَضَنْفرَا

لله ما أبْهى العُرُوبَةِ تَلْتَقِى ... صَفًّا جَمِيعَ الشَّمْلِ مُلْتَئِمَ العُرَا

مَن مُبلغُ الأعْداءِ أنَّا أُمَّةٌ ... مَهْمَا تَجَهَّمَ أُفْقُها لَنْ تُقْهَرَا

الجَوُّ مَهْما غَامَ يُقْشَعُ غَيْمُه ... والشَّمسُ أحْرَى بَعْدَه أنْ تَظْهَرَا

لايَستجيبُ إلى الدَّخِيلِ سِوى امرِئٍ ... جَحَدَ العُروْبَةَ حَقَّهَا وتَنكَّرَا

اليومُ يومُكِ ياعُروبَةُ فَاشْهدِى ... مَجْلاهُ وارْتَقِبِى الغَدَ المُتَنَظَّرَا

* * *

أهْلا بِعاهِلنا العَظيمِ ومَرْحبًا ... بِمَنْ اسْتضاءَ به الحِمى واسْتَبْشَرا

مِصْرُ تُحَيِّى فِى الكُويتِ شَقيقَةً ... نَهضَتْ بِكُمْ مَجْدًا وعَزَّتْ مَظْهرَا

بَلدٌ رَفَعْتُم بالحَضارَةِ رُكْنَهُ ... حَتَّى تَخَايَلَ نَهْضَةً وتَحَضُّرَا

بالعَدلِ والشُّورى حَكَمْتُم شَعْبَه ... وغَرَسْتُمو فِيه الرَّخاءَ فَأَثْمَرَا

ومَلَكْتُمو بالحبِّ عَرشَ قُلوبِه ... والحُبُّ أحرى أنْ يقودَ ويأْسِرَا

لَيْسَ الذى حَكَمَ البِلادَ بِعَدْلِه ... كَمَنْ استبَدَّ بِحُكْمِها واسْتَأْثَرَا

إنَّا لَفِى زَمَنِ الشُّعوبِ ولَنْ ترى ... كِسْرَى بِهِ مُسْتَعْبِدًا أو قَيْصَرا

الشَّعبُ مَهْمَا طَالَ لَيلُ بَلائِهِ ... يَومًا سَيَحْطِمُ مَنْ بَغَى وتَجَبَّرا

* * *

هَذا جَمَالٌ (١) هَلْ شَهِدتَ صَنِيعَهُ ... ورأيتَ كَيفَ بَنَى حِمَاهُ وحَرَّرا

بَطَلٌ وفِىٌّ لِلعُرُوبةِ مَا الْتَوَى ... خُلُقًا ولا عَرَف الرِّياءَ المُنْكَرا

مَا حَادَ يومًا عَنْ مَبَادِئِهِ ولا ... خَانَ الوَفاءَ بِعَهْدِهِ وتَغَيَّرا

يَسْعَى لِتَحْرِيرِ الشُّعوبِ مُضَحْيًا ... ويَسِيرُ فِى رَكْبِ السَّلامِ مُبَشِّرا

لَمْ يُغضِ هُوْنًا أوْ يُطَأطِئْ هَامَةً ... إلا لِمَنْ بَرأ العِبادَ وصَوَّرَا

مُستهديًا بالدِّينِ فِى خُطُواتِه ... ومَنْ اهْتَدَى بالدِّينِ لَنْ يَتَعَثَّرا

الأزهرُ المعمورُ فى أيَّامِهِ ... نَسِى المُعِزَّ الفَاطِمِيَّ وجَوْهَرَا

والاهُ إصْلاحًا وجَدَّدَ عَزْمَهُ ... حَتى اسْتَجَابَ لِعَصْرِه وتَطَوَّرَا

ردَّ الشَّبابَ لَه فأنْجَبَ بَعْدَما ... أفْنَى اللَّيالى عُقْمُهُ والأعْصُرَا

للهِ جَامِعَةٌ نَمَاهَا مُنْجِبٌ ... كَرُمَتْ بِهِ أصْلًا وطَابَتْ عُنْصُرَا

وَسِعَتْ عُلُومَ الدِّينِ والدُّنْيا مَعًا ... حَتَّى اسْتَحَقَّتْ أنْ تَتِيهَ وتَفْخَرَا

---

(١) في نسخة ١٩٨٤م غيرها إلى "هذا الزعيم".

لم تَنْسَ يا آلَ الصَّبَاحِ لَكُمْ يَدًا — غَرَّاءَ سَابِغَةَ النَّدَى لَنْ تُنْكَرَا

سَبَقَتْ عَوارِفُكُم بها فَتَضَوَّعَتْ — مِسْكًا وفَاحَتْ في الكنَانَةِ عَنْبرَا

بَعضُ الوفاءِ لَها وأيْسَرُ حَقِّها — أنْ نَذْكُرَ الفَضَلَ الجَميلَ ونَشْكُرَا

يا سَالِمَ الغَدَواتِ ميمونَ السُّرى — سلمتْ خطاكَ وطابَ وِرْدُكَ مَصْدَرَا

إنَّ العروبةَ لمْ تَجِدْ مِنْ بَينِكم — إلَّا السَّخِيَّ الأرْيَحِيَّ الخَيِّرَا

سِرْ بينَ أهْلِيها رَسُولَ مَحَبَّةٍ — واحْمِلْ بها غُصْنَ السَّلامِ الأخْضَرَا

أدْمَى الجِرَاحِ إذا أسَاهُ ماهِرٌ — فالجُرْحُ لا يُعيِي الطَّبيبَ الأمْهَرَا

والصَّدْعُ إنْ رَامَ الصَّناعُ لِكَسْرِه — جَبْرًا خَليقٌ أنْ يَصِحَّ ويُجْبَرَا

واحْمِلْ لشَعْبِكَ في الكُويتِ تَحِيَّةً — مِنَّا وبَلِّغْهُ الثَّنَاءَ مُعْطَّرَا

وإذا ذكرت الأوفياء وعهدهم — فاذكر على عهد الوفاء الأزهرا

* * *

مفتى لبنان

أُلْقيتْ فى احتفالِ جامعةِ الأزهرِ بتكريمِ سماحةِ حسن خالد مُفْتى لُبنان، والوفد المرافق له من كبارِ رجالِ الدينِ فى لبنان وذلك فى يوم الجمعة الموافق ١٠ من مارس سنة ١٩٦٧م.

أعْـــلامَ لُبنـــانَ حَيَّـــا اللهُ لُبْنانَـــا ... وبَـــارِكَ اللهُ مَـــسْعَاهَا ومَـــسْعَانَا

طَافَــتْ بِنَــا نَفَحَــاتٌ مِــنْ خَمَائِلِهَــا ... مِـسْكِيَّةٌ رَنَّحَـتْ أعْطَـافَ دُنيانَـا

للهِ لُبنـــانَ مازِلنـــا ومَـــا بَرِحَـــتْ ... والحُـبُّ يَجْمَعُنـا رُوحًـا وأبْـدَانَا

كَـمْ مِـنْ نَـسيمٍ سَرَى بِتْنَـا نُحَمِّلُـهُ ... شَـوْقًا إليهـا وأوْدَعْنـاهُ نَجْوانَـا

حَتَــى اجْتَلَيْنــا مُحَيَّاهَــا بِطَلْعَــتِكُم ... أغَـــرَّ مُؤْتَلَقًـــا نُـــورًا وإيْمانَـــا

عَـصْماءَ طَـودٍ أشَـمِّ الهـامِ كَلَّلَهـا ... بـالزَّهْرِ تَاجًا عَميمَ الوَشْيِ فَتَّانَا

زُفَّـتْ إلى مِـصْرَ أَقْـمارُ الهُدى نُجُبـا ... فـأشْرقَ الأُفْـقُ بـالأقْمارِ وازْدَانَـا

وجَنَّــةُ الــشَّرْقِ جَادَتنــا بِخَالِـدِها ... وأطلعت من روابى الخُلْدِ رضوانا

* * *

يا شيخَ لُبنانَ حَيَّتْ مِصْرُ مَقْدِمَكُم ... وأكْـبَرَتْ فِيـكَ للإسْـلامِ عُنْوانَـا

حَلَلْتَ والـصَّحْبَ فِيهـا بَـينَ أفْئِـدَةٍ ... تَحْنُـو عَلَيكُم أحَاسِيسًا ووُجْدَانا

رَفَّتْ عَـلى المَوْكِـبِ المَيْمُـونِ وانْتَشَرَتْ ... عَـــلى خُطـــاهُ أزَاهِـــيرًا ورَيْحَانَـــا

وســــابَقَتْها لِلُقْيـــاكُم نَواظِرُنــــا ... لِو اسْتَطَعْنا فَرَشْنَا الأَرْضَ أَجْفَانَا

وهَلَّــلَ الأَزْهــرُ المَعْمــورُ جَامِعَــةً ... وجَامِعًا واحْتَفَى نَشْوىً ونَشْوانَا

شُيوخُ دينِ الهُدى فى ساحَهِ اجْتَمَعُوا ... تَـضُمُّهُم دَعْـوَةُ الإسْـلامِ إخْوانَـا

مِنــارَةٌ كَـمْ هَـدَتْ بِالـدِّينِ مُقْتَبِسًا ... وكَـوْثرٌ كَـم رَوَى بِـالحَقِّ ظَمْآنــا

وكَعْبَــةٌ لَمْ تَـضِقْ سَــاحَاتُها أَبَــدًا ... بالوافِـدِينَ زَرَافَــاتٍ ووُحْــدَانَا

حَلْقاتُهــا تَعْــرِفُ المُفْتِـى وتَــذْكُرُهُ ... وتَــسْتَعِيدُ صِــبَاها بِيْنَنَــا الآنَــا

حَنَّتْ إلى القَسماتِ الغُرِّ فانْفَرجَتْ ... لَــهُ تُحَيِّــهِ تَقــديرا وعِرْفانَــا

وكَــبَّرَتْ للرِّفَــاقِ الــصِّيدِ قِبْلَتُــهُ ... واهْتَـزَّ مِنْـبَرُهُ القُدْسِـيُّ جَـذْلانَا

مـازَالَ يُعْـلى صُروحَ الـدِّينِ شَـامخةً ... حَتى اسْتطالَ علـى الأفْلاكِ بُنْيانَـا

فَقُــلْ لمــنْ يَدَّعِيــهِ اليــومَ مُرْتَــديًا ... شِــعَارَه هَاتِفًــا زُوْرا وبُهْتَانــا

مَنْ ارتَدَى الزَّيفَ ثَوْبا بَاتَ مُفْتَضَحًا ... فَليسَ يَسْتُرُ ثُوْبُ الزَّيفِ عُريَانَا

إمَـامَ لُبْنـانَ عُـذْرًا إنْ جَـرَى قَلَمِـى ... بِـــما يُثِــير تَبَارِيحًــا وأشْــجَانا

إنِّــى أصَــوِّرُ إحْــسَاسًا وعَاطِفَــةً ... مَنْ ذا يَـرَى الـشِّعْرَ أَلْفاظًا وأَوْزَانَـا؟

جَهْدُ المُقِلِّ فَحدُّ السيفِ أبْلَغُ مِـنْ ... شَــبَا اليَراعِــةِ إقْناعَــا وبُرْهَانــا

لـو كـانَ قَـولِىَ نِفْطًـا كُنْـتُ أُشْـعِلُهُ ... عَـلَى العِـدَا وعَـلَى صُـهْيونَ نِيرانَـا

مَاجئتَ مِنْ وَطنٍ إلا إلى وَطَنٍ ... لاقيتَ فى ظِلِّهِ أهْلًا وخِلَّانا

ونَحْنُ فى مِصْرَ أو لُبْنَانَ وَافِدُنا ... مَا غَابَ عن أهْلِهِ يَوْمًا ولا بَانَا

إنَّ العُروبَةَ شَعْبٌ واحدٌ أبدًا ... مَنْ قَسَّمَ العُرْبَ أقْطَارًا وأوْطَانا؟!

وأمَّةُ الدِّين بالإسلامِ واحدةٌ ... مَهْمَا بَدا مِنْ خِلافِ الرَّأْى أحْيانَا

شَعبُ العُرُوبَةِ والإسلامِ آفَتُهُ ... مَنْ كانَ مستأثِرًا أو كانَ خَوَّانَا

غَزَتْ صُرُوفُ الليالِى سَاحَهُ حِقبًا ... حَتَّى شَكَا بَعْدَ عِزِّ النَّصرِ خِذْلانَا

وكانَ سُلْطَانُه الغَلَّابُ عَاصِفَةً ... تَدُكُّ قَيْصَرَ أو تحتاجَ شِرْوَانَا

مَنْ غَيرُكم يا شُيوخَ الدِّينِ يَحْمِلُها ... أمَانَةً تُرْجِعُ المَاضِى كَما كانَا

إنَّ الجِراحَ إذا عَالجْتَها انْدَمَلَتْ ... وكُلُّ صَعْبٍ إذا حَاوَلْتَهُ هَانَا

ضُمُّوا الصُّفُوفَ عَلى التَّوْحِيدِ واجْتَمِعُوا ... وجَدِّدُوا مَجْدَهُ بَأسًا وسُلطَانَا

ورَدِّدُوا دَعْوةً فِى مِصْرَ أطْلَقَها ... مَنْ فَجَّرَ الثورَةَ العَصْماءَ بُرْكَانا

فَلْيعلَمِ الغَرْبُ أنَّا أمَّةٌ نَهَضَتْ ... لتَنْفِضَ الذُّلَّ أغْلالًا وأكْفَانَا

تَسِيرُ فى مَدِّهَا الثَّوْرِىِّ عَاصِفَةً ... غَضْبى وتَزْحَفُ بالثُّوارِ طُوفَانَا

يا شيخَ لُبنانَ قَدْ شَرَّفْتَ جَامِعَةً ... والبِشْرُ فَاضَ بِها سَاحًا وأرْكَانَا

سَلِمْتَ والصَّحْبَ فِى حِلٍّ ومُرْتَحَلٍ ... ودُمْتَ يَا خَالِدًا للدينِ مِعْوانَا

ولا تَـزَلْ رايـةُ الإسـلامِ خَافِقـةً   تَعْلـو وتَعْلـو عَـلى آفَـاقِ لُبْنانَـا

مبايعة البطل

في المؤتمر الكبير الذى أقامه الأزهر وجامعته (لتجديد البيعة للرئيس جمال عبد الناصر)[1] في مارس ١٩٦٥م.

يا خَالدَ الذِّكْرِ يُفْنِى الدَّهْرَ والحِقَبَا ... أعيت بطولتك الأشعار والخُطبا

غَنَّى بِمجدِكَ شَعْبٌ أنْتَ مُنْقِذُهُ ... مِنْ غَاشِمٍ عَاثَ أو مِنْ فَاتكٍ سَلَبَا

ودَولةٌ مِن قُيودِ الذُّلِّ قَدْ نَهَضَتْ ... على يديْكَ تُبارِى النَّجْمَ والشُّهُبا

طَرَقْتها سَارِيا والليلُ مُعتكِرٌ ... أمْسى حِماها به للفَتْكِ مُنْتَهَبا

تَعْدو الذِّئابُ على قُطْعانِه شَرَهًا ... فَمَنْ يَفُزْ بِقَطِيعٍ مُفْرَدٍ وَثَبَا

والظُّلْمُ قَدْ مَدَّ فِى الآفاقِ أرْوِقَةً ... تَرى المَفاسِدَ والفَوضَى لها طُنُبَا

والحُكْمُ فى يَدِ أذْنابٍ لِمُغْتصِبٍ ... مَا أنْ يُحَكِّمُ إلا الخَادِمَ الذَّنَبَا

والأرْضُ والمَالُ للإقْطَاعِ مُتخَمَةٌ ... والشَّعْبُ جَوْعَانُ يَشْكُوالفقْرَ والسَّغَبَا

فَلَوَّحَتْ يَدُك البيضاءُ فِى غَسقٍ ... فَمَزَّقَتْ كَبِدَ الظَّلْمَاءِ والحُجُبَا

وكُنْتَ فَجْرُ الحَيَارَى فى مَفَازتِهم ... وكُنتَ صُبْحًا مِنْ الآمَالِ مُرْتَقَبَا

بَدَّلْتَ خَوْفَهُمُو أَمْنًا ، وذُلَّهُمو ... عِزًّا، ويَأْسَهُمو مِنْ نَجْدَةٍ رَغَبَا

ورُحْتَ تُنْصِفُ أهْلَ الفَقْرِ مِنْ نَفَرٍ ... بَغَوا ، قَدِ أحْتكَروا الأمْوالَ والنَّشَبَا

---

(١) حذف الجملة بين القوسين وحذف البيت ١٤ في نسخة ١٩٩٣م .

فى ثَـوْرةٍ حَطَّـمَ الإقْطـاعَ جَحْفَلُهـا ... وزَلْزَلَـتْ صَرْحَ الاسْـتِعمارِ فَانْقَلَبـا

***

"جَمَـالُ" يارائِـدَ الأحْـرارِ ، أىُّ فتًـى ... سِواكَ ، أعْيا المَعالى والمُنى طَلَبا؟

فى كُـلِّ يـومٍ تُرِينـا سِـحْرَ مُعْجِـزَةٍ ... عِمْلاقَـةٍ تَتَحَـدَّى الـشَّكَ والرِّيَبَـا

تلكَ القناةُ ،وقد عـادَتْ لِمَنْ فَقَدوا ... مِـن الـضَّحايَا بِهـا جَـدًّا لَهُـم وأَبـا

نَزَعْتَهـا مِـن فَـمِ الأفْعَـى مُؤَمَّـمَـةً ... بِلَطْمَـةٍ أوْرثَتْهـا الغَـيْظَ والحَرَبـا

وحَرَّكَـتْ ذَيلَهـا للغَـدْرِ فانْكَفَـأتْ ... فى "بُورْسَعيدٍ" ووَلَّى جَيْشُهَا هَرَبـا

والـسَّدُّ ، قَـدْ رَفعَـتْ يُمْنـاكَ شَـامِخَهُ ... رَمزًا تَحَدَّى أرَاجِيفَ العِـدا وأَبَى

لويـتَ فيـهِ عِنـانَ النيـلِ فانْتَظمَـتْ ... خُطـاهُ بَعـد جَمْحٍ ضَـلَّ واضْـطَرَبا

وصَـارَ للخَيرِ يَجْرى والرَّخـاءِ وكـم ... أضَاعَ فى البَحْرِ مِنْ أمْواهِـهِ سَرَبَا

* * *

يا رافعا مِشْعَلَ الأَخْلاقِ فى بَلَـدٍ مَا ... كَـانَ يَعْهَـدُ إلا الزَّيـفَ والكَـذِبَا

ومُوقِظًـا أُمَّــةً مِــن بَعْــدِ رَقْـدَتِها ... بِعَزْمَـةٍ تَـصْدَعُ الأَحْـداثَ والنُّوَبَـا

حَتَّى غَـدَتْ قِبْلَـةَ الأحْـرَارِ،مِشْعَلُها ... لكُـلِّ شَـعْبٍ يُـضِيءُ الـنَّهْجَ والشُّعَبَا

وأصْـبحتْ فى فـمِ الأيـامِ أغنيـةً ... تَهتـزُّ أسْـماعُ دُنيانـا بِهـا طَرَبـا

لَمَّـا رَأَتْ فيـكَ سَـبَّاقا لنَهْـضَتِها وأَبْـصَرَتْكَ عَـلى آمَالِهـا حَـدَبَا

ألقَـتْ إليـكَ زِمـامَ الحُكْـمِ راغِبَـةً ولَمْ تُبايِعْـكَ إرْغَامًـا ولا رَهَبـا

وهَبْتَهـا عُمْـرَكَ الغَـالى ، فَبَيْعَتُهـا بَعضُ الوفاءِ لِمَنْ وَفَّى وَمَنْ وَهَبَا

وأَجْمَعَ الشَّعْبُ فِيكَ الرَّأْىَ عَنْ ثِقَةٍ كُبْرَى لِتَحِمَى ما أمْضَى ومَا كَسَبَا

والأَزْهَـرُ الحُـرُّ يَـسْعَى فى طَلِيْعَتِـه رَكْبًا من النُّورِ قَادَ المَوْكِبَ اللَّجَبَا

مِـنْ بَيْعَـةِ الله رَبِّ العَـرْشِ بَيْعَتُـهُ قَـدْ اصْـطَفَاك لهـا بـالحقِّ وانْتَخبـا

رفعـتَ فـوقَ سـماءِ الـشرقِ رايتَـهُ حتى انتمى لعلاء الشمس وانتسبا

وزدتَ أعْيادنَـا -يـا سِرَّ بَهْجَتِهـا- عِيـدًا تُكَـرِّمُ فيـهِ العلـمَ والأدَبـا

والعلـمُ أقْـوى سِـلاحٍ إنْ حَفِلْـتَ بـه رَأَيْـتَ فِى النَّصْرِ مِـنْ آيَاتِـه عَجَبا

افْـتَحْ بِـهِ حُجُـبَ الآفَـاقِ مُقْـتَحِمًا فَـضَاءَها ، واتَّخِـذْهُ للعُـلَا سَـبَبَا

وارْفَعْ عَلى الدِّينِ ما تَبْنِى فَشِرْعَتُهُ حَكِيْمَـةٌ تَـسَعُ الأزْمـانَ والحِقَبَـا

مَنْ صَدَّ عن هَديِها ضَاقَتْ مَذاهِبُهُ ومَـنْ تَنَكَّبَهـا لم يَـأْمَنِ العَطَبـا

دَوَاءُ كُـلِّ عَـصِىِّ الـسُّقْمِ بَلْـسَمُها فَاحْسِم به الدَّاءَ ، واسْتَدْفِعْ بِه الكُرَبَا

ولا تُـصِغْ لهُـرَاءِ المُـرجِفِينَ بِهـا مِنْ كُلِّ مَنْ تَخِذُوا مِنْ جِدِّهَا لَعِبَا

تَمَرَّدوا بِاسْمِ رُوحِ العَصْرِ واحْتكموا إلى خِـداعٍ جَديـدٍ بَرْقُـهُ خَلَبـا

رَمـزَ العُروبَـةِ فِي أسْـمَى مَطَامحها　　وسيفَها العضْبَ لا يَنْبو إذا ضَرَبا

ألقـتْ إليـكَ بآمـالٍ لهـا عَظُمَـتْ　　أعْظِـمْ بمـنْ كـانَ للآمـالِ مُنتـدَبا

هَتَفْـتَ بالوحـدةِ الكُـبرى ، فَرايَتُها　　عَـمَّا قَرِيـبٍ تُظِـلُّ الشَّرْقَ والعَرَبَا

وصِحْتَ في كـلِّ شَـعبٍ نائمٍ فَصَحَا　　ليـستردَّ بِكـم مـا كـانَ مُغْتَـصَبا

أعِـدْ لأرْضِ فَلَـسطينٍ عُروبَتَهـا　　فكم غَضِبْتَ لَهَا ، والحُرُّ مَنْ غَضِبَا

واجْمَعْ عَلى الزَّحْفِ جَيشَ العُرْبِ مُتَّحِدًا　　وارْدُدْ لأَبْنَائِهـا الأحْـرَارِ مـا سُـلِبا

واضْربْ عِصابَةَ صُهْيونٍ وصَولَتَها　　وأشْعِلَ النَّارَ واجْعلْهُـم لَهَا حَطَبا

غَـدًا يَـرَوْنَ ، مـن المحمـودُ عَاقِبـةً　　مَن يَعبُدُ اللهَ ، أم مَنْ يَعبُدُ الذَّهَبا؟

لازِلْـتَ للـشرقِ في أمْجـادِهِ بَطَـلًا　　وللعُرُوبَـةِ مِـنْ آمَالِهـا الأَرَبـا

***

حنين مغترب (*)

وَطَنـى يـا أعَـزَّ مـا فى الوُجـودِ   أنـتَ فِى مَـسمعِ الزَّمـانِ نَـشيدى

أَبَـدًا أنـتَ ماثـلٌ فى خَيـالِى   حـاضِرٌ فى فُـؤادِىَ المَعْمُـودِ

أتَمَـلَّاكَ شَـادِيًا مِـنْ قَرِيْـبٍ   وأُناجِيـكَ نَائِحًـا مِـنْ بَعيـدِ

كُلَّـما هَـبَّ مِـنْ حِمـاكَ نَـسيمٌ   هَـاجَ شَـوْقِى إلى حِمَـاك الـسَّعيدِ

أوْ بَـدَا فى الآفَـاقِ سـانِحُ بَـرْقٍ   عـاوَدَ القلـبَ خَفْقُـهُ مِـنْ جَديـدِ

أوشَـدا بِاسْـمكَ المُحَبَّـبِ شَـادٍ   خَـفَّ رُوْحِـى لِـذَلكَ الغِرِّيـدِ

كُـلُّ شَـىءٍ حَـولى قَـصِيدَةُ شَـوْقٍ   وأنَـا فى الحَنِـينِ بَيْـتُ القَـصِيدِ

وكَـأنَّ النَّـسيمَ أنْفَـاسُ أحْبـابِى   إذا مـا احْتَـوَى أرِيْـجَ الـوُرُودِ

والهُتُـوفُ الـصَّدَّاحُ سـاجَلَ نَجْـواى وَحِيـدًا يَـشكُو النَّـوَى لِوَحِيـدِ

غُرْبَـةٌ عَلَّمَـتْ مَحَـاجِرَى الـدَّمْعَ، وكَانَـتْ مِـن قَبْلِهـا فى جُمُـودِ

* * *

وطَنِـى يَـا أعَـزَّ مَـا فِى الوُجـودِ   أنْتَ فِى مَـسْمَعِ الزَّمـانِ نَـشِيدِى

واحْـتِمالِى الـصِّعَابَ غَـيرَ مُبـالٍ   ورُكُـوبى الأخْطَـارَ غَـيرَ قَعُـودِ

(*) هذه القصيدة فى الحنين لقريته وملاعبِ صباه إذْ أنها كتبت قبل ١٩٥٢ وهو لم يغادر مصر قبل هذا التاريخ.

مَجْـدُكَ العَبقـريُّ يـا وَطنـي الخَالِـدَ أسْـمَى رَجـائِيَ المَنـشودِ

هَـا هُنـا مِـنْ مَبـاهِجِ الحُـسنِ دُنْيـا وَفُتُـونٌ مِـنْ طَـارِفٍ وتَلِيـدِ

أجْتَلِيهـا فَـما تُهَدْهِـد أشـواقي لِـذِكرى مَلاعِبـي وعُهُـودي

أيُّ حُـسْنٍ حيـالَ حُـسْنِكَ يَـسْبِي وهْـوَ دُنيـا مِـنَ الجَـمالِ الفريـدِ؟

أتَغَنَّـى بِـهِ فَخَـارا وأشْـدُو بِمغَانِيـهِ فِي سَـماءِ الخُلُـودِ

أيْـنَ مِنِّـي دِيـارُ أهْـلِي وأحْبَـابِي ومَغْنَـى عَـشِيرَتِي وجُـدُودِي؟

ومَجَـالِي الـشَّبابِ بـينَ لَيـالٍ بَاسِـماتِ المُنَـى وعَـيْشٍ رَغِيـدِ

* * *

وطَنـي يـا أعَـزَّ مـا فِي الوُجـودِ أنْـتَ فِي مَـسْمعِ الزَّمـانِ نَـشيدي

طَالَ شَوقِي وطَال عَنْكَ اغْتَرابِي وحَنِينِـي لِـوِرْدِكَ المَـوْرُوْدِ

فَمتـى أُسْـعِدُ العُيـونَ بَمَـرْآكَ وأشْـدُو بِظِلِّـكَ المَمْـدودِ

يَـوْمَ عَـوْدِي إليـكَ أيَّـةُ بُـشرى لِفُـؤادِي الغَريـبِ بَـلْ أيُّ عِيـدِ

***

عيدُ النصرِ

لَــكِ فى تَاريخِنــا يَــا بُورْسَــعِيدْ قِـصَّةُ المَجْـدِ الـذِى هَـزَّ الوُجـودْ
فى سِــجِلِّ الخُلْــدِ مــن آياتِهــا صَــفَحاتٌ عَــامِراتٌ بِــالخُلودْ
سَــطرتْ أحْرُفَهــا مُــشْرِقَةً بِـدَمِ الأحْـرارِ مِـنْ كُـلِّ شَـهِيدْ
كُـلُّ قَلْـبٍ أنْـتِ فِيـه خَفْقَـةٌ وعَــلى كُــلِّ فَــمٍ أنْـتَ نَـشِيدْ
مِـصْرُ تَفـدِيكِ وقَـدْ كُنْـتِ الفِـدَا لِبَنِـى مِـصْرَ مـن البَـأْسِ الـشَّدِيدْ
لَـكَ يَـومَ الـرَّوْعِ فيهـا وقْفَـةٌ نَهَـضَ الكَهْـلُ إليهـا والوَلِيـدْ
وصُــمُودٌ شَــدَتْ الـدُّنْيا بِــه وكِفَــاحٌ حَقَّــقَ النَّـصْرَ المَجيـدْ

* * *

لَيسَ تنسى مصرُ جِيلًا بَعْدَ جِيلْ مَوْقِفَ الأحْرارِ فى أرْضِ الجَمِيلْ
مَـا بَكَـتْ ثَكْلَى عَـلى مَـنْ فَقَـدتْ أوْ شَــكَا مِــنْ أَلَمِ الجُـرْحِ عَلِيــلْ
أوْ تَهــاوَى مِــن هَــوى بُنْيانِــه بِيَــدِ الغَـدْرِ وعُــدْوانِ الـدَّخِيلْ
نَهَـضَ الكُـل عَــلي أشْــلائِهم وعلى الأنْقَـاضِ يَـشْفُون الغَلِيـلْ
وكَــأَنَّ القَــصْفَ فى أسْــماعِهِمْ مِــنْ مُعِـدَّاتِ العِـدَا لَحْنٌ جَميـلْ
وَقْفَـةٌ للمـوتِ أخْـزَتْ بَأسَــهُم وغَـدا الأعْـداءُ مِنهـا فى ذُهـولْ

فَمَضَوا مِن خِزْيِهِم وانْسَحَبوا ... يُسْرِعُونَ الخَطْوِ فِى ذُلِّ الرَّحِيلْ

* * *

فَسَلامٌ لَكِ يا أرضَ السَّلامْ ... والتَّحَايا لِضَحاياكِ الكِرامْ

قَدْ ضَرَبْتِ المَثَلَ العَالىَ فِى ... قُوةِ الصَّبرِ عَلَى هَوْلِ الصِّدَامْ

وسَحَقْتِ الظُّلْمَ فِى عُدْوَانِهِ ... وصَنَعْتِ النُّورَ فانْجابَ الظَّلامْ

فالسَّلامُ اليومَ دَوَّى صَوْتُهُ ... وتَلاشَى صَوتُ تُجَّارِ الحِمَامْ

انْهَضِى للمَجْدِ يارَمْزَ الفِدَا ... وابْتَنِى ما هدَّهُ بَغْىُ الطَّغَامْ

وابْسَمِى ياثَغْرَ مِصْرٍ واسكُبِى ... أغْنِياتِ النَّصرِ فى سَمعِ الأنَامْ

قَلْعَةَ الأحْرَارِ عِيْشِى حُرَّةً ... وامْلأى الدُّنيا بألحانِ السَّلامْ

* * *

عيد الحرية(*)

يَـومٌ مِـن المَجْـدِ شَـاقَتْنَا بَـواكِرُه ... وهَـزَّتْ الـشَّرْقَ والـدُّنْيا بَـشَائِرُهُ

لَاحَ الـصَّباحُ بِـهِ جَـذْلانَ مُبتَـسِمًا ... يُشَعْـشِعُ النُّـورَ فِي الآفـاقِ سَـافِرُهُ

ضَـجَّتْ لَـه جَنَبـاتُ النِّيـلِ هَاتِفَـةً ... وصَـفَّقَتْ فَـوقَ شَـطَّيْهِ أزَاهِـرُهُ

والـشَّعْبُ أضْـناهُ ذُلُّ الـصَّمْتِ فـانْفَجَرَتْ ... نَشْوَى تُجَلْجِلُ بالبُشْرَى حَنَاجِرُه

شَـقَّتْ بِهـا حُجُـبَ الآفَـاقِ صَـادِعَةً ... بـالحَقِّ واللهُ فى عَلْيـاهُ نَـاصِرُهُ

ثَـارَتْ عَـلى ظُلْمِـه العَـاتى فوَارِسُـه ... وحَطَّمَـتْ قَيـدَهُ المُضْنِى قَسَاوِرُهُ

لَيـلُ المَظـالِمِ والطُّغْيـانِ قَـدْ نَفَـرَتْ ... غِرْبَانُـه الـسُّودُ وانْجَابَتْ دَيـاجِرُهُ

وَلَّـتْ خَفَافِيـشُهُ عُـشْوًا يُـشَتِّتُها ... صُـبْحٌ تَـشِعُّ عَـلى الـدنيا مَنـائِرُهُ

واسْتَعْلَنَ النُّـورُ فارْتَـدَّ الـدُّجَى خَجِلًا ... يَـئِنُّ مِـنْ لَطَـماتِ الخِـزْيِ عَـاكِرُهُ

قُلْ للمُـدِلِّ بـسيفِ الظُّلْـمِ : فارِسُـنا ... فى كَفِّـه سَـمْهَرِيُّ الحَـقِّ بَـاتِرُهُ

لَيْـثُ الكِنَانَـةِ لَمَّـا صَـاحَ فَزَّعَـهُ ... زَئِـيْرُهُ الحُـرُّ فَارْتَاعَـتْ خَـواطِرُهُ

(*) حذف الآبيات (٣، ١١، ١٥، ١٦، ١٧، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦) وهى الأبيات التى تشير إلى الملك فاروق ثم آخر البيتين (١٣، ١٤) ليختم بها القصيدة وعدل البيت ١٢ من وعلم إلى (قد علم) ليستقيم السياق ، والسبب في التصرف خوفه الذي جعله يعتذر عن الشعر الملكي بعد قيام الثورة في مقدمة هذا الباب من ديوان "وحى الربيع" .

وعَلَّمَ السَّادِرَ المَغْرورَ أنَّ لَه يَوماً يُطيحُ بِه فى الحَظِّ عَاثِرُهُ

مَنْ لَمْ يَنلْ حَقَّهُ باللِّينِ أسْعَفَهُ بَأْسٌ تَثُورُ عَلى الدُّنْيا ثَوائِرُهُ

والنَّصْرُ للْحَقِّ والعُقْبى لِصَاحِبه مَهْما عَلا الظُّلْم واشْتَطَّتْ عَشَائِرُهُ

لَبيكَ يا بَطَلَ الوَادِى ومُنْقِذَهُ وأنْتَ مُهْجَتَهُ الحَرَّى ونَاظِرُهُ

على هُداكَ قَداستهدتْ مَناهِجُهُ وفى يَمينَك قَد قَرَّتْ مَصَائِرُهُ

مَا ضَلَّ فى الليلِ سَارٍ أنْتَ رَائِدُه ولَمْ يَضِعْ قَطُّ حَقٌّ أنْتَ ذَاكِرُهُ

صَرَخْتَ فى جَنباتِ الظُّلْمِ فَانْصَدَعَتْ وزُلْزِلَتْ فِى مَهاوِيهَا قَياصِرُهُ

آبُوا خزَايَا بِيومِ الفَصْلِ وانْكَفأوا فى هوَّة البَغْيِ لما انفضَّ سَامِرُهُ

لا كَانَ عَهْدٌ لَهُمْ سَامُوا البِلادَ بِهِ خَسْفًا ودَارَتْ عَلَى الوَادِى دَوائِرُهُ

اليومَ راحُوا ليَسْقى بَعْضُهم نَدَمًا بَعْضًا وبَاءُوا بِشُؤْمٍ طَارَ طَائِرُهُ

لا يَخْدَعَنَّكَ سَاعٍ فى مُخَالَفَةٍ فَكُلهم خَائنٌ بِالعَهدِ غَادِرُهُ

يَسْتَأسِدُونَ عَلَى الوَادِى إذا أمِنُوا وَهُمْ إِذَا رَاعَهُمْ بَأْسٌ جَآذِرُهُ

يَهْنِيكَ نَصرٌ مُبينٌ أنْتَ فَارِسُه وأنْتَ يومَ الجِهادِ الحَقِّ ظَافِرُهُ

عِيدٌ لِحُرِّيةِ الوادِى يُطالِعُنا ومَوْعِدٌ للمُنى عَزَّتْ نَظائِرُهُ

فِى ظِلِّ فَارُوقِهِ سَبَّاقِ نَهْضَتِهِ ومَنْ على تَاجِه تَحيا مَفاخِرُهُ



شعر الرثاء



ولدي

عليكَ يا ولدي الوحيدَ أسْكبُ هذه العبراتِ الشعريةَ الحزينةَ، رثاءً لكَ، وتَفَجُّعًا عليكَ، ولوعةً لمصابِكَ، وحَسرةً على شَبابِكَ..وفيكَ يا بني الحبيبَ أبكي بالقصيدِ المُعْوِل، والقَوافِي النّادِبَةِ: وجودي الذي فَرَغَ، ونُوري الذي انْطَفأَ، ومَدَدِي الذي انْقطعَ، وظلِّي الذي زالَ، وأملي الذي ضَاعَ، ورجائِي الذي خَابَ، وإذا كانتْ فجيعتي فيكَ أكبرَ من كل تَعبيرٍ، وأقْوى مِنْ كُلِّ تصويرٍ، فإنَّ هذهِ الأبياتَ على أي حالٍ نبراتٌ من شجونِ الخاطرِ الكاسفِ المكسورِ، وقطراتٌ من دماءِ القلبِ النازفِ المفطورِ، وزفراتٌ من لهيبِ الصدرِ الوالهِ المكروبِ، ولفحاتٌ مِن سعيرِ الضَّرمِ الوارِي في أعماقِ المشاعرِ والوجدانِ.

ودّعتُ فيك صفاءَ العيشِ يا ولدي ... يا طولَ همّي ويا حُزْني ويا كَمَدِي[1]

لم يبقَ بَعْدَك معنىً للحياةِ ولمْ ... يعدْ بها أملٌ أحيا به لغدِ

من شاقهُ المالُ والجاهُ العريضُ فقد ... عزفتُ عن جاهها أو مالها اللُّبَدِ[2]

وما انتفاعيَ بالدنيا وليس بها ... مَنْ كان عِزّي وآمالي ومُرْتَغَدِي؟[3]

كم ادّخَرْتُكَ للأيام في كِبَري ... لكنه القدرُ المحتومُ لم يُرِدِ

---

١) للشطر الأول من هذا البيت رواية أخرى " ودعتُ بعدك صفو العيشِ..."

٢) عزفتُ :أعرضتُ وكرهتُ – اللبد : الكثير.

٣) مرتغدي :رغدي وطيب عيشي .

واحسْرَتاهُ وكمْ أمّلْتُ فيكَ جَنًى حتى خلتْ منكَ بالبينِ المُشِتِّ يَدِي[١]

غَالَتْ شَبَابَكَ نَكْبَاءُ المَنُونِ فَلَمْ تَرْحَم فُؤادي ولَمَ تُشْفِق عَلى كَبِدِي[٢]

يا ويْحَها قدّتِ الغصنَ النديَّ ولم ترفقْ يداها بغصنٍ للشباب نَدِي

وحطَّمتْ صرحَ آمالٍ لنا فهوَى بعد الشموخِ كأنْ لَم نبنِ أو نشِدِ

ليتَ الحِمام الذي أردَاك عاجَلني وفي جوارِك يُمسي في الثَّرى جَسَدَي[٣]

أصْبحتُ أهواهُ كي ألقاكَ مرتقِبًا لهفانَ لهفةَ مشتاقٍ إليه صَدِي[٤]

وكَيفَ أحيا بِلا ظلٍّ ولا عَضُدٍ وكنتَ ظِلّيَ في الدنيا ومُعتضدي؟

وكيف أسلكُ دربًا قد فقدتُ به رفيقَ دربي ومِعواني ومُعتمدي؟

كنتَ الرجاءَ الذي أحيا له وبهِ فحين خابَ رجائي خانني جلدي[٥]

وكنتُ أخْشى الرَّدَى حرصًا عليكَ إذا ما غالني حِرْصَ لقمانٍ على لُبَدِ[٦]

---

١) البينُ : الفراق – المشت : المشتت.

٢) نكباء المنون : ريح الموت العاصفة.

٣) الحمام : الموت ، أرداك : أهلكك – الثري : التراب.

٤) صدى : ظمآن.

٥) جلدي : صبري.

٦) لُبد : اسم نسر للقمان من قوم عاد ، كانت حياته مرتبطة بحياته – الردي: الهلاك ، غالني : اغتال حياتي.

يـا ليـتَ أنّي مـا جئـتُ الحيـاةَ فلـم أولـدْ ويـا ليتنـي إذْ جئـتُ لم أَلِـدِ

مـا كنـتُ أحسـبُ أن البيـنَ يفجعنـا وَهْنًـا عـلى غِـرَّةٍ في ليلـةِ الأحـدِ[1]

هـلاّ تمهلـتَ يومـا كـي تودّعَنـا فقـد رحلـتَ سريعًـا غـير متئـدِ[2]

عَـدا عليـك الـردَى كـاللصِّ مُخْتَلِسًا في هـدأة الليـلِ لم ينـذِرْ ولم يَعـدِ[3]

وأنـتَ تُـصْغِي إلى صَـوتِ «المُـسجِّلِ» في لحَـنِ الـودَاعِ بـسَمْعٍ جِـدِّ مُحتـشِدِ[4]

تعيـدُ ترديـدَهُ لهفـانَ مُحتـضنًا إن ينتـهِ اللحـنُ تُبدِئـهُ وتَـستَعِدِ

هـل كنـتَ بـالنغمِ البـاكي تُودِّعُنـا؟ وهـل بقربِ النوى أحسسْتَ يا ولـدِي؟[5]

كُفّـي عـن الـدَّمعِ يـا عَيْنِـي فَلـيسَ بـه جَدْوَى سِوى قُرْحةِ الأَجْفَانِ والرَّمدِ

أو فاسْـكُبيه فـمالي فيـه مـن أَرَبٍ دفنتُ نـورَكَ في جوفِ الثرى الهَمِدِ[6]

إذا جَـرى في غُـضونِ الخـدِّ لـذَّعني أُوَارُهُ بلظَـيً كـالجمرِ مُتَّقِـدِ

---

١) وهْنًا : في منتصف الليل – غِرَّة : فجأة .

٢) غير متئد : متأني

٣) يعني دون إنذار.

٤) جد محتشد : مهتم جدا وقد فاجأه الموت وهو يحتضن المسجل ويستمع بشغف إلى الأغنية الحزينة:سافر من وداع.. ابقي افتكرني) ويعيد ترديدها إلى أن غلبته سكرات الموت.

٥) النوى : البعد.

٦) الثرى الهمد : التراب الذي لا حياة فيه ولا نبات والمراد القبر.

كمْ لائمٍ في الأسى الموصولِ قلتُ له: عُذْرًا لدائمِ دمعٍ فيه مُطّردِ
أبكيهِ حتى إذا لم يُجْدِني حَزَني بكيتُ من أجلِ أن الحُزنَ لم يُفِدِ
أقسمتُ ما عشتُ أبكيه وأذكرُهُ مهما تظاهرتُ بالسُّلْوانِ والجلَدِ
وكيف أنساهُ والذِّكرى تلاحُقُني وليسَ قلبيَ بالجافِي ولا الجَحِدِ؟[1]
"محمدٌ" يا أعَزَّ اسمٍ أردِّدُهُ كأنّهُ اللحنُ في سمعي وفي خَلَدِي[2]
يا قرَّةَ العينِ يا روحي ويا عُمُري ويا امتدادي ويا ذِكْري ويا مَدَدِي
ويا وحيدي ويا ذُخري ويا أمَلي مُصيبتي فيكَ لم تنزلْ على أَحَدِ
إذا استجرتُ مجيرَ الصبرِ فيكَ أَبى وإن بحثتُ عن السّلْوانِ لمْ أجِدِ
وكَيْفَ يُسْعِفُني صَبرٌ أَلُوذُ به ولَوْعَةُ الخَطْبِ فَوْقَ الصَّبْرِ والجَلَدِ؟
لم أنسَ ساعةَ عانيتَ المنونَ وقد فاضتْ دموعُكَ حتى مزَّقَتْ كبدي
إذْ تستجيرُ بأنّاتٍ مهدَّجةٍ على لِسانٍ عن الإفصاحِ مُنْعَقِدِ[3]
تكابدُ الكَربَ مُلتاعًا لفُرقتنا والدمعُ ينهلُّ من عَينيك كالبرَدِ[4]
ورحتُ تهتف باسمي لوعةً وأسًى فكان آخرَ ما ردَّدْتَ للأبدِ

---

١) الجَحِد : بفتح فكسر : الجاحد .

٢) الخَلَد: البال و الفكر .

٣) مهدجة : متقطعة .

٤) البرد : حب الغمام والمطر .

بُنَيَّ: لو تُفْتَدَى لم نألُ تضحيةً ... بالمال مهما غلا والروحِ والجسدِ[١]

مالي من الأمر شيءٌ أستطيع به ... ردَّ البلاءِ ولا دفعَ الردى بيدي

أعيا القضاءُ سباقَ الطبِّ فيك ومَنْ ... يُنْجِي الفريسةَ سَبقًا مِن فَمِ الأسدِ؟

إذا جرى القدرُ المَاضي لغَايَتِه ... لمْ يمنعِ الطبُّ مَقْدُورًا ولم يَذُدِ[٢]

***

يا غائبًا لا يؤوبُ الدهرَ من سفَرٍ ... وأيُّ أوبٍ لنائي الموتِ مُبتعدِ

ويا غريبًا ليوم الحشرِ غربتُهُ ... أسلمتَنا لعذابٍ بالنوى صَعِدِ[٣]

وارحمتَا لشقيقاتٍ يذبْنَ أسًى ... ما كُنَّ يعرفنَ طعمَ الهمِّ والنكَدِ

أفْنَينَ فيكَ دمْعَ العينِ من ولهٍ ... حتى نزفنَ دماءَ القلب والكبِدِ[٤]

يندبْنَ فيك وَحيدًا شِمْنَهُ سَنَدًا ... وقد غدونَ وحيداتٍ بلا سَنَدِ[٥]

ويلي إذَا ما التَقَيْنا حَوْلَ مَائِدةٍ ... ونحنُ بعدكَ جمعٌ ناقصُ العددِ !

أُخفي أنينيَ - لا يسمعْنَهُ - بفمي ... وأسترُ الدمعَ - لا يبصرنَهُ - بيدي

كنّا إذا غبتَ يومًا لا نطيقُ نَوًى ... واليومَ غيبتُك الكبرى إلى الأبدِ

---

١) لم نأل : لم نقصر.

٢) لم يذد : لم يمنع ويدفع .

٣) عذاب صعد : شديد.

٤) الوله : الحزن والحيرة والتفجع .

٥) شمنه : توسمن فيه وتطلعن إلى أن يكون سندا لهن.

وكـم بَعُـدْتَ فلـم نـصبرْ إلى أمـدٍ ... فكيـف نـصبرُ في بُعْـدٍ بـلا أمـدِ ؟!
بِتْنَـا نَـرَى في خُطُـوبِ النَّـاسِ محِنَتِنـا ... حُزْنًـا على كُلِّ مُغْتالِ الشَّبابِ رَدِي(١)
نبكـي لكـلِّ وحيـدٍ غالـه قـدرٌ ... وذاقَ ما ذقتَ من موتٍ له رَصَدِ(٢)
أهْـلُ المَصَائِبِ في الـدنيا تُوَحِّـدُهم ... أرحـامُ خطـبٍ عـلى الأحـزانِ متَّحِـدِ
وأتعـسُ النـاسِ أُمٌّ غِيـلَ واحـدها ... ووالـدٌ رِيـعَ فجْعًـا في ابنـه الوَحِـدِ(٣)
لـولا البُنيَّـاتُ طفتُ الأرضَ منتحِبًـا ... أهـيمُ مـن بلـدٍ نـاءٍ إلى بلـدِ(٤)
يـا طـاهرَ القلـبِ لم تـضمر أذى أحـدٍ ... ولا انطويـتَ عـلى حقـدٍ ولا حـسدِ
خرجـتَ مـن هـذهِ الـدُّنْيا بِـلا سَـبَدٍ ... يُغريـكَ مِـن ظِلِّهـا الفَـانِي ولا لبَـدِ(٥)
أيـن ابتـسامُكَ وضَّـاءً يـشعُّ سـنًى ... عـلى محيـاكَ في لآلائـه الفَـرِدِ؟(٦)
وأيـن نـورُ جبـينٍ كـان مؤتلقًـا ... توسَّـدَ الـتربَ في مُستوحشٍ جَـرِدِ؟(٧)
وأيـن عُـودُكَ ريّـانَ الـصبا نَـضِرًا ... عـدا عليـه الـرَّدى فانقـدَّ مـن أودِ؟(٨)

---

١) ردي : هالك.

٢) موت رصد : معد ومهيأ له.

٣) غيل : اغتيل – ريع : روِّع وفزع – الوَحِد : الوحيد.

٤) ناء : بعيد.

٥) يقال لا يملك سبدا ولا لبدا يعني لا قليلا ولا كثيرا .

٦) لآلائه الفرد: إشراقه الفريد .

٧) جَرِد : مقفر موحش.توسَّد : نام على التراب في هذا المكان المقفر وهو القبر.

٨) البلي: الفناء – انقدَّ : انقطع- أود: اعوجاج – ريان : ناضر.

مـضيتَ كـالطيفِ لم يلبـثْ إلى أجـلٍ — وسرتَ كالـضيفِ لم يمكـث إلى أَمَـدِ

ورحــتَ كــالزهرِ في عُمــرٍ كأنــك لمْ — تكـنْ وأصبحتَ ذكـرى القلـبِ والخلـدِ

لم أدرِ هلْ أَنَا في حُلْمٍ؟ فقد عـصفتْ — فُجـاءةُ الخطـبِ بالألبـابِ والرشـدِ !

خلَّفْتَنــا لجَــوى الــذكرى وحُرْقَتِهــا — والبيتُ بعدَكَ أضـحى واهـيَ العُمُـدِ

تلفّـه وحـشةُ الـصمتِ الكئيـب أسًـى — لمـا خـلا أيكُـهُ مـن صـوتكَ الغَـرِدِ

نــراكَ في كــل شيء مــاثلاً أبــدا — حتــى كأنــك فينــا غــيرُ مفتقَــدِ

في العيـدِ إذْ كنــتَ بــشراهُ وبهجتَــهُ — واليـوم أضـحى نـذيرَ الـشؤمِ والنَّكَـدِ

عِيــدُ الــشَّجِيِّنَ تجديــدٌ للــوعتهم — بالــذكريات.. فليــتَ العيــدَ لم يَعُــدِ

في الريـفِ تهـواه مـصطافًا ومنطلَقًـا — حُــرًّا وتهفــو لــسُمَّارٍ بِــهِ ونَــدِي[١]

تظــلُّ تحـصي الليــالي قبــل موعــده — شـوقًا .. وتمعـنُ في الإحـصاء والعـددِ

فـيما ارتـديتَ مـن الأثـوابِ نفعمـهُ — لَثْمًا لِريحِكَ فيهـا مِن شَذَى الجَسدِ[٢]

في مَكْتَبِ الدَّرْسِ إذْ أَوْحَشْتَ مَقْعَدَهُ — والكتْـبُ قَـدْ فُجِعَـتْ في خَـيْرِ مُجْتَهِـدِ

تــركتَهنّ ثكــالى مــا نطيــق لهــا — لمــسًا تُولــولُ بالتــشتيتِ والبــدَدِ[٣]

وفي الــسَّريرِ الــذي فَارَقْـتَ مَـضْجَعَهُ — لَمـضْجعٍ في الثَّـرى المَهْجُـورِ مُنفَـرِدِ

---

١) تهفو : تشتاق .الندِي: النادي والسامر.

٢) اللثم : التقبيل – شذا الجسد : رائحته.

٣) البدد : التَّشَتُّتُ والتفرق.

فيها يشوقُ صباكَ الغَضَّ من نَغَمٍ ... وما يروقُكَ فيه من دُمَىً وَدَدِ[1]
في الزائرينَ وكَمْ أحببتَ مَقدِمَهمْ ... والوافدِين إذا جَاؤوا ولم تَفِدِ
في المغتدين إذا أَمُّوا مدارسَهم ... والرائحينَ إذا عادوا ولم تَعُدِ
فيها يلذُّك مما كُنتَ تَعْشَقُه ... من الطَّعامِ ومن ألوانِه الحُشُدِ
اليومَ نطعمُ ما أحببتَ مؤتدمًا ... بالدمع من بعد صفوِ العيشِ والرَّغدِ
قالوا: اصْطَبِرْ لقَضاءِ الله مُحتسبًا ... وكفكف الدمعَ من عينيكَ واقتصدِ
فَقُلْتُ: ما حِيلَتِي فِي الدَّمْعِ يَغْلِبُنِي ... وفي فؤادٍ بنارِ الوجدِ مُتَّقِدِ؟
هَبْنَا أفدنا ثوابًا فيه أو عِوَضًا ... ما ذنْبُهُ يافعًا أودى ولم يُفِدِ ؟![2]
فقدُ الأحبةِ أقسى ما نكابدهُ ... من الحياة فيا ويلي من الكبَدِ![3]
وللفراقِ تباريحٌ وأفدَحُهُ ... نوى حبيبٍ بجوف الأرض مُفتأدِ[4]
ضاقتْ عليّ رحابُ الأرض وانشعبتْ ... إلى طرائقَ شتَّى في الأسى قِدَدِ[5]
مصيبةٌ لو على ثهلانَ قد وقعتْ ... لباتَ من هولها يشكو إلى أُحُدِ[6]

---

١) الدمى : اللِّعب والتصاوير – الدد : اللَّعب واللهو.

٢) أودي : مات – لم يُفد : لم يستفد - يافعا : حديث السن.

٣) الكبد بفتح الباء : المشقة والعناء – التباريح : الشدائدُ.

٤) مفتأد : أصيب في فؤاده أي مات .

٥) طرائق قدد : متنوعة الحزن والأسى.

٦) ثهلان وأحد : جبلان.

صـمّاءُ لـيس بهـا للـصبرِ نافـذةٌ سـوى رجـاءٍ بلطـفِ الله منعقـدِ

أكَـادُ أقْتُـلُ نَفْـسِي حِـينَ أذْكُـرُهُ لَـولا يَقِينِـي وإيـماني ومُعْتَقَـدِي

آمنـتُ بـالله والآجـالِ قـدّرَها إذا انتهـى العمـرُ لم يـنقصْ ولم يـزدِ

وكـلُ حـيٍّ لـوردِ المـوتِ مرتحِـلٌ يـسعى متـى مـا يـصلْهُ رحلُـهُ يَـرِدِ

ممـا يعـزّي فـؤادي حـين أودعُـهُ بطـنَ الثرى ثِقَتي في الواحِـد الأحـدِ

وأنّ مَـنْ كَـانَ في قَلبـي وفي بَـصَري جَـارًا غـدًا فِي جِـوارِ الـوَارثِ الـصَّمَدِ

يـاربِّ قـدرْتَ فـالطفْ وابتليتَ فكـنْ عوني على حَمْلِيَ البلوى.. وكنْ عضُدِي

فـيما قـضيتَ علينـا حكمـةٌ خفيـتْ عـلى العقـولِ وإنْ جلَّـتْ عـن الفَنَـدِ[1]

لي عنـدكَ اليـومَ في خَطبـي ومحنتِـه جَاهٌ عـريضٌ..فكـنْ جاهي ومُلْتَحَـدِ[2]

إني فقـدتُ رشـادي في بُنَـيَّ ومَـنْ سـواكَ يـاربِّ يهـديني إلى الرشَـدِ؟!

كـلُّ المـصائبِ في الـدنيا لتعزيـةٍ إلا المـصيبةُ يـا ربَّـاهُ في الولـدِ!

***

١) الفند: الخطأ.

٢) الملتحد: الملجأ والملاذ.

فى مقبرة البساتين

نفسى فِداؤكِ ياأرضَ البساتينِ ... ففيكِ قبرٌ حَوى أندَى الرياحِينِ[1]

يا مُجْتلى العينِ فى أُفْقٍ يغيمُ أسىً ... بالدمْعِ والشَّجنِ المشبوبِ يُبكينى

ومَطمحَ النفسِ، دونَ الكون يجذِبُنى ... ودونَ كل مغانِى الأرضِ يُصْبينى

ويا مثابةَ روحى حِين يوحِشنى ... ليلُ الأسْى ودُجى البَلوى تُغَشِّينى

ومسرحَ الفِكْر فى صَحْوى وفى حُلُمى ... ومَفْزع القلبِ من هَمٍّ يُعنِّينِى

أصْبو إليكَ مَزارًا حِينَ يَعصفُ بى ... بَرحُ النَّوى ولظَى الأشواقِ يكْوِيْنِى

وأجْتليكَ فيزدادُ الغَليلُ لظَىً ... والقُربُ يَنشرنِى حُزنا ويَطوينى

وكيفَ يأسو جِراحِى أويُهدْهِدُها ... قُرْبُ المزارِ لعَينى أويُعَزِّيْنى؟!

لى فى ثَراكَ حَبيبٌ كنتُ أُسْكنُه ... عَينى وأفدِيه فى الدَّنيا ويَفدِينى

أجْثو على قبرِهِ أَسْوانَ مُنْتحبًا ... أسْقيه دَمعَ الأسْى لو كانَ يُجدِيْنى

وألثمُ التربَ مُشتاقًا أشُمُّ به ... عَبيرَ أطيبِ عُود فيه مَدفونِ

وأنثرُ الزهرَ مَنْضورًا على جَدَثٍ ... يَضُمُّ أنْضَرَ من وردٍ ونِسْرِينِ

يا طَالما كنتُ أرْعى غُصْنه أمَلا ... حُلوا ، وأسْقِيه من حُبِّى ويَسقينى

حَتى طواه الرَّدَى فى أوْجِ نُضرته ... وغالَه صَرْفُ دَهْرٍ غيرُ مَأمونِ

يازهرةَ العُمْرِ إنِّى هاهُنا ، أفَلا ... تُحسُّ خَطْوَ أبٍ لهفَانَ محزُونِ؟

---

١) تطلق الريحانة على الزهر الطيب الرائحة، وعلى الولد.

هيهـاتَ أن يرقـأَ الـدمعُ الهَتُـونُ إذا ... يَمَّمْـتُ مَثـواكَ مـن حِـينٍ إلى حِـينِ
بينـى وبينَـكَ قُـربٌ لـيس يُبْعِـدُنى ... لكنَّـه مُوغِـلٌ فى البُعـدِ يُقْـصِينى
أدْعوكَ من حيثُ يرتَدُّ النِّدَاءُ صَدَىً ... فَـلا تُجيـبُ نِـدائى أو تُلبينـى
وكنـتَ تَـسعى إلى لقيـايَ مُحْـتفِلًا ... جذلانَ تهتفُ بى شَوقا وتَدعونى
قُـمْ يـا بنـىَّ كـما عـوَّدْتنى ،وأعِـدْ ... بَشاشَةَ المُلتقى ، فالصَّمتُ يُضنِينى
وانهـضْ كـما كنـتَ سبَّاقًا تُبادِرُنى ... فَـما عَهـدتُك قَبـلَ اليـومِ تَجْفُـونى
إنِّـى أُناجيكَ مِـنْ وجْدِى فيخْدَعُنِى ... رَجْعُ الصَّدَى بِجوابٍ مِنْكَ مَظنُونِ
وأوْسِـعُ القَـبْرَ ضَـمًّا لاغنـاءَ بـه ... تَعوُّضًـا عـن عِنـاقٍ كـان يُغْنينـى
وَهْـمٌ أعلِّـلُ أشـواقَ الفـؤادِ بـه ... لَعلَّـه مِـنْ جِـراحِ القَلْـبِ يأسُونِى
ومـا وجـدتُ كحصنِ اللهِ يعـصِمُنى ... ولاحِمـى كحِمـى الإيـمانِ يُنْجينـى
أتْلـو عليـكَ كتـابَ اللهِ مَرْحَمَـةً ... وأسـتَطِبُّ بِـرُوْحٍ مِنْـه يَـشْفِينى
فيطْفـرُ الـدَّمعُ مـن عَينـىَّ مُمْتزِجًـا ... بـالآيِ حَتـى لأرْوِيهـا وتَروْينـى
كـم كُنـتَ تَـسعدُ مـشغوفًا بِرُقْيَتِـه ... وتَـستَزِيدُ رُقـىً مِنـه وتُغْرينـى
هـلْ تَـسمعُ اليومَ مـا أتلوهُ يـا ولـدى ... وتَـستريحُ لترتـيلى وتَلْحِينـى؟
مَثـواكَ كَـمْ أتَمَنَّـى لـو بقيـتُ بـه ... عُمْـرى إلى أجَـلٍ فِيـه يُـوافِينى
فَلَـستُ أبرحُـهُ إلا لأضربَ فى ... تِيـهٍ مـن العيشِ يُضْنِينِى ويُشقِينى
أعُـودُ بَعْـدك للبيـتِ الحـزِينِ فَـلا ... أرَاكَ بالبِـشْرِ والإقبـالِ تَحبـونِى

أهـيمُ فى كـلِّ ميـدانٍ بـلا هـدفٍ كـأنَّما وِجْهَتـى كُـلُّ المَيَـادِين

تاهَتْ خُطاىَ على دَرْبِ الحَياةِ وقَدْ فَقدتُ مَنْ كَانَ يَهديْنى ويَحدُونى

واحسرتِى حين أمْشى لا تُرافِقُنى وكنـتَ ظِـلىَ أحْميـهِ ويَحمينـى

إذا رآنِـى وحيـدًا مَـنْ تعَوَّدَنَـا مَعًـا راحَ يرثِـى لِى فَيُبْكِينـى

وإنْ سـلكتُ طَريقـا كـانَ يَجمَعُنـا سَقَيتُهُ من دُمُوعِى كُلَّ مَحْزُونِى

وإنْ رأيـتُ مكانًـا كنـتَ تَقْـصدهُ وقفْتُ ألثُمُـهُ والـشوقُ يَفرِينـى

وإنْ لمحـتُ شَـبيها مِنـك أذْهَلنـى وخِلـتُ أنَّـك حَـىٌّ ماثـلٌ دُونِـى

أستودِعُ اللهَ مـا أمَّلْـتُ فيـكَ ومـا فقدتُـهُ مِـن رجَـاءٍ كـان يُحْيِنِـى

يـاربِّ يـا مـانِحَ النُّعْمـى وسَـالِبَها رِضَاك يَمْنَحُنِى السَّلْوى ويُرْضِينى

سَـلَبْتنِى نِعمـةَ الـدنيا وزِينَتَهـا فلا يَكُنْ ذَاكَ حَظِّى مِنكَ فى الدِّينِ

* * *

الدمع الموصول

على دَمْعى أنامُ أسىً وأصْحُو ... وفى قلبى من التَّذْكَارِ جُرْحُ
أنُوحُ عَلَيْكَ يا وَلَدِى وإنْ لَمْ ... يُفِدْنِى أو يُفِدْكَ أسَىً ونَوْحُ
تساوتْ فيكَ آنائى دموعا ... وشجوًا واستوى ليلٌ وصُبْحُ
كَأنَّ الدَّمْعَ فى عَينىَّ طَبْعٌ ... ونَبْعٌ لايجفُّ ولا يَشِحُّ
إذا نَهنَهْتُه أغْراهُ كَفِّى ... وأطْغى فيضَهُ الشجَنُ المُلِحُّ

***

بعد عام

عَامٌ مَضَى وسَتَنْقَضِى الأعْوامُ ... والجُرْحُ مِثْلُ الأمسِ لا يَلْتامُ
قالوا : سيُنْسيكَ الزمانُ وكُلَّما ... مَضَتْ الليالى زادَتْ الآلامُ
هَيهاتَ بعدكَ أن تجفَّ مَدامِعى ... يومًا ويخبُو فى الفُؤادِ ضِرامُ
لاينطفى اللَّهَبُ المؤَجَّجُ لوعةً ... فى القلبِ مهما مرتِ الأيامُ
أبدًا جديدُ الذكرياتِ مُجدِّدٌ ... أسفًا عليكَ وحُرْقةً تحتامُ

***

فقيد الأزهر (١)

الدكتور محمد عبدالله دراز وافاهُ الأجلُ فى باكستان وهو يمثلُ الأزهرَ فى المؤتمر الإسلامي هناك عام ١٩٥٧م.

أُكَذِّبُ فى مَنْعَاكَ مَنْ جَاءَ نَاعِيا ... وأَعْلَمُ أن الموتَ أعْيا المُدَاوِيا

تَعِلَّةُ مَصْدوعٍ تَغَشَّاه فَاجِئٌ ... يَرُدُّ أَسَاهُ ذَاكِرَ القَوْمِ نَاسِياْ

إذا جُنَّ ليلُ الخطبِ أو طمَّ هَولُه ... رَأى حُلمًا من كان بالعينِ رائِيا

وما كلُّ خَطْبٍ تألفُ الأُذْنُ وَقْعَهُ ... فَرُبَّ صَدىَ خَطْبٍ يهزُّ الرواسِيا

ولم تَفْدَحْ الجُلَّى شَجِيَّ نَذِيرَها ... كما فدَحَتْهُ بالفُجَاءَةِ خَالِيا

نَروحُ على الدُّنيا ونغدو لموعدٍ ... تَساوى به من راحَ أو ظلَّ باقِيا

تَشابَه أهْلُوها دَفينًا ودافنًا ... ومَنْ كَانَ مَرْثيًّا ومن كانَ راثِيا

ومنْ وسَّدَ الأحبابَ فى التُّرْبِ مَيِّتٌ ... وإنْ عاشَ دهرا بعدَهم ولَياليا

يُقَسِّمُ فيهِمْ كُلَّ يومٍ فُؤادَهُ ... ويُحْسَبُ فى الأحياءِ من كانَ فَانِيا

نَحُثُّ الخُطا والموتُ يحْدُو رِكابَنا ... ونَبْنى المُنَى قَبرًا لمنْ كَان بَانِيا

ونُمعنُ فى الدُّنْيا صِرَاعًا وكُلُّنا ... على موردٍ للموتِ يَسقى الصَّواديا

وبينَ حياةِ المرءِ والموتِ زَفرةٌ ... فعشها كَريمًا شامخَ الرأسِ عَاليا

---

(١) لهذه القصيدة صورة أقدم من هذه كانت فى رثاء الشيخ مصطفى عبد الرازق ثم طورها الشاعر وغير فى أبياتها وألقاها فى حفل تأبين الدكتور محمد عبد الله دراز.

وكيفَ تُسيغُ الهُوْنَ والعمرُ واحدٌ إذا لم تكنْ يوما سِوى الله راجِيا

إِذا كَـان عَبـدُالله خَـلَّى مَكَانَـهَ فَـما كَـانَ هَيَّابَـا ولا مَتَوانِيَـا

سَلْ الأَزْهَرَ المعمورَ ما بالُه اغْتدى مِـن الهـولِ مَغْـشِيًّا عليـه وغَاشِـيا

تلاطـمَ فيـه الـدَّمعُ حَتـى كـأنما مآذنُـهُ أيْـدٍ تَـصدُّ الأوادِيـا

وباتَـتْ نَواحِيـه عليـه نَوائِحـا وأمْـسَتْ بواكِيـه عليـه بَواكِيـا

تَلَقَّـاهُ مَحْمُـولًا مُـسَجّىً وكَـمْ غَـدا إلى سَـاحِه بِـالأمسِ للهِ دَاعِيـا

مَضى باسْمِهِ من رَاحَ يرفعُ رأْسَه ويـنفَحُ (باكـستان) منـه غَوالِيـا

وكُنَّـا نُرَجِّـى فِيـه أوْبَـةَ سَـالِمٍ عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ يَقْظَان سَاعِيا

أَقَلَّتْـهُ فَتْخَـاءُ الجَنَـاحَيْنِ بَـارِحٌ تَئِـزُّ أَزِيْـزًا نَـائِحَ الجَـرْسِ بَاكِيَـا

تَطـيرُ الهُـوينى والملائِـكُ حَولهـا تُـشيِّعُ مَـرْضِيَّ الـشمائِلِ وافيـا

كساها جلال العلم والموت هيبه فيالك من نعش طوى الجو ساريا

وكَـمْ هَـزَّ أطْبـاقَ الأثـيرِ بِـصَوْتِهِ فَهـذا الأَثِـيرُ اليَـومَ يحدُوهُ حَانَيا

وكـم قـدْ غَـزا الآفـاقَ حيًّا بهدْيِهِ ومـازالَ بعد المـوتِ للأفـقِ غَازيا

هُوَ الموتُ بالسَّبَّاقِ يَمْضِى مُعَجِّلًا وبـالبَحْرِ فَيَّاضًـا وبـالنَّجْمِ هَادِيَـا

وبالفَـذِّ لَمَّاحًـا وبالنَّـدْبِ مَاجِـدًا وبِالوَرْدِ مَنْضُورًا وبِالغُصْنِ حَالِيا

تَخَطَّفَـهُ مـن سَـاحةِ العِلْـمِ فَجْـأةً فَـصَدَّعَ أكبـادًا وهـاجَ بواكِيـا

فـأينَ أمـانٍ كُـنَّ أحـلامَ خـاطرٍ طَموحِ المعالى لايَرى النَّجْمَ نائيا

تَعجَّلَـهُ المقــدورُ عنهــا وغَالَهَــا ... وأقْـسَى المَنَايـا مـا يَغُـولُ الأَمَانِيـا

فهـلْ كـانَ يـدرى يـومَ سـافرَ أنَّـه ... سيرجعُ محمولًا على النَّعشِ سَاجِيا؟

فَفِــى ذِمــة الــرحمنِ ســاعٍ لرَبِّــهِ ... ليلقــاهُ مَرْضِــيًّا عَليــهِ ورَاضِــيا

* * *

محمد الأسمر

توفى رحمه الله أثناء معركة العدوان الغاشم على بورسعيد عام ١٩٥٦.

عَصَفَتْ بأيكِ الرَّوْضِ وهْوَ مُنَضَّرُ ... خَرْقَاءُ مِنْجَلُها المنونُ الأصْفَرُ

طَافَتْ بِرَوْضِ الشِّعْرِ عَاتيةَ الخُطا ... والليلُ مُسْوَدُّ الجوانِبِ أكْدَرُ

وهوتْ بساجِعِه فباتَ مُضَرَّجًا ... شُلَّتْ أنامِلُهُ وجَفَّ المِزْهَرُ

فالطَّيرُ ثَكْلَى ،والرُّبَا مَفْجُوعَةٌ ... والزَّهْرُ سَاجٍ والخَمِيلُ مُعَفَّرُ

فى غَمْرَةِ الجُلَّى وهَوْلِ صِرَاعِهَا ... صَاحَ النَّعِىُّ وصَوْتُهُ يَتَعَثَّرُ

فَطَوتْ عَواصِفُ مِصْرَ رَجْعَ نَعِيِّه ... والخطبُ قد يطويهِ خَطبٌ أكْبَرُ

وصَحَتْ ليُسْمعَها القصيدَ كعهدِهِ ... وتَفَقَدَتْهُ فقيلَ: ماتَ الأَسْمَرُ

***

يَاسَاهِرَ الأنَّاتِ يَشْكُو جُرْحَهُ ... نَمْ لَيْسَ فِى دَارِ البِلَى مَنْ يَسْهَرُ

الموتُ راحةُ كلِّ عانٍ مُتْعَبِ ... ينْبُو بِه زَمَنٌ يَصولُ ويَزْأَرُ

مَنْ يَنْجُ مِنه يَذُقْ مَرَارَةَ كَأْسِه ... مِنْ صَاحِبٍ يَنأَى وحِبًّا يُقْبَرُ

فى كُلِّ يومٍ من فراقِ أحبَّتِي ... نَفْسى تموتُ ومُهجَتى تَتَفَطَّرُ

ويذُوبُ قلبى خلْفَ كلِّ مُوَدِّعٍ ... قِطَعًا فَقَلْبى كُلَّ يَوْمٍ يُشْطَرُ

أبكيكَ مُلتاعًا وليس بنافِعى ... قَلْبٌ يذوبُ وعَبرَةٌ تَتَحدَّرُ

وأنوحُ والشِّعْرُ الأصِيلُ مُرَدِّدٌ ... نَوْحى فإنَّك نَبْعُه المُتَفَجِّرُ

ضَـجَّتْ قَوَافِيـهِ وهَـاجَ رَوِيُّهـا أَسَـفًا عـلى صَـوَّاغِها وتَحَـسُّرُ
عَرَبِيَّـةُ القَسَماتِ لا عَجَمِيَّـةٌ يهذِى بها اليومَ النَّدِىُّ ويَسْمرُ
والشِّعْرُ مُوسِيقَى الكَلامِ مُفَصَّلًا لا مَا يُهلْهَـلُ نَظْمُـهُ ويُبَعْثَـرُ
رصَّـعْتُها فَـازْدَانَ مِنْها مِعْـصَمٌ وزَهـا بِها جِيْـدٌ وأَشْرَقَ مَنْحَـرُ
قد أَسْمَحَتْ دِيباجةً وسَلاسَةً إسْماحَ وجْهِكَ وهْوَ طَلْقٌ أَنْضَرُ
غُـرَرٌ تُصَوِّرُ فيكَ غُـرَّ شَمائِلٍ والشِّعْرُ منه مُصَوِّرٌ ومُزَوِّرُ
ما كنتَ إلا النَّبْعَ عَذْبًا صَافِيًا ساغَتْ مَوارِدُهُ وطابَ المَصْدَرُ
لمْ تَطْوِ حِقْدًا أوْ تُسِرَّ كَرَاهَةً أو يَجْرِ فى خَطَرَاتِ نَفْسِكَ مُنْكَرُ
خُلُقٌ كشِعْرِكَ جَلْوةً وسَماحَةً وسَرِيرةً بَيْضاءَ فيكَ تُصَوَّرُ
يا مَنْ يَهُزُّهُمُ الوفاءُ لراحلٍ قد فاتَنا وهْوَ الوفِىُّ الخَيِّرُ
تَبكى العُروبةُ فيه ساجِعَ أيْكها وأحَقُّ مَنْ يبكى عليهِ الأزْهَرُ
خَرِسَتْ مآذِنُه وكان أذانُها ودَوِىُّ مِنْبرِهِ فَعَىَّ المنبرُ
ياخالدَ الفُصحى بحسبك أنْ يفى شُعراؤها ويُخَلِّدُ اسمكَ عَبْقَرُ

❊ ❊ ❊

فقيد الإسلام
الإمام الشيخ محمود شلتوت

أذْهَلنِى الخَطْبُ فَعِىَّ الكَلامْ — وجَلَّ عن شَجو المَقالِ المَقامْ
قَدْ يُفْحِمُ الهَوْلُ إذا أطْبَقَتْ — عَلى دَياجِيهِ الغَواشِى الجِسَامْ
يا شَاعِرَ الفُصْحَى أقل العَنا — أفْصَحُ شَيءٍ فى الوُجُودِ الحِمَامْ
آمنتُ باللهِ .. ومقدورِه — فما لحىٍّ غيرِه من دَوَامْ
نَسيرُ فى الدُّنْيا إلى مَوْعِدٍ — عَلى بِساطٍ أرْيحىٍّ المُدامْ
سَاقِيهِ لا يُخْطِئُ نُدْمَانَهُ — وكَفُّهُ تَقْرَعُ جَامًا بِجَامْ
كُلُّنا غَادٍ عَلى وِرْدِه — كَأَنَّهُ صَادٍ يَروِّى الأُوَامْ
ونَقْتُلُ العُمْرَ احْتِرَابًا وَمَا — فِى المَوتِ مِنْ بُغْضٍ ولا مِن خِصَامْ
يُعانِقُ الظَّالمُ مَظْلُومَهُ — ويجْمَعُ الأعداءَ فيهِ السَّلامْ
حَياتُنا ومْضٌ وأعمارُنَا — خَيالُ أطْيافٍ ورُؤْيا مَنامْ
ما بَيْنَ مَهْدِ المَرْءِ أَوْ لَحْده — دُنيا رَضاعٍ والمَنايَا فِطَامْ
والحىُّ مَيْتٌ إذْ يحثُّ الخُطا — إلى المصيرِ الحَتْمِ بينَ الزِّحامْ
ويَستوى المُخْتالُ فوقَ الثَّرى — حَيًّا ومَنْ يرقدُ تحتَ الرِجامْ
وعَبْقَرِىٌّ بَيْنَ أهْلِ النُّهَى — وجَاهِلٍ يَمْرَحُ بَينَ السَّوامْ
يا عادىَ الموتِ بأىِّ الوَرَى — أوْدَيتَ ؟ أصْمَيتَ قلوبَ الأنامْ

طويـــتَ مِـــنْ أروعِ أعْلامِنـــا ... عَنـــا إمامًـــا ، يالَـــه مـــن إمِـــامْ

العَـــالِمُ الثَّبــتُ الفَقِيـــهُ الـــذِى ... كـــانَ لـــدِينِ الله أقْـــوَى دِعَـــامْ

والثـــائرُ الحُـــرُّ الـــذى لم يلـــنْ ... فى الحـــقِّ أو يأخُـــذْهُ فيـــه المَـلامْ

والـــساطِعُ الـــرأيِ يُجـــلىِّ بـــه ... مـــشاكلَ العـــصرِ ويجلـــو الظـلامْ

والـــدامِغُ الحُجَّـــةِ يُـــصْمِى بهـــا ... مُـــشابِهُ الـــشَّكِّ ويَفْـــرِى الـــسِّهامْ

وَوَاسِـــعُ الأفْـــقِ ، بَعِيْـــدُ المَـــدَى ... وسَـــاحِرُ القَـــوْلِ ، فَـــصيحُ الكَـلَامْ

مُجَلْجِلُ الصَّوْتِ الرَّحِيبِ الصَّدَى ... كَـــزَأْرَةِ الـــضِّرْغَامِ بَـــينَ الأَجَـــامْ

كَـــمْ هَـــزَّ أسْـــمَاعَ الـــوَرَى رَجْعُـــهُ ... فَاسْـــتَيقظَ الغَـــافِى وهَـــبَّ النِّيـــامْ

قـــالوا: فتـــاواهُ ، وحَـــسْبُ العُـــلا ... والمَجدِ أن نُحْصى عُيوبَ الكِرامْ

ورُبَّـــما جَـــرَّ اجتهـــادُ الفَتـــى ... إلى حَـــلالٍ مُـــشْبِهٍ للحـــرامْ

وقيـــلَ : قَـــد آذى بإحـــسانِه ... لِمَـنْ رأى الحُـسْنى هَـوىً وانْتقـامْ

أحْـــسِنْ وإنْ لم تَلْـــقَ إلا الأَذى ... وازْرع ولـو تجنـى عقـوقَ اللئـامْ

الـــرَّوْضُ يَحبـــو عِطْـــرَ أزْهَـــارِه ... لِـــساجِعِ الطَّـــيرِ وصِـــلِّ الـــسِّمامْ

والأيْـــكُ مـــا ضَـــاقَ بِأَفْنَانِـــهِ ... عَـنْ نَاعِـبِ البُـومِ وشَـادِى الحَـمَامْ

ياراقـــدًا فى الخُلْـــدِ تحـــتَ الثَّـــرى ... وذِكْـــرُه يـــسطَعُ فـــوقَ الغَـــمامْ

مـــا فَـــلَّ مِـــنْ عَزْمِـــكَ إلا الـــرَّدَى ... ورُبَّـــما فَـــلَّ الحُـــسَامُ الحُـــسَامْ

مَـــشَى إلى سَـــاحِكَ فى غَفْـــوةٍ ... فأسْكَتَ الصَّوْتَ الشَّدِيدَ العُرامْ

وصَاحَ ناعِيكَ بِسَمْعِ الدُّنى ... فأعْوَلَ البيتُ وضَجَّ الشَّآمْ

أبْكيكَ للحائرِ فى دينِهِ ... عرَّفْتَه الحقَّ فصلَّى وصَامْ

أبكيكَ يا (محمودُ) ليتَ البُكا ... يُجدى انتفاعًا أو يُنِيلُ المَرامْ

فيا عَصِيَّ الدَّمْعِ أسْعفْ لَظَى ... مُهْجَتِيَ الحَرَّى وأطْفِ الضِّرامْ

بَعْضُ الوفاءِ الحرِّ من شَاعرٍ ... يُجِل فيك الأريحيَّ الهُمامْ

أوْلَيْتَنى الحُبَّ ، وياطَالما ... أطْرَيْتَ شِعْرِى فى بدِيعِ النِّظامْ

وكُنْتَ تَبْغِى عِبْرَةَ فِى الرَّدَى ... فَهَلْ وَعَيْتَ اليَومَ وَعْظَ الحِمامْ ؟

يا ساهِرَ الشَّكْوى عَلى جُرْحِه ... نَمْ فالمنايا للجِراحِ الْتِئامْ

ويَا حَلِيفَ السُّهْدِ مِن سُقْمِه ... لا تَشْكُ بَعد اليومِ سُهْدَ السِّقَامْ

بَلَغْتَ أقْصَى رَاحَةٍ فَاسْترِحْ ... لَدَى حِمَى الله بِدارِ السَّلامِ

اللهُ يَجْزِيكَ بِإحْسَانِه ... عَنَّا ، ويَلقاكَ بِحُسْنِ الخِتَامْ

* * *

عاهل الكويت

أُلقيت فى الحفل الذي أقامته جامعة الأزهر فى ١٥ فبراير ١٩٦٦ لتأبين عاهل الكويت الراحل الشيخ عبدالله السالم الصباح ، تقديرا لما أسداه من خير ومعونة.

سَاجِعٌ أرَّقَ اللَّيالِي نُوَاحُهْ ... خَضَّبَتْ دَوْحَةُ (الكُوَيْتِ) جِرَاحُهْ

جَرَّرَ السَّاقَ بالخميلِ المُسَجَّى ... وارْتَمَى فَوْقَهُ مَهِيضًا جَنَاحُهْ

مُوْحِشٌ يَنْفُضُ الخَرِيفُ عليه ... عَصْفَ أوْراقِهِ ، وتَعوى رِياحُهْ

راحَ عَنْ رَوْضِه الرَّبِيعُ المُرَجَّى ... فَشَجَاه غِيابُهُ ورَواحُهْ

إيهِ يا رَوْضُ هَلْ شَهِدتَ طَرِيحًا ... خَنَقَتْ عَذْبَ شَدْوِهِ أتْرَاحُهْ؟

هَزَّنِى خَطْبُهُ وهَاجَ شُجونِى ... وأنا شاعرُ الأسى صَدَّاحُهْ

عَرَبِىٌّ أنَا ، بُكَاهُ بُكَائِى ... وسِلاحِى عَلى الخُطُوبِ سِلاَحُهْ

وَطنُ العُرْبِ واحدٌ يتلاقَى ... مِن أقاصِيهِ سُقْمُه وصِحَاحُهْ

وإذا رَبِيعٌ مِنْهُ رُكْنٌ تَداعَتْ ... لأسَاهُ هِضابُهُ وبِطاحُهْ

وإنَّما مِصرُ للكُوَيْتِ شَقيقٌ ... ضَجَّ فى سَمْعِهِ الشَّجِيِّ صِياحُهْ

رَوَّعَتْ فُلْكَهُ العَواصِفُ حَتَّى ... غَابَ فى لُجَّةِ الرَّدَى مَلَّاحُهْ

وتَغَشَّته وجَمَةٌ جَلَّلَ الأفْقَ دُجاها فاسْوَدَّ مِنها وِشَاحُه

ماتَ (عبدُ الله الصَّبَاحُ)ووَلَّى ... فصَحَا ليلُه ، ونامَ صباحُهْ

مَن يَصُدُّ المنونَ أو يَتَّقِيهِ ... إن عَدا رَيْبُهُ ونَدَّ جِمَاحُهْ؟

هــو ســافٍ، كـــلُّ الأنـــام نـــداماه، ســـواءٌ قباحُـــهُ ومِلاحُـــهْ

دائِــرُ الكَــأسِ مــا تَخَطَّــى نَــديمًا مُـــذْ أُدِيْـــرَتْ مَرِيـــرةً أقْداحُـــهْ

نَحْـــنُ أبنـــاؤه ، فيالـــكَ مِـــنْ سَـــاقٍ لأبنائِـــهِ تُشَعْـــشَعُ رَاحُـــهْ

إنَّـــما هـــذه الحَيـــاةُ سَرابٌ ضَـــلَّ مَـــنْ غَـــرَّهُ بِهـــا لَمَّاحُـــهْ

وقُيــودٌ للــرُّوحِ لابــدَّ أنْ يُطْلَــقَ يومًـــا مـــن سَـــجْنِهِنَّ سَرَاحُـــهْ

وغَـــدٌ غَيْبُـــهُ المُحَجَّـــبُ عَنَّـــا بِيـــدِ الله وَحْـــدهُ مِفْتَاحُـــهْ

رَحـلَ العاهـلُ الـذى صَـانَ مُلْكًـا شَـــادَ مَغنـــاهُ عَزْمُـــهُ وكِفاحُـــهْ

وبنــى مَجْــدَهُ ، ولَمْ يــأْلُ حَتــى عَمُــرَتْ بالرخــاءِ والعِلْــمِ سَــاحُهْ

ورَعَــى اللهَ فى غِنــاه فَلَــمْ يَبْطَــرْ ولم يأتـــشِبْ بِظُلـــمٍ صُرَاحُـــهْ

أرْيحِـــيُّ الـــسَّخاءِ مـــا فَارَقَتْـــهُ بَـــسْمَةُ البَـــذْلِ أوعَـــداهُ ارْتِياحُـــهْ

كَــمْ حَبــا العِلْــمَ جُــودُهُ ونَــداهُ وحَمَـــى الـــدِّينَ بِـــرُّهُ وصَـــلاحُهْ

فـــإذا الأَسْـــوَدُ الـــدَّفوقُ نُـــضَارٌ شَــعَّ فى غمــرةِ الــدُّجى مِــصْبَاحُهْ

قُـــوةُ الحـــاكمينَ مـــالٌ وعَـــدْلٌ إنْ أُتِيحــا للــشَّعْبِ تَــمَّ فَلاحُـــهْ

عَـــرفَ الأزْهـــرُ الـــوَفىُّ لـــه الفـــضلَ وقـــدْ هَـــزَّ جانِبيـــهِ سَـــماحُهْ

نَفحـــاتٌ لـــه تَـــوالى نَـــداها عَـــاطرًا كالـــشَّذا تَـــوالى نُفاحُـــهْ

وهِبَـــاتٌ لنَهْـــضَةِ الـــدِّين والعِلْـــم حَبَتْهـــا للأزْهَـــرِّيين رَاحُـــهْ

وأقامـــتْ للأزْهريـــاتِ حِـــصْنًا عَـــصَمَ الـــدينَ بِيـــضُهُ ورِماحُـــهْ

قُدوةٌ أكبرتْ رسالتَهُ الكبرى لِمَن ضَاقَ بالعَطاءِ شَحاحُهْ

واحْتِسَابٌ لله ، لا لِرياءٍ تَترَضَّى غُرُورَهُ أمْدَاحُهْ

إنَّما المَالُ للغَنِيِّ امْتِحَانٌ فيهِ خُسْرَانُهُ وفِيه رَبَاحُهْ

* * *

إيهِ آلَ الصبَّاحِ ما ضلَّ شَعْبٌ أنْتُمو فِي سَمائِه أصْبَاحُهْ

كُلَّمَا مَالَ لِلْغُروبِ صَباحٌ لاحَ مِنْكُم صُبْحٌ يَشعُّ لِياحُهْ

فَخُذوا الرَّاحِلَ الكريمَ مِثالًا رَائِعَ النَّهْجِ يُحْتَذى إصْلاحُهْ

واحْفَظُوا نِعْمةَ الإلهِ بِشُكْرٍ عَاطِرٍ يَغْمُرُ الحِمى فَوَّاحُهْ

واذْكُروا الأزْهرَ الذى فَرَعَ النَّجمَ ذُراهُ وأعْرَقَتْ أدْواحُهْ

لم يزلْ يقهرُ النوازِلَ حتى أعْجزَ الدَّهرَ سَبْقُهُ ونَجاحُهْ

قَبسٌ مَاخَبَا سَنَاهُ لِسَارٍ ومَعِينٌ لم يُفْنِه نُزَّاحُه

وابذُلوا للنُّهوضِ بالدِّينِ والعِلْمِ ففى أرْضِكُم يفيضُ مُتاحُهْ

سَالَ بالنِّفْطِ نَبْعُها لِحِماكُم لا لِعَادٍ على الحِمَى يَمتاحُهْ

إنْ أوْطانَكم أحَقُّ وأوْلَى مِنْ غَريبٍ يُجْبَى له مُسْتباحُهْ

أشْعِلوهُ على (يهوَد) جَحيمًا وانْفُثُوه صَواعِقًا تَجْتاحُهْ

لفلسطينَ فى العُروبةِ ذنبٌ كُلُّ أبنائِها عَليهم جُناحُهْ

* * *

يَـا بَنِـى الـسَّالِمِ الـصَّباحِ سَـلِمْتُمْ وَصَـفَا وِرْدِكُـم وطَـابَ قُرَاحُـهْ

الـصَّبَاحُ الجَديـدُ أشْرقَ فـيكمْ فَجَـلا غيمـةَ الأسَـى وضَّـاحُهْ

وعـلى أرْضِـكُم أطَـلَّ سَـناهُ فأَدَالـتْ أحْـزَانكُم أفْراحُـهْ

حَـسْبُكُم فى العَـزَاءِ أنْ خَلَـفَ الرَّاحِـلَ مِـنكُمْ مَـنْ لا يُفَـلُّ سِـلَاحُهْ

عَاهِـلٌ مِـنْ بنـى الـصَّبَاحِ عَرِيـقٌ تَفْتَديـهِ مِـنْ شَـعْبِهِ أرْواحُـهْ

* * *

مصرع بلبل

شاعرٌ شابٌّ وافته المنية وهو يتهيأ للاشتراك فى مهرجان أدبى.

قلـتُ للـروضِ وهْـوَ فى جلـوةِ الفـنِّ وروحِـى تهفـو إلى المِهرجـانِ

والـضُّحى يغمـرُ المـروجَ سَـناهُ   والربيـعُ الـضَّحوكُ فى العُنفـوانِ

والـشَّذا يـوقظُ البَلابِـلَ للـشدْوِ ويُـوحى بأعـذبِ الألْحـانِ

إيـهِ يـا روضُ مـا لِطـيْرِكَ أضْـحَى   سَـاهِمًا مُطْرِقًـا عـلى الأَفْنـانِ؟!

وحلـوِ النَّـشيدِ صـارَ نُواحًـا   فِى تباشـيرِ عُرْسِـكَ المُـزْدانِ ؟!

***

مَـادَهى رَوْضَىَ الحَبِيـبِ فأمْـسَى   جَـفَّ يَنْبُوعُـهُ وشَـحَّ الرَّبِيـعُ

لهَـوَاتُ الطَّـيرِ غُـصَّتْ نَـشِيجًا   والأغَارِيـدُ بَلَّلَتْهَـا الـدُّمُوعْ

والأزاهـيرُ ذَابِـلاتُ الأمَـانِى   إنْ كَواها الصَّدَى سَقاها النَّجِيعْ

عَـصَفَتْ بالـشُّموعِ ليلـةُ العُـرْسِ رِيـاحٌ تَـذوبُ فيهـا الـشُّمُوعْ

خَفْقـةٌ ثُـمَّ وَمـضَةٌ ثـم صَـمتٌ   مُـوحِشٌ لَـفَّ فى دُجَاه الـسُّطُوعْ

***

قَالَ لى الرَّوْضُ:هـاتِ دَمْعكَ هـاتِ   واسْـقِ مَيْـتَ الـوُرودِ بـالعَبَراتِ

كـانَ بـالأمسِ بـينَ طَـيرى صَـدوحٌ   ذهبِـىُّ الأنْغَـامِ والنَّـبراتِ

جـاءَ يَـسعى شَـوقا إلى مهرجـانى   ويَحُـثُّ الخُطـا إلى أيْكَـاتِى

هَـــاتِفٌ بـــالمُنى ،حَفِيًّـــا وَفِيًّـــا فى رَبيــعٍ مــن الــشَّبابِ مُــواتِى
حَــسدتْهُ المنــونُ صَــوْتًا وشَــدْوًا فَرَمَتْـــهُ بِـــسَهْمِها فِى اللَّهـــاةِ

* * *

قُلـتُ :يـاروضُ فالمُصَابُ مُـصَابى والعَــذابُ الــذى تُحــسُّ عَــذابى
خِـــدَعٌ هـــذه الحيـــاةُ ووهْـــمٌ ضَاعَ فيه رُشْدى وضَـلَّ صَـوابِى
غَايَـــةُ العِلْـــمِ والكِفـــاحِ فَنَـــاءٌ وقُــصَارَى المُنَــى خِــدَاعُ سَرَابِ
لهْــفَ نَفْــسى عَــلى شَــهيدٍ فَقَــدْنَاهُ نَــضِيرُ الآمــالِ، غَــضُّ الإهَــابِ
كــل خطــبٍ يهــونُ بالــصبرِ إلا أن أقسى الخطوبِ موتُ الشبابِ

* * *

عـــزاء(١)

أنــا مـــن ذاقَ فُرْقـــةَ الأحبــابِ ... واكتَــوَى قلبُــه بنــارِ العـــذَابِ

يا أخِي يا (زكيُّ) جُرْحُكَ جُرْحي ... والمُصابُ الـذى دَهـاكَ مُصَابِى

جَمَــعَ الحـــزنُ بيننـــا فكلانـــا ... غَالــه دَهْـــرُه بِظُفْـــرٍ ونَـــابِ

إنْ تكُـــنْ قـــد فقـــدتَ أكـــرمَ زوجٍ ... فأنـا قـدْ فقـدتُ زَيـنَ الـشبابِ (٢)

كُلَّـما جِئــتُ كَــى أُعَزِّيْــكَ فِيهــا ... غَلبَ الـدَّمْعُ عَزْمَتِى بِانْـسِكَابِ

وتَـــذَكَّرتُ مَـــا دَهـــانِى فأمْـــضَى ... فى أنِيْنِـــى ولَـــوْعَتِى وانْتِحَـــابِى

فلـــكَ اللهُ مِـــنْ لَظـــى ذِكريـــاتٍ ... كُـــلَّ يـــومٍ نيرانُهـــا فِى التِهـــابِ

لـيسَ أقـسَى مـن ذكريـاتِ حبيبٍ ... غَـاب عنَّـا وصَـارَ رَهْـنَ الـتُّرابِ

كُنـتَ قبـلَ المُـصابِ أسـعدَ زوْجٍ ... ينهَـلُ الـصَّفْوَ بـالمُني والرِّغـابِ

فَعَزِيـــزٌ عَـــلَى أَنْ تُـــصْبِحَ اليَـــوْمَ حَلِيفًـــا لِوَحْـــشَةٍ واكْتِئَـــابِ

ياصَـــديْقِى الـــوَفِى عَـــزاءً وصَـــبْرًا ... وارْجُ عِنْـدَ الإلـهِ حُسْنَ الثَّـوابِ

***

---

١) هذه القصيدة عزاء لزكي مجاهد صديقي في زوجته.

٢) فقدتُ ولدي الوحيد (محمد) قبل ذلك في نفس العام.

الشعر الاجتماعي



المَكفُوفُ

مَـنْ لِسَارٍ فِي الليْـلِ طَـالَ سُـرَاهُ وَمحَـا نُـورَ نَاظِرَيْـهِ دُجَـاهُ ؟

كُلُّ لَيْلٍ يَمْضِي فَيا ليْتَ شِعْرِي لَيْلُـهُ السَّرْمَدِيُّ مـا مُنْتَهَـاهُ ؟!

الـضُّحَى والأصِـيلُ والـصُّبْحُ واللَّيْـلُ تَـسَاوَتْ فَكُلُّهَـا أَشْبَـاهُ!

وَضُـرُوبُ الأَلْـوَانِ مُتَّفِقَـاتٌ فِـي سَـوَادٍ تُحِسُّهُ مُقْلَتَـاهُ

لاَ يَـرَى جَلْـوَةَ الرَّبِيـعِ إذَا اخْتَـالَ ولاَ البـدْرَ حِـينَ يَبْـدُو سَنَـاهُ

لاَ وَ لاَ يَجْـتَلِي سَـنَى الـشمسِ رَقْرَاقًـا إذَا فَـضَّضَ الوجـودَ ضُحَـاهُ

وَإذَا ذَهَّـبَ الأصيـلُ رَوَابِيـهِ عَـدَا طرفَـهُ اجتـلاءُ رُبَـاهُ

وإذَا الطـيرُ رَدَّدَ اللحـنَ فـي الـدَّوْحِ مَـضَى لا يُحِـسُّ إلاَّ صَـدَاهُ

كُـلُّ مـا في الوجـودِ مِـنْ فِـتَنِ الدنْـيَا لَوَتْـهُ عَـنْ سِحْـرِهِ دُنْيَـاهُ

أَبَـدًا يَحْتَوِيـهِ سِجْـنُ لَيَالِـيهِ ومـا فيـهِ مـن سَجِيـنٍ سِـوَاهُ

***

إنْ مَـشَى سَـارَ مُرْتَعِـشَ الخَطْـوِ وَئِيـدًا تَخْـشَى الأَذَى قَدَمَـاهُ

وَإذَا لَـمْ يَجِـدْ رفيقًـا وفِيًّـا أرشَدَتْـهُ إلـى الطريـقِ عَـصَاهُ

أَوْدَعَ اللهُ نفـسَهُ دِقَّـةَ الحِـسِّ ففـي حِـسِّهِ الدقيـقِ هُـدَاهُ

وجَـلاَ سَـمْعَهُ فـلا يخطـئُ الهمْـسَ ونجـوى النـسيمِ في مَـسْرَاهُ

يُرْهِفُ الأُذْنَ حين لا تسعفُ العيْنُ خُطاهُ فَعَيْنُهُ أذْنَاهُ

وإذا ضَلَّ راحَ يفغرُ فَاهُ مستغيثًا ولوَّحتْ كفَّاهُ

لو تراهُ محملِقًا مُصْغِيَ الجِيدِ رأيتَ العجيبَ فيما تراهُ

لهفةٌ للرؤى تثيرُ أمانيهِ فيرجو اجتلاءَها ناظراهُ

ثم يرتدّ شَوْقُهُ حَسَرَاتٍ يا لشَوْقِ الأعْمَى ويَا لُمَناهُ!

ليسَ أشْقى مِن فَاقدٍ نورَ عينهِ وأغلى ما في الفتى عيناهُ

أَيُّ طعمٍ للعيشِ إذْ لَمْ يَرَ الدُّنْيا وما حظُّه.. وماذا جَنَاهُ ؟

ما لَهُ في حياتِه من عَزَاءٍ أو رَجَاءٍ يُسلِّيهِ إلاَّ اللهُ

هوِّنِ الخطبَ يا أخي إنَّ هذا زَمَنٌ لَمْ تَعُدْ تَسُرُّ رؤاهُ

حسبُكَ العزلةُ التي أنتَ فيها حين شاهتْ دنيا بَنِيهِ وشاهُوا

إنَّ في نفسِكَ الجميلةِ دنيا من جمالٍ يُغْنِيكَ عما عَدَاهُ

لكَ يا رَبِّ في النوازلِ سرٌّ عيَّ فهم العباد عن معناهُ

كلُّ خطبٍ قَدَرْتَهُ يا رحيمًا لك فيه لطفٌ يدقُّ خفاهُ

قد سلبتَ الأعمى وأعطيتَ حتى صحّ عدلُ القضاءِ فيما قضاهُ

إن تكنْ قَدْ حَرَمْتَهُ نُورَ عينيهِ ففي قلبه يَشِعُّ ضِيَاهُ

لـيسَ بـالعَينِ مبـصرٌ أو كفيـفٌ   بَــصَرُ المــرءِ قلبُــهُ أو عَـمَــاهُ

رُبَّ أعمـى منحتَـه منـكَ نـورًا   ورفعــتَ الحجــابَ حتــى رآهُ

وســكبتَ الــذكاءَ في حــسِّهِ المــرْهَفِ حتــى أنــسيتَه مــا دَهَــاهُ

يــدركُ الخاطــرَ الخفــيَّ بحِـسٍّ   يـسمعُ النمـلَ في دبيـبِ خُطَـاهُ

وأديـبٍ ماضــي اليــراعِ بَــرَاهُ   خالــقُ النابغيــن حتــى بَـرَاهُ!

وفريـدٍ فــي شعــرِهِ عبقــريٍّ   ينفـثُ الـسحرَ أو يفـضُّ رُقَـاهُ

وصَنَــاعٍ تجيــلُ أنملُــهُ النَّــوْلَ عــلى لُحمــةِ الكِــسَا أوْ سَــدَاهُ

وشَــجِيِّ الألحــانِ إنْ رَتَّــلَ الذِكْــرَ أَتَــى اللهَ تائبًــا مَــنْ عَــصَاهُ!

وفَتَـاةٍ غَطَّــى الجمــالَ عَمَاهَــا   وكَـسَاهَا مــن سِحْـرِهِ وحُـلاَهُ

نِعَــمٌ هَانَــتِ المـصائبُ فيهـا   وعــزاءٌ ينـسي المـصابَ أسَــاهُ

* * *

أيهــا الناعمــونَ بالحَــدَقِ النُّجْــلِ ومَــا فاتَهُــمْ غِنًــى أوْ جَــاهُ

اذكــروا نعمــةَ الإلــهِ عليكــمْ   وأعينـوا الأعمـى علـى بلـواهُ

أطلعــوا صبـحَ ليلـهِ بالأمانـي   وأصيخُــوا إلــى مريـرِ نِـداهُ

وانــشلوهُ مــنْ بحــرِهِ الهــادرِ المَــوْجِ ومــنْ لجِّــهِ الــذي قــدْ طَــوَاهُ

واكفلـوهُ فربَّمَا صَـارَ يومًـا علمًـا يهتـدي الحِمَـى بِهُـدَاهُ

شَرُّ مـا يَقْتُـلُ المواهـبَ إغْفَـالٌ وداءُ النبـوغِ أَنْ تنـسَاهُ

لاَ يُـضيِّعُ اللهُ حُـسْنَ صَنِيـعٍ فاغنموا شُكْرَهُ وحُوزُوا رِضَاهُ

* * *

أمل الفلاح (١)

" فازت بالجائزة الأولى فى مسابقة الشعر البريطانية عام ١٩٤٥ "

وكانت لجنة التحكيم من : الدكتور طه حسين ، والأستاذ عباس العقاد والأستاذ أحمد حسن الزيات .

اللهَ للفَـــــلاَّح فِي بُؤسِـــــهِ وصَرخَـــةِ الآمَـــالِ فِي نَفْـــسِهِ

يَبْخَـــسُه الـــدَّهرُ وأوْطَانُـــهُ عَـونٌ مـع الـدَّهْرِ عَـلى بَخْـسِهِ

ومَـــا سَرَى فِي أفقـــه كَوْكَـــبٌ إلا وغَـضَّ الطَّـرْفَ مِـنْ نَحْـسِهِ

مُـضنيً يقـصُّ الـدهْرُ مِـن كَدْحِـهِ وتـــسْمُرُ الأيَّـــامُ فِي بَأْسِـــهِ

عَـــلَى مُحَيَّـــاهُ سُـــطُورُ الفَنَـــا قـد خطَّهـا المَقْـدُورُ فِي طِرْسِـهِ

مُـنَغَّصُ الـصَّفْحَةِ يَطْـوِى بِهَـا دَفَـــائِنَ الأسْرَارِ عَـــن تَعْـسِهِ

تُحَـــسُّ ذلَّ البـؤسِ فى صَـوتِهِ وتُـدْرِكُ التَّـبْرِيْحَ مِـنْ جَرْسِـهِ

الفَقْـــرُ والجَهْـــلُ وأسْـــقَامُهُ مَعَـــاوِلٌ تَهْـــدِمُ فى أُسِّـــهِ

يَبِيــتُ صِـفْرَ اليَـدِ مِـن عُدْمِـه والـذَّهَبُ الإبْرِيْـزُ مِـن فأسِـهِ

وقُوتُـــهُ مَـــا خلَّفَـــتْ أرْضُـــهُ مِـنْ حَنْظَـلِ الـزَّرْعِ ومِـنْ يَبْسِهِ

يَعِـــيشُ بَـــينَ الـــبَهْمِ فِي كَوْنِـــه كَأنَّـــهُ لَمَ يَـــكُ مِـــنْ إنْـــسِهِ

---

(١) من ديوان " وحى الربيع ".

مَــنْ أسْــكَنَ المُــتْرَفَ فِرْدَوْسَــهُ ... يَــسْكُنُ فِى المُعْــتِمِ مِــن رمْــسِهِ

ومَــنْ كَـسَا الـوَادِى حَرِيْـرَ المُنَـى ... مُرَقَّــعَ الأَطْــمَارِ مِــنْ لِبْــسِهِ

فكَــمْ شَــواهُ القَــيظُ فى جَمْــرِهِ ... وكَــمْ طَـوَاهُ الــبَرْدُ فِى قَرْسِــهِ

جُنْدِيُّـــهُ المَجْهــولُ فِى كَدْحِـــهِ ... ورَمْـــزُهُ الـــصَّادِقُ فى قُدْسِـــهِ

مَــنْ كُلَّــمَا مَــسَّ الثَّــرَى كَفُّــهُ ... أحَالَـــهُ تِـــبْرًا لَــدَى مَــسِّهِ

عَــيٌّ فــصيحُ الــشكوِ فى عِيِّــهِ ... يَبُثُّـــــــــهُ للهِ فِى هَمْـــــــــسِهِ

قَــدْ خَطَّهَــا شَــكْوىً عَــلَى أرْضِـهِ ... ذَاكَ الــيَرَاعُ الحُــرُّ مِــن فَأْسِــهِ

هَــلْ لِلْمُنَــى الجَرْحَــى بأحْــشَائِهِ ... هِــزَّةُ عطــفٍ مِــنْ بَنِــى جِنْــسِهِ ؟

فَكَفْكِفُــو المَــسْفُوحَ مِــنْ حُزنِــهِ ... وبَـــدِّدُوا المُرْبَـــدَّ مِــنْ يَأْسِــهِ

طِبُّــوا لعــاصِى الــداءِ فى جِــسْمِهِ ... واشْــفُوا عُــضَالَ الجَهْــلِ فِى نَفْــسِهِ

واسْــقُوهُ عَــذْبَ المَــاءِ ، لا آسِــنًا ... يُرَنِّــقُ (المِكْــرِوْبَ) مِــنْ كَأْسِــهِ

وكافِحُوهَـــــا فِيـــــهِ أمِّيَّـــــةً ... تَنْفُــثُّ رُوْحَ الــشَّرِّ مِــنْ رِجْــسِهِ

تُــضَاعِفْ الــصِّحَّةُ مــن عَزمِــهِ ... ويُرهِــفْ التَّعلــيمُ مِــنْ حِــسِّهِ

لا تَحْرِمُــوهُ مِــنْ جَنــى غرْسِــه ... واحمُــوا الجَنَــى الغــالىَ مِــن وَكْــسِهِ

واسْـــتَبدِلُوا مـــن كَوْخِـــه جَنَّـــةً ... مِـــن رافِـــهِ العَـــيْشِ وفِرْدَوْسِـــهِ

هَـــذِى أمانِيـــهِ .. نَـــواعِيرُهُ أَشْـجَتْ بِهـا الـشَّادُوفَ فِى مَيْـسِهِ

يلهـو الحِمَـى النـاعِمُ فى خَيرِهـا عَـنْ مـأتَمِ الفَـلَّاحِ فِى عُرْسِـهِ

خَلُّـوهُ والـسلمُ رفِيـفُ المُنـى يـستقْبلُ الآمـالَ مِـنْ شَمـسِهِ

أنْ تُـسعِدُوهُ اليـومَ فِى ظِلِّـهِ ينَسَ مَريـرَ العَـيشِ مِـن أمْـسِهِ

أو تُنهِـضوهُ تَنْهَـضوا بِـالحِمَى وترفَعـوا المَخْفُـوضَ مِـنْ رَأْسِـهِ

***

اليتيم الشريد (١)

(فازت هذه القصيدة بجائزة الشعر فى المسابقة الأدبية الكبرى التى نظمتها محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية وأذعتها فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٤٧)

زَفَراتُ هذا القَيْظِ مِنْ زَفَراتِهِ ... ودموعُ هذا الغيمِ مِنْ عَبَرَاتِهِ

ضَاقَ النَّهَارُ أسىً بحمْلِ هُمومِهِ ... وانشَقَّ صَدرُ اللَّيلِ مِنْ أنَّاتِهِ

عَارٍ تَكَشَّفَ للخطُوبِ فَلا أبٌ ... يحْنُو ولا أمٌّ طَوتْ سَوآتِهِ

لله واهِى الخَفْقِ بَينَ ضُلُوعِهِ ... زادَتْ كَوارِثُهُ عَلى دَقَّاتِهِ

أسوانُ تُدرِكُ شَجوهُ مِنْ صَوتِهِ ... وتُحَسُّ ذُلَّ اليُتْمِ مِنْ نَبَرَاتِهِ

وأخُو محيَّا كالخِضَمِّ مُغَضَّنٌ ... يَطوِى الشُّحُوبَ أساهُ فى طَيَّاتِهِ

خَطَّ الشَّقاءُ عَلَيْهِ قِصْةَ يُتْمِهِ ... إنْ تَلْقَهُ تَعْرِفْهُ مِنْ قسماتِهِ

وطَرِيدُ كونٍ ضلَّ فِى آفَاقِهِ ... فَجَميعُها - إنْ سَارَ - مِنْ غَايَاتِهِ

وإذَا أقَامَ فَمَا يَفِيءُ إلى حِمىً ... يَحْنو عَلى المشْبوبِ مِنْ لوعَاتِهِ

حَمَلَ الفَوَادِحَ رَأْسُهُ ما ضَمَّهُ ... صَدْرٌ يلُمُّ الشَّعثَ مِنْ أشْتَاتِهِ

ومَشَى يئنُّ فَما أقَالَتْهُ يَدٌ ... مَسَحتْ على المكدودِ من شَعَراتِهِ

عَقمَتْ أمانِيهِ ولكنْ دهرُهُ ... أعْيَا مَناكِبَهُ بعبءِ بَناتِهِ

---

(١) كان العنوان الأصلي للقصيدة (اليتيم) ولكنه غيره فى آخر مراجعة كما هو الآن .

وارحْمَتـاهُ لليتـيمِ ومَـنْ يُـصَبْ   فى والدَيْـهِ فيـا شـقاءَ حياتِـهِ[1]

كـمْ حـسرةٍ قـد أورثتْهَـا نَظـرةٌ   لُمنـى الطُّفُولَـةِ فِى وجـوهِ لداتِـهِ

ويرى البشاشَةَ فى مواكبِ لهْوِهِمْ   فيـذوقُ طعـمَ المـوتِ قبـلَ ممَاتِـهِ

يارُبَّ طفلٍ صاحَ منهُمْ : يا أبِى   فيكـادُ يَـصْعَقُهُ صَـدَى صَـيَحَاتِهِ

أوْ صـاحَ يـا أُمِّـى فكانـتْ هتْفـةً   تنـشقُّ منهـا الـنفسُ عَـنْ حَـسراتِهِ

وكأنَّـهُ مِـنْ دَهْـرِهم تَقْطِيبُـهُ   لعبوسِـهِ تبـدو عـلى صَـفَحَاتِهِ

وهمـو أغارِيـدُ الحياةِ شَـدَتْ بِهَـا   شَـفَةُ الرَّبيـعِ الطَّلْـقِ فِى بَـسَماتِهِ

إن سـاجَلُوه الـشَدْوَ فى أفْـرَاحِهم   غنَّـى مـنَ الأشـجانِ فى آهَاتِـهِ

أو رَامَ تَنْغـيمَ الـسُّرُورِ لَـهُ فَـمٌ   مَاتَـتْ أغَـانِى البِـشْرِ فَـوقَ لَهاتِـهِ

أبـدًا تُغَالِبُـهُ الـدُّمُوعُ كَأنَّهـا   خُلِقَـتْ مَـعَ الأجْفـانِ فِى حَدَقَاتِـهِ

وإذا أهـلَّ العيـدُ فِى آفَاقِـهِ   وأشـاعَ فى الـدنيا سَـنا بَهَجَاتِـهِ

وتـسابقَ الأطفـالُ فيـهِ مَوْكِبـا   نَـشْوى سَقَاهَا العِيـدُ مِـنْ نَـشَواتِهِ

وعـلى جُـسُومِهِمُو جَدِيـدُ ثِيابِـهِ   وعـلى وجُوهِهِمـو سَـنا لَمحَاتِـهِ

أبْـصَرْتَ مَطويًّـا عـلى أسْـمَالِهِ   يطـوى الـضلوعَ أسَـىً عَلـى جَمَرَاتِـهِ

---

(١) حذف هذا البيت فى المراجعة الأخيرة وكذلك المقدمة .

حـيرانَ ينظُـرُهم فيرْجِـعُ باكِيًـا　　مُتَعَثـرًّا فى الـذُّلِّ مـنْ خُطُواتِـهِ

العيدُ يمـلأُ كَأْسَـهُم مِـنْ شَـهْدِه　　ويَـصُبُّ مُـرَّ الـصَّابِ فِـى كَاسَـاتِهِ

مـا العيـدُ للمَحْـزُونِ إلا لَوْعَـةٌ　　تُـضنِـى وتَجْديـدٌ لظُلْـمِ حَياتِـهِ

ذِكْـرَىً لآلامِ اليَتـيْمِ مَريـرةً　　يَعيـا بهـا فَتِيـْهُ فِـى غَمَـرَاتِهِ

❊ ❊ ❊

مَـنْ لليتـيمِ يَحُوطُـهُ بِرِعَايَـةٍ　　ويُقِيلُـهُ فِـى العَيْـشِ مِـنْ عَثَرَاتِـهِ

شُـدُّوا عَزَائِمَـهُ فَـرُبَّ إسـاءَةٍ　　للـدَّهْرِ صَـارَتْ بَعْـدُ مِـنْ حَسَناته

واحْمـوا مَواهِبَـهُ يَجِـئْكُمْ فى غَـدٍ　　بالمعجِـزَاتِ الغُـرِّ مِـنْ آياتِـهِ

إنَّ الـذى خَلَـقَ النُّبُـوغَ مَواهِبًـا　　قـد صيَّـر الإغْفـالَ مِـنْ آفَاتِـهِ

وَلَـرُبَّ مَغْمـورِ الطُّفُولَـةِ خَامِـلٍ　　يَومًـا يَهَـابُ الليـثُ مـن وثَبَاتِـهِ[1]

ولَـرُبَّمَا نَهَـضَ اليتـيمُ بِقومِـهِ　　وأطلَّـتِ الآمَـالُ مـن راياتِـهِ

اليُـتْمُ أنْجَـبَ للزَّمـانِ (مُحَمَّـدًا)　　فَمَحـا دُجـاهُ وكـانَ خيرَ هُداتِـهِ

❊ ❊ ❊

(١) تم إضافة هذا البيت بعد ذلك (ليس فى وحى الربيع المحطوط) ولكنه فى آخر نسخة مخطوطة سنة ١٩٨٤م .

دنيا الغد

" فازت بالجائزة الأولى فى مسابقة هيئة الإذاعة البريطانية عام ١٩٤٤ قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية ".

بَـوادِرُ مِـنْ دُنْيـا غَـدٍ وبَـشَائِرُ   تَـرِفُّ فتَهْفُـو للسَّلَامِ المَـشَاعِرُ

أُطَالِعُهَـا فِى الأُفْـقِ نَـشْوانَ حَالِمًـا   فَيَغْمُرُنـى مِـنْ عَـالَمِ النُّورِ غَـامِرُ

أحـسُّ بقلبـي سـابِحًا فى جوائـه   يُرَقْـرِقُ فِيهَـا البِشْرُ والجَـوُّ عَـاطِرُ

وأحـسَبُ نَفْـسِى مِنْـه بَـينَ عَـوالِمٍ   مِنَ النُّورِ تَسْرِى فى سَناها الخَـواطِرُ

يهـيمُ بِهـا رُوحِـى المَـشُوقُ كَأَنَّـهُ   مِنَ الشَذْوِ والشَّوْقِ المُبَهْرَجِ طَائِرُ

طَوالـعُ مِـنْ دنيـا غـدٍ بيـنَ أُفْقِـهِ   تلـوحُ فـلا ترتَـدُّ عَنها النَّـوَاظِرُ

ودُنْيـا سَـلامٍ لا يُكَـدِّرُ صَـفْوُهُ   فلا الشرُّ غَلاَّبٌ ولا الحِقْدُ كَاشِرُ

ولا الجَـوُّ مَـسمومُ النسائِمِ مَيِّـتٌ   ولا الطَّيْرُ نَـوَّاحُ الأغَارِيـدِ حَـائِرُ

ولا الـبَرُّ مجنـونُ الحديـدِ مُعرْبِـدٌ   ولا البحـرُ معتـوهُ السفائِنِ ثـائِرُ

ولا الكـونُ مشبوبُ الضِّرامِ مُفَزَّعٌ   تَـضِجُّ مآسِـيهِ وتـشْكُو المَجَـازِرُ

ولا الأرضُ أمْسَتْ بالضَّحَايا مَقَابِرًا   وسَالَ بِهَا مِنْ نـازفِ الدَّمِ طَاهِرُ

ولا الطمعُ المِلْحَـاحُ يَهْتـاجُ طَائِشًا   فَيَبْعَثُهَـا شَـعْواءَ فِـيهَا يُخَـاطِرُ

يهونُ عليهِ صَيحةُ الكَونِ بالأَسَى ... فيُمْعِنُ فى مأْسَاتِهِ (١) وهْوَ سَادِرُ

لقدْ أخْرَسَتْهُ صَيحةُ الحَقِّ حُرَّةً ... وأسْلَمَهُ للوهْنِ والمَوْتِ قَادِرُ

وراحتْ عِصاباتُ الظلامِ شَتيتةٌ ... يطارِدُها جيشٌ من الفجرِ زاخرُ

واشرَقَ فى الدُّنْيا السلامُ بنورِهِ ... مَدَى الدهرِ لا تَغْشى سناء الدياجرُ

وأضحتْ ضَعِيفاتُ الشُّعوبِ عزيزةً ... يؤازِرُها الميثاقُ فيما يُؤَازِرُ

وما ساورتْ نفسُ الضَّعيفِ مَخاوفٌ ... ولم يزْهُ بالنصرِ المحالفِ ظَافرُ

تُعاودُ حريَّاتِها كُلُّ أُمةٍ ... فتهتفُ للآمالِ منها الحَناجِرُ

وينتظمُ الدوْلاتِ حرٌّ تبادلٍ ... مواردُهُ مكفولةٌ والمَصَادِرُ

وتُرفعُ فيها للثقافاتِ رايَةً ... وتُنصَبُ للآدابِ فيها المَنابِرُ

سلامٌ وعدلٌ شاملٌ ورفاهَةٌ ... وأمْنٌ ومجدٌ للحضَارَاتِ زاهِرُ

هُو الغدُ ميمونُ الطَّليعةِ عِنْدَما ... تَسيرُ بإعلانِ السَّلامِ البشائرُ

تَعَجَّلْتُهُ حتى وددتُ لو أنَّنِى ... طويتُ إليهِ العمرَ كيما يُباكِرُ

وغَنَّيتُ بالدُّنْيا الجديدةِ فى غدٍ ... وما أنَا إلا صادقُ الحسِّ شَاعرُ

---

(١) كانت فى الأصل الأول غلوائه.

الخَنافِسُ

" ليس أعجبُ من كائنٍ خلقه اللهُ رجلا فأبى "

مَـنْ مُجِـيرِى مِـنْ الـذينَ اللـواتِى حِرْتُ فِيهم بَينَ الفَتَى والفَتاةُ ؟

شَـبهٌ فى الـسِّماتِ والـسَّمْتِ أعْيـا كُـلَّ طَـرْفٍ ، وأتْعَـبَ الحَـدَقاتِ

إيـهِ يـا زرقَـاءُ اليمامـةِ (١) عُـودِى أسْـعِفِينا بِحِـدَّةِ النَّظَـرَاتِ

عَجَبًـا للفَتَـى ... يبـدِّلُ خَلْقًـا صـاغَهُ الله بـارئُ النَّـسماتِ

ليـتَ شِـعْرى مـاذا دَهـاهُ فَأَمْسى فى الغَـوانِى مُؤنَّـثَ القَـسماتِ؟

يتَثَنَّـى جِيْـدًا ، وقَـدًا ، وخَـصْرًا كتثَنِّـى الكَوَاعِـبِ الغَانِيـاتِ

بالـشُّعُورِ المُـرَجَّلاتِ ، وقَـدْ طَـا لَ عِنَـانُ الـذَّوائِبِ المُـسْبَلاتِ

وبِـصَدرٍ مُقَلَّـدٍ مُـستَعَارٍ مِـن صُـدورِ النواهـدِ الفَاتِنـاتِ

والمـساحيقِ فى فـمٍ وعيـونٍ وخـدودٍ مـصبوغةِ الوجنـاتِ

والبنانِ المخضوبِ، والمعصمِ الحَالى ووشْـى الملابـسِ اللامِعـاتِ

لم يـدعْ مـن مفـاتنٍ للعَـذارى أوْ يغـادِرْ لهـنَّ مـن مُغْريـاتِ

يـا بَنـي الخُنْفـساءِ كيـفَ رَضِـيتُم رضِيتُم بانتسابٍ لأحقَرِ الحشَراتِ

---

(١) كانت ترى على سيرة ثلاثة أيام لحد بصيرتها .

كَيفَ يُرجى غدُ البلادِ بِجيلٍ نَرْجِسِيٍّ [1] الميولِ والنزَعاتِ ؟

لا رعى اللهُ صُنْعَكُم مِن شبابٍ مغرمٍ بالتقليدِ فى التُّرَّهَاتِ

تُسرعونَ الخُطى لكلِ وباءٍ مُستعِار بأخبثِ الآفاتِ

وتَهيمونُ بالجديدِ من الغرْ بِ ، ولو كانَ أقبحَ العاداتِ

كدتُ - واللهِ - حينَ صِرْتُمْ بناتٍ أتَمنى لو عادَ وأدُ البناتِ

***

(١) النرجسية نظرية معناها إعجاب المرء بنفسه واشتهاؤه لجسمه .

التيه

" ركنٌ منعزلٌ لم تصلْ إليه أضواءُ البعثِ الجديدِ حينما انبثقتْ لأولِ مرةٍ تُبدِّدُ بالعدلِ والكرامةِ كل ظلامٍ .... فهذا تصوير له فى تلك الفترة قبل أن تغمرَهُ الأضواءُ "

من للحيارَى طوَتْهُم ظلمةُ الياسِ ... الضَّائعينَ فلا راعٍ ولا آسِي؟

يَمشونَ فى التِّيهِ أشباحًا مُهزَّلَةً ... كأنَّما لُفِظوا من جَوفِ أرْماسِ

على طِوارِ الحِمى المأهولِ قد نُبِذوا ... كأنَّهم فى الحِمَي ليسوا مِنَ النَّاسِ

قَتلى الأمانِى ، فلا يَنمو لهم أملٌ ... إلا وأنْحَى عليهِ مِنجلُ اليأسِ

كَأنَّهم غُرَباءُ الدَّارِ فِى وَطنٍ ... ما ضاقَ يومًا بألوانٍ وأجْناسِ

يبيعهم بمُنَاهُ كلُّ ذِى غَرَضٍ ... كأنَّهُمْ أعْبُدٌ فى كفِّ نَخَّاسِ

عَلى كَوَاهِلِهم يَعلو ، ولذَّتُهُ ... فى أنْ يُرى دُونَهُمْ تاجًا على الراسِ

يا ساقِيَ الشعب كأس العدلِ مُتْرَعةً ... هل فى قَرارَتِها ما يَرشُفُ الحَاسِى؟

ثُمالةُ الكأسِ تُحْيينَا على ظَمَأٍ ... فَلا تضنَّ بها يا سَاقِيَ الكاسِ

إنَّا لَفِى مَأتَمٍ ، والشَّعْبُ أجْمَعُهُ ... مِنْ حَولِنا بينَ أعْيادٍ وأعْرَاسِ

نَمْشِى عَلَى الشَّوكِ فِى صَحْراءَ مُجْدبَةٍ ... وفِى الحِمَى نَفَحاتُ الورْدِ والآسِ

ولا نَرَى فِى دُجَاهَا لُمعَ بَارِقَةٍ ... والناسُ تغمُرُهُمْ أضْواءُ نِبرَاسِ

تدبُّ فيها أفاعِى الحِقْدِ مُنْشدةً ... لحنَ الشياطِينِ مِن غَاوٍ وخَنَّاسِ

دِيـنُ الثَّعَالـبِ والـذُّؤْبانِ شِرعَتُهـا ... مِـنْ كُـلِّ مُخْـتلسٍ أوْ كُـلِّ نَهَّـاسِ

تَهْوِى الفَضِيلةُ صَرْعَـى فى مَعَارِكِها ... مِنْ تَحْتِ أرْجُلِ أطْماعٍ وأرْجَاسِ

الفــوزُ فيهَـا لغَـدَّارٍ وذِى مَلَـقٍ ... وجَاهــلٍ ، ولَمــشَّاءٍ ودَسَّــاسِ

والنـابغُ الحُـرُّ كـابِى الحَـظِّ عَـاثِرُهُ ... فليسَ فى حُكمِها مِيزانُ قِسْطَاسِ

لا يَزرعُ الـشرَّ فى أرضٍ وإنْ ظَهـرتْ ... إلا مَظَـالمُ حِرْمـانٍ وإفْــلَاسِ

❊ ❊ ❊

المُتسلِّقُونَ أوْ القِطَطُ السِّمَانُ

لا تُهَنِّــئْ مَــنْ فَــازَ بالعَليــاءِ ... فِى زمــانِ الأوْغَــادِ والجُهَــلَاءِ

أهزَلَتْهَــا فَــوْضَى التَّسَلُّقِ حَتَّــى ... سَــامَهَا كُــلُّ مُفْلِــسٍ عَــدَّاءِ

وتَـسَاوى مَـنْ لـيس كُفئًـا بكُـفءٍ ... فى زحــامِ التُّجَّــارِ والوسَــطَاءِ

يــا صــديِقى هَــذا زمـانُ المُـداجِى ... لَــيس هَــذا الزمــانُ للأكْفــاءِ

لقَــدْ اخْتَلَّــتْ المَقَــاييسُ حَتــى ... غَــام وجــهُ الحَقِيقَــةِ الغَــرَّاءِ

وجَــرى الحــظُّ فِى المَناصِــبِ كالنــاسِ جُزافًــا بالــسعدِ أو بالــشَّقاءِ

فتهنَــأُ حِينًــا بعــذبِ الأغَــانى ... وتحْــزَنُ حينًــا بنــدب الرِّثَــاءِ

وإذا مــا العليــاءُ زُفَّــتْ لوغْــدٍ ... فــإلى القَــبْرِ زَفُّهَــا والفَنَــاءِ

رُبَّــما حازَهَــا مُلِّــحٌ وُصُــوليٌّ لَئــيمُ الهَــوى خَبيــثُ الــدَّهَاءِ

أشــعبيُّ الأطْــمَاعِ ينهــبُ مَــا شَــاءَ بِــلا عِفَّــةٍ ولا اسْــتِحْياءِ

تَتَبَــارى لــهُ الأقــاليمُ سَــعيا ... واسْــتباقًا إلى فُــروضِ الــولاءِ

كُــلُّ كُلِّيــةٍ تُنَــافسُ أخْــرى ... فِى شِراءٍ لكُتْبِــهِ واقْتنــاءِ

وَتُــزفُّ المحــاضراتُ إليــهِ ... مِــنْ ضِــعاف النفــوس والجُبَنَـاءِ

وهــو فى ســائرِ الرســائلِ عُــضوٌ ... بعــد مــا صــار أكفــأَ الأكفــاءِ

وعَليهِ (الشِّيكاتُ) تَنْصَبُّ زُلْفَى ... وَهْــىَ مَدْموغــةٌ بلَعــنِ الــسَّماءِ

كِيميَاءُ النِّفَاقِ أعْجَزَتْ السِّحْرَ وأعيَتْ تجارُبَ الكِيمياءِ

فإذا لامَسَتْ مِنَ الحِذْقِ قِردًا حَولَتْهُ لغَادَةٍ حَسْنَاءِ

وإذْا مَنْ بالأمسِ كَان جَهولًا صَارَ فى الحَالِ أعْظَمَ العُلَماءِ

وإذا المُسْتَغِلُّ سُحْتًا غَدا في لَمحَةِ الطَّرْفِ أنْبَلَ النُّبَلاءِ

ويَكيلُ المنافِقونَ لَه المَدحَ على نُبلِ فَضلهِ والذَّكَاءِ

وإذا هُمْ تبادَلوا السُّحْتَ فِيما بَينَهُم مُقْتدِينَ شَرَّ اقْتِداءِ

وإذَا العلمُ سِلْعةٌ وإذَا العدْوى إليهمْ سَرَتْ مِن الرؤساءِ

لَيسَ من يعْتَلى المناصبَ عَفًّا مِثْلَ مَنْ يَستغلُّها للثَّرَاءِ

رَبِّ رُحماكَ مِنْ وباءٍ تَفَشَّى أنْتَ مَنْ يُرْتَجى لدفعِ الوَبَاءِ

حَرَمُ العِلْمِ صارَ مَسْرَحَ هَزْلٍ كُومِديٌّ الشُّخُوصِ والأزْيَاءِ

* * *

قِطَطٌ فى حِمَاهُ تَغْدو سِمانٌ بَشِماتٌ مِنْ امتصاصِ الدِّماءِ

يرتدونَ المُسُوح مِنْ (عِدَّةِ الشُّغلِ) لتَمْثيلِ مَظْهرِ الفُضَلاءِ

جُبَّةٌ كانَ أصْلُها بنطالونًا طَوْقُوها بعِمَّةٍ فَرْعَاءِ

واستَعادُوا الوقارَ سَمتَ خداعٍ باعتجارِ العمامةِ اللفَّاءِ

الأزهرُ في عيدِه الألفيِّ مارس ١٩٨٣ م (١)

أرأيتَ كَيف طَوى القرونَ الأزْهرُ ... وأدالَ عُمرَ الدَّهرِ وهْوَ مُعَمِّرُ ؟

مَرَّت عَليه الألفُ لمْ تُوهنْ له ... عَزمًا ولا أوهَتْ قُواهُ الأعْصرُ

وأشابَ ناصيةَ الزمانِ ولم يَزلْ ... وإهابُه غَضُّ الشَّبابِ مُنَضَّرُ

اللهُ نَاطَ به الكتابَ وهديَهُ ... حِفظا ، فلا يَبلى ولا يَتغَيَّرُ

وحَبَا كنانَتَهُ بِه فأحلَّها ... شَرفًا تَطولُ به السماكَ وتُظهرُ

هَرَمٌ مِن الأهْرامِ إلا أنَّه ... حَرَمٌ يلوذُ بِه الحَجيجُ ومَشْعَرُ

أبَدًا تُشَدُّ له الرِّحالُ حَثيثَةً ... ويُؤَمُّ بَعْدَ المَسجِديْنِ ويُذْكَرُ

يَسْعَونَ من كلِّ الفِجَاجِ ليأخُذوا ... مِمَّنْ يصحُّ القولُ عَنْهُ ويُؤْثَرُ

لا تَغْتَرِرْ يوما بصرْحٍ شَادَهُ ... وهمْ على عقلِ البُناةِ مُسيْطِرُ

ليسَ الذى يَبنى الحجارةَ مِثْلَ مَنْ ... يَبنى العُقُولَ النَيِّراتِ ويَعْمُرُ

ما شَادَ بَانٍ فى الكِنَانَةِ مِثْلما ... شاد المُعزُّ الفاطمىُّ وجَوْهَرُ

* * *

---

١) كتب الشاعر هذه القصيدة لأول مرة بداية عام ١٩٥٢ قبيل ثورة يوليو والتى أوقفت نشر هذا الديوان " وحى الربيع " بقرار منه، وهذا يوافق اقتراب العيد الألفى الهِجْرى للأزهر فى حُدود عام ١٣٦٢ هـ وكانت أقل من ثلاثين بيتا ثم أعاد كتابتها مره أخرى فى العيد الألفى الميلادى وهو بعد ذلك بحوالى ثلاثين عاما ووصلت القصيدةُ إلى شكلها الحالى وأبياتها أربعة وثمانون لذا يمكن اعتبارها أطول القصائد من حيث مدة الكتابةِ .

يـا مَعْهـدًا عَـمَّ المـشارِقَ نُـورُهُ … فَمـشَى عَـلى أضـوائِه المُتَحـيِّرُ

واستنهضَ الـدنْيا فرجَّع شرْقُها … عَنـه وجـاوبَ غربُهـا المتَحـضِّرُ

وَوَعَى عُلـومَ الـدين والـدنيا مَعًا … مُتوثِّـبُ الخُطُـواتِ لا يتَعثَّـرُ

وحَمى الشريعةَ وهْو حِصنُ كتابِها … وبِـه يفـيضُ نَميرُهَـا المُتفجِّـرُ

وتَعهَّـدَ الفُـصحى فكـانَ لـسانَها … وعليـهِ ألويـةُ البلاغَـةِ تُنْـشَرُ

كَـمْ أطلعـتْ آفاقُـه مِـنْ أنجُـمٍ … زُهْـرٍ ، وكَـمْ تَنسابُ مِنـهُ أبْحُـرُ

مِنْ كـلِّ ركـنٍ فى الـشريعةِ يَستبِى … فى العلـمِ أفـذاذَ العُقـولِ ويَـسْحَرُ

مَـنْ كـانَ يلـتمسُ الحقيقـةَ حُـرَّةً … فلديـهِ جـوهرُ لُبِّهـا المُتَخَـيَّرُ

كَمْ فِى رِحابِ الأرْضِ مِنْ طُلَّابِها … حَجُّـوا إليـهِ خَاشـعينَ وكَـبَّروا

مـا ضَرَّ لوسَـلكَ الـشَّبَابُ سَـبِيلَه … فِى الحقِّ واستَهدُوا بِه واسْتَبْصَرُوا(١)

طلَبُوا الهُدَى مِـنْ غَـيْرِه فتطرَّفُـوا … وتَخَبَّطُـوا فى الـوهمِ حتَّـى كَفَّـرُوا

ولـو استبانُوا الرُّشْـدَ لم يَتـشدَّدُوا … فالـدينُ أسْـمَحُ فى الأمُـورِ وأيْسَرُ

عِلَـلُ النُّفُـوسِ خَطِـيرَةٌ لكـنَّما … عِلَـلُ التـدينِ والعَقيـدةِ أخْطَـرُ

مَنْ ذا سواهُ يروضُ جَمْحَ نُفُوسِهم … بِهُدَاهُ وَهْـو عـلى الرِّياضَـةِ أقْدَرُ ؟

---

١) يشير الشاعر فى هذه الأبيات وما بعدها على ظهور التيارات التكفيرية فى المجتمع المصرى وانتشار التطرف باسم الجهاد وهذا سببه البعد عن المنهج الأزهرى الوسطى .

كَـمْ ذا رمـاهُ بالتـأخُّرِ مُغْـرِضٌ ... فَهَـل الأصَـالَةُ رَجْعَـةٌ وتَـأَخُّرُ ؟!

حَسِبوا الحِفاظَ على التراثِ تَحَجُّرًا ... فهلْ الحِفَاظُ على التراثِ تَحَجُّرُ ؟!

إفْـكٌ تَـوَرَّطَ فيـهِ كُـلُّ مُـضَلَّلٍ ... لَمَّـا تَـولَّى كِـبرَهُ المُـسْتَعْمِرُ

مَـنْ لمْ يُؤسِّسْ بالقـديمِ جَديـدَهُ ... فجديـدُهُ واهِـى الأسَـاسِ مُـزَوَّرُ

مَـرَّتْ عليـهِ الحادثـاتُ فَجازَهـا ... مُتَجَلِّـدًا حِينًـا ، وحِينًـا يَـزْأَرُ

كَمْ قـادَ ثَـوْراتِ النِّضَالِ وشَبَّهَا ... نَـارًا عـلى المُـسْتعمرينَ تُـسَعَّرُ

وَجَـرَى زَكِيًّـا مِـنْ بَواكِيـهِ دَمٌ ... عَبِـقٌ بأنفـاسِ الخُلُـودِ مُعطَّـرُ

وإذا استُضِيمَ الشَّعْبُ أو رِيْعَ الحِمَى ... صَرَخَـتْ مآذنُـهُ وضَـجَّ المِنْـبَرُ

مَـنْ أشْـعَلَ الحُرِّيـةَ الحَمْـراءَ فِى ... سـاحَاتِه نُـوْرًا ونَـارا تَـصْهَرُ ؟

ومَلاحِمًـا يَجْثُـو لهـا تاريخُـهُ ... غُـرًّا بـأقْلامِ الخُلُـودِ تُـسَطَّرُ

مَنْ بَثَّ رُوحَ الـوعْى حُـرًّا لم يَزلْ ... يَلِـدُ البُطُـولاتِ التـى لا تُقْهَـرُ ؟

إنَّ المُوكَّـلَ بـالحنيفِ وهدْيِـهِ ... أحْـرى وأخْلَـقُ بالجِهـادِ وأجْـدَرُ

***

يـا أزْهـرَ المـاضى المَجيـدِ تَحيـةً ... النـدُّ فَـوْحُ أريجِهـا ، والمِنْـبَرُ

غَـراءُ يوجِبُهـا الوفَـاءُ وذِمَّـةٌ ... تَرْعى الحُقُوقَ ، ومِنَّةٌ لكَ تُشْكَرُ

أنـا مِـنْ غـراسِ يـديْكَ فَرعُ خَميلةٍ ... كَرُمَـتْ منابِتُهـا وطَـاب المنظَـرُ

يَجْرى البيـانُ الحـقُّ فى أعراقِهَـا — عَـذْبا فتُطلِـعُ نابِهيـهِ ، وتُثْمِـرُ
تَتفَيَّـأُ الفُـصحى ظَليـل ظِلالِهـا — وغُـصونُها للعبقريَّـةِ مَزْهَـرُ
مـاضٍ عليـه مـن الجـلالِ مَهابَـةٌ — يَعنـو لَهـا المُخْتـالُ ، والمُتَجَبِّرُ
إنِّـى لأذْكُـرُه فيبهِـرُ خـاطِرى — والمجـدُ حَقًّـا مَـا يَـرُوعُ ويُبْهِـرُ
لبيـكَ شَـيخَ الجامِعـاتِ ومَـنْ بِـه — مِـصْرٌ عـلى الـدُّنيا تَتِيـهُ وتَفْخَـرُ
كُنْـتَ الـسماءَ مَنـارَةً ومَكانَـةً — طَلَـع الـشُّيوخُ بهـا نُجومًـا تَزهَـرُ
كـانوا مُلوكًـا للملـوكِ وكلُّهـم — فى وجـهِ طُغيـانِ الملـوكِ غَـضَنفَرُ
لمْ يُغْـرِهم جَـاهٌ ولا أزرَتْ بهـمْ — دُنيـا ولا اسـتَهْواهُمو مـا يُنْكَـرُ
مَـنْ مَـدَّ فى وجـهِ الخِـديوى رِجْلَـهُ — زُهْدا ، وضَـمَّ يَديْـهِ وهْـوَ المُقْتِرُ؟[1]
مَنْ صَيَّرَ الأمراءَ فى سُوقِ الحِمَى — سِـلعًا تُقَـوَّمُ قبـلَ أنْ يتـأَمَّرُوا ؟[2]
والراسـخُ الإيمـانِ لـيسَ يُخِيفُـه — مِـنْ دَهْـرِه إلا العـلىُّ الأكْـبرُ
والعلمُ كـانَ مَناهِلًا يَرْوى الصَّدَى — ظمأنُـه مِنهـا ، وعَنْهـا يَـصْدُرُ
حلقاتُـه الغَـرَّاءُ حَـوْل شُـيوخِه — هـالاتُ أقْـمارٍ سَـناها أقْمَـرُ

---

١) هو الشيخ الباجورى الذى لم يحفل بالخديوى إسماعيل حين زار حلقتة وكان يَمدُّ رِجله فلم يضمها ، ثم لم يقبل هدية الخديوى التى بعثت بها إليه مع فقرهِ .

٢) هو العز بن عبد السلام سلطان العلماء الذى أفتى ببيع أمراء المماليك باعتبارهم من بيت مال المسلمين .

كانَتْ خَلايا النَّحْلِ عِندَ دَوِيِّها ... وبِها جَناها ، والرحِيقُ السُّكَّرُ

وبِسَاحِها شَتَّى المَذَاهِبِ تَلتَقِي ... فالسَّاحُ حَشْدٌ والأئِمَّةُ حُضَّرُ

تغْشي مجالسَهَا الملائِكُ خُشَّعًا ... ويحُفُّها مَدَدُ السَّماءِ النَّيِّرُ

وتَعمُّها النَّفَحاتُ مِنْ أنْفاسِها ... وكَأنَّها المِسكُ العَتيقُ الأزْفَرُ

فالعِلمُ قَصْدُ الطَّالبينَ لِذَاتِه ... لا يُبتَغَى جَاهٌ بِهِ ، أو مَظْهَرُ

ما بَالُه أضْحَى غُثَاءَ تجارةٍ ... تَلغُو بها سوقٌ ويَلْهُو مَتْجَرُ

عَمَّتْ معاهدُهُ المدائِنَ والقُرَى ... أتُرى كَمظْهرِهَا يسرُّ المَخْبَرُ ؟

وترى بكلِّ مدينةٍ كليةً ... أتُرَى كمنظرِهَا يَروقُ الجوهرُ ؟

يُلْقَى إلى القِطَطِ السِّمانِ زِمَامَها ... فيسومُهَا (الدَّلَّالُ) و (الشَّهْبَنْدَرُ)

يتقاسمونَ الغُنْمَ فيما بَيْنهم ... فالرِّبحُ وَفْرٌ والجِهالةُ أوْفَرُ

مِنْ كُلِّ نَهَّازٍ تَسَلَّقَ للذُّرا ... وضَمِيرُهُ بِثَرَى الحَضيضِ مُعَفَّرُ

ومُهَرِّجٍ يَعْلُو مَناكِبَ عُصْبَةٍ ... تَحْميهِ وهْوَ الأحْمقُ المُتَهَوِّرُ

يَنْهَى ويَأمُرُ باسْمِها مُتبجِّحًا ... وكَذاكَ يَنْهَى (العصبَجِيُّ) ويأمُرُ

أشْلاءُ مجْدٍ مَزَّقَتْهُ مَخالِبٌ ... خَرْقَاءَ فِي سَمْتِ التُّقَى تَتَسَتَّرُ

وتُراثُ أسْلافٍ قَدْ انفردوا بِه ... فِي النَّهْبِ دُونَ تَحرُّجٍ واسْتأثَروا

وَقْفٌ عَلى الجُبناءِ مِنْ أذْنابِهم ... أمَّا الأبِيُّ العبقرِيُّ فَمُهْدَرُ

لكنَّهـــا حُرِيَّتِـــى وتَرَفُّعِـــى وكَرامتـى أَغْـلى الكُنـوزِ وأَنْـدَرُ
حَسْبى مِنَ الـدنيا غِنَاى بِهَا وإنْ كَانَـتْ ذُنُوبًـا عنـدَهُمْ لا تُغْفَـرُ
قَالوا : التَّطَوُّرُ قُلتُ : صِبغٌ حَائلٌ إنَّ الأصِـيلَ الحُـرَّ لا يتَطَـوَّرُ
أمِـنَ القُـشورِ الهامِـشِيَّةِ يُرتَجى عِلْـمٌ سَـوِىٌّ أوْ سُـلُوكٌ خَـيِّرٌ ؟
لا يَخْـدَعَنْكَ بهـا كِتَـابٌ أبْـيضٌ مِنْ بعدِ مَا هُجِرَ الكِتابُ الأصْفَرُ
يا أزْهَرَ الماضى وكَمْ فِى النفسِ مِنْ ذِكـرىً يُؤجِّجُهـا أسـىً وتَحَسُّرُ
عُـذْرًا إذا شَـطَّ اليَرَاعُ فَأَنْتَ مَـنْ يَعْفُـو إذا شَـطَّ الـيراعُ ويَعْـذِرُ
عَقَـدتْ لِـسَانَكَ عُجْمَـةٌ ولَطَالَمَـا قَـدْ كـانَ باللُّغَـةِ الفَـصِيحةِ يَهْدِرُ
مَـنْ أهْمـلَ القـرآنَ حِفظًـا غَالـه عِـيُّ اللسانِ الأعْجَمـيِّ فَيُحْـصَرُ
جِيـلٌ لعمْـرِكَ مَـا يُـصَحِّحُ آيَـةً حَتـى غَـدَتْ منـه المنـابِرُ تَـسْخَرُ
نفثَـاتُ أشْـجَانٍ زَحَمْـنَ مَشاعِرِى ومِـن الـشُّجُونِ مُقَيَّـدٌ ومُحَـرَّرُ
أشْدُو وفِى عَيْنِى وبَيْنَ جَوانِحِى دَمْـعٌ يَجُـولُ ومُهْجَـةٌ تَتَفَطَّـرُ
لكنَّنِـــى فِى عِيــدَكَ الألفِـــيِّ لا أنْـسَي الرجـاءَ فَـرُبَّ كَـسْرٍ يُجْبرُ
مَهْـمَا نَظَمْـتُ لـكَ الوفـاءَ وصُـغْتُه دُرًّا فـــإنِّى فى الوفـــاءِ مُقَـــصِّرُ
يكفيـكَ أنَّك أنْـتَ مِـصرُ ومَجْدُها يَـومَ الفَخَـارِ وأنَّ مِـصْرَ الأزْهَـرُ

لحن السلام (١)

دَعَوْتَ للسِّلْمِ بَعدَ الحَرْبِ مُقْتَدِرًا ... ومَا جَنَحَتْ لَهُ ضَعْفًا ولا خَوَرَاْ

وكيفَ يُرمى بالاسْتِسلامِ داعيةٌ ... إلى سلامٍ عزيزٍ يشملُ البَشَرَا

فللكرامَةِ خُضْتَ الحَرْبَ مُنْتَصِفًا ... وللسَّعادَةِ خُضْتَ السِّلمَ مُنْتَصِرًا

إن السَّلامَ نَشِيْدُ الخُلْدِ تعزفه ... ملائكُ الله لحنًا خالدا عَطِرَا

ينسابُ فى الكونِ قُدسيَّ الصَدا هَزِجا ... فَيُلهم النَّاى والقيثارَ والوَتَرا

كَمْ أرْهفَتْ سَمْعَها الدُّنْيا لنغْمَتِهِ ... حُلْمًا يُداعِبُها فى يَقْظَةٍ وكَرَى

ورَجَّعَتْهُ عَلى الأفْنَانِ سَاجعَةٌ ... جَناحُها ضَمَّ غُصْنَ الزَّيْتِ فَازْدَهَرَاْ

فلا تُصغْ لهُراءِ المُرجفين ولا ... تَحفلْ بمن شكَّ أو يَحزُنْكَ من غَدرا

اللهُ حسبُك فى حربٍ وفى سلم ... ما دام قلبُك بالإيمانِ عَمِرا

والسِّلْمُ قَدْ يُدْرَكُ الحَقُّ السَّليبُ بِهِ ... مَنْ لَيسَ يُدْرِكُهُ بالحَرْبِ مُسْتَعِرَا

والقائدُ الفذُّ قد تغنى صلابتُه ... عن خوضِ نارِ الوغَى كالليثِ إنْ زَأرَا

ومَنْ يَجِدْ فى مَساعِى السِّلْمِ بُغْيَتَهُ ... ورَامَ حَرْبًا يَكُنْ بالحَرْبِ مُنْتحِرَاْ

فسر على الحق لا يثنيك ذو غرضٍ ... مضى يشوِّه ما أحرزْتَ أو نكَرَا

---

١) هذه القصيدة كانت دعما لاتفاقية السلام مع إسرائيل المعروفة باتفاقية كامب ديفيد.

وأدْرِكَ الشعبُ إن الشَّعبَ أنهكَهُ ... هذا الفسادُ الذى قد طمَّ وانتشَرا

يكادُ يقتلُه اليأسُ المُلِمُّ به ... من طول ما ارتقبَ الإصلاحَ وانتظرا

فِى كُلِّ يَومٍ مَنَاحَاتٌ عَلى خُلُقٍ ... ومأتَمٌ لضَمِيرٍ بيننا قُبِرَا

تفاقمَ الشرُّ حتى عزَّ رادِعُهُ ... واستَفْحَلَ الخَطبُ حتى أعْجزَ القدَرَا

كَمْ يَسْتَبِدُّ بِمَالِ الشَّعْبِ مُخْتَلِسٌ ... وَيَنْهبُ القُوتَ مَنْ فى قُوتِهِ اتَّجَرَا

بالحَزْمِ والعَدْلِ طَهِّرْهُ لتنقذَهُ ... مِن سَارقٍ عاثَ أو مِن فَاتكٍ فَجَرَا

واطْرَحْ تَسَامُحَكَ الحَانِى فَرُبَّ أَبٍ ... يَقْسُو عَلى الإبْنِ أحْيانًا ليَزْدَجِرَا

دِعَامَةُ المُلْكِ أخْلاقٌ ومَرْحَمَةٌ ... فإنْ تهاوتْ تَدَاعَى المُلكُ واحْتَضَرَا

* * *

صَيْحَةٌ جَاهِلِيَّةٌ [1]

حوالي عام ١٩٤٨م أثارت دسائس السياسة والحزبية ، ونوازع المطامع والأهواء رياح الفتنةِ والتعصب الإقليمي في الأزهر بين الصعيدي والبحراوي من أبنائِه فقلت:

رُويدَ بنى الوجهينِ أنْتم بَنو مصرِ ... وكلُّ بنى قِبلِى شَقِيقُ بَنى بَحْرِى

فَكَيفَ شَبَبْتُم فِرْقَةً جَاهِلِيَّةً ... تُؤَرِّثُ نِيرَانَ الحَفِيظَةِ والثَّأرِ

ومَا بَالُكم تَسْتَنْزِفُونَ دِماءَكم ... لِيَهْدرَها الشيطانُ فى حَمْأةِ الوِزْرِ

أَلا إِنَّها أبْقَى وأطْهَرُ لَوجَرَتْ ... لإنقاذِ دِينِ اللهِ مِنْ عَنَتِ الكُفْرِ

أَلا إِنَّها أبْقَى وأطْهَرُ لَوجَرَتْ ... لتحريرِ أوطانٍ تَضجُّ من الأسْرِ

لَقَدْ رَاعَنى أَنَّا عَلى مِحْنَةِ الحِمَى ... نَرُوحُ عَلَى ذُحْلٍ ونَغْدُو عَلَى وِتْرِ

ونُصبحُ فِى المعمورِ أوْسًا وخَزْرَجًا ... نُقَطِّعُ حَبْلَ اللهِ بالسَّفَهِ المُزْرِى

وقَد أَلَّفَ الإِسْلامُ بَينَ قُلوبِهمْ ... وكَانوا مِنَ الأضْغَانِ كَالماءِ الجَمْرِ [2]

---

١) القصيدة من ديوان وحى الربيع وكان عنوانها " العُنْصرِيَّةُ البَغِيضَةُ " وكانت مقدمتها : (يعانى الأزهر فيها يعانيه من محنة السياسة ، وفتنة المناصب ، وسموم الحزبيةِ وما يبعثُ فيه أحيانا تلك الصيحة الجاهلية ، والتعصب الإقليمى بين الصعيدى والبحيرى وهذه القصيدة صدى لتلك العنصرية البغيضة).

٢) محذوفة من نسخة ١٩٨٤م.

فَوا أسَفا والعُرْبُ تَجْمعُ شَملَها ... وتَرْقُبُ فى آمَالها مَطْلعَ الفَجْرِ

وَوَا أسَفَا والنِّيلُ يَنْشُدُ وِحْدةً ... تُحَصِّنُ وادِيهِ مِنَ الخَتْلِ والغَدْرِ

وما بالُنا نبكى فلسطينَ إنْ جَرتْ ... على غيرِ وادِيها الدماءُ التى تَجرى

وأيُّ اتِّحادٍ للعروبَةِ يُرْتَجى ... بأقْطارِها إنْ شَتَّ شَمْلُ بَنِى قُطْرِ؟

* * *

بَنِى الأزْهَرِ المَعْمورِ مَاذا أصَابَكُمْ ... وأنْتُمْ حُماةُ الدِّينِ مِنْ سَالفِ الدَّهْرِ

أفى الدينِ أن يدعو الدعاةُ لوحدَةٍ ... وأنتُم أوانَ الجد مُختلفو الأمْرِ ؟

أفِى الدِّينِ أَنْ يَسْتصرِخَ العُربَ صَارِخٌ ... وآذانُكم عَنْ صَيحةِ الحَقِّ فِى وَقْرِ؟[1]

أفى الدين أن تَدْعوا جِهارا لِفُرْقَةٍ ... وللناس فيكُم قُدوةُ الخيرِ والبرِّ؟[2]

ولَوْ كَانَ هَذا الخَطْبُ فى غَيرِ سَاحِكُمْ ... لكَانَ لِمَنْ أذْكَاهُ شَيءٌ مِنَ العُذْرِ

إذا لم يُحصِّنْكُم مِنَ الدِّينِ مَعْقِلٌ ... مِنَ الخُلُقِ العالى فيا ضيعةَ العُمْرِ

خُذُوا بِلُبَابِ الدِّينِ والعِلْمِ واطْرحُوا ... هُرَاءَ قُشُورٍ فِى حَواشِيكُمُ الصُّفْرِ

شُغلتُم عن الخيرِ اللُّبابِ بِقِشرِها ... وأيُّ غَناءٍ للحقيقةِ فى القِشرِ ؟!

---

١) محذوفة من نسخة ١٩٨٤م.

٢) محذوفة من نسخة ١٩٨٤م.

وقدَّسْتُمُ الألفاظَ حتَّى تَنكَّبَتْ ... بكم لاحِبًا يغنى عن المَسْلكِ الوعر[1]

لقد عوَّدَتْكُم أن تَشُنُّوا مَعاركا ... معارِكُ شَنَّتْها لزيدٍ على عَمرو[2]

وكُنتم هُداةً تحملونَ مشاعِلا ... يُبَشِّرُ فيها النُّورُ بالمُثُلِ الغُرِّ[3]

فدبَّ الهَوى حَتى تَقَلَّدْ بَعْضُكُم ... لِبَعضٍ عِصِيًّا كالرُّدَينيةِ السُّمْرِ

أهَذا هُو المعمورُ سَبَّاقُ نَهضَةٍ ... فما بَالُه فى الركْب مُضْطَرِبَ السيرِ؟!

* * *

ألا قَبَّح اللهُ السياسةَ إنَّها ... صِلالٌ تَدَسَّى فى قُطوفٍ من الزَّهْرِ

أقامتْ من الأهواءِ سُوقا وأجْلَبَتْ ... عليها شبابَ الجيلِ بالثَّمنِ المُغْرى

تباعُ بها الأخلاقُ بخْسًا وتُشترى ... فيكْفُرُ فيها مَنْ يبيعُ ومَنْ يَشْرِى

ومَا عَمَرَتْ إلا بِطالبِ مَنْصِبٍ ... يَروحُ عَلى رَأسٍ ويَغدو على ظَهْرِ

مراقِيه أكْتافُ الشَّبابِ وهَمُّهُ ... عَلى كَاهِلٍ غَضٍّ وهَتَّافَةٍ غِرِّ

فَيا فِتْيَةَ المَعْمُورِ فُضُّوا نُيُوبَها ... وثُورُوا عَلَيْها ثَوْرَةَ الحَانِقِ الحُرِّ

فماذا جَنَيْتُم مِنْ شُبُوبِ أوَارِها ... بِنا غَيرَ شرٍّ فى الكنانةِ مُسْتشْري ؟

---

(١) محذوفة من نسخة ١٩٨٤م.

(٢) محذوفة من نسخة ١٩٨٤م.

(٣) محذوفة من نسخة ١٩٨٤م.

أمــي (١)

أنْـتِ فَـيْضُ المُنَـى ونَبْـعُ الحَنَـانِ ... ومِثَــال الوَفَــاءِ والإحْــسَانِ

أنْــــتِ رَمْـــزٌ لرَحْمــــةِ اللهِ فِى الأرض وسِرُّ الوجـــودِ فى الإنْــــسانِ

أنــتِ فى ظُلمــةِ الحيــاةِ ضِـياءٌ ... ورَجَــاءٌ للمُــدْلِجِ الحَــيرانِ

كم سهرتِ الليلَ الطويلَ لأجلى ... وتحملــتِ فِىَّ كُــلَّ هــوانِ

إذا مــا مرِضْــتُ أمـسيتِ مِـثلى ... تــشتكينَ الــسِّقامَ ممــا أعَــانِى

أنــا مَهــما بــذلتُ لــستُ أوفِّى ... لــكِ حَقًّــا عَـلى مَـدَى الأزْمَـانِ

جَعَــل اللهُ مِــن رِضــاكِ رِضــاهُ ... حِــينَ أوْصَى عَليــكِ فِى القُــرْآنِ

ولَمــن عقَّــكِ الــسعيرُ وهيهـــاتَ لـــه أن يــشمَّ ريــحَ الجِنـــانِ

لــكِ يــا أمُّ – ماحييــتُ وفــائى ... لــك يــا أمُّ أجمــلُ العِرفـــانِ

ولــكِ الحُــبُّ خالــصا والأمَــانِى ... ولــكِ الــشُّكْر صَــادقا والتَّهــانِى

* * *

---

(١) كتبها بعد وفاة والدته بمدة تزيدُ عن عشرةِ أعوام إذْ بدأ الاحتفالُ بعيد الأم فى مارس ١٩٥٦ وكانت والدتُه قد تُوفيتْ فى ١٩٤٦م.

تهنئة وأمل (١)
لأحد شيوخ الزهر بتوليه منصبة

هَلْ أنْتَ آسٍ جِراحَ الأزْهَرِ العَانِى ... ومُوْقِظٌ لِعُلاه كُلَّ وَسْنَانِ ؟

وهل لليلِ الحيارى فى غياهِبه ... فجرٌ بعهْدِك يَهْدى كلَّ حَيرانِ ؟

وهل تعيدُ له ماضاعَ من ثقةٍ ... وما تبدَّدَ من عِزٍّ وسُلْطانِ ؟

وهَلْ تُرى يَنْهَضُ العِمْلاقُ مُنْتَفِضًا ... حرًا أبِيًّا عزيزَ الشَّاوِ والشَّانِ ؟

يعنو له الدَّهْرُ إجْلالًا ويرهبُ أن ... يَغشى حِماهُ وما يعنو لإنسان

مَوْلاىَ عُذْرَ القَوَافِى فِى تَساؤُلِها ... فلستُ مهما جفا قولى بخَوَّان

أضاعنى حرُّ رأيى فى صراحَتِه ... وقبلُ كمْ ضاع ذو حسٍّ ووجدانِ

كم راحَ غيرُك مزهوًّا بمنصبِهِ ... والتهنئاتِ ، ولم ينهض ببُنْيانِ

وكم مُحبٍّ على مرقاه هَنَّانِى ... لَمَّا تَنكَّر للآمالِ عَزَّانى

لكنَّ مِثْلَك لا يُزهى بتهنئةٍ ... إلا على عملٍ مُجْدٍ وإحسانِ

لَمَّا تَجَاوَبَت البُشْرَى حَمَلْتُ لَهَا ... قِيثَارَتِى بَعْدَمَا طَهَّرْتُ أَلْحَانِى

تزاحمتْ فى فمى للحقِّ واستبقتْ ... لظِلِّ روضٍ من الآمالِ فينانِ

---

(١) لها رواية أخرى فى مخطوطةِ (وحى الربيع) بعنوان تحية وتهنئة وكانت مهداه إلى الشيخ إبراهيم حمروش شيخ الأزهر وأحدث فيها تغيرا وهذه النسخة النهائية منها .

أقول: يا شعر هذا الروضُ فانشَ به ... علی الوفاء شذا رَوْحٍ وريحانِ

حَقٌّ عليكَ فكم أعلاكَ منزلةً ... وطالما شرفَتْنِي منه أُذْنانِ

مَنْ لَوْ يَجُرُّ على طِرْسٍ يَراعَتَهُ ... ثَناكَ تَعْثُرُ في إغْضاء خِزْيانْ

الألْمَعِيُّ الذي تَكْفيكَ لُمحَتُهُ ... فَظَنُّهُ ويَقِينُ النَّاسِ سِيَّانِ

ومُرْهفُ الحِسِّ لَمْ تُخْطِيءْ مَشاعِرُهُ ... مَشْيَ النِّمالِ على مَلساءَ صَفْوانِ

هَنِّئْهِ يا شعرُ واهتفْ في خمائلِه ... واصْدَحْ بِعصْماءَ يَرْوِيها الجَدِيْدانِ

إنَّ المعالى للأكفاءِ مفخرةٌ ... وللدَّعِيِّنَ نقصٌ أيُّ نقصانِ

مَا كُلُّ مَنْ نَالَها أَهْلٌ لِتَهْنِئَةٍ ... فَقَدْ تَعَزَّى إذَا ما نَالَها وَانِ

إنَّ العلا لَعَرُوسٌ إنْ خطبتَ لها ... مَنْ ليس كُفْئًا تَرَدَّت ثَوبَ أحزانِ

وَبُرْدَةٌ مِنْ كَرِيْمِ الخَزِّ لو خُلِعَتْ ... عَلَى قَعِيدٍ غَدَتْ أخلاقَ أكْفَانِ

في مَهْرَجانِكَ يامَوْلاى أبْعَثُها ... عَذْراءَ تَخْتَالُ في وَشْيٍ وأَلْوانِ

هَامَ الرَّبيعُ بها حُبًّا فَألَّفَ مِنْ ... أشْتَاتِها زَهْرَةً في كُلِّ بُسْتَانِ

جاءَتْكَ بالأمَلِ المَرْجُوِّ نَاضِرَةً ... فَلا تَدَعْها بِلا سَاقٍ ولاحَانِى

أعد لأزْهرنا قدسيَّ منصبِه ... فطالما اهْتَزَّ مِنْ ذُلٍّ وخِذْلانِ

وصَدَّ عنه تَعِلَّاتٌ يُرَوِّجُها ... مُرَوِّجُ الزَّيْفِ مِنْ زُوْرٍ وبُهْتَانِ

وألْـقِ في مِـسْمَعِ الـدُّنْيا بِـصَيحتِه حتَّـى يـردَّ مَـسرَّاهَا الـسِّماكَانِ

ولا تخيِّـبْ رجـاءً فيـكَ منعقـدا فأنـت أدرى بـآلام وأشْـجانِ

لاحـتْ مخايـلُ إصْـلاحٍ بـدأتَ بهـا فـأتْمِ الخـيرَ تغـنمْ كُـلَّ شُـكْرانِ

***

أجرٌ وعافيةٌ

بمناسبة عودة الأستاذ أحمد حسن الباقوري مدير جامعة الأزهر بعد علاجه في لندن.

أجْـرٌ وعَافِيـةٌ وعَـوْد أحْمَـدُ ... فاسْـلمْ لآمـالِ الحِمَـى يـا أحْمَـدُ

أرِقَتْ لِطُول نَواكَ جَامِعةُ الهُدَى ... والـشَّوقُ فى أحـشائِها يَتوَقَّـدُ

أوحشتْ مَغْنَاها وشُقْتَ رِحابَها ... ورَمَتْ مناهـا شُقَّةٌ بـك تبعـدُ

سَـهِرَتْ عليـكَ قُلوبُهـا وعيونُهـا ... لله تجـأرُ بالـدعاء وتَجْهَـدُ

وسَرَتْ عَلَى بُعْدِ المَزَارِ مَشُوقةً ... تَطْوي الجِـواءَ إلى لقـاكَ وتَحْفِـدُ

لَهَفَى تَرِفُّ على سَمائِكَ تارَةً ... طَـيْرًا وآنًـا في سَريـرِكَ ترقـدُ

اليَـوْمَ عُـدْتَ لَهَـا فقَـرَّ مُـرَوَّعٌ ... وأفَـاقَ عَـانٍ واسْـتراحَ مُـسَهَّدُ

طافَـتْ بهـا فاسْتبَشَرَتْ هِتَافِهـا ... بُـشْرَى تَقَـرُّ بِهـا العُيـونُ وتَـسْعَدُ

صَحَّتْ بِصِحَّتِكَ المُنَى وتَخايَلَتْ ... نَـشْوَى بِهـا مَزْهُـوَّةً تَتَجَـدَّدُ

الحمـدُ لله اللطيـفِ فإنَّـهُ ... لأَحَـقُّ مَـن يُثنَـى عَليـه ويُحْمـدُ

***

أبا سلوى

أبـا سَـلْوى بِحَـسْبكَ أنَّ سَـلْوَى تُحـاكِي الأُقْحُوانَـةَ في نَـدَاهَا

نمـتْ في دوحـةِ الـشَّرفِ المُعَـلَّى فتوَّجـتِ المَفَـاخِرَ في ذُراهـا

وشَـبَّتْ مِـنْ رَبيعِـكِ في ريـاضٍ تفتَّحَـتِ الأزَاهِـرُ في رُباهـا

فيـا لَـكِ زَهْـرةً حَـسناءَ ترنُـو أزاهـيرُ الربيـعِ إلى صِـبَاها

ويـا لـكِ نجمـةً لمـا تَبـدَّتْ نُجـومُ الليـلِ غَـارَتْ مِـنْ سَناهَا

حَباهَـا اللهُ ذَوقًـا شَـاعريًّا وحِـسًّا مُرْهَفًـا فـيما حَباهـا

رعاهَـا ظِلُّـك الحـانِي ملاكًـا سـماويًّا فَبُـورِكَ مَـنْ رَعَاهـا

بَقِيـتَ لهـا وعِـشْتَ بهـا قَريـرًا وقَـدْ بلغـتْ مـن الـدنيا مُناهـا

* * *

عودة الشفاء

(تهنئة لأحد شيوخ الأزهر بشفائه من مرضٍ أبعده طويلاً عن الأزهرِ)

أوْحَشْتَ مَغناهُ والرِّحابَا ... وشُقْتَ أهليهِ والصَّحابَا

فعُدْ إلى الأزهَرِ المُعَنَّى ... وأطفئِ الشَّوقَ والعَذابَا

أرَّقْتَهُ لوعةً وسُهدا ... وطُولَ سُؤلٍ لِمَا أصَابَا

كَمْ باتَ يَسْتَنْبِئُ الليالِي ... لهفانَ يَستَعْجِلُ الجَوابَا

ويرقُبُ المَوْكِبَ المُرَجَّى ... حَيرانَ يَسْتَطْلِعُ الرِّكَابَا

واهتزَّ كُرسِيُّه حَنينًا ... وضجَّ مِنْ شَوْقِهِ ارْتِقابَا

وكادَ يَسْعَى إليكَ لَمَّا ... أطلْتَ عن سَاحِهِ الغيابَا

فليُهْنِهِ اليومَ ما تَمَنَّى ... ولْيَحْمَدِ العَوْدَ والإِيَابَا

مُحمودُ يَا مَعْقِدَ الأمانِي ... ومَنْ حَدَوْنَا بِهِ الرَّغابَا[1]

أصابنا ما شكوتَ مِنه ... ومَسَّنَا ضُرُّهُ ونابا

سَحَابَةٌ طَوَّفَتْ بِبَدْرٍ ... والبَدْرُ كَمْ مَزَّقَ السَّحَابَا

وعاصفٌ مَرَّ فوقَ بَحْرٍ ... ومَا طَوى العَاصِفُ العُبَابَا

---

(١) الرغاب : جمع رغبة جمع تكسير .

وضَــــيفنٌ[1] غَــــرَّه كَــــريمٌ فاسْــــتمرأَ المُكْــــثَ واسْــــتَطابَا

قــد أقبــلَ الــدَّهْرُ في اعْتِــذارٍ لينــــشدَ الــــصَّفح والمتابَــــا

فاصْــفَحْ فــإِنَّ الكَــريمَ سَــمْحٌ لا يُوسِـــعُ المـــذنِبَ العِتابـــا

واســـلمْ وصُـــنْ مـــن أذى الأعــادي شَريعــةَ اللهِ والكتابَــا

قُــمْ واعْــلُ بــالأزْهَرِ الثُّريَّــا وافــتح لـــه في الـــسماءِ بابـــا

وصُــن حِمــاهُ مــن كــلِّ عــادٍ يَعْــدُو عــلى حقِّــه اغْتِــصَابا

وازْأَرْ تجــدْ كــلَّ ذي بُغــامٍ يخـــافُ ظُفـــرًا بـــه ونابَـــا

الحمـــدُ للهِ قَـــدْ دَعونَـــا ليكـــشفَ الـــضُرَّ فاسْـــتجابا

* * *

(١) ضيفن: المراد به المرض وهو الضيف ثقيل.

عودةُ المراغي - ١٩٣٥م

سَرتْ باسمكَ البُشرى فعاد لنا البِشرُ ... وعـادتْ لـدينِ الله آمالُـه الغُـرُّ

ودانـتْ لـكَ الأيـامُ بعـد اعتسافها ... وأقبـلَ في دُنيـاه يعتـذرُ الـدهرُ

وأشرقَ نـورُ الحـقِّ فانقشعَ الـدُّجى ... وحاقتْ بأهلِيها الدسائسُ والمكرُ

فقـل لطغـاة التيـهِ موسـى أتـاكمو ... أقلُّوا من الأوهامِ قد بطلَ السحرُ

وقلْ لِبُغاث الطيرِ قد ضلَّ سربُكم ... فعودوا إلي الأوكارِ جاءكمُ النسرُ

تـداركتِ المعمـورَ أقـدارُ رحمـةٍ ... ولله فـيـها قـد ألمَّ بـه سِرُّ

صـبرنا إلي أن بـارك اللهُ صـبرَنا ... وأجمـلُ شيءٍ في الحيـاةِ هـو الـصبرُ

****

فَعـدْ يـا إمـامَ المسلمينَ لِمنصبٍ ... أضرَّ بـه الـشوقُ المـبرِّحُ والهجـرُ

تهلَّـلَ لمـا عُـدتَ حـرًّا مكرَّمًـا ... يحالفُـكَ الـسعْدُ المـؤزَّرُ والنـصرُ

خلَعـتَ عليـهِ مـن جلالِـك هيبـةً ... فأمـسي عزيـزًا لا يُلـمُّ بـه ضـيرُ

عُرِفتَ أبِيَّ النفسِ لا تعرفُ الهوى ... ومن آفةِ الأخـلاقِ أن يُعْـرَف النُّكرُ

فأدْرِك حمي المعمورِ من محنةِ الهوى ... فأنـتَ لـه في كـلِّ نائبـةٍ ذُخْـرُ

ووحِّدْ علي الحبِّ الجميلِ صُفوفَه ... وضُـمَّ بنيـهِ لا يُفـرقُهم وِتْـرُ

وكُن والدًا للكلِ يأسو جراحَهم ويستلُّ ما يضني النفوسَ وما يَعرو

أهنيكَ يا مولايَ والناسُ كلُّهم يُهنِّئني حتى سما بك لي قَدْرُ

ومثلُكَ لا يُزهي بغرٍّ قصائدي ولكنْ به تُزهي قصائديَ الغرُّ

* * *

الخوارج (١)

(هؤلاء الذين يعترضون ركبَ العروبة في زحفه المقدس على طريق الحرية والحق والنور ، محاولين تعويق مسيرته باسم الإسلام).

من هؤلاءِ على ركبِ السُّرى زَحَفُوا ... أشباحُهم كالأفاعي الرُّقْطِ تَنْعَطِفُ؟

تَرَاكَضوا في الدُّجَى للغَدْرِ واجْتَمَعُوا ... عِصَابَةً بستارِ الليلِ تَلْتحِفُ

وموكبُ النورِ ماضٍ نحو غايته ... على طريقِ الهُدى والنصرِ لا يقفُ

مَدُّوا إليه رؤوسَ الحقدِ وائتمروا ... وأضْمروا الشَّر للأحرارِ واعتسفوا

يُبيِّتُون وربُّ العرشِ يكتب ما ... يُبيِّتُونَ، فيخزيهم وينتَصِفُ

يا ويحهم هل يضير الشمسَ حاسدُها ... وطرفه من سناها الغَمْرِ مُخْتطَفُ ؟

وهل يضلُّ بليلِ الغَدْرِ موكبُها ... وقد تلاشت على أضوائِه السُّدَفُ؟

شَقَّتْ مشاعِلُهُ الظَّلماءَ فافْتُضِحوا ... ومَزَّقتْ سِتْرَهم بالنورِ فانْكَشَفوا

وَقَى الكِنَانَةَ بَارِيها وسَلَّمَهَا ... وَقَدْ أُعِدَّ لَهَا التَّدْمِيرُ والتَّلَفُ

وصانَ أحرارَها من شرِّ ما مَكروا ... وحَاقَ بالمَاكِرِيْنَ الخِزْيُ والأَسَفُ

صَالوا غُرورًا فلما صاحَ رَائِدُها ... تَفَزَّعُوا مِنْ زَئِيرِ الليْثِ وارْتَجَفُوا

لقَدْ تهاووا خَزايا مِن تآمُرِهِم ... وانهارَ فُرسانُ ليلِ الغدرِ فاعتَرَفوا

---

(١) كتبت هذه القصيدة بعد حادث المنشية الذي استهدف الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

مَـنْ هَـؤُلاءِ ؟ أَنُـسَّاكٌ كَـما زَعَمُـوا ... فَـإِنَّهم عُـصبةٌ للـشرِّ تَـأْتَلِفُ

كـانُوا دُعـاةَ الهُـدَى حَتَّـى تَنكَّبَـه ... مِنهُم خَوارجُ خَانوا العَهْد وانْحَرفُوا

كَـانُوا كَتائِـبَ إِقْـدامٍ وتَـضْحِيةٍ ... قُلوبُ أَعْدائِهم مِنْ بَأْسِهم تَجِفُ

كَمْ زَلْزَلُوا جَنَباتِ الأَرْضِ وانْدفَعُوا ... كالسيلِ يَجْتاحُ ما يَلقَى ويَجْتَرِفُ

حَتَّى اسْتَدَارَتْ عَلَى الأَعْقَابِ عُصْبَتُهُمْ ... وقَدْ تغَلغَلَ فيها العُجْبُ والصَّلَفُ

يَـسْتحلِفون عَـلى إِثْـمٍ ومَعـصيةٍ ... وهَلْ على الإثمِ فى دينِ الهُدَى حَلِفُ؟

لِمَنْ بَنَادِقُهم ؟ فِيْمَن خَنَاجِرُهُمْ ؟ ... ومَنْ تَكُونُ الضَّحَايَا إِنْ هُمُو نَسَفُوا؟

أَلِلَّـذِى حَطَّـمَ الأَغْـلالَ فى وَطَـنٍ ... أَبْناؤهُ فى قُيودِ الذُّلِّ كَم رَسَفوا ؟

أللـذى حقـق الآمـال ، فانطلقـت ... بها شعوب كواها الشوق واللهف؟

للمُنْشَآتِ بمالِ الشَّعْبِ قد نَهَضَتْ ... وشَادَها السَّاعدُ المَفْتُولُ والكَتِفُ؟

الـدِّينُ يَـبْرَأُ مِمَّـا يَهْرِفُـونَ بِـه ... فَليسَ فى الدِّينِ والأخْلاقِ مَا هَرَفُوا

ومِـنْ دُعـاةٍ لِحلْـفٍ باسْمِهِ كَـذِبا ... واللهُ يعلـمُ مَـا المَقْـصودُ والهَـدَفُ

قَـدْ زَيَّفُـوهُ شِـعارًا يَـسْتُرُونَ بِـه ... ما يُضمرونَ وما استحيَوا ولاأَنِفُوا

وهَـلْ يُحـالِفُ أعـداءَ العُروبَـةِ في ... طَريـقِ آمَالِهـا إلا مَـنْ انْحَرَفُـوا ؟

هُمْ يَذْرِفونَ على الإِسْلامِ دَمْعَهمو ... ولـيسَ للهِ مـا نَـاحُوا ومَـا ذَرَفُـوا

كَمْ يظلمُ الدِّينَ مُحْتَالٌ بشرْعَتِه وكَمْ يُخَادِعُ دَجَّالٌ ومُحْتَرِفُ

ورُبَّ داعٍ إلى الأخْلاقِ مُحْتَشِدٍ لَو طُهِّرَ الناسُ مِنْ آثامِهِ نَظُفُوا

الدِّينُ للخَيْرِ والعُمْرانِ جَاءَ؛ وهُمْ بالشَّرِّ والهَدْمِ والتَّخْرِيبِ قَدْ شُغِفُوا

والدِّينُ بِاللُّطْفِ والإحْسَانِ دَعْوَتُهُ وَهُمْ عَلَى العُنْفِ والإرْهَابِ قَدْ عَكَفُوا

سِرْنا عَلى هَدْيِهِ عَدْلا وتَنْمِيةً فِيمَ الخلافُ وما فِي الحقِّ مُخْتَلَفُ ؟

مَاذا يُرِيدُونَ والتَّعويقُ دَيْدَنُهُم أكُلما سَارَ رَكبٌ للعُلا وقَفُوا ؟

عَهْدُ الفَوارِقِ قَدْ دَالَتْ مَعالِمُهُ بالقَصْدِ حَتى أتَى الحِرمَانُ والسَّرفُ

فلا فَقيرٌ مِنَ الحِرمانِ فى سَغَبٍ ولا غَنِيٌّ قُصَارى أمرِهِ التَّرَفُ

الدِّينُ ليس بِه ، جَاهٌ ولا لَقَبٌ إلا النَّزَاهَةُ والإخْلاصُ والشَّرَفُ

***

يا فتيةَ الأزْهَرِ المعمور ، أزْهَرُكم حَامي الحَقيقةِ ، لا زَيفٌ ولا سَخَفُ

إلى مَنارَتِه كَمْ خَفَّ مُقتَبِسٌ ومِن ينابيعِهِ كم عَلَّ مُغترِفُ

كونُوا على الحقِّ حُرَّاسًا لأمتكم واحْمُوا عَقيدتها من زِيف ما وَصَفُوا

صُونُوا مَكَاسِبهَا ، واحْدُوا مَوَاكِبَهَا فَلا يُعوِّقُهَا شَوْكٌ ولا زَغَفُ

***

يَا حَامِيَ الدينِ والأخلاقِ سِر قُدُما فالشعبُ خَلْفَكَ صَفٌّ ليسَ يَخْتَلِفُ

لا تُلْقِ بالًا لخَرَّاصين قَدْ مَرَقُوا وعَن طَرِيقِ العُلا والمَجْدِ قَدْ عَزَفُوا

طَبَائِعُ الناسِ شَتَّى فِي خَلَائِقِها لا يَستَوِي الذَّهَبُ الإبْرِيزُ والخَزَفُ

المحسنونَ لهُمْ إحسانُ ما عَمِلوا والمُفسدون عليهم وزرُ ما اقترفُوا

* * *

في موكب الذكرى

فى احتفال الأزهر بتوزيعِ الجوائزِ على أوائلِ الشهاداتِ العليا وكنتُ أنا مِنهم وذلك فى سنة ١٩٣٩م.

تلفَّــتَ خَــاطِرِى وهَفَــا جَنَــانِى   وأطـــرقَ فى مواكبهـــا بيـــانى
يَــــروعُ جلالُهــــا قَلبـــى فتعنـــو   لهيبتِهــــا كَــــريماتُ المَعـــانى
وتُلْهِــبُ لوعَــةُ الــذِّكْرى حَنِينِــى   فَيَعْقِــدُ لَــذعُها القَــاسِي لِـسانى
ومــا فــيضُ المــشاعرِ غــيرُ دَمــعٍ   تَحـدَّرَ مـن جِـراحِ القلـبِ قــانِ
أروحُ أُســـائلُ المـــاضى فَيَعْيـــا   وأيَـــنَ جَوابُـــهُ مِمَّـــا أُعَـــانِى
ومــــن يُطْــــرِى مُــــسالمَةَ الليـــالِى   كَمَـنْ يُطـرِى الـشجاعةَ فى الجَبانِ
لمحـــتُ بغمـــرةِ الـــذكرى شُـــعاعًا   مـــن التكـــريمِ لَمَّـــاحِ الأمـــانى
يمـــرُّ نـــدى سَـــناهُ عـــلى جَبينـــى   فيغمُرُنــــى بأطيــــافِ الحنــــانِ
وأســمعُ هاتِفًــا فى الأُفْــقِ يَــشْدو   فــيملأُ صَــوتُه رَحْــبَ العنــانِ
هــو المعمــورُ فخــرُ الــشرقِ طُــرًّا   ولـــيس لـــه عـــلى الغَـــبراءِ ثَـــانِ
يُـــسَافِرُ صِـــيْتُهُ شَرْقًـــا وغَرْبًـــا   إلى قَـــاصٍ مِـــن الـــدُّنيا ودَانِ
وقُـــلْ للمُـــرْجِفينَ بِـــه أفِيقـــوا   فَــمَا يُــصْمِيه مَفْلُــولُ الــسِّنَانِ
مَتــى نالــت حــصاةٌ مــن خِــضَمٍّ   وهــل يَخــشى القَتَــامَ النيِّرانِ ؟

فَــإِنْ عمِيَــتْ بَــصائِرُهُمْ فَهَــلَّا | تفــتَّحَ فى سَـــناهُ النَّـــاظِرانِ ؟
وإِنْ عَــشِيتْ نَــواظِرُهُمْ ضَــلَالا | فَقَـدْ يُغْنـى الـسَّمَاعُ عَـن العَيَـانِ
أبٌ بَـــرٌّ يُجَـــاهِرُه بَنُـــوه | عُقوقًـــا بالمثالـــبِ والطِّعـــانِ
نماهُـــم فى ذُراهُ فـــروعَ دَوْحٍ | ولَيْـسوا غـيرَ أغـصانٍ لِـدانِ
وكَـــمْ وَرَدُوا مَنَاهِلَـــه ظِـــماءً | فَـذاقو الـشَّهْدَ مِـنْ حُلـو الـدِّنَانِ
وأرضَــعَهم فَمُــذْ فُطِمُــوا جَفَــوْهُ | وفى أفـــواهِهِم دَرُّ اللِّبـــانِ
إمـــامَ المـــسلمين ومُـــصطفانا [1] | سَلمْتَ سَلمْتَ من ريبِ الزمانِ
فَــدَيْتُكَ أنْــتَ أوَّلُ مَــنْ حَبَــانِى | بِتَقْــدِيرٍ وأَكْــرَمُ مَــنْ رَعَــانِى
إذا صـادفتُ مـن دَهـرى جُحُـودًا | كَفــانى مِنْــك تَقــديرٌ كَفَــانِى
عَرفـتُ الفَخْـرَ مـذ أطرَيْـتَ شِـعْرى | ودِنْـتُ الـنجمَ مُـذْ أعليتَ شَـانى
إذا أنـــشدتُه يومًـــا أصَـــاخَتْ | لــه الــدنيا وأصْـغَى الـشِّعْرَيانِ
فَرَائِـدُ مِــنْ يَتِـيْمِ الـدُّر شَـاقَتْ | كَـــرَائِمهنَّ لَبَّـــاتُ الغَـــوانِي
ومـــا أنَـــا فيـــه إلا أزْهَـــرِىٌّ | أُغنِّـــى للوفـــاءِ وقـــد دَعـــانى
شَـــأَوْتُ فَـــوَارِسَ المَيْـــدانِ فِيـــهِ | وحُزْتَ الخَصْلَ مِنْ قَصَبِ الرِّهانِ

---

١) هو المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الأزهر آنذاك.

وكيفَ يفوتُنى فى الشِّعر فَوقٌ وَمجدُ الأزهرِ العالى نَماني

وما عرفَ البيانَ الحُرَّ شادٍ إذا لم يَنْشَ منه شَذَا البيانِ

بقيتَ لنا تُبلِّغُنا المَعالى وتَدفَعُنا لها مِنك اليدان

* * *

الدكتور / محمد العيد الخطراوى [1]

الشاعر المحلق ، والعالم المحقق ، والأديب المبدع ، رمز الآباء الحر ، والوفاء النبيل.

لـو نظمـتُ النجـومَ عِقـدَ ثنـاءِ ... لـك لمْ أقـضِ بعـضَ حَـقِّ الوفـاءِ

لـكَ يـا (خَطْـراوى)عَـلَيَّ أيـادٍ ... غَمَرَتْنـــى بـــسابغِ الـــنَّعماءِ

كُلَّـما نَـابنى مـن الـدهرِ خطـبٌ ... كنتَ فى الخطبِ سَلوتِى وعَزائـى

كَيـفَ أنْـسَى وأنْـتَ أوْفَى تَلامِيْـذِى ... وأصْـفَى الخِـلَّانِ والأصْـدِقَاءِ

لمْ أعُـدْ أذْكُـرُ البَنـينَ بِفقـدٍ ... أنْـتَ عَوَّضْـتَنى عَـنِ الأبْنـاءِ

يـا عزيـزَ الإبـاءِ فِى زمـنٍ ينـدرُ فيـه ... مَـنْ كَـانَ حُـرَّ الإبـاءِ

سَـادَ فِيـه النِّفَـاقُ واسْـتَحْكَمَ الحِقْـدُ ... وماجَـتْ دُنْيَـاهُ بِالبَغْـضَاءِ

جَمعتْنـا شَـمائلٌ نحـن مِنهـا ... فى بنـى عَـصْرنا مـن الغُربَـاءِ

كَـمْ تُعـانِى مِـنَ الجُحُـودِ مُعانَـاتِى ... وتَـشْكو مِـثلى مِـن الأدْعِيـاءِ

ولكـمْ ضِـقتَ بالنفـاق كـما ضِـقتُ ... وكـم هالنـا وبَـاءُ الرِّيـاءِ

لَـيْسَ بالعَيْـبِ أنْ يَثُـورَ أبِـىٌّ ... إنَّـما العَيـبُ ذِلَّـةُ الإغْـضَاءِ

يـأنفُ الحـرُّ أن يُـسيغ الـدنِيَّاتِ ... ويـأبَى تَطـاوُلَ الجُهَـلاءِ

---

١) هذه القصيدة مستلَّةٌ من قصيدة قديمة في ديوان وحي الربيع بعنوان مهرجان صديق بعنوان جانبي : الصداقةُ والصديق بعد تعديلها واختصارها.

رُبَّ داعٍ للــدينِ وهْــوَ يــسبُّ الــدينَ فى صُــبْحِهِ وعِنــدَ المَــساءِ

مِحْنَــةٌ تَخْنُــقُ النُّبُــوغَ وتُــزْرِى بِــذَوِى المَوْهِبــاتِ والأكْفَــاءِ

أَتُراهَــا ضَريبــةَ العَبْقَرِيَّــاتِ عَــلى العِلْــمِ والحِجَــى والــذَّكاءِ ؟

ياصَــدِيْقِى هَــذا زَمَــانُ الأفَــاعِى لَــيْس هَــذا الزَّمــانُ للــشُّرَفَاءِ

كــمْ تمنيــتُ أنْ أرى وجْــهَ حُــرٍّ فِيــه حتَّــى وجَــدْتُ فيــه رجَــائِى

صَــاغَك الله يــا (محمــدُ) رَمْــزًا لنقــاءِ الــسريرةِ البيــضاءِ

وإذا مَــا طَوِيَّــةُ المَــرءِ صَــحَّتْ كَــانَ للخَــيْرِ مَــصْدَرًا والعَطَــاءِ

حَــدِّثِى يَــا مَدِيْنَــةَ النُّــورِ عَنْــهُ كَــم تَغْنِــى بِمَجْــدِكَ الوَضَّــاءِ

عَبْقَــرِىُّ الــيَراعِ سَــجَّلَ تاريخَــكِ سِــفْرًا حُرُوْفُــهُ مِــنْ ضِــيَاءِ [1]

شَــاعِرٌ عَــالِمٌ أدِيْــبٌ نَبِيْــلٌ صَــادِقٌ فى الــودِّ أرْيَحِيُّ الــصَّفَاءِ

يــستعيرُ الرَّبيــعَ بِــيضَ سَــجاياهُ عُقــودًا للرَوْضَــةِ العَــذْرَاءِ

الــصديقُ الــصدوقُ لمْ يَتَحــوَّل عَــنْ وَفــاءٍ ولمْ يَحُــلْ عَــنْ وَلاءِ

والــصَّديقُ الــوَفِيُّ فى هــذهِ الأيــامِ أضْــحَى مِــنْ أنْــدَرِ الأشْيــاءِ

أصْــدقاءُ الزَّمَــانِ أحْبَــابُ سَرَّاءٍ وأعْــدَاءٌ سَــاعَةَ الــضَّرَّاءِ

---

١) إشارة إلى رسالة الدكتوراه التى كتبها عن المدينة المنورة وآثرها فى الحياة الثقافية والأدبية.

يَـــا رَفِيْقِـــى فِى عُـــسْرَةٍ ويَـــسَارِ   ونَـــدِيْمِى فِى شِـــدَّةٍ ورَخَـــاءِ

عـــشتَ للمكرُمـــاتِ حُـــرًّا أبِيًّـــا   يا (ابْنَ عِيْدٍ) ودُمْتَ رَمْزَ الوفاءِ

* * *

الدكتور / أحمد عبد الله اليحيى

أوفى من عرفت من تلاميذى وأصدقائي:

بنفسِي مَنْ يَقُلُّ لهُ فِداهَا ... ومَنْ بوفائِهِ رَوَّى صَدَاها

رَأيتُ بِهِ المَودَّةَ رأىَ عَينٍ ... ولَمْ أكُ قَبلَ صُحْبَتِه أرَاهَا

أخي يا أحمدَ اليَحْيى (١) برُوحى ... فأنْتَ نَديمُها وسَنا دُجَاها

عرفْتُكَ فاغتَفَرْتُ ذُنوبَ دَهْرِى ... وقَدْ شَاهَتْ خَلائِقُهُ وشَاهَا

فَلَمْ أر فيهِ غَيرَ لئيمِ نَفسٍ ... على خُبثِ السريرةِ قَدْ طَواها

حَقُودُ الطبعِ ما سنَحَتْ لِطَعْنى ... سَوانِحُ رَميةٍ إلا رَمَاها

فإنْ أصْحَبه يُمْطِرْنى ثَناءًا ... وإنْ أتْرُكْهُ يُوسِعْنِى سِفَاها

أَشَدُّ عُرى صداقَتِه وفَاءًا ... فيقطعُ فى مُخاتَلَةٍ عُرَاها

لقدْ ظلمَ الصَّداقةَ مُدَّعِيها ... وما عرفَ الوفاءَ من إدَّعاها

فلا تخدَعْكَ ألفاظٌ حِسانٌ ... تُقالُ وما تجَاوزتِ الشِّفَاها

وجَدتُ بكَ الصديقَ الحقَّ ... تَزْكو شَمَائِلهُ فينْفَحُنِى شَذَاها

وأوْفَى مَنْ صَحِبْتُهم اخْتِبَارًا ... وأصْدَقُ مَنْ عَرفْتُهمُ اكْتِناها

---

١) هو الدكتور / احمد بن عبد الله اليحيى من بريدة بالقصيم بالمملكة العربية السعودية.

وأســمحُ طلعــةً وأعــفُّ خُلْقًــا وأعْــرقُ مَحْتِــدًا وأصَــحُّ جَاهــا

نَقَــاءُ سَريــرَةٍ وصَــفاءُ قلــبٍ إذا مــا عــزَّ في الــدُّنيا صَــفَاها

شَــمائلُ طَالمــا شَــاقتْ خَيــالى وطــوَّفَ باحثًــا عنهــا فَتَاهَــا [1]

ولــولا أنَّهــا مَثُلَــتْ لِعَيْنِــى لَمَــا صَــدَّقتُ فى زَمَنــى رُؤاهــا

***

1) تاها : ضَلَّ ولم يهتدِ إليها .

الإذاعة ١٩٥٠م

قُـلْ لمـنْ يَكفُلـونَ دارَ الإذاعَـةْ   أنْقِذوا الـشَّعبَ وارْحَمـوا أسْـماعَهْ

حطِّمُوهـا عـلى النَّواعِـبِ فيهـا   وأرِيحـوا أعْـصَابنا المُلْتاعَـهْ

اسْـتَمَعْتُمْ لَهـا فَهـلَّا اسْـتَمَعْتُمْ   لِسِوىَ الهَـزْلِ والخَنَـا والخَلَاعَـةْ

هَى سُوقُ الـرَّخِيصِ مِن كُلِّ فَنٍّ   لا تَـرى فيـهِ غَـيرَ زَيـفِ البِضاعةْ

وهْـىَ حـربٌ عـلى الرفيـعِ مـن الفـنِّ إذا لمْ تكـنْ لديـهِ شَـفَاعَهْ

كُـلُّ حِـزْبٍ رَامٍ لهـا المحاسـيبَ ارْتزاقًـا وحَاشِـدٌ أتباعَـهْ

مـن خَليـعٍ يَهْـذى بِكُـلِّ خَليـعٍ   ورَقِيـعٍ يُجيـدُ فَـنَّ الرَّقَاعَـةْ

وجهـولٍ يُـذيعُ لَغـوًا ولَـولا   أنَّـه ذَيْـلُ شَـافِعٍ مَـا أذاعَـهْ

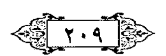
وصـفيقٍ يمـشى بكـلِّ رِكَـابٍ   وهْـوَ فى كُـلِّ مَوْجَـةٍ فُقَّاعَـهْ

جَهْلُـهُ فى الحِمَـى هِتَـافُ نِفَـاقٍ   وشَـهادَاتُهُ فُنُـونُ الـضَّرَاعَهْ

اهْـدِمُوها عَـلى النَّواعِـبِ دَارًا   صَـيَّرتنا إلى العُـلا فى مجَاعَـةْ

كُلَّـما صَـاحَ فى الإذاعَـةِ مِـنْهم   صَـائِحٌ زادَ لِلحِمَـى أوْجاعَـهْ

بِـئسَ دَهـرٌ أحـرارُهُ فى ضَـياعٍ   وفنـونُ الأحْـرارِ فيـهِ مُـضَاعَةْ



شاعر

قيلت فى تكريم الشاعر الكبير الأستاذ عزيز أباظة.

سَاجِعٌ لَحْنُهُ السَّنَا والعَبيرُ رَجَّعَتْ شَدْوَه الرُّبي والطُّيورُ

نَفَخَ الخُلْدُ بالحَياةِ أغَانِيهِ فَرِحَتْ بِها تُغَنِّى الحُوْرُ

أرهفَ الدهرُ سَمْعَه لِصداها فانثنى وهْوَ بالصَّدَى مَسْحورُ

شَاعِرٌ صَاغَه الأسَى عَبْقَرِيًّا والأسَى عَبقريَّةٌ ونُشُورُ

صَهَرَتْ قَلْبَهُ اللَّيالِي وألْوَى بِمُناهُ الزَّمانُ والمقْدُورُ

فإذا نَفْسُه مُنًى ووفَاءً وإذا قَلْبُهُ رُبًى وغَديرُ

فجَّرَ الحزنُ فى الحنايا ينابيعَ مِن الشِّعرِ، فَيضُهنَّ غزيرُ

تَجدُ النَّفسُ فيه رُوحَ عَزاءٍ يَتأسَّى بِه الفُؤادُ الأسيرُ ؟

شَاعِرٌ صَادقُ الشُّعورِ رَقيقٌ إنَّما الشِّعرُ رِقَّةٌ وشُعورُ

ومِنَ الشعرِ ما وعَتْهُ صدورٌ ومن الشِّعرِ ما حوتْهُ قُبورُ

ومِن الشِّعرِ ظُلمةٌ وقَتادٌ ومن الشِّعرِ شُعلةٌ وعَبيرُ

نَظَمَ الحُبَّ والبُطولَةَ لَحْنًا تَتغَنَّى به فَتُشْجَى العُصُورُ

وكؤوسًا يُديرُها عَبْقَرِيٌّ للنُّفُوسِ الظَّمأَى، ونِعمَ المُديرُ

ردَّ للمسرحِ الحياةَ، وقد كانَ إلى الموتِ بعد شوقى يَسيرُ

فرأينا دُنًى من الفنِّ يجلوها يَراعٌ بسرِّهنَّ خَبيرُ

ورأينا الهَوى أفَانينَ شَتَّى وأغاريدَ صَاغَهُنَّ قَديرُ

معهدى

يامراحَ الصِّبا ومغْدَى الشَّبَابِ ... ومناطَ المُنى ومَهْدَ الرِّغَابِ

قَدْ حَجَجْنَا إليكَ يَا كَعبةَ العِلمِ على الشَّوقِ بَعْدَ طُولِ الغِيابِ

وورَدْنا مناهلًا لكَ كُنَّا ... نتساقى منها رحيقَ الشبابِ

واستبقنا إلى ربيعِكَ طيرًا ... شَاقها مِنك فاتناتُ الرَّوابِى

كُلما ضَمَّها بظلِّكَ أيْكٌ ... هَتَفَتْ فيكَ بالأمَانِى العِذابِ

لَمْ يغيِّر عُهودَنا فيكَ بَيْنٌ ... لا ولم نَنْسَها مَدى الأحقابِ

لَفَحَاتُ الأشْوَاقِ بَينَ الحَنَايَا ... وحَنِينُ الوَفَاءِ مِلءُ الإهَابِ

كَم تفيَّأتُ من رياضِكَ ظِلًّا ... ضَمَّنِى أُنْسُه مَع الأَصْحابِ

وهَدانِى السبيلَ نُورُك حتى ... جُزْتُ هولَ الدُّجى ووعْرَ الشعابِ

ذكرياتٌ تعتادُنى اليومَ لَمَّا ... زُرتُ قُدسَ الهُدى وطُهْرَ الرِّحابِ

أنْتَ يا مَعهَدى أبٌ وأنا ابْنُ ... نِسبةٌ تَزدَهى على الأَنْسابِ

أنْتَ علمتنا الوفاءَ وما خانَ حقوقَ الهوى سِوى الكَذَّابِ

وإذا المرءُ عقَّ مَعهدَهُ لم ... يُؤتَمنْ وُدُّهُ معَ الأحبابِ

أنَا ذا اليومِ فى رحَابِكَ أشْدو ... بِقصيدٍ مِن لحَنِىَ المُنْسابِ

يَطْـرَبُ الـسَّامِعُونَ فِيـهِ لآمَـالِي ... ومِــثْلِيَ الجَــدِيرُ بِــالإِطْرَابِ

وأمــانِى المُعلمــين مــن الآلامِ طيــفُ النعــيمِ بــينَ العَــذابِ

مَنْ سواهُمْ أحقُّ بالعَطفِ حتى ... تــتراءَى آمــالُهم كالــسَّرابِ

إنَّ مَــنْ يُنْـشِئْ العُقُـولَ جَـدِيرٌ ... بِاعْتلاءِ السُّهَا وسُكْنَى السَّحَابِ

وإذا أهْمــلَ المُعلِّــمَ شَــعبٌ ... دُفِـنَ العِلْـمُ والنُّهَـى فِى الـتُّرابِ

مَــنْ يَمِــزْهُ مِــنَ الطَّوَائِــفِ لَمْ يَظْلِــمْ وَمَــنْ يُنْـصِفِ النُّهَــى لا يُحَـابِى

كَــرَّمَ الله مِــنْ قــديمٍ مــساعِيهِ وأعْــلى مَقامَــهُ فِى الكِتــابِ

يـا صِـحَابِى طُوفـوا بكعبتِنـا الغَـراءِ واقْـضوا حقوقَهـا يَـا صِـحابى

فلهَـا فى الأعنـاقِ أكـرمُ دَيْـنٍ ... يقتــضينا حُقوقَــهُ فِى الرِّقَــابِ

❋ ❋ ❋

اعتذار [(١)]

" بعث بها إلى صديق نبيل ، أرجف الوشاةُ بينى وبينه ، ثم ظهر لى كذبُهم فيما نقلوه عنه لى ، ونبلُه فيما رد به وشايتهم عنى ".

يُحَيِّيكَ يا ربَّ اليراعةِ شاعِرٌ ... يَرَى شُكْرَكم حَقًّا عليه وواجِبَا

شَهدتَ له نُبلًا ، وأنْصَفتَ رأيَه ... وأعذَرْتَه فى مَشهدِ القومِ غَائِبَا

أيَغْضَبُ سَمْحٌ من وِشَايَةِ حَاسِدٍ؟ ... فديتُك مسامحا ، وأفديكَ غاضبا

وما كانَ بالُمصغى لإفكِ وشايةٍ ... مُعوِّدُنا أن يطرَحَ اللغوَ جانِبا

مَحَاسِنُ مَحْمُودِ الخِلالِ مَحَاسِنٌ ... وَإنْ رَاحَ يُسْميها الحَسُودُ مَثَالِبَا

لَقَدْ أرْجَفَ الوَاشونَ عَنْكَ ... بِمَزْعَمٍ تَبَيَّنَ عِندى أنَّه كَان كَاذِبا

ومِنْ عَجَبٍ أنْ يُبْلِغُوكَ ومَا دَرَوا ... بأَنَّ أخَا الوَجْهَينِ يَرْتَدُّ خَائِبَا

تَعثَّرَ حظِّى يا صديقُ بمعشرٍ ... يُحيلونَ صَدَّاحَ الأغاريدِ ناعِبا

وَمَنْ كَانَ فى ليلِ المَظَالمِ رَامِيا ... أصَابَ عدوًّا أو تَحَيَّفَ صَاحِبا

أعيذُكَ مِنْ مَرَضَى النِّفاقِ فإنَّنِى ... ألاقِى ذِئَابًا مِنْهُو وثَعَالِبَا

أعيشُ غريبًا بينهم بِصراحَتِى ... وأكشفُ منهم كُلَّ يومٍ غرائِبَا

---

(١) القصيدة موجودة في ديوان وحي الربيع، ولكنها في الشعر الملكي وهي تختلف عنها وهذا يعني أنها لم تكن لصديق وإنما كانت للملك وفيها هناك اعتذار واضح واعتراف بالخطأ وطلب العفو بصيغة لا تكون من صديق.

وكَمْ ألصقوا بى تُهْمَةً بَعدَ تهمةٍ   وكَـمْ نَسبُوا زُورًا إلى كَواذِبا

فلا تغتَرِرْ مِنهم بِخادعِ مَظهرٍ   يُخبِّئُ أظفارًا ويُخفى مَخالِبا

وأنتَ على نبلٍ من القولِ جاءَنى   لكَ الفضلُ إنْ أعْتَبتَ أوْ كُنْت عاتِبَا

* * *

سر ابن زيدون

" كان الأستاذ الكبير الشيخ محمد عرفة أحد أعضاء لجنة مناقشة رسالتى عن (ابن زيدون) وكان مريضا ، فوافق شفاؤه الموعد المحدد للمناقشة ".

أيُّ عيدٍ لنا وأيَّةُ بُشْرى يَوم عُوفيتَ فانْتَشى العِلمُ بِشْرَا ؟

حمِدتْ عودَك العيونُ الحيارَى وارتَوتْ أنْفُسٌ مِنَ الشَّوْقِ حَرَّى

يا مُديرَ الإرْشادِ ما مَسَّكَ الضُّرُّ، ولكنْ مَسَّ الهُدى والخَيرَا

لو مَلكنا الخَيارَ كنا حَمَلنا بَدلًا منكَ ما أساءَ وضَرَّا

عَاصفٌ لم يَلُذْ بغيرِكَ بَحْرًا وسَحابٌ لَمْ يَغشَ غَيرَك بَدرا

رُبَّ غَيمٍ من صفحةِ البدرِ غيرانُ، وريحٍ من صَولةِ البحرِ غَيرَى

ضَيْفَنٌ لا يَزُورُ إلا كَريما رَاقَهُ العِلمُ والنَّدى فَاسْتَقَرَّا

وابْتلاءٌ يُضَاعِفُ الله فِيه لأحِبَّائِه ثَوابًا وأجْرَا

فاهْنَ بالبرِّ يا مُحمدُ واسْعدْ إنَّه نِعْمَةٌ مِن الله كُبْرَى

كَانَ وعدًا عليه يومَ امتحانى أن يوافِيكَ بالشِّفاءِ فَبَرَّا

لَسْتُ أدْرِى أكَانَ ذَاكَ رَجَائِى فِيهِ ؟ أمْ أنَّ لابْنِ زَيْدُونَ سِرًّا ؟

***

طفولة

يَــا مُــصْطَفَى يَــا ابْــنَ أَحْمَــدْ ... يَــا مَاجِــدًا وابْــنَ أَمْجَــدْ

عَـــلَى مُحَيَّـــاكَ مِنْـــهُ ... آيَـــاتُ نُبْـــلٍ وسُـــؤْدَدْ

وفى عيونِـــكَ لَمْـــعٌ ... مِـــن الـــذكاءِ تَوقَّـــدْ

مخايـــلٌ مِـــن حجـــاهُ ... عـــلى النَّجابـــةِ تَـــشهدْ

البيـــتُ منـــك سَـــماءٌ ... وأنـــت فى البيـــتِ فَرْقَـــدْ

دَرَجْـــتَ فِيـــهِ عَزِيْـــزًا ... مُنَـــضَّرَ العُـــودِ أمْلَـــدْ

تحنـــو عليـــكَ قلـــوبٌ ... بِحُـــسنِ مـــرآكَ تَـــسْعَدْ

فأَنْـــتَ كُـــلُّ مُنـــاهُ ... مِـــن الزمـــانِ وأوْحَـــدْ

وأنـــت أعـــذبُ لحـــنٍ ... عـــلى الـــشفاهِ تـــرَدَّدْ

حلـــو الطفولـــة إمـــا ... تُطيـــعُ أو تتمـــرد

وحيـــنما تـــترضَّى ... وحيـــنما تَتوَعَّـــدْ

بُغَامُـــكَ العَـــذْبُ أحْـــلَى ... فِى الـــسَّمْعِ مِـــن صَـــوْتِ مَعْبَـــدْ

سِـــحْرٌ لعمـــرِى إذا مَـــا ... حَـــاكي ونَـــاغَي وقلَّـــدْ

مسقْـــسِقٌ إن تغنَّـــي ... خلنـــا العُـــصَيفيرَ غـــرَّدْ

عِـــشْ يـــا رجَـــاء صـــديقى ... وانهـــضْ إلى المجـــدِ واصْـــعَدْ

وكُـــنْ لـــهُ خـــيرَ شِـــبلٍ ... واهنَـــأْ بِـــدُنياكَ واسْـــعَدْ

هذا الشباب

« قِيلت في تكريم الصديق الأستاذ(١) أحمد الشرباصي بدار الشبان المسلمين » عام ١٩٣٩م.

كـــرِّمْ رفيـــقَ الـــشَّبابِ	وحَــــيِّ خـــيرَ الـــصِّحابِ
مَـــنْ غـــيرُ (أحْمَـــدَ) أوْلى	بـــشعرىَ المُـــستَطابِ
كَرَّمْـــتُ فيـــه أدِيْبًـــا	مُهَـــذَّبَ الآدابِ
وكاتِبًـــا عَبْقَرِيًّـــا	فى دَوْلَـــةِ الكُتَّـــابِ
عَـــفُّ البيـــانِ رَقيقًـــا	يَـــسْمو بِكُـــلِّ عُجَـــابٍ
تَحَـــدَّرَ الـــسِّحْرُ مِنْـــه	بَـــين المِـــدَادِ المُـــذابِ
يـــا صـــاحِبى ورَفِيقـــى	أفْـــدِيكَ مـــن كُـــلِّ عَـــابِ
أُعِجبْـــتُ فِيـــكَ بِعَـــزْمٍ	مُغَـــامرٍ، وثَّـــابِ
ومطمـــحٍ لا يُبَـــالى	يومًـــا بهـــولِ الـــصِّعابِ
ومَـــا أحابِيـــكَ، إنِّـــى	يـــا صَـــاحِبى لا أُحَـــابى
إنَّ الحَيـــاةَ عُبَـــابٌ	فَخُـــضْ غِـــمارَ العُبَـــابِ

---

(١) د. أحمد عبده الشرباصي مواليد قرية البجلات – منية النصر – الدقهلية، (١٩١٨ – ١٩٨٠م)، كان أستاذًا وخطيبًا مفوَّهًا وأديبًا ألمعيًّا وأزهريًّا عبقريًّا.

وخُــــذْ مَكانَـــك مِنهــــا   يــا صــاحِ فــوقَ الــسَّحابِ
يــا صــاحِبى رُحْــتَ تَــشكو   مــــن جَاحِــــدٍ مُرتَــــابِ
ومِــــنْ هــــوىً مُــــسْتَبَدٍّ   يُــزْرى بِجَهــدِ الــشَّبابِ
بَعْــضَ الــشكاةِ ، فَهـــذا   يــا صــاحِبى بَعــضُ مَــابِى
هَـــذا مــــصابُك فِـــيهم   فهـــل علمـــتَ مُــصابِى ؟
كَــمْ هــاتِفٍ بــالرَّوابى   تَــضجُّ منـــه الرَّوابـــى
مقلِّــــدٌ ، مَــــا تَمَـــلَّى   مِــــنْ حُــــسنِها الخَــــلَّابِ
ولـــيسَ يُـــشْجيهِ صـــوتٌ   إلا نعيـــــبَ الغــــرابِ
تَـــراهُ هَــيمانَ يَهْـــذِى   فِى جِيئَـــــةٍ وذِهَـــــابِ
والأرضُ خَـــاطرُ وهـــمٍ   فى فكــــرهِ الــــصَّخَّابِ
وحاشـــدٍ كُـــلَّ لفـــظٍ   فى زَينــــبٍ والرَّبـــابِ
يظـــلُّ يـــشكو هَـــواهُ   فى لَوْعَـــةٍ وانْتِحـــابِ
كــيْما يُقَــالَ : أديـــبٌ   مُتَـــــيمٌ بكَعَـــــابِ
ومــــا أحــــسَّ غرامًــــا   فى حُلْـــوِه والعــــذابِ
وإنْ تغنَّــــــى بِلَــــــيلَى   شَـــقَّتْ جَديـــدَ الثِّيــــابِ

وشَـــاعِرٌ مُـــسْتَميتٌ بِفَنِّـــــهِ الكَـــــذَّابِ

بِكـــلِّ بـــابٍ تَـــراهُ مُقبِّــــلَ الأعتـــابِ

ولا يُبَـــالى قَفَـــاهُ بِـــصفْعَةِ البَـــوَّابِ

إِنْ ســارَ رَكْــبُ عَــرُوسٍ رَأَيتَـــهُ فِى الرِّكَـــابِ

أو مَــرَّ موكــبُ نعــشٍ عَرَفْتَـــهُ بالنُّعـــابِ

يَــا صَــاحِبى دَعْ هَــوَاهُمْ فَكَيْـــدُهُمْ فِى تبَـــابِ

إنَّ الزمَـــانَ كَفيـــلٌ بِــرَدِّهمْ للـــصَّوَابِ

المُـــدَّعِى الفَـــنَّ زُورا كالأشْـــيبِ المُتَـــصابِى

فانْـــشُر بيانَـــك فِينـــا واصـدعْ بفـصلِ الخِطـابِ

للـــصَّابِرِ المُتَمَنِّـــى طُـــوبَى وحُـــسْنُ مَـــآبِ

* * *

خواطر فى العيد

" بعث بها إلى صديق كبير غمرني بحبه وتقديره "[١]

شَــادٍ بِحُبِّــكَ لا تَغْفُــو مَزَاهِــرُهُ ... تَهْفُــو إليــكَ شَــجَيَّاتٍ خَــوَاطِرُهُ

ألهمتَـه فَـشدا ، والغيـثُ يعرفُهــا ... للبحـرِ حـينَ يَـردُّ الغيـثَ زَاخـرُهُ

من كنتَ يا مصطفي وحيا لخاطرِهِ ... باهــتْ أواليــهِ إلهامًــا أواخــرُه

يا مَنْ حَبانىَ بالحبِّ الكبيرِ ومَـنْ ... والَى الجميل إلى أنْ عِيَّ حاصِرُهُ[٢]

ومَـنْ لَقِيـتُ بِـه دِرْعًـا وُقيـتُ بِـه ... مِن صَوْلةِ الدَّهْرِ حَتَّى طَاشَ بَاتِرُهُ

ومُلْبِـسي مِـنْ حَنَـانٍ كنـتُ فاقِـدَهُ ... مَـا زَانَ عاطِـلَ آمَـالى جَـواهِرُهُ

يهنيـكَ عيـدٌ سـعيدٌ أنـتَ بَهجتُـهُ ... وأنْـتَ بُـشْراهُ إذا فاضَـتْ بـشائِرُهُ

وأنـــتَ في كـــلِّ يـــومٍ للمنـــي ... ولنـا عيـدٌ يهلُّ علي الأيامِ بـاكرُه

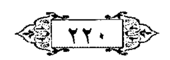
* * *

وافَى وفى النفسِ ليلُ اليُتْمِ مُعتكرٌ ... ومـا كَليـلِ اليتـامى جَـنَّ عَـاكِرُهُ

---

١) مخطوط فى وحى الربيع :" ... قال فى مقدمتها " بعثت بها إلى المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق عندما كان شيخا للأزهر في عام ١٩٤٦م؛ وكان حذف منها خمسة أبيات (٣ ، ٨ ، ١٠ ، ١١، ١٥) في نسخة ١٩٨٤ م .

٢) الشطر الأول في (وحي الربيع) : يا مُسبغَ النعمةِ الكبرى عليَّ..



ذكـرْتُ أمِّـيَ فيـه بعـدَ رقْـدَتِها ... والجرحُ من فقدِها ما التامَ ناغرُهُ

ووالـدًا بكَّـرَ البـينُ المُلِـمُّ بـه ... وكـم قسا البـينُ لَمَّا طـاف دائـرُهُ

ذِكْرَى يُجِدِّدُها عِيدُ اليَتِيْمِ أَسًـى ... إنَّ اليَتيمَ قَرِيْـبُ الشَّجْو حَاضِرُهُ

عِيدُ الشَّجِيِّينَ تَجْديدٌ لشَجْوِهُمو ... و للخَليِّـينَ عُـرْسٌ جَـدَّ سَـامِرُهُ

ما العيدُ إلا رُواءُ النفسِ يُسْعِدُها ... وليسَ بالعيدِ ما غَـرَّتْ مَظَاهِرُهُ

مـولايَ طـالعني في ليله أَلَـقٌ مـنْ ... صبحِ عطفكَ ضـافي النورِ سافرُهُ

حَالَـتْ مَنـاظِرُه فى العـينِ مِـنْ ... شَجَنٍ لَمَّا ذكرتُك راقَتْنِى مَناظرُهُ

* * *

وداع (١)

أحقًّا لم يَعدْ غيرُ القليلِ ... ويؤذنُ بالنَّوى ركبُ الرَّحِيلِ

وكَيْفَ تُطِيقُ يا قَلْبِى وَدَاعًا ... لمنْ هو صاحبُ الخلقِ النَّبيلِ

وكُنْتَ إذا نَأَى نَأيًا قَصِيرًا ... تَحِنُّ فَكيفَ بالنَّأيِ الطَّوِيْلِ

هى الدنيا تُفرِّقُ كلَّ جَمعٍ ... وتَنأى بالخليلِ عن الخليلِ

وكمْ تَرمِى بنا فى كُلِّ دَرْبٍ ... فيمْضى كُلُّ ساعٍ فى سَبيلِ

ليَهْنِكَ يا أخِى سَفرٌ حَميدٌ ... محطُّ رِحالِه بَلدُ الرَّسولِ

هُنَا لِكَ تَجْتَلى أنْوارَ طَهَ ... وتَحْظَى بِالجِوارِ وبالمُثُولِ

كَفاكَ رِضا الجميعِ ومن يَحُزْهُ ... يَحُزْ كَنزًا من الذَّهبِ الأصيلِ

تركتَ الكلَّ بين أسىً وذكرىَ ... مُعطَّرةَ الأزاهرِ والخميلِ

فإنْ تَبْعُدْ فأنْتَ بِكلِّ قلبٍ ... بما قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ جَميلِ

وإنْ تَرْحَلْ فَأَنْتَ هُنَا مُقِيْمٌ ... بَما خَلَّفْتَ مِن ذِكْرٍ جَليلِ

فَسَافِرْ فى أمَانِ اللهِ واهْنَأْ ... بما تلقاهُ مِنْ حُسْنِ القَبُولِ

---

١) كان العنوان : " في وداع د. أحمد عمر هاشم" ثم حذف الاسم وأبقاها علي صورتها الحالية في مراجعة ١٩٩٣م.

تَنَقَّــلَ فى الــبلادِ منــارَ عِلْــمٍ
تَنَقُّــلَ سَــيبَوِيهِ أوْ الخَلِيــلِ

سَـلِمْتَ سَـلِمْتَ فى قُـربٍ وبُعْـدٍ
وعِــشْتَ العُمْــرَ فى ظِـلٍّ ظَلِيـلِ

* * *

من شعر ما قبل العشرين

شجون (١)

أمضَّكَ شجوٌ فالدموعُ تسيلُ ... كأنَّكَ من فرطِ الهمومِ عليلُ

تَبِيْتُ سَجِيْنَ الهَمِّ رَهْنَ كَآبَةٍ ... تُفَكِّرُ فيما أنْتَ فِيهِ مُطِيْلُ

كَأنَّ الطُّيورَ الشَّادياتِ بوَكْرِها ... تَنُوحُ فَلَمْ يُطْرِبْكَ ثَمَّ هَدِيْلُ

وليْسَ جَبِينُ الشمس إلا مُقَطِّبا ... لَدَيْك وأمَّا ضَوْءه فَضَئِيلُ

رُوَيْدكَ لا تَحْزَنْ فَما أنْتَ بَالذى ... تَحَمَّلَ خَطْبِى إنَّه لجَلِيلُ

أَعِرنِي سَمَاعًا إنْ للشُّعْرِ رَنَّةً ... تُفَرِّجُ مَا حُمِّلْتُهُ فَيَزُولُ

ومَنْ عَضَّهُ الدَّهْرُ الخَؤونُ بِنَابِهِ ... فليسَ لهُ غَيرَ الدُّموعِ سَبِيلُ

ألمْ ترَ عودى كيف أصبحَ ذاويًا ... وغُصْنُ شَبابِى يعترِيْهِ ذُبولُ

يُصافِحُنى عَهْدُ المشيبِ ولم أزلْ ... بعهدِ الشبابِ الغضِّ وهْوَ عَجُولُ

ولم أبلغِ العشرينَ عامًا وإنَّما ... تُشيبُنى الأحداثُ حين تَصولُ

نَشَأْتُ يَتِيمًا مُرْضَعًا مِنْ لِبَانِهَا ... عَلَى مَضَضٍ إنَّ اليتِيمَ ذَلِيلُ

سَلِ الروضَ ما للروضِ بعدَ بهائِهِ ... ونظرتِهِ قد باتَ وهْوَ مُحِيلُ ؟

---

(١) ديوان زورق الشجون بعنوان «خواطر وآلام» مع حذف وتعديل، وهي تحكي قصة يُتمهِ ويستعيدُ بها عندما كان هو في الخاصة ومات أبوه.

وَمَا لِلنُّجُومِ الْمُشْرِقاتِ عَلى الدُّجَى غَـدَتْ يَعْتَرِيهـا فى الـصَّباحِ أُفُـولُ

هُوَ الدهر جم الحادثات شَقَاؤهُ كَثـيرٌ وأمَّـا صَـفْوُهُ فَقَلِيْـلُ

عَجْبْتُ لأنِّى مُذْ تَصَفَّحتُ سِفْرَهُ قَـرأتُ فُـصُولًا والحيـاةُ فُـصولُ

* * *

تَعَالَ فَسِرْ فِى الأرْضِ تَلْقَ عَجَائِبًا فَفِـى الأرْضِ آلام الزمـانِ تَهـولُ

تَـدورُ الرَّزَايـا بـالخلائِقِ مِـثْلَما تَـدُورُ بحـانِ الْمُـدمِنينَ شَـمولُ

فَـرُبَّ عَزِيـزٍ فى الزَّمـانِ مُحَـصَّنٍ تَقـومُ ليـوثٌ حَولَـهُ وشُـبولُ

دَهتْهُ خُطوبٌ أعجزتْ كُلَّ دافعٍ وقـد تَعتَرى السيفَ الصَّقيلَ فُلـولُ

هَوى مِن عُلوٍّ شَاهِقُ العِزِّ فاغْتَدى ذلـيلًا ويـومُ العـزِّ لـيس يطـولُ

وذِى سُقْمٍ أضْنَاهُ طُولُ سَقَامِهِ وعَـزَّ عَلَيْـهِ الـبُرْءُ فَهْـوَ نَحِيْـلُ

تضيقُ لديهِ الأرضُ وهْىَ فَسيحةٌ ولا يَـسْتَطيبُ الظِـلَّ وهْـوَ ظليـلُ

يمـدُّ إلى المـوتِ الـزُّؤام يمينَـهُ لعـلَّ الـردى ممـا دَهـاهُ يُقيـلُ

ويَنْظـرُ طَـوْرا للحَيَـاةِ مُـؤَمِّلًا فيرتَـدُّ عنْـهُ الطَّـرْفُ وهـو كَلِيـلُ

إِذَا مَـا قَـضَاءُ الله حُـمَّ فَكُـلُّ مَـا يُحاولُـه فيـهِ الطبيـب فُـضُولُ

* * *

وبَاكِيَـةٍ لَـيلًا وقَـدْ مَـاتَ بَعْلُهَـا فَللّــهِ مَــنْ مَاتَــتْ لَهُــنَّ بُعُــولُ

جَثَا حَوْلها الأَيْتَامُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ لَهُـمْ مِـنْ بُكَاهـا ضَـجَّةٌ وعَوِيـلُ

لَقَدْ مَاتَ مَنْ بِالأَمْسِ كَانَ يَعُولُهم فَمَـنْ ذَا الـذِي بَعْـدَ الفَقِيْـدِ يَعُـولُ

تَـرُدُّ نَـشِيجَ الطِّفْـلِ مِنْهُمْ بِبَسْمَةٍ وفِي الـنَّفْسِ هَـمٌّ لَـوْ عَلِمْـتَ دَخِيـلُ

فَقَـامَ مِـنَ الأَيْتَـامِ طِفْـلٌ مُفَـزَّعٌ يَقـولُ فَيـدمِى القَلـبَ حِـيْنَ يَقُـولُ

حَنَانَيـكِ يَـا أُمَّـاه مَـاذا أصَـابَنا فَقَــد قَيَّــدَتْها بِــاهُمُومِ كُبُــولُ

وأيْنَ أَبِى يَا أُمِّ كَى يَدْفَعَ الطَّوَى فَعَهْـدِي بِـه إنْ غَـابَ لـيسَ يُطِيْـلُ

جثا الطفلُ يبكى حِين قامَ فلم يَجِدْ سِــوى فَتيَــاتٍ دَمْعُهــنَّ يــسيلُ

فقامـتْ لـه الأمُّ الـرؤمُ تـضمُّهُ ولِلـدمعِ منهـا في الخُـدودِ مَـسِيلُ

وقالَتْ : تُصبَّرُ يا بنى فإن يَمُتْ أبــوكَ فــإنَّ اللهَ عنــه كَفيــلُ

وقَفْـتُ إلَـيْهم لَحْظَـةً فَأَصَـابِنى عَـلى غِـرَّةٍ مِمَّـا رَأيـتُ ذُهـولُ

وكَمْ هَيَّجَتْ لِي عِبْرَةُ الدَّهْرِ عَبْرَةً لَهَـا كَـشَآبيبِ الـسَّحابِ هُطُـولُ

* * *

خَلِـيْلِيَ دَعْ عَنْـكَ الهُمُـومَ فَإنَّهَـا لعمـرُك عِـبءٌ فِى الحيـاةِ ثَقيـلُ

إذا شِـئْتَ أنْ تَحْيـا حَيـاةً سَـعِيْدةً فَعِــشْ واحــدًا فــالإنفراد جميــلُ

ولا تغْـــتَرِرْ بِـــالمُظْهِرينَ مَـــوَدَّةً ... بِـــرَغْمِ القِـــلَى فالمُخْلــصونَ قَليـــلُ

ومـا النَّـاسُ إلا كالـذِّئابِ طَبَائِعًـا ... تَـروحُ وتَغْـدُو فِى الفَـلَا وتَـصُوْلُ

يَغُـرُّكَ مَعـسُولُ الكَـلامِ وتَحْتَـهُ ... لُعـابٌ مِـن الـسُّمِّ الزُّعـافِ يُـديلُ

وقد ستَرَ الحقَّ الضَّلالُ فلا تَرى ... مِـنَ النـاسِ مـن يَـصبُو لـه ويميـلُ

صَدفْتُ بقلبى عن صَداقةِ مَعْشرٍ ... مُـــرائِينَ فـــالإخلاصُ ثَـــمَّ قتيـــلُ

إذا شِئتَ أنْ تَلقى الصَّداقَةَ عِنْدهُمْ ... فَـــثمَّ عُيـــونٌ للـــصَّداقَةِ حُـــولُ

بَنَوْهَا على الأغْراضِ فَهْىَ مَشُوبةٌ ... مَتـى زَالـتِ الأغـراضُ فَهْـىَ تَـزولُ

إذا كنتَ حقًّا فى الصداقةِ مُخلصًا ... فمالـــك بَـــين العـــالمينَ مَثيـــلُ

* * *

ويا شعرُ لا أعْتَاضُ عَنكَ بصاحبٍ ... ومَـــا لى إذا صَـــادقتُ عنـــكَ بَـــديلُ

فأنتَ سَميرى إن خلوتُ ومُؤنسى ... إذا مـــا جَفـــانى صـــاحِبٌ وخَليـــلُ

يَئستُ من الأصحابِ بعدَكَ راضِيًا ... فإنَّـــكَ روضٌ للوفـــاءِ جَميـــلُ

* * *

شعر ما قبل العشرين

مصرع الفضيلة ١٩٣٣م(١)

فَتــاةٌ دَهَاهــا اليُــتْمُ فى مَيْعَـةِ العُمْـرِ ... يَــنُمُّ مُحيَّاهَــا عَــنْ النُبــلِ والطُّهْــرِ

على القسماتِ الغُرِّ مِنْ حُرِّ وَجْهها ... غَلائِلُ أشْـجانٍ مـن اليُـتمِ والفَقـرِ

نَمتْ فى ظلالِ الرِّيفِ أنْقَى من النَّدَى ... وشَبَّ صِباها فِيه أصْفَى مِن الفَجرِ

كَأنْ أفْرِغَتْ فِى قَالِبِ الحُسْنِ كُلِّهِ ... فَفِيهَـا جَمَالُ الظَّبْى والبَـانِ والبَـدْرِ

رَمَتْهــا المنايــا فى أبيهــا وأمِّهــا ... ولمـا تَـزَلْ عـذراءَ فى مَيعـةِ العمـرِ

فأضْحَتْ وجيشُ الفقْرِ يَغْزو حَياتَها ... وأمْسَتْ وسَيفُ الهَمِّ يَنشَبُ فى الصدْرِ

لَهَــا الله لا تَلقَــى حَنانــا يَحوطُهــا ... فَــذَلَّتْ، ولَمْ تَـنْعَمْ بِعَطْـفٍ وَلا بِـرِّ

دَعَتْ مَطْلَبًا للعَيْشِ حِلًّا وإنْ يَكُنْ ... كَفَافًـا فَلَبَّاهَـا فَتًـى مِـنْ ذَوى اليُسْرِ

وقَامَتْ لَـه فِى قَصْرِه الفَخْمِ خَادما ... تَــروحُ وتَغــدو فِى مَطالِبِــه الكُثْــرِ

فلَــمْ يلـقَ مِنهــا غَـيرَ طُهْـرٍ وعِفَّـةٍ ... ولَمْ تَلـقَ منـه غـيرَ مَيْـلٍ إلى الـشَّرِّ

وفى ليلــةٍ والكــونُ يغمــرُهُ الكــرى ... ولمْ يبـق يقظانًـا سـوى ذَلـكَ الغِـرِّ

أتاهــا وقــد جَــافى المنــامُ عيونَهــا ... لـشدةِ مـا تَطْـوِى مـن الهَـمِّ والفِكْـرِ

فَـدَاخَلَها سُـوءٌ مِـنْ الظَّـنِّ فَاستوتْ ... بِمَضجَعِها تَسْتطلِع الـسِّرَّ فِى الأَمْـرِ

---

(١) ديوان زورق الشجون مع حذف وتعديل للقصيدة.

ونادَتْـهُ يـا مـولاىَ مـاذا تريـدُه فـديتُك بُـحْ لِى بالحقيقـةِ والـسِّرِّ

فما كانَ عهدى فيكَ من قبلُ ما أرَى بسعيكَ فى جوفِ الدُّجى خافتَ السَّيرِ

أنالَــك ضُرٌّ تبتَغينــى لدَفْعِــه ؟ فَمُرْنى إذَنْ كَى أفْتَدِيكَ مِنَ الضُّرِّ

فقالَ لها: لا أبتغى مِنك مأربًا سوى العِرْضِ، صاحَتْ: واشقائى منَ الغَدْرِ

أيُرضيكَ أن أحيا وعِرضى مُمَزَّقٌ وما لفتاةٍ باعَتْ العِرضَ من قَدْرِ ؟

أيُرضيكَ أن أحيا حَياتى شَريدةً وقد ضاعَ أغلى ما أرَجِّيهِ مِنْ ذُخْرِى

إذا كَانَ مَا تَبْغِيْهِ مِنْ هَتْكِ حُرْمَتِى ونَيْلِكَ من عِرضِى فيا ضَيعة العُمْرِ

أجَابَ : رُويدًا يا فتاتِى فإنَّنِى سأُعْليك شَأنًا فى الوصِيفَاتِ والقَصْرِ

وأُغْنيكِ مِن مالى ، أجَابتْهُ : سيِّدى رُويدَك إنَّ العِرْضَ أغلى مِن الدُّرِّ

فما العرضُ إلا خيرُ ما يملكُ الفَتى ومالمالُ بعد العِرْضِ عندى سوى الجَمْرِ

فقالَ لَها لا تُكْثِرى القَوْلَ وأرْضَخِى وإلا سَأَشْفِى غُلَّتِى مِنكِ بالقَسْرِ

أجابتْه: يا مولاىَ رُحماكَ أعْفِنى لِضَعفى فليسَ الغدرُ من شيمةِ الحُرِّ

وعجِّلْ بِموتِى أو فَدعْنى طَريدةً أعِيشُ على دِينِ التَّعفُّفِ والطُّهرِ

ولا تَكُ يا مولاىَ بالعِرضِ عابثًا فتلهو بِه كالطفلِ يعبثُ بالطَّيرِ

فلم يَرحمِ الشريرُ ضَعفَ شَبابِها وكبَّلها فِى قَسْوة الفاتِكِ الغِرِّ

ولَمَّـا قَـضَى مِنْهـا مَـأرِبَ غَيِّـهِ ... ولَمْ يَرْحَمِ الدَّمْعَ المُرَاقَ عَلى النَّحْرِ
تَـرَاءَى لَـه عَـارُ الجَرِيْمَـةِ فارتَـدَى ... لها القَتْلَ كَى يُخْفِى بِهِ وصْمَةُ الوِزْرِ
فأشعلَ فيهـا النـارَ حتـى إذا دَنَـتْ ... مَنِيتُهـا قالـتْ: لىَ اللهُ فى أمْـرِى
لقـدْ عِـشْتُ فى فَقـرٍ ويُـتْمٍ وذِلَّـهِ ... فصرتُ أرىَ كل السعادةِ فى القَبرِ
ووَارَى الـدُّجَى فِيْـهِ رُفَـاتَ شَـهِيدَةٍ ... تَوَالَـتْ عَـلى أيَّامِهـا مِحَـنُ الـدَّهْرِ
وجَرَّدَ جَيْشُ الصُّبْحِ بِيْضَ سُيُوفِهُ ... عَلى ظُلُماتِ الليـلِ يطلـبُ بالثَّأرِ
خَلِيلىَ كَفْكِفْ مِنْ دُموعِـكَ رَيثَما ... تَرَى كَيفَ تَقضِى شِرْعَةُ النَّابِ والظُّفْرِ
لَقَـدْ بَـرَّأوهُ والجَـرائِمُ جَمَّـةٌ فَيَـا ... لَـضَلالِ الحُكْـمِ فِى ذَلـك العَـصْرِ
غَـدا القَلْـبُ لا تُطفى جَـواهُ قـصائدٌ ... وكانَ يُسرِّى عَنهُ بيتٌ مِنَ الشِّعْرِ
إِذَا مَـا جَنَـى ذو الجـاهِ بَـرَّأَهُ الغِنَـى ... ويُقْذَفُ فِى جَوْفِ السُّجُونِ أخُو العُسْرِ

* * *

زكى مجاهد (١)

أحد أصدقائى الأوفياء ، عرفته منذ سنوات طويلة حين كنت أتردد على مكتبته بخان الخليلى ، فكان لى نعم الصديق ، والأخ الوفى ، وهو صاحب كتاب " الأعلام الشرقية فى المائة الرابعة عشر الهجرية " وقد قرظته بأبيات ، وأنا أثبت هنا القصيدة وفاء له ، رحمه الله .

عَلَمٌ يُؤَرِّخُ سِيرةَ الأعْلامِ ... فِى الشَّرْقِ خَلَّدَها على الأيَّامِ

و(مُجاهِدٌ) بِشَبَا اليَرَاعَةِ ، سِفْرُهُ ... قَدْ ضَمَّ مَجْدَ الشَّرْقِ والإسلامِ

ومُتَرْجِمٌ للنَّابِهِيْنَ ، مُصَوِّرٌ ... قَدْ كَادَ يُنْطِقُهُمْ مِنَ الإحْكَامِ

يَجْلُوهُمُو بأمَانَةٍ ، فكأنَّهُمْ ... عَادو لَنا بِالرُّوحِ والأجْسامِ

ثَبْتٌ وَفِيٌّ لَمْ يُضَيِّعْ نَابِهًا ... فِى الشرقِ باسْتِقْصَائِهِ المُتَرَامِى

أجْمِلْ بِصُنْعِكَ (يا زكِىُّ) فإنَّه ... عِبءٌ نَهَضْتَ بِه نُهوضَ هُمَامِ

أنصفتَ أعلامًا لهم برقابِنا ... دَيْنٌ يزيدُ على مَدَى الأيامِ

ونَفَضتَ عَنْهُمْ من جحودِ زمانِهم ... ما كادَ يُنْسِي من غبارِ رُكامِ

ولربَّما أزْرى الجحودُ ببعضِهم ... حَيًّا وماتَ على الجُحودِ الدَّامى

أحْيَيْتَ سِيْرَتَه بِقُدْرَةِ مُنْصِفٍ ... أضْفَى عَلَيْهِ سَوابغَ الإكْرَامِ

---

(١) القصيدة منشورة في ذيل كتاب «الأعلام الشرقية» صـ١١١٢ .

ووصَلْتَ بالماضِى المظفَّرِ حاضِرًا ... حتى الْتقَى الأعْلامُ بالأعْلامِ

فى سيرةِ الأَعْلامِ أكْبَرُ قُدْرَةٍ ... وأجَلُّ مَوعظَةٍ ، وخَيرُ إمامِ

أهُدِى إلَيكَ مِن الثناءِ أجَلَّهُ ... ولأنْتَ أجْدَرُ بالثناءِ السَّامِى

قَدْ ألهَمَتْنِيهِ يراعتُكَ التى ... تُزْرى بِكلِّ رَوائعِ الأقْلامِ

* * *

تحية صادقة

" فى أول عهدى بالرياض جمعنى مجلس بالعالم الورع السمح الشيخ ابن باز ، ومع أنى لم أعرفه إلا بعد انفضاضِ المجلسِ ، فقد لمستُ فيه روعةَ الخلقِ ، وصفاء النفوس ، وقوة الدين . لما كنت لم أزل موزع النفس ، مشتت الخواطر ، مضطرب البال ، من أثر السفر والغربة ، لم أستطع إجابته إلى ما طلب من الشعر فى ذلك المجلس . فإليه هذه الأبيات بمثابة معذرة وتقدير ١٩٦٠م.

تحيةُ شَاعِرٍ لَكَ يَا ابْنَ بَازِ ... تَجِلُّ عَنِ الحَقِيقَةِ والمَجَازِ

يقدِّمُها لوجهِ اللهِ ، إنِّى ... بِغيرِ اللهِ ما كانَ اعْتِزَازِى

أبِىٌّ لمْ يدنِّسهُ نِفاقٌ ... ولا أزْرَتْ بِهِ دُنيا النَّوازِى

توسَّمَ فيكَ نُبلا فى السَّجايا ... كَرِيمًا نَمَّ عن كَرمِ النُّحازِ[1]

وآنَسُ فِيكَ مِنْ وَرَعٍ وعِلمٍ ... مِثالا لا يُوازِيه مُوازِى

مُحَيًّا وَادِعُ القَسماتِ سَمْحٌ ... حَوى خُلْقًا فَرِيْدًا فِى الطِّرَازِ

بمثلِكَ تَزْدَهى فى الفَضِلِ نَجْدٌ ... ويَحسُدُها عليهِ بنو الحِجازِ

---

(١) النُّحاز : الأصل.

العالمُ الحلاَّقُ

يَـــا مُزْرِيًـــا بِالعَـــالِمِ الحَـــلَّاقِ خَـلِّ المَـلَامَ وكُـنْ مِـنَ الحُـذَّاقِ

هـلْ يَمنَـعُ العِلـمُ احْـتَرافَ صِناعةٍ تُغْنِى عَنْ اسْتِجدَاءِ ذِى إِمْلاقِ ؟!

أوْ يَـــسْتَوى ذُو حِرفَـــةٍ مُـــتَعَلِّمٍ والجَاهِـلُ العَـارِى مِن الأخْـلاقِ ؟

أوْ مَـــنْ يُحَـــصِّلُ عَيـــشَهُ بِكفاحِـــهِ تَلحـــاهُ حِـــينَ تَـــشيدُ بالأَفَّـــاقِ ؟

مَـــا العلـــمُ إلا كالـــسِّلاحِ لربِّـــهِ فَـــاضرِبْ بـــهِ فى ســـائِرِ الآفَـــاقِ

إنَّ الأئِمَّـــةَ قَبلنَـــا مِـــن أهْلـــهِ لمْ يَجْعَلـــوهُ مَطِيَّـــةَ الأرْزاقِ

كَـــدُّوا لوجـــهِ الله فى تَحْـــصِيلِه مِـــنْ بَـــيْنِ حَـــذَّاءٍ ومِـــنْ وَرَّاقِ

كُـــلُّ الـــصِّنَاعَةِ فى الحيـــاةِ شَرِيفَـــةٌ مَـــا لَمْ تَمَـــسّ شَرِيْعَـــةَ الخَـــلَّاقِ

فَـــتَعَلَّمْ العِلْـــمَ الـــشَّرِيفَ لِذَاتِـــهِ واسْـتَبْقِ مَـاءَ الوجْـهِ مِـنْ إهْـرَاقِ

العِلْـــمُ زَيْـــنٌ والحِلاَقَـــةُ زِيْنَـــةٌ بِهِـــمَا يَكـــونُ تَطَـــاوُلُ الأعْنَـــاقِ

مَـــا بَـــينَ زِينـــةِ بَـــاطِنٍ أو ظَـــاهِرٍ لا تَعْجَـــبَنَّ لعَـــالِمٍ حَـــلَّاقِ

***

النَّزْل (١)

سلمت للنبل والأمجاد يا نزل ... يا بلدة ما بها وغدٌ ولا نذل

أفديك يا نُزُلَ الفِرْدَوسِ من بَلدٍ ... ما في الدَّقَهْلِيَّةِ الكُبرى لَها مثلُ

بَنُوكِ يا مَنْزِلَ الأحْرَارِ قَدْ طُبِعُوا ... عَلي السَّخَاءِ فَلا شحٌّ ولا بخلُ

الدينُ رائدُهم ، والعِلمُ زِينَتُهم ... والحَقُّ شِيمتهم،والجُودُ والبذلُ

عاشوا كراماً ،أُباةَ الضيم ما قبلوا ... في العيش ذلا ولا أزري بهم ذلُّ

إذا رأوني تلقتني شهامتهم ... كالأم شاق حنايا صدرها الطفلُ

هُمُ الأُولي رَفَعُوا قَدْرِي ومَنْزِلَتِي ... وعَمَّنِي مِنْهُم التَّكْرِيمُ والفَضلُ

ولستُ أَفْضُلُهُم عِلماً ولا أدباً ... لَكنما هُو حُسْنُ الظَّنِّ والنُّبْلُ

زينَ المدائنِ كَمْ أنْجبتِ من علمٍ ... في كُلِّ فنٍ ، ونعم المنجبُ النَّزلُ

ديناً وطبَّاً وقانوناً وهندسةً ... وعذبَ صوتٍ بترتيلِ الهُدَي يحلو

خميلة أنت شاقتني بلابلها ... لها علي علي أرضٍ في الحمي ظَلُّ

ما كان أسعدني لو كنتِ لي سكناً ... وكان لي من بنيك الصحبُ والأهلُ

---

(١) بلدة من بلدان مركز منية النصر محافظة الدقهلية ، اشتهر أهلها جميعا بالشهامة والسخاء ، وعرفوا بحب العلم والعلماء ، ونالوا حظا وافراً من الثقافة والتعليم.

فـإنَّني بـينَ قـومٍ لا خَـلاقَ لَهـمْ بقريـةٍ طـمَّ في آفاقهـا الجهـلُ[١]

فمـن أقـارب دبـت لي عقـاربهم وأوسـعونيَ كيـداً دونَـهُ القتـلُ

ومِـنْ أبَاعِـدَ لا يَـألُونَنِي طَمَعـاً كَـأنَّ كُـلَّ خَـدُوعٍ مِـنْهُمُ صِـلُّ

فيالهـا غُربـةً يـشقي الفـؤادُ بهـا والجسم والروح والوجدان والعقلُ

إني وجـدت عزائـي في سـوائمهمْ فـلا خـداعٌ ولا حقـدٌ ولا ختـلُ

بقيـت يـا نَـزْلُ في البلـدان مفخـرةً يسود فيك رخاء العيش والعدلُ

كـم سـائلٍ قـالَ مِـنْ أيِّ الـبلادِ أنـا؟ فقلـتُ بلـدتيَ الفُـضلي هِـيَ النـزلُ

***

(١) يشير إلى جفوة بينه وبين أهل قريته وأهله، وأنشد هذه القصيدة إغاظة لهم، فكانوا يُعيَّرون لها ويتفاخر عليهم أهل النزل والبلدتان متجاورتان.

عتاب (١)

بلَـدَ الهُـدَي والعِلْـمِ والقـرآنِ ... ومنـارةَ التوحيـدِ والإيـمانِ

بَلَـدَ الشهامةِ والمَـرْوَءة والنَّـدَي ... ومَـلاذَ أهـل الفَـضْلُ والإحْـسانِ

أحببتُـه وعـشقتُ صُـحبةَ أهلِـه ... فوجـدتُ فـيهم أصـدقَ الخـلانِ

قلدتُـه عقـدَ الثنـا وصـنعتُ مـن ... شـعري لـه تاجـاً مـن العرفـان

وأشـدتُ في الـدنيا بعـاطرِ ذكـره ... فطـوي شـذَاه سـائرَ البلـدانِ

ونظمـتُ مـن أمجـادِه أنـشودَةً ... ترديـدها يحلـو بكـل لـسانِ

يـاوردةً أشـدو عـلي أفنانهـا ... فـتردد الـدنيا صـدي ألحـاني

مـا كُنْـتُ أحْـسَبُ أنَّ فِيهـا ثَعْلَبًـا ... مُتنكـراً في صُـورَةِ الإنْـسانِ

تلهـو بـه وتقـودُه زنجيـةٌ ... فمُهـا يفـوقُ مَـشافرَ البُعْـرانِ

قَـدْ بَـاعَ ذِمَّتَـهُ ليَـضْمَنَ صَـوتَها ... تَعِـسَتْ مُنـاهُ وبَـاء بالخُـسْرَانِ

يـا نـزلُ كيـف رمَيْتِنـي بمُخَـادعٍ ... كـالأُفْعُوانِ يَجِـدُّ في خِـذْلانِي

وأنـا الـذي عانيـتُ مـا عانيتـه ... من حاسديك وما برحت أعاني(٢)

ولكـم صـبرتُ مجاهـداً فيـكِ العـدا ... صـبرَ المحـبِّ الـصادقِ الوجْـدانِ

قَـدْ صَـارَ مَجْلِـسُكِ المَحَـلِّي سُـبَّةً ... لَمَّـا تَـوَلَّاهُ أبُـو حَـسَّانِ

---

(١) كتبها في رئيس المجلس المحلِّي عندما أعان جارة الشاعر الجاهلة عليه فتعدت عليه ولم ينصفْهُ فعاتب النزل الذي مدحها قبل ذلك، وهذه القصيدة آخر ما كتب من الشعر فلم يكتب بعدها شيئا.

(٢) يشير إلى ازدياد معاداة أهل بلدته له حينما مدحها في قصيدة «النزل».

مهرجان الربيع

كانت كلية اللغة العربية تقيم فى كل عام (مهرجانا) للشعر فى الربيع تحت إشرافى ، بقاعة الإمام محمد عبده ، يشترك فيه شعراء الجمهورية وشواعرها وكنت أقدم كل شاعر بأبيات تنتهى باسمه وهذه بعض النماذج من تقديم الشعر فى آخر مهرجان عام ١٩٧٩م.

الشيخ محمد بركات : مفتتحُ المهرجانِ بالقرآنِ الكريمِ

بِاسْمِ مَنْ سَبَّحَتْ لَهُ الكَائِنَاتُ ... وتجلَّتْ فِى مُلْكِهِ الآيَاتُ

فَلَهُ الحَمْدُ بُكْرَةً وأصِيلًا ... وعَلى خَيْرِ خَلْقِهِ الصَّلواتُ

خَيْرُ مَا نَبْتَدِى بِهِ قَبَسَاتٌ ... مِنْ كِتَابٍ آياتُهُ مُحْكَمَاتُ

بِصوتٍ مَلائكىٍّ سيتلوها عَلينَا ... (محمدٌ بَركَاتُ)

* * *

الشاعر : أحمد خميس

الرَّوابِى الخُضْرُ مَنْ أَلْبَسَها ... خِلْعَةَ الفَنِّ فَصارَتْ كَالعَرُوسْ

وسَقاها خَمْرَهُ حتى انْتَشَتْ ... ومَشَتْ تَخْتَالُ تِيهًا وتَمِيسْ

وتَغَنَّتْ شَفَةُ الخُلْدِ بِها ... غُنوةً عَذراءَ تَستهوى النُّفوسْ

بُلْبُلُ الجِيلِ حَباها فَنَّه ... هَل عَرفْتُم ؟ إنَّهُ (أحمد خميسْ)

* * *

إبراهيم صبرى

سألتُ الطيرَ لَمَّا عِيلَ صَبرِى ... وضاقَ من الزمانِ الوغدِ صَدْرِى

أعِنْـــدَكَ أيُّهــا الـــشادى نَـــشيدٌ ... يُخَفِّـــفُ أو يُعـــزِّى أو يُـــسرِّى

فقـــالَ : إذا فقـــدتَ الـــصَّبرَ يومـــا ... فـــردِّدْ شِـــعر (إبـــراهيم صَـــبري)

* * *

الشاعر : الدكتور سعدُ ظَلام [١]

وصَـــفُو الـــسَّعْدَ كُلَّـــهُ بِـــالظَّلامِ ... فاسْمَعوا واعْجَبوا لظُلْمِ الأسَامِي

شَـــاعِرٌ يُـــسْعِدُ الـــدُّجَى لقَبُـــوهُ ... بِالـــدُّجَى وَهْـــوَ مِثْـــلُ بَـــدْرِ الـــتَّمَامْ

يَـــستَرِقُ الرُّبـــا غِنَـــاءً ويُـــشْجى ... مَـــسْمعيْها بِأَعْـــذَبِ الأنغـــام

لا تَقولُـــوا : سَـــعْدٌ ظَـــلامٌ ولكِـــنْ ... أنْصِفوا الحَقَّ فَهْو (سَعْدُ الظَّلامِ)

* * *

الشاعر : إبراهيم عيسى

سَـمَاءُ المَهْرَجَـانِ صَـفَتْ ورَاقَـتْ ... وأطْلَعَـتْ الكَواكِـبَ والـشُّموسَا

وأَيْـكُ الـشِّعْرِ صَـداحٌ تُغَنِّـى ... بَلابِلُـــه فَتـــستَهوى النُّفوسَـــا

فيَـا عُـرْسَ الرَّبيـعِ جَلـوَتَ حَتَّـى ... جَعَلْـتَ الكَـونَ أجْمَعَـهُ عَرُوسَـا

يُغـــرِّدُ فيـــهِ شـــادٍ عبقـــرىٌّ ... وهلْ هُو غَيرُ (إبراهيمَ عِيسى)؟

---

١) حذف هذا المقطع الخاص بسعد ظلام في نسخة ١٩٩٣م.

الشاعرةُ : روحيَّةُ القلينى

شَـيْخَةُ الـشَّاعِراتِ زَادتْ يَقينِـى ... أنَّ بعـضَ النِّـساءِ ربَّـاتُ دِيـنِ
يـا لأَشْـواقِها ، ويـا لَغَـرامٍ ... فى حَنايـا فُؤادِهـا مَكْنُـونِ
كَـمْ سَـمِعْنَا عَـذْبَ المُنَاجَـاةِ مِنْهـا ... فطربْنَـا لـصَبْوَةٍ وحَنـينِ
وتَـسَامَتْ بِحُبِّهَـا اللهَ حَتَّـى ... كَـشفتْ عـنْ سَـنَا الجَمَال المَصُونِ
أعَـرَفْتُم ؟ أظُّـنُّكُم قَـد عَـرَفْتُم ؟ ... كَيفَ تَخْفى (رَوْحِيَّةُ القِلِّينى) ؟

***

الشاعر : فاروق جويدة

فَتَـى الأهْـرامِ يُنْـشدُنا قَـصِيدا ... وللأهْـرامِ مَنزِلَـةٌ فَرِيْـدَةْ
تُـصوِّرُها يراعَـةُ عبقـريٍّ ... نَقِـيِّ الفِكـرِ مَـشبوبِ العقيـدةْ
وفِى الإعْـلامِ يَنْـدُرُ مَـنْ تَـرَاهُ ... رَشِـيدًا يَـسْلُكُ الـسُّبُلَ الرَّشِـيْدَهْ
فيالَـكَ مَهْرجَانًـا نَـابَ فيـهِ ... عَـنِ الأهْـرامِ (فَـاروقٌ جُويْـدَهْ)

***

فاروق شوشه

أنَـا اللُّغَـةُ الجَميلَـةُ لَمْ تُـشَوِّهْ ... يَـدُ الـشَّانِى محَاسِـنِيَ البَـشُوشَةْ
ومِـنْ عَجَـبٍ يُـسَدِّدُ نَحـو صَـدْرِى ... بَنُـو قَـومِى سِـهَامَهُمُ المَرِيْـشَهْ
كَفَـانِى عَنْهُمـو أنْ راحَ يَجلـو ... جَمَـالَ محَاسِـنى (فَـاروقُ شُوْشَـهْ)

الشاعر : محمود شاور ربيع

ولستُ أرَى الربيعَ سوى حكيمٍ ... نُرَجِّى عندهُ المثَلَ الرَّفيعا

تَجَلَّى فِيهِ صُنْعُ الله حَتَّى ... تَعَالى صَانِعًا ، وسما صَنِيْعَا

فَخُذْ عنه العطاءَ بلا حُدودٍ ... وعانِقْهُ تجِدْ حِصنًا مَنيعَا

ويا مَنْ أرْهَقتهِ خُطا الليالي ... ورامَ مَشورةً (شَاوِر رَبيعَا)

الشاعر : الدكتور / مختارُ الوكيلُ

أديبٌ شاعرٌ .. فذٌّ أصيلُ ... لَهُ فى فنِّهِ باعٌ طويلُ

إذا غنَّى أجَابَتْهُ الروابِى ... وصَفَّقَ وَردُها ، وصَبا الخَميلُ

قَدْ اخْتَارَ البَيَانُ لَهُ وَكِيلا ... لَدَيْنَا ، وهْوَ (مُخْتَارُ الوَكِيلُ)

الشاعرة : عليةُ الجعَّار

حَلِّقِى فِى سَمائِه العُلْوِيَّهْ ... وأصْدَحى فِى رِحابِه الرُّوحِيَّهْ

وتحَدَّىْ فِى الحبِّ دُنياكِ واسْقينَا شرابَ المحبَّةِ الفارضِيَّهْ

يا ابنةَ الحبِّ أنتِ رابعةُ العصرِ وإنْ كنتِ فى الهَوى مِصْرِيَّهْ

إنَّ هذا الربيعَ تَسْبيحةُ لأرْضِ ا لأمجادِ ذاتِهِ القُدُسِيَّهْ

فتَغَنَّ بِه فأعذبُ لحنٍ فى الهَوى ما شَدتْ بِه صُوفِيَّهْ

أشْهِدينا سَنا الجمالِ وأذكِى ... بالمواجِيدِ شَوْقَنا يا (عَلِيَّهْ)

شعر الطبيعة

موكبُ الربيعِ

مـلأَ الأُفْـقَ بهجـةً وبهـاءَ   وكَـسا الأرضَ زينَـةً ورُوَاءَ
موكـبٌ ضَـاحِكُ المَبَاسِـمِ طَلْقٌ   يَتَهَـادَى مِـنْ حِمْلِـه خُـيَلاءَ
طَـابَ إصباحُه فـراقَ صباحًا   وصـفا ليلُـهُ فَطَـابَ مَـساءَ
باركـتْ راحُـه الطيورَ فراحـتْ   تُفعـمُ الـدَّوْحَ فرحـةً وفنـاءَ
وتناجَـتْ بـه الخمائـلُ سَكْرى   شربـتْ مـن رحيقـةِ الأنـداءَ
وكـأن الـرُّبي عـرائسُ هبَّـتْ   مِـن كراهـا تُطـاردُ الإغْفَـاءَ
فتنـةٌ تُجـتلي وظِـلٌّ ظَليـلٍ   وعبـيرٌ يُعطِّـرُ الأرْجـاءَ
يـا حبيبـي هـذا الربيـعُ فهيَّـا   نغتـنِم صـفوَه ونَنْـسي الـشِّتاءَ

***

موعـدٌ للمنـي يفـيضُ رِغابـا   وشـبابٌ يجـدِّدُ الأحْقابـا
كلـما روَّعَ الزمـانَ مـشيبٌ   عـادَ في ظلِّـه الزمـانُ شـبابا
هـو روحٌ تنْسابُ في كـل شيءٍ   نَفَـسًا عَـاطِرا ولحْنَـا مُـذابا
وحيـاةٌ تـدبُّ في الأرض حتَّـى   كـادَ أن يفـصحَ الجـمادُ الخِطابـا
لبِـسَتْ مـن بـرودِهِ حَـاليَ الوشْـي وحاكـتْ خميلَـهُ جِلبابـا
روضـةٌ لـلأرواحِ تـستَافُ ريَّاهـا وسـاقٍ يُشَعْـشِعُ الأكْوابـا
يـا حبيبـي وافَى الربيـعُ نـداماهُ ظِـماءً وبـاكَرَ الأحْبَابـا
وأنـا ظـامئُ الأمـاني فهيَّـا   نبتـدرْ مـاءَهُ وننـسى الـسرابا
أيـن أيامُنـا البواسِـمُ أينـا   والربيـعُ الـضَّحُوكُ يحنـو عَلينـا

نتناجي والنرجسُ الغضُّ غَيْرَانُ يُسجِّي عَينا ويفتحُ عَيْنا
والورودُ الحسانُ تسمعُ نجْوانا وهمسُ النسيمِ في أذْنَيْنا
رقَّ من شجوِهِ لرقةِ شكْوَانا اعْتلالا فراحَ يسري الهُوَيْني
والغُصونُ اللِّدَانُ راحتْ تُحاكِينا فتذْكي الغرامَ في مُهْجَتَيْنا
رُبَّ غصنٍ أسر نجوىً لغُصْنٍ فاستَحَى الوردُ منهُما واستحيْنَا
وانسيابُ الرقراقِ في الروضِ يُشْجِينا فَنُصْغِي لَه ويُصْغِي إلينا
وكأنَّ الطيورَ تبتدعُ الشدْوَ جديدا ككلِّ شيءٍ لدينا

* * *

عادَ آذارُ كالضُّحى إشْراقا يُترع الكأسَ للنَّدامى دِهاقا
عبقرُ الفنِّ يلهمُ الشعرَ علوِيَا فيطوي خيالُه الآفاقا
ولقد أيقظَ المشاعرَ حُبًّا وحنينا وجدَّدَ الأشْواقا
يُسكِرُ الروحَ والنواظرَ مَرآهُ كما يُسكرُ النَّدى الأوْرَاقَا
هامَ قلبي في أفْقِهِ الطلقِ نشوانَ يبارِي طيرَ الروابي انْطلاقا
يا حبيبي هَذا الربيعُ بساطٌ للتلاقِي يجْمعُ العُشاقا
تتلاقي القلوبُ فيهِ سَلامًا وتَذوبُ الأرواحُ فيهِ عِناقا
سامرٌ مؤنسُ الرؤى لا تدعْني فيه وحْدي أكابدُ الإطْراقا

* * *

لا أحسُّ الربيعَ إلا بنفسي مُجْتَلَى بهجةٍ وجِلْوةُ عُرْسِ

وبروحـــــــي أراهُ لا بِعيـــــوني مَطلَعـــا للمُنـــي ومَـــشرِقَ شـــمسِ
مـــا الربيـــعُ الـــضَّحوكُ إلا أمـــانٍ مُـــشْرِقاتٌ تَجلـــوا غياهِـــبَ يأسِـــى
وعبـــيرٌ تهفـــو بـــه نَـــسَماتٌ إنْ سرتْ فتَّحَـــتْ مغـــالِقَ نفـــسي
يـــا حبيبـــي كـــلُّ الربيـــعِ نَـــدامي تتـــساقَى الهـــوى وقـــدْ جـــفَّ كـــأسي
كـــلُّ إِلْـــفٍ بإلْفِـــهِ في صـــباحٍ وأنـــا مـــوحِشُ الخـــواطِرِ مُمْـــسي
الـــصباباتُ لافِحَـــاتٌ بـــشوقِي والأمـــــاني معطَّـــراتٌ بِهمْـــسي
فأعِـــدْ لي الربيـــعَ لَحـــْنا و أُنْـــسًا يـــا حبيبـــي فأنـــتَ لحنـــي وأُنْـــسي

***

وداع المصيف في رأس البرِّ ١٩٥١م

الشاطئُ المَهْجُور

وكانت ندوةً تنظم رجالَ الأدبِ والتعليمِ يرأَسُها الأستاذُ الكبيرُ والشيخُ المحترمُ سعدُ اللبَّان بكْ شهدتْ شروقَ المصيفِ كما شهدتْ غُروبَه فكانَ لهذه الأحاسيسِ أثرها في نفس الشاعر.

على الشاطئ المهجورِ أغْفَتْ مَزاهِرُ ... وأطْـرَقَ صـدَّاحٌ وجفَّـتْ أزَاهِـرُ

وأقفَـرَ رَوضٌ كـان بـالأمس حَاليًـا ... يــرفُّ بــه وردٌ ويــصدحُ طــائرُ

وشــحَّ ربيــعٌ كــانَ ريَّــانَ نــاضِرًا ... تَــرُوقُ مجالِيــهِ وتَــسْبِي المنــاظِرُ

نـديٌّ طَـوي فيـه النَّـدامى بـساطَهم ... ووَدَّعَــه الــسُّمَّارُ وانفــضَّ ســامرُ

وحطَّــم كاســاتِ المُــدامِ مــديرُها ... فلا الشطُّ مخمورٌ ولا الكأسُ دائرُ

وغــشَّتْهُ مــن بعــد البــشاشةِ وجمَــةٌ ... فــلا الثغــرُ بــسَّامٌ ولا الوجــهُ نــاضرُ

ونامــتْ لياليــهِ الوِضــاءُ عــشيَّةً ... فـلا النورُ رقـراقٌ ولا الليلُ ساهرُ

ومــاتَ بكــفِّ الهُــوْجِ عِطْــرُ نــسائمٍ ... رقــاقٍ لوتْهــا زَعْــزَعٌ وأعــاصِرُ

وأمــستْ صــبابَاتُ الهــوى في رِمَالــه ... دفينــةَ صــدرٍ تحتويهــا سَرائــرُ

مواكــبُ مــن ســحرِ الجمالِ تحمَّلَـتْ ... فلا الشطُّ مسحورٌ ولا الحُسْنُ ساحرُ

ودنيــا مــن الأحــلامِ مــرَّت سريــعةً ... كــما عــبرتْ بالــشاعِرينَ الخــواطرُ

صــحونا عــلى أصــدائِها وهــي زادُنــا ... يعــيشُ بــذكراها وفيٌّ وذاكــرُ

فــديناكِ رأسَ الــبَرِّ مــا أطيــبَ الــسَّنا ... وما أحسنَ المُصطاف والقيظُ فائرُ

إلى ظلــكِ الحــاني يفــيءُ متــيمٌ ... ويفــزَعُ محــرورٌ ويــنهضُ شــاعرُ

نهـارُكِ وضَّـاحٌ وليلُـكِ مُـؤْنِسٌ وأفْقُـكِ نـشوانٌ وجـوُّكِ عَـاطِرُ
فـأينَ صَـباحٌ فـوق شـطِّكِ حـالِمٌ كـأنَّ الحـسانَ الغيـدَ فيـه بـشائِرُ
سفرْنَ بـه يخطـرْنَ في جلـوةِ الـضُّحى فيـالَفتونِ الحـسنِ والحـسنُ سـافِرُ
تــأوَّدْن أعْطَافـا كأغـصانِ بانَــةٍ عـلى مَتنِهـا المـشوقِ رفَّـتْ غـدائرُ
ويـسْقِينَ مـن خمـرِ العُيـونِ صَـبابةً يُعتِّقُهـا سـاجٍ مـن الطَّـرْفِ فـاترُ
وللرمــلِ في أقــدامِهنَّ ضراعــةٌ وللبحـرِ عِربيـدٌ مـن المـوجِ هـادرُ
يغــارُ إذا مــا قبلــتْهُنَّ نــسْمَةٌ فتــسْتبِقُ الأمــواجَ كـيما تُبـاكرُ
فيالــكِ مــن غِيــد لــسحرِ جمالهـا تغـارُ علـيهنَّ البحـارُ الزَّوَاخِـرُ

ليـاليـكِ رأسَ الـبرِّ أحـلامُ شـاعرٍ وأشـواقُ مَهْجُـورٍ تـصَّباه هَـاجِرُ
ليــالٍ كــأحلامِ العــذارى رفيفُهـا علي النيـل أطيـافُ الجَـمال العـوابرِ
وأيــن عــشيَّاتُ المِــلاحِ بــشطِّهِ وأضـواؤهُنَّ الـساحراتُ الخـوامرُ
مــشينَ يُبــارينَ الــزوارقَ خِفَّــةً فيحنـو علـيهنَّ الـشِّراعُ المفـاخِرُ
وللـزورقِ الفـضيِّ في الأفْـقِ صبوَةٌ يرقرِقُهــا في المــاءِ نُــورا يخـامرُ

وأيــن نــسيمٌ باللــسانِ مُفــتِّحٌ مغـالِقَ نفـسٍ أوحـشتها المخـاطِرُ
تَعــانقَ فيــه النيــلُ والبحــرُ مِثلمــا يعــانقُ كهْـلا يـافعُ العـودِ نـاضرُ
عــلى صــخرهِ الجبــارِ يخـشعُ عابـدٌ ويــسكنُ عِربيــدٌ ويــؤمنُ كـافرُ

فهـذا جـلالٌ يمـلأُ الـنفسَ هيبـةً ... وهـذا جمالٌ مـن سنا السحرِ باهرُ

فيـا لَجَمـالِ النيـلِ والنيـلُ سـاكنٌ ... ويـا لَجَـلالِ البحـرِ والبحـرُ ثـائرُ

وهــذا الفـضاءُ اللانهـائيُّ كُلُّــه ... صراعٌ من الأمـواجِ في البحـرِ دائـرُ

وهـذا فـراتٌ طيِّـبُ الـوِرْدِ سـائغٌ ... وهــذا أُجَــاجٌ تجتَويـهِ المـشاعرُ

وبيــنهما مِــنْ صــنعةِ اللهِ بــرزخٌ ... وحِجْرٌ من الغيبِ المُحجَّبِ حاجرُ

وقد ربضَ (الجندولُ) في سمتِ راهبٍ ... يُمجِّــدُ صُــنعَ اللهِ واللهُ قــادرُ

فـديناكِ رأسَ الـبرِّ مـا أجمـلَ الـسنا ... وما أطيبَ المصطافَ والقيْظُ فائرُ

أتينـاكِ أعـشاشا كأوكـارِ رَوْضَـةٍ ... جلتْهـا لأسْرابِ الطيـورِ الأزاهـرُ

تناسقْنَ بـين البحـرِ والنيـلِ أَسْطرا ... كـأنَّهما جفنـانِ وهْـيَ محـاجِرُ

فـما بالُهـا أضـحتْ رُسـوما دوارِسـا ... كـأن بقاياهـا الـشخوصَ مقـابرُ

سـلامٌ عـلي أيامِـكَ البـيضِ قـد خَبَـا ... سـناهَا سريعـا واحتوتنَـا الـدياجِرُ

وأصـبحتِ ذِكـري للبـشاشةِ والمُنـى ... يغنِّـي بهـا شـادٍ ويهْتِـفُ شـاعرُ

خـلا ربْعُـكَ الزاهِـي كـأنْ لم يقـم بـه ... أنـيسٌ ولم يـسْمر بمغنـاه سـامرُ

* * *

الليل الرهيب (١)

أيهـا الزَّاخـرُ الأطـمُّ العبـابِ … لُجَجٌ أنـت مـن ضـنيً وعـذابِ

تُهْـتُ يـا ليـلُ في دياجيـكَ حـيرانَ غريقـا في وحـشتِي وارتيـابِي

أنـتَ في هـذِهِ الحيـاةِ كحظِّـي … أسـودُ اللـونِ حالِـكُ الجِلْبـابِ

شِمْتُ في صمتِكَ الرهيبِ ارتياحًا … مـن عنـاءِ الشجونِ والأوصـابِ

فـإذا أنـتَ جُـذْوَةٌ مـن شـقاءٍ … وإذا أنـتَ عـالَمٌ مـن ضَـبابِ

وإذا كـلُّ مـا تمنيـتُ أمـسي … فيـكَ يـا ليـلُ قِيعَـةٌ مـن سرابِ

يـا مثيرَ الأشـواقِ بعـد سُـكونٍ … ومُعيـدَ الـشجونِ بعـد ذهـابِ

لم أجـدْ فيـكَ مـا يُـخفِّفُ آلامِـي سـوي وحـشةٍ اكتئـابِ

* * *

غـرقَ الكـونُ في دجـاكَ فأمْسي … في إهـابٍ مـن الـسوادِ الكـابي

كيـف تطغـى عـلى الكواكـب شَـمَّاءَ بأمواجـك العـوادي الغِـضَابِ

لكـأنَّ النجـومَ فيـكَ عَـذارى … سـابحاتٌ في مـائجٍ صَـخَّابِ

أو كـأنِّي بهـا لآلـئُ دمـعٍ … حـائراتٌ في نـرْجِسٍ خـلَّابِ

أو كـأنَّ الـدُّجى مُـدامٌ بكـأسِ الـكَونِ فيـه النجـومُ مثـلُ الحُبـابِ

يـا نجـومَ المساءِ هِجْتِ شُجوني … وأثـرتِ الحنـينَ في أعـصابي

---

(١) من شعر ما قبل العشرين بعنوان : وحشةُ الليلِ وقد اختصرها الشاعر إلى نصف عدد أبيات القصيدة الأولى مع تعديلها ثم اختصرها في آخر مخطوطة جمعت له في نهاية الثمانيات من القرن الماضي ولكني وجدت هذه المجموعة أكثر حيوية من الأخيرة وعنوان الأخيرة " يا ليل ".

لا تراعِـــي ممـــا دهَـــاكِ مـــن الليـــلِ فهـــذا يـــا فِتْنتـــي بعـــضُ مـــا بي

فيـــه ضـــاقتْ بالبائـــسين رَحَابـــاتٌ وضـــاقوا ذرْعـــا بتلـــكَ الرِّحـــابِ

فمتـــى يُـــشرقُ الـــصباحُ ويمـــضي بـــأسُ هـــذا المظفـــرِ الغـــلَّابِ

أنا جدَّدْت لامرئِ القيسِ شَكْوى طُولِـــه بعـــد هـــذِهِ الأحقـــابِ

***

الشراع

يـا شراعـا يلُـوحُ عَـبْرَ المَـصِيفِ ... في دُجـى الـيَمِّ كالـشعاعِ اللطيـفِ
يتهـادى عـلي العُبـاب كطيـفٍ ... عــابرٍ للمُتَـيَّمِ الـشغوفِ
رفَّ كـالطيرِ خَافِقًـا بجنـاحٍ ... أبـيضٍ سـاحرِ الـسُّري والرفيـفِ
بـين مسري الهـواءِ يـسري كـرَوْحٍ ... ذابَ في رقـةِ النـسيمِ الـشفيفِ
أو خيـالٍ لـشاعرٍ عبقـريٍّ ... مُلْهَـمِ الحسِّ والـشعورِ الرهيـفِ
والهـواءُ العليـلُ في صـفْحَتيهِ ... قُـبُلاتٌ لعاشـقٍ ملهـوفِ

* * *

يـا شراعـا يلُـوحُ عَـبْرَ المَـصِيفِ ... في دُجـى الـيَمِّ كالـشعاعِ اللطيـفِ
خَـفَّ قلبـي إليـكَ يـا مَرفـأَ الحُـسْنِ مَـشُوْقا إلي حِمـاكَ العطـوفِ
فأمانًـا لـه مـنَ الخُـرَّدِ الغيـدِ ، ومِـنْ صـولةِ الجمالِ العنيـفِ
عنـد شـطِّ مُعَرْبـدِ الحسنِ يَـسبي ... بـرُؤاهُ لُـبَّ الحليـمِ الحـصيفِ
خطَـرتْ فوقـه الظبـاءُ صـفوفا ... فاتنـاتٍ تختـالُ خلـفَ صـفوفِ
وتنـاثرْنَ حولَـه كزهـورٍ ... نَثرتْهـا في الـروضِ كـفُّ الخريـفِ
مـا تَـرَي البحْـرَ والـهًا بلَّـلَ الرمْـلَ بـشكويً مـن دمعـهِ المنـزوفِ ؟
شـاقَ أمواجَـه الجمالُ فأمَّـتْ ... شـاطئَ الحُسنِ في سِباقِ طَريـفِ
مَوجـةٌ إثـرَ موجـةٍ تـسرعُ الخطْـوَ لتحظـى مِـنْ قَبلِهـا بـالوقوفِ
وأسرَّتْ للـشطِّ نَجـوى هواهـا ... ثـم عـادتْ وئيـدةً كالأَسِـيفِ
كـلُّ إلْـفٍ يختـالُ أُنـسا بـإلفٍ ... وهْـيَ في وحـشةٍ بغـيرِ أليـفِ

يـا شراعـا يلُـوحُ عَـبْرَ المَـصِيفِ   في دُجـى الـيَمِّ كالـشُّعاعِ اللطيـفِ

خـفَّ حِلْـمُ البحـرِ الوقـورِ مـن الحـسنِ فَكُـنْ أنـتَ فيـه غـيرَ خفيـفِ

أنتَ رمزُ العفافِ والطُّهْرِ فاحذرْ   عـارِيَ الحسنِ فهْـوَ غـيرُ عفيـفِ

* * *

من وحي الريف

مِحْرابُ شاعرٍ (١)

خَميلةَ الشعرِ كمْ حرَّكْتِ أوتاري ... للشدوِ فيكِ وكمْ ألهمتِ أفكاري
يا مَبعثَ الروحِ في الأبدانِ هامدةً ... ومَهبِطَ الوحي من آياتِ أشعاري
حيَّيْتُ فيكِ مكانًا كمْ نظمتُ بهِ ... لآلئَ الشعرِ فوقَ الجدولِ الجارِي
من كلِّ عصماءَ من نجواكِ رائعةٍ ... عذراءَ تختَالُ في وَشيٍ وأنوارِ
ساجلتُ طيرَكِ فيها شاكيا غَرِدًا ... كأنني طائرٌ ما بينَ أطيارِ
بكَتْ أليفًا عن الوكرِ الجميلِ نَأي ... فرحتُ أبكي أليفًا نائيَ الدارِ
والبدرُ يشرقُ أحيانا فيؤنِسُني ... وتارةً يتواري خلفَ أستارِ
والأرضُ مجلوةُ الآفاقِ وادعةٌ ... تُبدي المزارعُ فيها قدرةَ الباري
والكونُ حولَكِ قد سادَ السكونُ بهِ ... عدا نسيمٍ رقيقِ النفحِ مِعطارِ
والكونُ معبدُ رُوحي ، في محاربِهِ ... أسبِّحُ الله في صمتٍ واسْرارِ

***

خميلةَ الشعرِ كم من أنْعُمٍ عَظُمَتْ ... أصونُها لكِ في حبٍّ وإكبارِ
كم عشتُ في جوِّكِ النشوانِ مُنفرِدا ... مُطَهَّرَ النفسِ من حقدٍ وأوضارِ
سئمتُ من معشرٍ بيضٍ ظواهِرُهم ... لكنْ بواطِنُهم سوداءَ كالقارِ
وجدتُ فيكِ - غَنَاءً عَنْ صَداقَتِهم ... خِلًّا وفيًّا ، ومِحْرَابًا لأفْكَارِي

---

(١) من شعر ما قبل العشرين (زورق الشجون) تحت عنوان غابة الشعر وأثبتها الشاعر بعد تعديل أبياتها وتجويدها .

رأس الهلال

في رحلة لطلاب السنة النهائية بكلية اللغة العربية بالبيضاء في لبيا عام ١٩٧١ م إلى رأس الهلال بالجبلِ الأخضر في يوم مطير .

يا نجومَ الفُصْحَى برأسِ الهِلالِ ... فِي ربا الأخضرِ السخيِّ الظِّلالِ

يستضيفونَنا الغداةَ بأرضٍ ... هِيَ في الجودِ مَضْربُ الأمثالِ

فعلي الرأسِ ينزلُ الضيفُ منها ... في محلِّ التكريمِ والإجلالِ

حسدَتْها السماءُ في الجودِ حتَّى ... نافستْهُ بغيثِها الهطَّالِ

شاركَتْكُم في الاحتفاءِ بِنا اليومَ بطلٍّ حُلوِ الرنينِ سِجَالِ

كَرَمٌ عمَّنا سماءً وأرضًا ... ما سمعنا بمثلِه في الخَوالي

يا شبابَ الفُصْحى هُنا موطنُ الشعْرِ ومِنْ هَا هُنا مطارُ الخيالِ

فتنةٌ ترتدي الطَّبيعةُ فيها ... سُندُسًا مِنْ خمائِلٍ ودَوالي

فَرُبَّا تَلبسُ الخمائلَ بُرْدا ... ورُبَّا تستحمُّ في شلالِ

فَجَّرَ الصخْرُ عندَ أقدامِها البيضِ عُيونا تجري بعذبٍ زُلالِ

وهنا البحرُ ذو العبابِ تَحدَّي ... موجُه هادرًا شموخَ الجبالِ

كم وَعَي من تاريخِ لِيبْيا وكمْ شاهدَ فيها تقلُّبَ الأحوالِ

يلتقي بالسماءِ فيما ترى العينُ فيوحي برهبةٍ وجلالِ

لُجَجٌ لا ترى سواها ، فبعضٌ ... متدَانٍ والبعضُ في الأفْقِ عَالِ

أبدًا يلطُمُ الصخورَ كطاوي ... تِرَةٍ لا يمَلُّ طُولَ النضالِ

يتلَوَّي بينَ الأخاديدِ زحْفا ... كتلوِّي الحيَّاتِ بينَ التِّلالِ

أتُراهُ يسْعَى إلي الشطِّ لهْفَانَ ليحظى بلثمِ غيدِ الرمالِ ؟

يحسبُ المرْجَ مستزادَ جمالٍ تتهادي بهِ ذواتُ الحجالِ

هُنَّ يا بحرُ خرَّدُ الجبلِ الأخْضَرِ يَشْبِبنَ في حمي الأبطالِ

لابِساتٌ من الخمائلِ (جُردا) وطنيًّا متوَّجا بعِقَالِ

كل خَوْدٍ في الحُسن ليبيَّةُ العِفَّةِ تحميهِ من فُضولِ الرجالِ

لا يصونُ الجمالَ والحُسنَ إلا سابلاتُ الأردانِ والأذْيالِ

والمعرَّي من الجمالِ رخِيصٌ مستباحٌ لريبةٍ وابتذالِ

يُقبِلُ الموجُ نحوَها مُستهاما ثمَّ يرتدُّ خائبَ الآمالِ

غير أنَّ الصخورَ مدَّتْ ذِراعَيْها إليه فكانتا كالهلالِ

مَنظرٌ يُجْتَلَي وظلٌّ ظَلِيلٍ وجمالٌ ما بعدَه مِنْ جمالِ

* * *

غدُكُمْ حلَّ يا شَبيبةَ لِيبيا فاحملُوا رايةَ العُلا والمَعالي

وامنَحوا ليبيا كَما منحتْكُم مِن رعاياتها كريمَ النوالِ

قد خرجْتُم إلي الحياةِ فشقُّوا دربَ آمالِكم بعزمِ الرجالِ

وانتهيتُمْ من واجبِ الدرسِ كيْما تستقلُّوا بالواجباتِ الثقالِ

إن فرغْتُم من ضربِ زيدٍ لعمروٍ فلكي تضربُوا بكلِّ مَجالِ

* * *

لكُمو يا شبابَ ليبيا ثناءٌ لا يفي حقَّ هذه الأفضالِ

إن شــكرْنا لكُــمْ جميــلَ صَــنيعٍ فمَقــامُ الــصنيعِ فــوقَ المقــالِ

أســعدُ العمــرِ ســاعةٌ جمعتْنــا وتجــلَّي فيهــا الوفــاءُ المثــالي

نــسبُ العلــمِ بيننــا أوثــقُ الأنــسابِ قــربيً عــلي مــدي الأجيــالِ

واللِّقــاءُ الــسعيدُ أجمــلُ ذِكــرى ســوفَ تَبقــى عَــلى مُــرورِ الليــالي

وإذا مــا يــدُ النَّــوى فرَّقَتنــا في مــرامٍ بعيــدةِ الأميــالِ

فــستبقَى أرواحُنــا في تــلاقٍ وســتبقي قلوبُنــا في اتِّــصالِ

شَــكرَ اللهُ مــا صــنعتُم جميعــا وســعدتُم في الحــلِّ والترْحَــالِ

* * *

عروسُ البحر
قيلت في رأس الهلال بالجبل الأخضر ليبيا ١٩٧٢ م

عـــادتِ الأيـــامُ يـــا رأسَ الهـــلالِ والتقينـــا بـــينَ هاتيـــك المجـــالي

تَجْـــتَلي الـــسحرَ ونـــشدو للجَـــمالِ (يا عروسَ البحرِ يا حُلمَ الخيالِ)(١)

هـــا هُنـــا الـــوادِي كـــما قـــد كـــانَ مخـــضلًّا نَـــدِيًّا

وهُـــوَ اليـــومَ كـــما بـــالأمسِ يلقانـــا حَفيًّـــا

والـــتلالُ الـــشمُّ تـــستوحي الإبـــاءَ العَرَبيَّـــا

والجمـــيلاتُ صـــبايا تفـــتِنُ المـــوجَ العتِيَّـــا

مـــا تُـــراهُ اســـتهدفَ الـــشطَّ سِـــباقا أبـــديًّا؟

وترامَـــي عنـــدَ أقـــدامٍ لهـــا يجثُـــو جِثيًّـــا

فاســـتَحَتْ منـــه وغطَّـــتْ بـــذراعيها المُحَيَّـــا

وارتـــدتْ مـــن سندسِ الأغـــصانِ جُـــردا بـــدويًّا

فمـــضي للـــشطِّ يـــشكو مـــن هواهـــا للرمـــالِ

عـــادتِ الأيـــامُ يـــا رأسَ الهـــلالِ والتقينـــا بـــينَ هاتيـــك المجـــالي

تَجْـــتَلي الـــسحرَ ونـــشدو للجَـــمالِ (يا عروسَ البحرِ يا حُلمَ الخيالِ)

أنـــا لا أصـــبو إلى الحُـــسنِ المعـــرَّي المـــستباحِ

تنهـــبُ الأعـــينُ منـــه في غُـــدوٍّ ورَوَاحِ

---

(١) الشطر من قصيدة – كرنفال فينيسيا – للشاعر علي محمود طه، غناها محمد الوهاب، بعنوان الجندول، وكان الشاعر حسن جاد يغنيها على عوده مثل عبد الوهاب.

وأري فيــه تهاويـــلَ ابتـــذالٍ وافتـــضاحِ

وهْـوَ في الـصيفِ عـلى الـشطِّ لحـومٌ كالأضَـاحي

تنـــزعُ الأنفـــسُ بـــالطبعِ إلي غـــيرِ المبـــاحِ

أنـــا مـــن يهفـــوا إلى الحُـــسنِ ويـــصبو للمـــلاحِ

في حمَـيً مـن عِفَّـةِ التقـوى وحِـصْنٍ مـن صـلاحِ

إنــما يَــسبي الجــمالُ الحــقُّ مــن خلــفِ وشــاحِ

فاســتري حــسنَكِ يــا أختُ وضِــنِّي بــالجمالِ

عـــادتِ الأيـــامُ يـــا رأسَ الهـــلالِ　　والتقينـــا بـــينَ هاتيـــك المجـــالي

تَجْـــتَلِي الـــسحرَ ونـــشدو للجَـــمالِ　　(يا عروسَ البحرِ يا حُلمَ الخيالِ)

يـــا شـــبابَ الـــضادِ في البيـــضاءِ بـــوركتُمْ شـــبابا

يَـــومُكم مُؤْتلِـــقُ الـــشمسِ سَـــماءً وهِـــضَابا

لم يكـــدِّر صـــفوَكم غيثـــا ولا غـــامَ ضـــبابا

أنـــتمُ الغَـــرسُ الـــذي أينـــعَ في ليبيـــا وطابـــا

فاســـلكُو العـــيش كِفاحـــا وخُـــذوا الـــدنيا غِلابـــا

واطلُبـــوا الـــرزقَ حـــلالا في ســـهولٍ أو جبـــالِ

عـــادتِ الأيـــامُ يـــا رأسَ الهـــلالِ　　والتقينـــا بـــينَ هاتيـــك المجـــالي

تَجْـــتَلِي الـــسحرَ ونـــشدو للجَـــمالِ　　(يا عروسَ البحرِ يا حُلمَ الخيالِ)

يـــا أحبَّـــايَ وأنـــتمْ في دُجـــي لـــيلي شـــموعْ

لــو نظمــتُ الأنْجــمَ الزُهــرَ وأزهــارَ الربيــعْ

لا أوفِّــيكُم ثنــاءً واجبــا أو أســتطيعْ

لــستُ أنــسي موقفــا أحــسنتُمو فيــه الــصَّنِيعْ [1]

وأنــا في غمــرةِ المحنــةِ والبلــوى صَريــعْ

وإذا برقيَّـــةٌ سَـــالتْ لمرآهـــا الـــدمُوعْ

فلــتكُن تــضحِيتي مــن أجلِكــم خــيرَ شــفيعْ

إنــه العرفــانُ والمعــروفُ عنــدي لا يــضيعْ

وســأبقي ذاكــرا عِرفــانَكم طُــولَ الليــالي

عــادتِ الأيــامُ يــا رأسَ الهــلالِ والتقينــا بــينَ هاتيــك المجــالي

تَجْــتَلِي الــسحرَ ونــشدو للجَــمالِ (يا عروسَ البحرِ يا حُلمَ الخيالِ)

* * *

---

(١) إشارة إلى موقف هؤلاء الشباب طلبة السنة الرابعة حين أرسلو برقية يُلِحُّون فيها على حضوري وأنا بجوار ولدي المريض فضحيت من أجلهم وتركت ولدي .

من شعر ما قبل العشرين بتصرف

الورقاءُ الثكْلي

ما لها أمستْ علي الدَّوْحِ تنوحْ؟ وتبثُّ الروضَ آلامَ الجُرُوْحْ ؟
ما لها تخفِقُ كالقلبِ الجريحْ وتهزُّ الغُصْنَ من فرطِ الأنينْ

* * *

بَكَرتْ تشدو بألحانِ المُني والنَّدي يغمرُ في الروضِ الجَنَا
حينَ لاحَ الصبحُ لَمَّاحَ السَّني يَفتِنُ الألبابَ بالسحرِ المُبينْ

* * *

أيقظَتْ بالشدوِ أسرابَ الطيورْ تَجْتَلِي الأنوارَ من سِحْرِ البُكورْ
وتبثُّ الشدوَ فياضَ الحُبورْ في سماءِ الروضِ يشجي السامعينْ

* * *

ثم جدَّتْ مَطلبا في عَيشِها وأنامَتْ فرخَها في عُشِّها
مُطمئنًّا في حنايا فرشِها يرقبُ الإشفاقَ والصدرَ الحنونْ

* * *

وانثنَتْ بالحبِّ تَبْغي وَكْرَها في حنانٍ لتلاقِي طَيرَها
وإذا الصيادُ ينوي غدْرَها راصدا عودَتَها خلفَ الكمينْ

* * *

حين دانَتْ وكرَها واستشرَفَتْ فوقَ أغصانِ حِماها واستوتْ
سدَّدَ السهمَ إليها فهوتْ تتنزَّي في دمِ الجُرحِ الثَّخينْ

* * *

لم يـصبْها الـسهمُ إلا في الجنـاحْ فاسـتطارَتْ رغْـمَ آلام الجِـراحْ
فمـشي الـصيادُ مـن يـأسٍ وراحْ بعـد مـا خابـتْ بمـسعاهُ الظُّنُـونْ

* * *

ظلَّـتِ الورقـاءُ تجتـازُ الفـضاءْ ودنـتْ مـن وكرِهـا بعـدَ العنـاءْ
وإذا الفـرخُ طـريحٌ في الـدماءْ غالَـه الـسهْمُ وأرداهُ المنـونْ

* * *

وقفـتْ في الـروضِ تَبكـي حالَـه حيـنَما الـسَّهْمُ تعـداها لَـه
ورأتْ في عُـشِّها أوصـالَه إرَبـا تحملُهـا ريـحُ المَنـونْ

* * *

حرَّكَـتْ بـالنوحِ شَـجْوا سـاكنا كـانَ في قلبـي سـجينا كامِنـا
وأثـارتْ بالبُكـا بعـدَ الغِنـا لاعـجَ الحـزنِ وأنَّـاتِ الـشجونْ

* * *

أيُّهـا الورقـاءُ لا تبكـي فَـما ينَفـعُ النـوحُ بخطـبٍ عَظُـما
عـصفَ الـدهرُ بقلبـي مِـثلَما قـدْ دهـاكِ اليومَ يا وَرْقا الشُّجونْ

حديث القمر

يشعُّ بقلبي سناك الأغر فأشرِقْ على مهجتي يا قمرْ

لَكَمْ فِيكَ مِنْ مُتْعَةٍ للنُّفُوسِ وكَمْ فِيْكَ مِنْ بَهْجَةٍ للبَصَرْ

بعثتَ إلي الرَّوْضِ صَافِي اللُّجَيْنِ فَنَقَّطَ أزْهَارَهُ والثَّمَرْ

ومَرَّ عَلي صَفَحاتِ الغَدِيرِ شُعَاعُكَ فَاسْتَلَّ مِنهُ الكَدَرْ

ورصَّعْتَ بالدُّرِّ زَرْعَ الحُقُولِ وتوَّجْتَ بالأُقْحُوانِ الشَّجَرْ

وأرسلت في الليل جيش الضياء فمزق ظلمته وانتصر

تبارك من صوَّر الحسنَ فيكَ مثالا يشوقُ حِسانَ البشرْ

ألا أيهذا السميرُ الحبيبُ نديمُ العشيِّ نَجِيُّ السَّحَرْ

تحدَّثْ إليَّ فيا طالما رويتَ الحديثَ وسُقتَ الخبرْ

شعاعُك يَلمَعُ في نَاظِرِيَّ كَما لَمعتْ في العُقولِ الفِكَرْ

وتعتادني ذكرياتُ الهوى إذا ما أطلتُ إليك النظرْ

فكم ليلةٍ من ليالي المنى صحبتُك فيها وطالَ السَّمرْ

وكم ليلةٍ من ليالي النوى سمعتَ شكاتيَ ممنْ هَجر

وكَمْ ضِقتُ ذَرْعًا بِغَدْرِ الزَّمانِ فَكُنْتَ عزائِيَ عَمَّنْ غَدَرْ

وكم جئتُ أسكبُ حُرَّ الدموعِ وأشكو إليكَ صروفَ القدرْ

فكنــتَ أنيــسيَ في وحــشتي ... وكنــتَ نــصيريَ عنــد الغِــيَرْ

وجــدتُ عــن النــاس فيــكَ الغَنَــاء فأنــتَ الــصديقُ الــوفيُّ الأَبَــرْ

تَجنَّــي عَلَيْــكَ غُــزَاةُ الفَــضَاءِ وقَــدْ شَــوَّهُو فِيــكَ مَــا قَــد بَهَــرْ[1]

وقــالوا خرافــةُ أهــل الخيــال تغنــي بهــا بــدوهم والحــضر

ولَمْ يَتَغَنَّــوا بِغَــيرِ هِــضَابٍ ... مِــنْ الــصَّخْرِ أو بِتِلالِ الحَجَـرْ

وكَـمْ خَـدَعَ الـوَهْمُ مِـنْ شَاعِرٍ ... جَمُــوحِ الخَيَــالِ شَرُوْدِ الأثَــرْ

حَــذَارَكَ يــا دَيْــدَبانِ الــسَّماءِ ... فقــدْ يَــدْفعُ النَّائِبــاتِ الحَــذَرْ

لقد دنسوا الأرض من رجسهمْ ... فــضاقت بِــشَرِّهِمُ المُــستعرْ

ولم يَكْفِهِــمْ أنَّهُــمْ رَوَّعُوهَــا ... فَــلا أَمْــنَ فِيهــا وَلا مُــسْتَقَرْ

فَرامُـوا سَـماءَكَ كَـي يُفْسدُوها ... بِــما حَمَلُــوا مِــنْ أذَاةٍ وشَرْ

فردَّهمــو عــن حمــاك الأمــين وأحرقهمــو بــشواظِ الــشرْ

هــو العلــمُ إن لم يقــد رَبَّــه ... إلى الخــيرِ كــانَ سـلاحَ الخطـرْ

ومَــنْ لــيسَ يَعْــصِمُهُ عَاصِــمٌ ... مِــنَ الــدِّينَ ضَــلَّ بـه وانتحَـرْ

مثــالُ الجــمال ورمــزْ الــصفاء عــلى رغمهــم أنْــتَ أنْــتَ القمــرْ

---

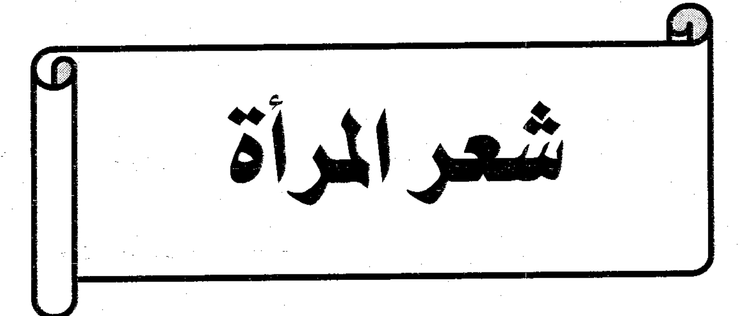
(١) ذكره لغزو الفضاء جاء في إصدارة ١٩٨٤م إذ إن زورق الشجون ١٩٣٤م ووحي الربيع ١٩٥٢م وهما إصدارتان للقصيدة كانتا قبل غزو الفضاء في ١٩٥٩م.

وإن الحقيقةَ حيناً تَسوءُ فيصرفُ عنها خيالٌ يَسرْ

تمهلْ فللعينِ منك الضياءُ وللروحِ نجوى المنى والسمرْ

وللناسِ فيكَ حِسَابُ الشُّهورِ ... ولِي فِيك شَتَّي الرُّؤَى والصُّوَرْ

* * *



شعر المرأة



حُطَامٌ (١)

صدى تجربةٍ عاناها صَديقٌ شَاعِرٌ حطَّمتهُ امرأةٌ.

ولقيـتُ الـصَّديقَ ذاتَ مَـساءِ ومُحَيَّـاهُ غَـائِمٌ بالـشَّقَاءِ

واجِـمٌ عانَقَـتْ كآبتُـه الليـلَ عنـاقَ الظَّلْـماءِ للظَّلْـماءِ

سـاهمُ الطَّـرْفِ لـيسَ فيـهِ بَرِيـقٌ غَـيرَ وَمْـضٍ لِدَمْعَـةٍ خَرسـاءِ

كِـدْتُ أنْـساهُ بَعـدَمَا فَرَّقَتْنـا عَاديـاتُ النَّـوى ، وطَـال التَّنـائِى

قلـتُ : يـا شـاعرًا أصـاخَتْ لـه الـدُّنيا زَمانًـا مُـدويّ الأصْـداءِ

كَيـفَ لَـفَّ الظَّـلامُ أُنْـسَ لَياليـكَ وقَـدْ كَـانَ سَـاهِرَ الأضْـواءِ ؟!

وأغَارِيـدُك التـى كَـم شَـجَتْنا غَالَهَـا صَـمْتُ وَحْـشَةٍ نَكْـرَاءِ

لُـذْتَ بِالـصَّمْتِ والخُمُـولِ وَمـا كُنـتَ جَـدِيرًا بِعُزْلَـةٍ وانْطِـواءِ

قَـالَ لى الـشَّاعِرُ الحَـزِينُ وقَـدْ هِجْـتُ أسَـاهُ وزِدْتُ فِى البُرَحَـاءِ:

لا تَـسلْنِى عَـن مِحنتَـى وشَـقائى قَـدرٌ خَطَّـه يَـراعُ القَـضاءِ

مـا احْتِيـالُ الفَتَـى إذا قُـضِىَ الأمْـرُ وأعْيَتْـهُ حِيلَـةُ الأذْكِيـاءِ؟

لا تَقـلْ :أيْـنَ مَوْهبـاتِى وفَنِّـى ؟ أيْنَ شِعرى ؟ وأينَ عَـذْبُ غِنَائِى؟

---

١) كان اسم القصيدة حطامُ امرأة وغيره إلى الاسم الحالي في مراجعتنا ١٩٩٣م، وهذه القصيدة الوحيدة التي كتبها للمرأة بعد ديوان زورق الشجون الذي صوَّر حبَّه الأول وضياع محبوبته.

صـوَّحَتْ أيكتِـى ، وأقْفـرَ رَوْضِى ورَبيعـى طَـواهُ ليـلُ الـشِّتَاءِ

قُلْــتُ : إنَّ الآلامَ مُلْهِمَــةُ الفَــنِّ ومَجْــلى قَــرائِحِ الـشُّعراءِ

والأسَـى الفَـذُّ شُـعْلةُ العَبقريـاتِ وسِرُّ النبـوغِ فى البُوسـاءِ

قـالَ : قـد تُفْحِـمُ الخُطـوبُ إذا جَلَّـتْ وترمـى الفُحـولَ بالإعْيـاءِ

كَيـفَ يَـشدُو مُغَـرِّدٌ فَـوْقَ أيْـكٍ عَشَّـشَتْ فِيْـهِ بُوْمَـةُ الأرْزَاءِ؟

لا تقُـلْ لِى :وَرَاءَ كُـلِّ عَظِـيمٍ مِـنْ بُنَـاةِ الحَيـاةِ إحْـدَى النِّساءِ

مَثـلٌ "سَـائرٌ"ويَـارُبَّ قَـولٍ سَارَ فِى النَّاسِ وهْـوَ مَحْضُ الهُراءِ

قَـلَّ مَـنْ تَحْفَـظُ المَـوَدَّةَ مِـنهنَّ وتَحْـدو مَواهِـبَ النُّبهـاءِ

كَـمْ أمَاتَـتْ حَـوَّاءُ مِـنْ عَبْقَـرِىٍّ ولَكَـمْ أخْمَلَـتْ مِـنَ العُظَـمَاءِ

رُبَّ بـانٍ بَنـى فَلَّـما دَهَتْـهُ هَـدمتْ مـا أقَامَـهُ مـن بِنـاءِ

" وأتعـسُ النـاس في البريـةِ زوجٌ عبقـريٌّ لزوجَـةٍ رعنـاءِ"

" همُّـهُ غـيرُ همِّهـا فـإذا مـا طـارَ سدَّتْ عليـهِ بـابَ السماءِ"

كُلَّـما رَامَ بـالطُّموحِ خُلـودًا جَذَبَتْـهُ إلى حَـضِيضِ الفَنـاءِ

وإذا مـا سَـمَا لِقِمَّـةِ مَجْـدٍ أنْزَلَتْـهُ مِـنْ قِمَّـةِ العَليـاءِ

وإذَا حَـازَ سُـمْعَةً أو فَخَـارًا أمْعَنَـتْ فِى تَهَكُّـمٍ وازْدِرَاءِ

وإذا أبْـــدعَ الغِنَـــاءَ أعَـــارَتْ شَـــدْوَه أُذْنَ صَـــخْرةٍ صَـــمَّاءِ

أعْـذَبُ اللحْـنِ عنـدَها صَرْخَـةُ البُـومِ وأشْـجَى الغِنـاءِ رَجْـعُ العُـواءِ

أنـا مَـنْ حَطَّمَتْـهُ رُوحًـا وقَلبًـا فأنَـا مَيِّـتٌ مَـع الأحْيَـاءِ

وأنَـا ذلـك الحُطـامُ الـذى لَمْ تبْـقَ فيـه مِنـى سِـوى أشْـلاءِ

ضَـاعَ عُمْرى مـا بَـينَ غَـامِرِ يـأسٍ مُـدْلَهِمٍّ وخَـادعٍ مـن رَجـاءِ

خَطَـأٌ بِعْـتُ فِيـه كُـلَّ حَيـاتِى وكِفَـاحِى بِخَيبَـةٍ وشَـقَاءِ

فَعَـلى العُمْـرِ أَلْـفُ أَلْـفُ سَـلامٍ وعَـلى المَوْهِبـاتِ أَلْـفُ عَفَـاءِ

قُلْتُ يا صَاحِبى فَجُرْحُكَ جُرْحِى والمَـسَاءُ الـذِى طَـواكَ مَـسائِى

* * *

جَنَازةُ حُبٍّ (*)

دَفَنْتُ غَرامى وإحْتَسَبْتُ رَجائِيا — ووَدَّعْتُ فى دُنيا هَواكِ الأَمانِيا
وأخْمَدتُ مَشبوبًا من الحُبِّ طَالَمَا — تَلَظَّى فُؤادِى فى نَوازِيهِ صَالِيا
وكَفَنْتُهُ فِى الذِّكرياتِ(١) وقد أبَى — عَلَيَّ إبائِى أنْ أُوارِيهِ بَاكِيا
يُحاذِرُ قَلْبِى أنْ أحِسَّ الْتِياعُهُ — ويُشْفِقُ طَرْفِى أَنْ أرَى الدَّمْعَ جارِيَا
ولولا اعتزازِى حِينَ شَيَّعتُ نَعْشَه — لأَبْصَرْتِ نَعشًا فَوقَ دَمْعِىَ طَافِيا
عَزِيزٌ على نَفسى وقَدْ كُنتُ شادِيًا — بِهِ أنْ أعُودَ اليومَ أبْكِيهِ نَاعِيا
جَنَيْتِ عَليه وهْوَ فى المَهْدِ ناشِئٌ — ويا طالما أمَّلْتُ مِنْهُ مجَانِيا
وضَيَّعْتِ عَهدًا كُنتُ أرْعى حِفاظَه — وأسْهَرُ فى نَجْوى مُناهُ اللياليا
ذَوى غُصْنُه النَّادِى وصَوَّحَ زَهْرُه — وقَدْ كانَ مُفْتَرَّ البَراعِمِ حَالِيا
وماتَتْ بِكَفَّيكِ العُطورُ فما سَرَى — إليَّ عَبِيرٌ كانَ بالأمسِ سَارِيا
إلى اللهِ أشكوها جِراحًا بِمُهْجتى — ولَمْ ألْقَ يومًا للجِراحاتِ آسِيا
وصبوةَ قَلْبٍ دائمِ الخَفْقِ هَائمٍ — يَحِنُّ ولا يَلْقَى مِن النَّاسِ حَانِيا
وداعًا وداعًا أيُّها الحُبُّ إنَّنِى — دَفَنْتُ هَوى نفسى وأمْسيتُ خَاليا

(*) من شعر ما قبل العشرين يصور فيها مأساة زواج محبوبته «نعمة» وعجزه عن الاحتفاظ بها.

١) فى رواية أخرى (بالذكريات).

إِذَا نَـازَعَتْنى فِيـكَ أَشْـواقُ صَـبْوَةٍ كَبَحْـتُ جِماحَ الـشَّوقِ فَارتَـدَّ قَاليـا

ومَـنْ يَـرْتَخِص يَوْمًا حُقُـوق مَـوَدَّتِى فَلَـسْتُ بِمُعْطِيـهِ مِـن الـوُدِّ غَالِيَـا

وبَاقَلْـبُ أَخْلَـصْتَ الـوِدَادَ لِجَاحِـدٍ وقَـدْ كَـانَ غَـدَّارًا فَلاتَـكُ وَافِيَـا

***

على أطلالِ الحُبِّ (من شعر ما قبل العشرين)

النّسيانُ

انْقَضَى الحُبُّ ياحَبِيْبَةَ أمْسِ بَعْد طُولِ الغِيابِ والهَجْرُ يُنْسِى

أنتِ مَنْ أنْتِ ؟ لاأرى فِيكِ مَعْنَىً مِن معانِى الماضى الحَبيبِ لنفْسى

أنْتِ مَنْ أنْتِ ؟ إتَّهَمْتُ ظُنُونِى حِينَما عُدْتِ لِى وكَذَّبْتُ حَدْسِى

أنْتِ مَنْ أنْتِ؟ لستِ مِحْرابَ رُوحى مِثلَ عَهدى ولَسْتِ مَعْبدَ قُدْسِى

أنْتِ مَنْ أنْتِ ؟ لَسْتِ هَتْفَةَ قَلْبى فى حَنِينِى ولَسْتِ نَبْضَةَ حِسِّى

أنَا أنْكَرْتُ فيكَ كُلَّ أحَاسِيسِى فَلَمْ يَبقَ غَيرَ حُبِّى لأَمْسِي

ما لِمرآكِ لمْ يُثِرْ لاعِجَ الشَّوقِ وقَدْ كَانَ يُشْعلُ الشَّوقَ جَمْرَا؟

ما لعينيكِ لا تَفيضَانِ بالسِّحْرِ وقَدْ كَانَتا لِروحىَ سِحْرَا؟

مَا لِنَهْديْكِ لا يَمُوجَانِ باللَّحْنِ وكَانَا لَحْنًا وشَدْوًا وشِعْرَا

ومُحَيَّاكِ لَمْ يَعُدْ شَمْسَ آمالِى ولا عادَ مثلما كَانَ بَدْرَا

عَافتِ الروحُ هذه الشفةَ الحَيْرَى كَما عافَتِ الفراشَةُ زَهْرَا

لمْ يَعُدْ فِيكِ مِنْ مَتَاعٍ لِرُوحِى وخَيالِى سِوى حَنِينٍ وذِكْرَى

ذَلكَ الجِسْمُ كَانَ مَعْبدَ رُوحِى وَهْوَ اليومَ حَانَةُ الخَمَّارِ

ذَلك الحُسْنُ كَانَ مَسْرَحَ قَلْبِى وهْوَ اليَومَ نَهْبَةُ الأنْظارِ

ذَلِـكَ الحُـبُّ كَـانَ غُنْـوَةَ شِـعْرى فَغَفَـا طَـيْرُهُ عَـلى الأزْهَـارِ

ذَلِـكَ الـشَّوْقُ ، ذَلِـكَ الـدَّمْعُ شَـكْوايَ وَهَبْتْنـى هَزِيْمَتـى وانْتِـصَارِى

لَـوعَتِى للفِـراقِ، فرْحـةُ نَفْسى يـومَ لقيـاكِ بعـد طُـولِ انتِظَـارِ

كُـلُّ شـىءٍ ولَّى فـما عَـادَلِى فيـكِ مِـنَ الحُـبِّ غَـيرَ طَيْـفٍ سَـارِ

يـا ابنـةَ الأَمْـسِ مـا سُـؤالِكِ عَنِّي بعـدَما كُنـتِ لا تَعِـينَ سُـؤالِى

زَمَـنٌ قُلَّـبٌ ودَهْـرٌ عَجِيـبُ وصُروفٌ تَجْـرى بِهِـنَّ الليـالِى

أيـنَ ذُلِّى لِكِبْرِيَائِـكَ بَـلْ أيْـنَ دُمُـوعى ومَـا رَثيـتِ لِحَـالى

وخُشُوعِى لعَـرْشِ حُسْنِك طَيفًـا هَـائِمَ الـرُّوحِ والمُنَـى والخَيـالِ

عُـدتِ لى اليـومَ فـاتْركينى فَقَـدْ عُـدْتِ بِجِـسْمٍ مِـن وَمْـضَةِ الـرُّوحِ خَـالِ

لـستُ أهـواكِ، غَـيرَ أنِّـى أهْـواكِ حَنينـا فى الزَّمـانِ الخَـالي

* * *

من شِعرِ ما قبلَ العشرين

لَحْنٌ جَدِيدٌ (١)

عُــدتُ أُلْقـى مُنَـاىَ بَـينَ يَـديْكِ وَهَفـا القَلْـبُ مِـنْ جِديـدٍ إليـكِ

عَطَفَتْنـــى إليـــكِ بعـــدَ جفـــاءٍ نَظَــراتُ الحَنــانِ مِـــنْ عَينيـــكِ

وحَيَـــاءٌ يَـــشِعُّ فَـــوقَ مُحَيَّـــاكِ فيغنـــى عـــن كـــل قـــول لـــديك

نَهَلَتْ من سَناكِ رُوحى ، وعَلَّتْ مــن حــديثٍ يَنْهَــلُّ مِـنْ شَـفَتَيكِ

فـاذا بِـى أنْسى الـذى كـانَ مِنِّـى وإذا بـى أحْنُـو بِروحـى عَليـكِ

❊❊❊

خَفَــقَ القَلـبُ مِــنْ جَدِيـدٍ يُغَنـى فاسْمَعى مِن هَـواه لَحنَ التَّمَنِّي

نَغَّمَـــتْ شَـــوقَهُ الـــصَّباباتُ للأيـــكِ فهـــزَّتْ ألْحانُـــهُ كُـــلَّ غُـــصْنِ

أنَـــا رُوحٌ يَـــسْرِى بأُفْقِـــكَ هَـــيمانٌ هَدَتـــهُ إليـــكِ أطيـــافُ حُـــسْنِ

هَـــاتِفٌ بـــالجَمالِ فى نَـــشوة الحـــب ومـــا أنـــت غـــير كأســـى ولَحْنِـــى

فاسْـمَعى مِـنْ غِنـاءِ رُوحـىَ لَحْنًـا يَرْتَـضيهِ العَفَـافُ مِنـكِ ومِنِّـي

❊❊❊

هَتْفَـةُ الـرُّوحِ أنْـتِ بَعـدَ سُـكونٍ ورَبيــعٌ بعـــدَ الـــشِّتاءِ الحـــزينِ

١) هذه القصيدة غير موجودة في ديوان زورق الشجون المطبوع ١٩٣٥م بعد بلوغ الشاعر الحادية والعشرين ولكنها موجودة بعد ذلك في مخطوط " وحي الربيع" الذي توقف الشاعر عن نشره ١٩٥٢م بسبب قيام ثورة يوليو لذا يترجح أنها كتبت بين ١٩٣٥ و١٩٥٢م وليس قبل العشرين.

عَـصَفتْ بـالهَوى ظُنـونٌ كِـذابٌ قَـدْ تبَيَّنْتُهـا ضَـلالَ ظُنـونِ

فـاغْفِري لِي جَفـاءَ ظَنِّـي ، فـإنِّيَ لَمْ أَحُـلْ عَـنْ وَفـائِيَ المَكْنـونِ

وأعِيـدِي الحَيـاةَ أُنْـسًا ونُـورًا لفُـؤادِي ومَـسْمَعي وعُيـونِي

إنَّ رُوحِـي إليـكِ ظَمـأى ، فَهَيَّـا أَسْمِعِيني لَحنَ الهَوىَ واسْمَعِيني

* * *

من شعرِ ما قَبلَ العِشرين

ضَيْعَةُ الأملِ فِى ليلَةِ الزِّفافِ (١)

أولُ تجربةٍ شِعْرِيَّةٍ كاملةٍ لأولِ تَجْرُبةٍ عاطفيةٍ وحيدةٍ عانَيْتُها فِى سِنِّ السَّابعةَ عشرَ، أُثبتها هنا كما نظمتُها على سذَاجَتِها وبساطتِها لما فيها من تصويرٍ صادقٍ لعاطفةٍ بريئةٍ تمثِّلُ حُبًّا طاهرًا بريئًا.

يا فُؤَادًا يَذُوبُ فى زَفَرَاتِى ... وضُلُوعًا مَشْبُوبَةُ الجَمَرَاتِ

يا شَبَابًا قَدْ حطَّمَتْهُ الليَالِى ... وعُيونًا فَيَّاضَةَ العَبَرَاتِ

يا دُموعًا نَظَمْتُهنَّ قَصِيدًا ... زَاخِرَ الحُزْنِ بَاكِىَ الأبْيَاتِ

أىُّ سَهْمٍ أصْمَى فُؤادِى المُعَنَّى ... أىُّ نَارٍ قَدْ صَعَّدَتْ آهَاتِى

يَا ضَيَاعَ الآمَالِ بَعدَ رَجَائِى ... مِن غَرامِى ويَاضَياعَ حَيَاتِى

***

إيهِ يا ليلةَ الزِّفافِ لَقَدْ هِجْتِ شجونى وزدت فى آلامى

أَوَلَمْ يَكْفِ ما عَصَفْتِ بِقَلْبِى ... من ضَياعِ الآمالِ والأحْلامِ

كُنْتُ أَخْشاكِ مِنْ زَمَانٍ بَعيدٍ ... خِيْفَةً مِنْ فَجِيعَتى فِى غَرامِى

صَوَّرَتْ لى الأوْهَامُ صُورَتَكِ السَّوداءَ حَتى تَحَقَّقَتْ أَوْهَامِى

---

١) مقدمة القصيدة فى زورق الشجون : "ليس أعزُّ على النَّفسِ مِن الفجيعةِ فِى الأملِ وأشْقى الناسِ مُحِبٌّ عاشَ بالأملِ فأبَى القَدرُ إلا أنْ يَفْجَعهُ فيهِ فَوقَفَ فى ليلةِ الزفافِ أمامَ حبيبهِ وقد أفْلَتَ من يدِهِ، وقَلْبُه يتفطَّرُ فى هذه الأبياتِ".

فَارْحَمِى قَلْبِى الجَرِيحَ ودَاوِى مِنْ سَقَامِى فَمَا أَشَدَّ سَقَامِى

* * *

يَا رجَاءَ الفُؤادِ هَلْ سَرَّكِ اليومَ بِأَنِّى أَمْسَيْتُ فِى الحُزْنِ فَردَا

قَد تَقَلَّدْتِ مِن حُلِيِّكِ عِقْدًا وتَقَلَّدتُ مِن دُموعِى عِقْدَا

أَلبَسوكِ التَّاجَ المُكَلَّلَ لكنْ أَلبَسونِى مِنَ الكآبَةِ بُرْدا

سَالَ فِى عُرْسِكِ النُّضَارُ ولَكنْ سَالَ قلبى بينَ الأضَالعِ وجْدَا[1]

هَلْ تَذكرتِ حُبنَا أَمْ تَسلَّيْتِ فَلَمْ تَذكُرى مِن الحُبِّ عَهدَا؟

* * *

أَوْقَدوا حَولَكِ الشُّموعَ ولكنْ أَوْقَدوا فِى الفُؤادِ مِثلَ الشُّموعِ

جَرَّعُوكِ الصَّفَاءَ مِنْ كُلِّ كأسٍ وتجَرَّعْتُ مِنْ كُئوسِ دُموعِى

جَمَعوا حَوْلَكِ الجُموعَ مِنَ الناسِ وكَانتْ كُلُّ الهُمومِ ، جُمُوعِى

آهِ لَو يَعْلمونَ خَطبِى ومَا لاقيتُ فِيهِ لأَحْسنُوا فِى الصَّنيعِ

خَفِّضِى الوَطْءَ يا ضُلوعِى فَإِنِّى كِدْتُ أَقْضِى من الجَوَى يَا ضُلوْعِى

* * *

مُنْيَةَ الرُّوحِ هَلْ عَلِمتِ انفرادِى فى هُمومِى وأنْتِ بينَ الرِّفَاقِ

دَقَّ طَبْلُ الزِّفافِ خَلْفَكِ لَكِنْ لمْ يَكُنْ مِثْلَ قَلْبِىَ الخَفَّاقِ

---

١) البيت محذوف من ديوان ١٩٨٤م .

أصَـــحِيحٌ أنَّ الزمـــانَ قَـــضَى اليـــومَ عَلينـــا ، بِلَوْعَـــةٍ ، وفِـــراقِ

أيْـــنَ أيـــامُ حُبِّنـــا وهوانَـــا؟ أيـــن أيـــامُ قُرْبِنـــا والتَّلاقِـــى ؟[1]

آهِ.. مَـــا أصْـــعَبَ الفَجِيعَـــةَ فى الحُـــبِّ وأشْـــدِدْ بِهـــا عَـــلى العُـــشَّاقِ

* * *

وقَـــستْ ليلـــةُ الزِّفـــافِ فَلَـــمْ تَـــرْحَمْ فُـــؤادِى ولَمْ تُـــرَعْ لأنِينِـــى

غمـــرتْ بالـــسُّرورِ والبِـــشْرِ قومًـــا ورَمَتْنِـــى بِـــصَبْوَةٍ وحَنِـــينِ

إنْ تَغَنَّوا فِى بْشْرِهِم رُحْتُ وحْدِى أتَغَنَّـى مِـنَ الأسَـى فى شُـجُونِى

ضِـــقْتُ ياليلـــةَ الفَجِيعـــةِ ذَرْعًـــا فـارْفُقِى بِى مِنَ الجَوى وارْحَمِينِى

أشْرَقَ البِـشْرُ فى النُّفـوسِ ولَكِـنْ أظْلَمَ الحُزْنُ فى فـؤادِى الطَّعِـينِ[2]

* * *

لارَعَـــى اللهُ ليلـــةً أيْـــنَما سِرْتُ وَجَـــدْتُ الهُمُـــومَ فِيهـــا حِيَـــالى

أطْلَقَـتْ مِـنْ يَـدىَّ صَيْدِى وأذْكَـتْ نَـارَ وَجْـدِى وحَطَّمَـتْ آمـالِى

لَـستُ أنْـساكِ يـامُنَى القَلْـبِ مَهْـمَا فَرَّقَـتْ بَينَنَـا صُروفُ اللَّيَـالِى

فـاعْلَمِى أنَّنِـى عَـلَى الحُـبِّ بَـاقٍ مِثْـلَ عَهْـدى وأنَّنِـى غَـيرُ سَـالِى

وسَـــلامٌ عَـــلى تَليـــدِ هَوانَـــا وَسَـلامٌ عَـلى العُهـودِ الغَـوالِى

---

١) البيت محذوف من ديوان ١٩٨٤م .

٢) في زورق الشجون " خيَّمَ الحزنُ..."

على غيرِ موْعِدٍ ١٩٣٢م (١)

بِـلا وَعْـدٍ لقيتُـكِ فى الـصَّباحِ ... وقَـدْ سَهِرَتْ على لَـيْلى جِراحِى

وكَـمْ أمَّلْـتُ طَيفَـكِ لـو يُـوافِى ... ولكــنْ راحَ أدْرَاجَ الرِّيــاحِ

فَلَـمَّا أنْ رأيْتُـكِ بعـد يـأسٍ ... ورفَّ القَلـبُ للأمَـلِ المُتـاحِ

رَأَيْـتُ العُمْـرَ جُمِّـعَ فى ثَـوَانٍ ... جَنَيْتُ بِرَوْضِهِنَّ جَنَى كِفَاحِى

عَـلامَ تُنْكِـرينَ وكُـلُّ شَـىءٍ ... يَـنُمُّ عليكِ باللُّسِنِ الفِصاحِ؟

خَلَعْتِ عَلى النَّسيمِ بُـرودَ عِطْرٍ ... فَحَـدَّثَ عَـنْ شَـمائِلكِ المِلاحِ

وقَـدْ ألْقَيْـتِ بالمنْظـارِ سِـتْرًا ... على سَكْرانَ سَاجِى اللَّحْظِ صَاحِ

عَرَفْتُـكِ يـا مُنـاىَ بِخَفْـقِ قَلْبـى ... ومـا كَـذبَ الفـؤادُ فـلا تُلاحِـى

عَـشِقْتُكِ للعُـلا أَدَبًـا وطُهْـرًا ... وآفـاقٍ مِـنَ الـدُّنْيا فِـساحِ

***

١) من ديوانِ وحى الربيع ١٩٥٢ م(مخطوط) ولم تُدرج هذه القصيدة فى ديوان زورقِ الشجونْ الصادر فى عام ١٩٣٥ وهذا يرجِّح أنها كتبت بعدَ هذا التاريخ ولكنى أثبتُه لأنه فى الأصلِ بخط الشاعر.

حَسْبى!! ١٩٣٣ (١)

حَسْبى مِنَ الحُبِّ آمَالى بِلقياكِ ... لو كنتِ تُغرينَ بالآمالِ مُضْناكِ
فَعَلِّلِينى بِوعْدٍ منكِ أرْقُبُه ... فَفِى التَّعِلَّةِ سَلْوَى المُغْرَمِ الشَّاكِى
ماذا عليكِ إذا آسيتِ ما جَرَحَتْ ... بِلَحْظِها السَّاحِرِ الفَتَّاكِ عَيناكِ
نَاداكِ قلبى المُعَنَّى صَارِخًا وَلِهًا ... فَهَلْ سَمِعَتِ نِداء الصَّارخِ البَاكِى
جَزَيْتِنِى عَن غَرامى بِالصُّدُودِ وهَلْ ... يُجْزَى عَلى حُبِّه مَنْ كَانَ يَهواكِ
يا مُنيةَ الروحِ بُوْحِي بالذي فعلتْ ... يدُ الغرامِ بأحشائي وأحشاكِ
لا تُنكري بالتَّجنِّي ما أصابَكِ من ... بَلْوَاهُ فالحبُّ أبكاني وأبكاكِ
تلك العيونُ عليكِ اليومَ شاهدةٌ ... بما جناهُ علي جفنيَّ جفناكِ
يحلو هواكِ علي ما فيه من مضضٍ ... كالوردِ من بين أقْتَادٍ وأشْواكِ
يهتزُّ لاسْمِكِ قَلبى حِينَ أسْمَعُهُ ... وتَستَشِيطُ ضُلوعِى عِندَ ذِكْراكِ
دواي الأُساةُ سقامي وهْيَ مُعضلةٌ ... وما شفَوا داءَ لحظٍ منكِ فتَّاكِ
فاحَتْ سَجَاياكِ كألازْهارِ عَاطِرَةً ... يَا حُسْنَ هذا الشَّذا يا طِيبَ ريَّاكِ
أسْراكِ جُنُّوا غرامًا في هواكِ فهل ... رَحمتِ في الحبِّ يا دُنيايَ أسْراكِ
فَعطِّرِى القَلْبَ مِن ريَّاكِ يَحْيَى بها ... وأشْرِقي بِضِياءٍ مِن مُحَيَّاكِ
تَصْفُو الحياةُ إذا ما كُنْتِ باسمةً ... وكُلُّ شيءٍ إذا لَمْ تَبْسَمى بَاكِي

***

١) من شعر ما قبل العشرين (زورق الشجون) وكان حذف منها الأبيات من ٦-٩ ، والأبيات ١١ و١٣ في ديوان ١٩٩٣م، اختصارا.

الأملُ – ١٩٣٣م

يـا شُـعَاعًا فى دَيـاجِيرِ الحَيـاهْ شَـعَّ فِى قَلْبِـى وفِى رُوحِـى سَناهْ

أنـتَ للـنَّفْسِ رَشَـادٌ وهُـدَى أنْـتَ زَهْـرٌ عَطَّـرَ الـدُّنيا شَـذاهْ

أنَـا لَـولاكَ شَريـدٌ حَـائِرٌ غَلـبَ اليَـأْسُ عَليـهِ فَمحـاهْ

* * *

يـا نَـسيمًا بَـينَ طَيَّـاتِ الهَجـيرْ وابْتِـسامًا فِى فَـمِ العَـيشِ المَريـرْ

يـا يَقِينًـا يَـسْكُنُ القَلْـبُ لَـه ومَـلاذًا للطَّريـدِ المُـسْتَجِيرِ

كَـمْ عَـلى هَـدْيكَ قامَـتْ دَولَـةٌ ولَكَـم شَـيَّدتَ مِـنْ مُلْـكٍ كَبـيرْ

* * *

لَيْتَ شِعْرِى مَا الذِى يُخْفِى القَضَاءْ أنَعِـيمٌ فِى حَيـاتِى أمْ شَـقَاءْ؟

يـا أمـانِى الغَـدِ مـاذَا فى غَـدٍ حَـدِّثِينى بَـل دَعِيـهِ فى خَفَـاءْ

لا تَبـوحِى بالـذِى خَبَّأْتِـه فأنَـا اليـومَ سَـعيْدٌ بالرَّجَـاءْ

* * *



شعر الفكاهة



العمادةُ العذراءُ

تهنئةٌ ومُداعبةٌ لأحدِ أصْدقائِنا حِينَ تولَّى أولَ عمادةٍ لإحْدَى الكلياتِ الجَدِيدةِ

بـشراكَ يـا نَـاحرَ الأغْنـامِ والنُّـوقِ ... قــد عينــوكَ عميــدا بالزقــازيقِ

عِمادةٌ يا أبـا (سَرْحـانَ) مَـا رَضِيَتْ ... سِـواكَ بَعْـلًا ولا انْقَـادَتْ لِمَخْلـوقِ

عَذْراءُ مارَاضَهَا فَحْلٌ ولا افْتُرِعَـتْ ... قَـبْلًا فَأَنْـتَ عَلَيها غَـيرُ مَـسْبوقِ

أدْنَـى المَنَاصِـبِ مَطْـرُوقٌ، وأرْفَعِهـا ... مـا كَـانَ مِنْهـا جَدِيـدًا غَـيرَ مَطْـروقِ

مَهَرْتَهـا لِحيـةً شَـمْطاءَ رُحْـت بِهـا ... تُزْهَـى عَـلى كُـلِّ حَاخَـامٍ وبِطْريـقِ

عَرَفْتَ كَيـفَ تَـرُوضُ المُسْتَحِيلَ بِها ... وكَـمْ سَـعَيْتَ حَلِيقًـا دُونَ تَوْفِيـقِ

غِظْـتَ العبـاقِرةَ الأكْفَـاءَ فانْكَفَـأُوا ... مِنْ غَيظِهِم بينَ مَصْرُوعٍ ومَصْعُوقِ

ظَنُّـوا المَواهِـبَ تُغْنِـي مِـن حماقَتِهم ... فاضْحَك على خَيبةِ الحمقى المخاريقِ

وقـل لهـمْ يـابنِي قَـومي أمَـامَكُمو ... بَـابُ الوصُـولِ ومِفْتـاحُ المَغَـالِيقِ

طُوْلُ اللِّحَى والنِّفَاقُ العَذْبُ والتَّقِرى[1] ... ثَلاثَــةٌ دُونَهــا شُــمُّ الغَرانِيــقِ

نَصحْتُكُمْ فاجْعَلُوها نُصْب أعْيُنِكُمْ ... لتَبْلُغـوا المَجْـدَ مـثلى دُونَ تَعويـقِ

إنَّـا لَفِـي زَمَـنٍ أضْـحَتْ مَناصِـبُهُ ... كالمَـالِ مَـا بَـينَ مَنْهُـوبٍ ومَسْرُوقِ

فَكَـمْ مَناصِـبَ شَـتَّى يـستَقِلُّ بهـا ... من لا يُجِيدونَ غيرَ النَّفْخِ في البُـوقِ

---

(١) الولائمُ الخاصةُ.

وكـانَ فِي مِـصْرَ (فَـاروقٌ) بِمُفْـرِدِهِ   فأصبحَ اليومَ فيها ألفُ فَاروقِ[1]

* * *

يَا خَادِعَ السَّمْتِ أَبْقَى اللهُ لِحْيَتَكُم   نَمُوذَجًا للمَخَالِي والجَوالِيقِ

وزادَها بَسْطةً حَتى تَجُرَّ بِهَا   رِجْلَ الثُّرَيَّا فَتَهْوِى فَوقَ عَيُّوقِ

نِلتَ العِمادَةَ لا نَهْبًا ولا سَرَقًا   لَكِن بِبَحْثٍ وتَقْرِيرٍ وتَحْقِيقِ

لكَ الحدائِقُ مِنْ تِينٍ ومِنْ عِنَبٍ   وبُرْتُقَالٍ ولَيْمُونٍ وبَرْقُوقِ

والقَصْرُ ذُو الشُّرُفَاتِ المُشْرِفاتِ عَلى   أَكْوَاخِ أَهْلِ الحِجَى والبُؤْسِ والضِّيقِ

وفى الحَظَائِرِ آلافٌ مُؤَلَّفَةٌ   مِن الجَوَامِيسِ والأَبْقَارِ والنُّوقِ

سُبحانَ من قَسَمَ النُّعْمَى فَسَائِمَةٌ   مَرْزُوقَةٌ وأَرِيبٌ غَيرُ مَرْزوقِ

يا عَبْقَرِيَّ زَمَانٍ لُغْزُ مَنْطِقِهِ   يَدِقُّ عَنْ كُلِّ مَفْهُومٍ ومَنْطُوقِ

كليةُ (الضَّادِ) لاتَنْسى لَكُمْ زَمَنًا   سَقِيتَها فيهِ آلافَ الخَوازِيقِ

نَهَضْتَ بالقِسْمِ حتى صارَ مَبْوَلَةً   كُبْرَى يُطَرْطِرُ فيها كُلُّ مَزْنوقِ

مَا للزَقَازِيقِ قَدْ مَادَتْ بِآهِلِهَا   ومَاجَ بَحْرُ مُوَيْسٍ بالزَّقَازِيقِ

يَمْشِى أَبُو الرِّيْشِ مُجْتَابًا شَوَارِعَهَا   فى موكبٍ من أغاريدٍ وتصفيقِ

---

(١) أضاف هذا البيتَ في نسخة ١٩٩٣م، وهو تلخيصٌ لخبرته الممتدة عبر الملكية والجمهورية حيث تقسمها الثورة زمنيا إلى نصفين.

وفِى الحُسَيْنِيَّةِ العَصْماءِ قَدْ خَرَجَتْ مَواكِبٌ للفُتُوَّاتِ العَمالِيقِ
خَفُّوا إلى فَاتِحٍ ضَنَّ الزَّمَانُ بِهِ عَلى الأوَائِلِ مِنْ رُوْمٍ وإغْرِيقِ
كَمْ رُحْتَ يا حَامِى (المَعْمورِ) تُعْلِنُها حَرْبًا عَلى كُلِّ مُنْحَلٍّ وزِنْدِيْقِ
وكَمْ عِظاتٍ قرَعْتَ السامعينَ بها قَرْعَ القواقيزِ أفواهُ الأباريقِ
فَاحْدُ المَواكِبَ واصْحَبْهَا إلى حَرَمٍ هُنَاكَ فى سَاحَةِ النَّحَالِ مَرْمُوقِ
وأقرأْ على قَبْرِ "إبراهيمَ "فَاتِحَةً تَغْنَمْ بنَفْحَةِ إلْهامٍ وتوفِيقِ[1]

* * *

١) حذف هذا البيت عند صناعة نسخة ١٩٩٣م حتى لا يقع في شبهة تقديس الأضرحة . وقد أوردها في سياق سخريته من صديقه.

رثاء ديكٍ روميٍّ

"دَعَانا إليهِ صديقٌ ، وفى لَيلَةِ الوَليمةِ المُنْتظرةِ مَاتَ الدِّيكُ وهُمْ يُزَقِّقُونَهُ بالحَبِّ"

أَنَا مَنْ لا يُطِيقُ بَعْدَك صَبْرَا ... لَستُ يا دِيكُ أَبْتَغِى فِيكَ أَجْرَا

كُلُّ لَحْمٍ قد صَارَ بَعْدَك فَحْما ... كُلُّ حُلو قَد صَارَ بَعْدَكَ مُرَّا

يا سَليلَ الرُّومِ القَياصِرِ نَفْديكَ ... ونَفْدِى مِنْ أَجْلِكَ الرُّومَ طُرَّا

وفِدَا كُلِّ أعْجَمِيٍّ المُحَيَّا ... عَرَبِيُّ الرُّؤَى خِرَافًا وطَيْرَا

أينَ مِنْكَ الدَّواجِنُ العُرْبُ، لابَلْ ... أَيْنَ مِنْ قَيْصَرِ الدَّوَاجِنِ كِسْرَى؟

كُلُّها فِى ذَرَا عُلاكَ صَعَاليكٌ ... تَراءَتْ مِنْ حَوْلِ تَاجِكَ ذَرَّا

لَيْسَ مَنْ يَخْفِضُ المَوائِدَ قَدْرَا ... مِثْلَ مَنْ يَرفَعُ المَوائدَ قَدْرَا

يا طويلَ النِّجادِ تبكيكَ بَطْنٌ ... أَنْتَ خَلَّفْتَهَا مِن الجُوعِ حَرَّى

إنَّ عَبْدَ الحميدِ أكْرَمَ مَثْواكَ ولَمْ يألُ فِى شِرائِكَ سِعْرَا

لَمْ يُرِدْ أن تَموتَ مِنْ وفْرَةِ الحَبِّ ولكِن قَد يُعْقِبُ الخَيرُ شَرَّا

قَد دَعانا إليكَ منذُ زمانٍ ... فنوينا الصِّيامَ عشرينَ شَهْرَا

لَهْفَ نفسي عليكَ حينَ وجَدْناكَ طَرِيحًا عَلى الثَّرَى مُغْبَرَّا

لَمْ تَمُتْ بَينَنا شَهيدًا بِسِكِّينٍ ... ولَكِنْ أَرْدَاكَ عِزريلُ قَسْرَا

يا صَريعَ الطَّعامِ كَيفَ تَعَجَّلْتَ فَلم تَستَمِتعْ وِداعَك شِعْرَا؟

لم نَكُنْ نرتَضِى لكَ الأرْضَ قَبْرًا ... بَلْ جعَلْنَا بُطونَنا لكَ قَبْرَا

البصارة

كانتْ وليمةً دَعانا إليها أحدُ الأصْدقاءِ بالدارِ البيضاءِ بليبيا ، فاحْتشدَ الزملاءُ لها مؤمّلين أن تكونَ وليمةً دَسِمةً حتى فوجئوا بِما لَمْ يَكنْ فِي حُسْبانِهِم.

دَعَانَا السَّيِّدُ المَنْصورُ يومًا ... لمَأْدُبَةٍ وشَدَّ لَهَا إِزارَهْ
وبثَّ دُعاتَه في كلِّ حيٍّ ... وعَلَّقَ (يافطَةً) فِي كُلِّ حَارَهْ
ولَمْ يُغْفِلْ سِيادَتُهُ حِمَارًا ... مِنَ البَيضاءِ [1] أوْ يُهْمِلْ حِمَارَهْ
وطافَ بكلِّ بَيْتٍ مُسْتَعِيرًا ... إلى أنْ صَارَ منزلُه استعارهْ
فَهَذي (حَلةُ) مِنْ بيتِ جَارٍ ... وهَذِي صَحْفَةٌ مِنْ بيتِ جَارَهْ
وأفْرَغَ كُلُّ مَدْعُوٍّ حَشاهُ ... كَما أفْرَغْتَ مِنْ (جِبْسٍ) (شِكَارَهْ)
وراحُوا يَحلُمونَ فقالَ قومٌ ... هو الروميُّ يَحْتَلُّ الصَّدارَهْ
وقالَ البعضُ بل عِجلٌ حنيذٌ ... سَمعْنا فِي حَظِيرَتِهِ خُوارَهْ [2]
وقالَ البعضُ بل حَمَلٌ سَمينٌ ... شَراهُ مِن حَوانِيتِ الجِزَارَهْ
ولَمَّا جَاءَ يَومُ الفَصْلِ طِرْنَا ... كأَسْرابِ الجَرادِ نَؤُمُّ دَارَهْ [3]
فلَمَّ أنْ وصَلْنَاها وَجَدْنا ... سيادَتَه علي بابِ العِمارَهْ
يَقولُ تَفَضَّلُوا ونَقولُ طَبْعًا ... فَمَا جِئنَاكَ مِنْ أجْلِ الزِّيَارَهْ

---

١) البيضاءُ مدينةٌ بليبيا.

٢) في ديوان ١٩٨٤م : "سمعتُ بكلِّ ثانيةٍ خوارهْ" وهذا التعديل كان في ١٩٩٣م.

٣) في ديوان ١٩٨٤م :" ولما حان يوم الفصل سرنا   مواكبَ كالجراد نَؤمُّ داره

وأفْـــضَينا إلي بَهْـــوٍ فَـــسيحٍ جَلَـسنا فِيـه نَنتظـرُ الإشَــارَهْ[1]

وأبْــصرنَا عـــلى بُعـــدٍ مِئـــاتٍ مِــنَ الأطْبــاقِ تَحْجُبُهــا سِــتارَهْ

فَـــسَالَ لُعَابُنَـــا حَتَّـــي نَهَـــضْنا أسُـــودًا في الـــضَّراوَةِ والجَـــسَارهْ

عَـــلى الأطْبـــاقِ أطْبقنَـــا فَلَـــمَّا كَـــشَفْناهَا وَجَـــدْنَاها بِـــصَارَهْ

وصَـــدْمَةُ خَيْبَـــةٍ قَـــدْ أذْهَلَـــتْهُمْ فَـــشَنُّوا بَيْـــنَهُمْ في البَيْـــتِ غـــارَهْ

فَمفْجُـــوعٌ ومَغْـــشِيٌّ عَليـــهِ ومَـــصْدُوعٌ ومَفْقُـــوعُ المَـــرَارهْ

صِـــياحُ مُهـــدِّدٍ وصُراخُ بَـــاكٍ وقَـــذْفُ مُنَـــدِّدٍ خَـــلِّي وقَـــارَهْ

ولَمَّـــا ضَـــاقَ أهْـــلُ الحَـــيِّ ذَرْعًـــا رَمَوْنَـــا بـــالطَّماطِمِ والحِجَـــارَهْ[2]

وعُـــدْنا كالجِنَـــازَةِ بَعـــدَ دَفْـــنٍ نُوَلْـــوِلُ تَـــارَةً ونَـــسُبُّ تَـــارهْ

(مَـــشَيْناها خُطـــىً كُتِبـــتْ علينـــا) ومَـــنْ كُتِـــبَ المَسيرُ عَليـــهِ سَـــارَهْ

وَمـــنْ كانـــت مَنِيَّتُـــه بأكـــلٍ فلـــيسَ يَمـــوتُ إلا بالبِـــصارَهْ

***

---

١) لهذا البيت والأبيات الثلاثة التي تليه رواية أخري كانت في ديوان ١٩٨٤م وتم تعديلها إلي هذه الرواية المثبتة في المتن في ١٩٩٣م في آخر تعديل:

وأفضينا هناكَ إلي خِوانٍ علي ما فوقه وُضِعتْ ستارهْ

تدافعنا إليه فذاكَ يرمي بكلكَلِهِ وذاك (يَزقُّ) جارهْ

وأسرعنا لكشف الستر عنه ففوجئْنا بأطباقِ البصارهْ

مفاجأةٌ أضلَّتْهُم فطاشوا وشنُّوا بينهم في البيتِ غارهْ

٢) روايةُ هذا البيت في نسخة ١٩٨٤م كانت :

"ولَمَّا ضاقَ أهلُ البيت أنْحَوا عليهمْ بالطماطمِ والحجارهْ "

الطهارةُ مِنَ البصارةِ

تَأثَّر صَاحِبُ الوليمةِ مِنْ قَصيدةِ (البِصارةِ) فأعادَ الوليمةَ على نحوٍ آخر يُرضي الزُّملاء فكانت هذه القصيدة صديً للوليمةِ الجديدةِ.

أخِـي مَنْـصورُ مَعْـذِرةَ القـوافِي ... ومِثلُكَ مَن عفا عَمَّنْ أسَاءَا

فَلي شَيْطانُ شِعْرٍ لَيسَ يَألوا ... مُناصَبتي الخُصُومَةَ والعَدَاءَا

إذا ما رُمتُ يَعْكِسُ لِي مُرادِي ... ويعبثُ بالقَوافِي حَيْثِ شَاءَا

فأحْيانًا أرَي هَجْوِي مَدِيْحًا ... وأحْيانًا أرَي مَدْحِي هِجَاءَا

وأنتَ أجَلُّ مِنْ شِعري مَقامًا ... وأرْفعُ مِن تَناوُلِهِ سَناءَا

فلا واللهِ لمْ يَحْمِلْ فُؤادِي ... لَكُم إلا المَوَدَّةَ والوَفاءَا

فلم أرَ قَطُّ أوْفَي مِنْكَ غَيْبًا ... وأسْمَحَ عِندَ مَحْضرِه لِقاءَا

ولا أسْخَي موائدَ حَافلاتٍ ... إذَا افْتَقَدَ الصَّعاليكُ السَّخَاءا

لَقدْ آوَيتَهُم بعدَ ابنِ وَرْدٍ ... وكُنْتَ لهم عَلي البَلْوَي عَزَاءَا

ولَمْ أَرَ حَاتِمًا إنْ قِيْسَ يومًا ... بِهاطِلِ جُودِكُمْ إلا هَبَاءَا

ويَمْدَحُهُ الذي ما ذَاقَ زَادا ... لَه أو عبَّ من سُقياهُ ماءا

ولكنِّي مَدَحْتُك عن عيانٍ ... فلا كَذِبًا أقُولُ ولا رِياءَا

فَكَمْ جِئْنَا لِبَيْتِكُمُ خِمَاصًا ... وعُدْنَا مِنْ مَوَائِدِهِ مِلَاءَا

فــــــراخٌ أو أوزٌّ أو حمـــــــامٌ ... فُطُـــورًا أوْ غَــدَاءًا أو عَـــشَاءَا

ولــنْ نَنْسَى الفَطَـائِرَ كُـلَّ قـرصٍ ... كَقُـرْصِ الـشَّمْسِ مَخْضُوبًا مَـسَاءَا

صَدَدْتَ عِنِ البِصَارَةِ فاسْتَجَارَتْ ... بِطُوبِ الأَرْضِ واشْتكَتْ الجَفَـاءَا

وراحَـــتْ عِنْــدَ مَهْــدِيٍّ وطَــهَ ... وعُـــثْمانٍ وأَكْثَـــرتِ البُكـــاءَا

فقـــالوا : لا تُراعِـــي بـــلْ أقِيمِـــي ... لَـــدَيْنا واطْلُبِـــي مِنَّـــا الفِـــداءَا

فـــإنَّ بُيُـوتَنَـــا لـــكِ خَـــيْرُ مَـــأْوي ... أقَـامَ العَـدْسُ فِيهـا مُنْـذُ جَـاءَا

أخـــي مَنْـــصورُ طَلَّقْهـــا ودَعْهـــا ... هُـــمْ كـــيما تُـــريحُ الأصْـــدقاءَا

لَـكَ الجَفَنـاتُ تَلمـعُ فِي الـدَّياجِي ... فتجْمَـعُ مَـنْ تَـداني أو تَنَـاءَي

وعِنْـــدَكَ مِـــنْ قُـــدُورٍ رَاســـياتٍ ... ثَمَانيــــةٌ يُطـــاوِلنْ الـــسَّماءَا

***

مُرشَّحُ الدجاجِ

نرشِّـحُ إبـراهيم حتـى وإنْ شـطَّا ... ونقديـه حتـى ولـو غـدا بيننا قطَّـا

ضَـمنَّا لـه فـوزًا علـي كـلِّ نائـبٍ ... مَتَى اشْتَرَطُوا فيهِ القراءَةَ والخطَّـا

سكْسِبُ أصواتَ الـدجاج بأسْرِها ... فـإن هـيَ لمْ تُسْعِفْه لم يعـدَمِ البطَّـا

إذا مـــا أشـــاروا بالبنـــانِ لنائـــبٍ ... أشَرْنا لإبراهيمَ بالإصْبعِ الوسْطَي

***

صورةُ أزهريةٌ (١)

أدركتُ أنا وصديقٌ لى آخرَ العَهْدِ بالدِّراسَةِ الأزْهَرِيَّةِ القَدِيمَةِ الأصِيلةِ التى كانتْ تقومُ على أصُولِ التُّراثِ مِنْ مُتونٍ وشُروحٍ وحَواشٍ وتَقاريرَ ، كَما كَانتْ تَعْتَمدُ على الحُوارِ الدَّقيقِ بين الطُّلابِ والأساتذةِ استِهْدافًا للحقيقةِ ؛ غير أنَّ هذه المؤلفاتِ على دِقتِها وعُمْقِها وأصالَتِها كَانَتْ فى الأعَمِّ الغَالِبِ مُلْتَويةَ الأساليبِ ، غامضةَ العباراتِ بسببِ دِقتِها وتَركيزِها تَحتاجُ فى فَهْمِها إلى دِقةِ مُلاحَظةٍ وعُمْقٍ وتَفْكيرٍ.

وكانَ أشَدُّ ما يواجِهُ الدَّارسِ هو خفاءُ مَرجِعِ الضَّميرِ ، يَسْتعينُ الأساتِذَةُ والطُّلابُ على إدراك هذا المرجعِ بالنشوقِ والتصفيقِ والتلويحِ بالابهامِ ونحو ذلك من اللوازمِ التى كانت سِمةَ الطلابِ والشيوخِ على السواءِ لفهم المراد.

وهذه الأبياتُ صدىً لطريقةِ الدراسةِ فى تلكَ الأيامِ المجيدةِ.

يَا رَفِيقِى فى عُسْرَة ويَسارِ ... ونَديْمِى فى شِدَّةٍ ورَخاءِ

أيـنَ أيامُنا وأيـنَ ليالٍ ... نَتَساقى فيها كُئوسَ الصَّفاءِ ؟

حينَ كنا بالأزهرِ الحقِّ والعُمْرُ ... نَضيرُ الشَّبابِ غَضُّ الرُّواءِ

نقتُلُ الشرحَ والحواشىَ بحثًا ... ونُريقُ الدماءَ فوقَ الدماءِ

وتَرى الحربَ بين زيدٍ وعمروٍ ... شِرعةٌ من شَرائِعِ القُدمَاءِ

---

١) كانت في ديوان وحي الربيع (مخطوط) ضمن مجموعة بعنوان " مهرجان صديق" وكان عنوانها الجانبي الخاص بالقطعة المذكورة "ذكريات- فكاهة"

كُـــلُّ حَـــرْبٍ لهُدْنَـــةٍ ولَظَاهـــا ... سَرْمَـــدِيُّ الـــشُّبوبِ والهَيْجـــاءِ

ولكـــمْ دَقَ مرجـــعُ لـــضَميرٍ ... غـامضِ الرَّجْـعِ مُوغـلٍ فى الخَفـاءِ

فَقَـــدَحْنَا أَذْهَانَنـــا فِيـــه حَتَّـــى ... عَـادَ بالقَـدْحِ بَعْـدَ طُـولِ العَنـاءِ

نَتَعَـــاطَى لـــه النُّـــشُوقَ الحُـــسَينِى ... عَـلى صِـحةِ الـرَّضِىْ والكِـسَائي

وتُـــدَارُ الحِقَـــاقُ نَخْبًـــا بِنَخْـــبٍ ... كَمَـــدَارِ الكُئـــوسِ بالـــصَّهباءِ

وإذا مـــا اسْتعْـــصى عليـــكَ ضَـــمِيرٌ ... فَتَنَـــشَّقْ وانْـــشُق عَميـــقَ الهَـــواءِ

وأَشَرْ بالإبهـــامِ للخَلـــفِ واقْـــبِضْ ... ثُـــمَّ صَـــفِّقْ يَرجِـــعْ مَـــع الأَصْـــداءِ

ذِكريـــاتٌ لغَـــابرٍ أيْـــنَ مِنـــه؟ ... حَـــاضِرٌ لَـــيسَ فيـــه غَـــيرُ الهُـــراءِ

* * *

أكول ١٩٤٧ م

اسْـتَجَرْنَا بـالله منـهُ أكُـولا عَمْـرَكَ اللهُ هَـلْ رَأيـتَ الغُـوْلَا؟
تَفْـزَعُ الأَرْضُ والخَلائِـقُ مِنـهُ مِـثْلَما يفْزَعُـونَ مِـنْ عِـزْرِيلَا
حَسِبُوهُ مـن قـومِ يـأجوجَ وافَى بَعـدمَا هُـدَّ سَـدُّهُمْ وأُهِـيلاْ
جُثَّـةٌ ضَـخْمَةٌ يُـدَحْرِجُهَا اللهُ كَـما دَحْـرَجَ امْـرُؤٌ بِـرْمِيلَا
لايُـرى غَـيرَ آكِـلٍ فِي صَـباحٍ أو مَـساءٍ أوحَامِـلٍ مَـأْكُولا
لم يَـنَمْ عُمْـرَهُ حِفَاظَـا عَـلي الأكْـلِ وخَوفًـا مِـنْ نَومِـهِ أنْ يَطُـولَا
فَـإذَا قَـام كَـانَ هَيْكَـلَ رَضْـوي وإذا سَـارَ خِلْتَـهُ أُسْـطُولا
لَـوْ عَـرَاهُ الإغْـماءُ يومـا لِـسُقْمٍ شَـمَّمُوه كَوارِعًـا أو بُقُـولَا
ورِمَـتْ بطنُـه فـصارَ كحُـبْلي ذاتِ تِـسعٍ تُجِـنُّ في الـبطنِ فِـيلا
رُكِّبَـتْ في شَـمالها رأسُ دُبٍّ لبِـسَتْ كالعِمامَـةِ الـزِّنْبِيلَاْ
شُـقَّ فِيهـا فَـمٌ كَخِـزَّانِ أُسْـوانَ وإن عـز أن يكـون مثـيلا
يَـسعُ الـضَّرعَ في نَواحِيـهِ والـزَّرْعَ وتَبـدو فِي مَاضِـغِيهِ قَلـيلَا
يَبْلَـعُ العِجْـلَ دُونَ مَـضْغٍ وهَيهـاتَ فَأَلْقِمْـهُ إنْ أَرَدْتَ عُجُـولَا
وكَـأنَّ الخِرفـانَ لِـبُّ صـغيرٌ بـين شِـدْقيهِ لا تَـسُدُّ غَلِـيْلَاْ
ولَـهُ لِحْيَـةٌ كَمِكْنَـسةِ الـشارِعِ تَحْـوي قِمامَـةً وفُـضُولَا
شَـيْبتْ فَرْعَهـا هُمُـومُ طَعـامٍ مَـا تَـراهُ بِغَـيرِهِ مَـشْغُولَا
يَـرحمُ اللهُ قَريـةً وَسِـعَتْهُ سَـوفَ يُفنـي بأَرْضِـها المَحْـصُوْلا

وليمة بخيل!!

وذِي شُـــحٍّ يُدارِيْـــهِ ... ويَـــسْتَحِي مِـــنْ الـــشُّحِّ
ويَـسْتَجْدِي الثَّنَـاءَ كَـسَائِلٍ ... مُـــضْنىً مِـــن الـــبَرْحِ
أقَـــامَ اليَـــومَ مَأْدُبَـــةً ... لِيُنْعَـــتَ بـــالفَتى الـــسَّمْحِ
وقَـــضَّى الليـــلَ يَحْـــسبُها ... تَكاليفًـــا إلى الـــصُّبْحِ
فَمِـــنْ طَـــرْحٍ إلى جَمْـــعٍ ... وَمِـــنْ جَمْـــعٍ إلى طَـــرْحِ
رُوَيْـــدَكَ نَحْـــنُ نَخْـــشَى أنْ ... تُحاسِـــبَنا عَـــلى المِلْـــحِ
فَلَـــمْ تَغْـــرَمْ لَنـــا شَـــيئًا ... سِـــوى مَـــاءٍ بِـــلا رَشْـــحِ
بُيـــوتُ القَرْيَـــةِ انْقَرَحَـــتْ ... مَآقِيهَـــا مِـــن النَّـــوْحِ
عَـــلى مَـــا ضَـــاعَ مِـــن وِزرٍّ ... وَمَـــا قَـــدْ طَـــارَ مِـــن بَـــحٍّ
وسِـــتُّ الـــدارِ قَـــدْ سُرِقَـــتْ ... دَجاجَتُهـــا مِـــنْ الـــسَّطْحِ
وأمُّ الخَـــيرِ قَـــدْ شَـــقَّتْ ... مَلابِـــسَهَا مِـــنَ الـــرَّدْحِ
إذا أقْـــسَمْتَ لِي حَقًّـــا ... بِـــلا مَـــنٍّ ولا شَرْحِ
بِـــأنَّ الأكْـــلَ مِـــنْ حَـــلٍّ ... إذن أعْفِيـــكَ مِـــن قَـــدْحِي

خديجة

كانتْ تَقومُ بِخِدْمةِ صَديقِنا المَرحُومِ الدكتورِ عَبدِ الحميدِ المَسْلُوتْ وكانَتْ تَخدمُنا أيام الدراسةِ فرأينا من الوفاءِ أنْ نَحتَفِلُ بقرانِها.

هاتِها يا نَديمُ قَبلَ المتابِ وأدِرْها في غُرزةِ الأَصْحابِ

كُلَّما قَبَّلَ الزبائِنُ فَاها كَرْكَرَتْ بَطْنُها بِضِحْكٍ عُجَابِ

وعَذُوْلٍ مِنَ المَباحِثِ فِيها قُلتُ دَعْني وخَلِّ عَنْكَ عِتَابي

أحَلَالٌ أكْلُ البَهَائِمِ مِنْه وحَرَامٌ عَلى ذَوِي الأَلْبَابِ؟(١)

أينَ مِنَّا خَديجَةُ اليومَ تأتِي بِدجَاجٍ مُحمَّرٍ وكَبابِ

طَالما أشْبَعَتْ مِنَ الجُوعِ بَطنِي وأتَتْنَا بالشَّاي في الأكْوابِ

ووعَتْ مِنْ عُلُومِنا ماحَفِظْناهُ بِطُولِ السَّماعِ خَلْفَ البَابِ

لَوْ أرادَتْ نَيْلَ الشَّهادَةِ حَازَتْها وفَازَتْ بِأرْفَعِ الأَلْقَابِ

ولفَاقَتْ عَبدالحميدِ وكَانَتْ خَيرَ أُستاذَةٍ لخَيرِ الشَّبابِ

وتَخلَّتْهُ للطَّبخِ ولِلْكَنسِ إلى عَودِها وغَسْلِ الثِّيابِ

الحِسَانُ الذَّوَاتُ يَحْسُدْنها اليَومَ وقَدْ شَاقَهُنَّ كَتْبُ الكِتَابِ

جَلَّ رَبي فَرُبَّ رَاكِبَ تاكْسِي هُوَ أشْقَي مِنْ سَائِرٍ كَعَّابِي

وجَدِيدُ الحِذَاءِ مِنْ صُنْعِ بَاتَا لم يَنَلْ حَظَّ لابِسِ القُبْقَابِ

يُسْعِدُ اللهُ مَن يَشاءُ إذا شَاءَ بِما شَاءَ بِغيرِ حِسابِ

---

(١) يقصد «الحشيش».

أبو الفضل (١)

أدِرْهَا بِكَفِّك يا جَحْدَرَهْ وطُفْ بالصَّعَالِيكِ في المَنْدَرَهْ

وأنْعِشْ بأنْفَاسِها العَاطِراتِ نُفُوسَ نَدامَاكَ في الهَنْكَرَةْ

إذا وُضِعَ الفَصُّ في نَارِهَا تَألَّقَ في النَّارِ كالجَوْهَرهْ

أَبُو الفَضْلِ عِرْبِيدُها العَبْقَرِيُّ ورَصَّاصُ أحْجارِها المُصْهَرَهْ

وقَارِعُ أجْراسِها للجلوسِ وفي مَجلسِ القَومِ مَا أفْشَرهْ

وحَالفُ أيْمانِها بالطَّلاقِ علَى مَا رآهُ ومَا لَمْ يَرهْ

لقدْ شَادَ في بَيتِهِ غُرْزَةً تَرنُّ بأرجائها الكَرْكَرَهْ

فَلا يَخْدَعَنَّك في توبةٍ فإنَّ أبَا الفَضلِ مَا أكْفَرَهْ

إذا استَغْفَرَ اللهَ مِنْ شُرْبِهَا رَآهَا فَتَابَ مِنَ المَغْفِرَهْ

ويَومَ يمُوتُ سَيأبى المَماتَ إذا لَمْ تُصَاحِبْهُ في المَقْبَرَهْ

***

١) كانَ -غفر اللهُ له- من ظرفاءِ الريفِ، وكان يترددُ علي زملائِي من بلْدَته بالقاهرة ،ولما علمتُ قصة إدمانه "الحشيش" وإسرافهِ في أيمانِ الطلاق نصحتُه أن يتوبَ فوعدني بشرطِ أن أصِفَ حال إدمانِه شِعرا، فقلت هذه الأبيات ولكن هيهات.

حبيب وعبد الودود

كانَ لصديقِنا الأستاذِ حَبيبِ بَيومي زَميلٌ اسمهُ (عبدُالوَدُودِ) وكانَ بينهُما تنافسٌ وخصامٌ صَوَّرْناهُما في هاتين القَصيدتَينِ اللتينِ تنحازُ إحْداهُما إلى (عَبدِالودودِ) والأخرى إلى (حَبيب).

عدوُّكَ يا عبدَ الودود حَبيبُ ... وقَصْدُكَ في كُلِّ الأمُورِ يَخيبُ

وكَيفَ تُرَجِّي مِن حَبيبٍ مَودةً ... ومَا لكَ بينَ العالمينَ حَبيبُ

يُبَغِّضُ فيكَ الناسَ لُؤمُ تَخَلُّقٍ ... وخِسَّةُ طبعٍ أنتَ فيه مُريبُ

ووَهْمُ غُرورٍ لَسْتَ أهْلًا لِمثلِهِ ... فإنَّ غُرورَ العَاجزينَ كَذوبُ

وما أنتَ بينَ الناسِ إلا ذبَابةً ... لَها في ذُرا المُسْتنْقعاتِ دَبيبُ

لَبِسْتَ سَوادَ الحادِثاتِ بِمِعْطَفٍ ... تَشاءَمَ مِنْهُ مُبْعَدٌ وقَريبُ

كَأَنَّكَ في الدُّنيا حِدَادٌ لأهْلِها ... تُرَوِّعُهم- إمَّا رَأَوْكَ- خُطوبُ

وأنتَ غُرابُ النَّحْسِ إمَّا ارْتَدَيْتَهُ ... لَه بينَ أعْراسِ الحَياةِ نَعيبُ

عَلَيْكَ فِراءٌ لُحْتَ فِيهِ كَثَعْلَبٍ ... وأَنْتَ لجِنْسِ الثُّعْلُبانِ قَرِيْبُ

أَبَا الفَرْوِ مَاذَا مِن حَبِيبٍ رَجَوْتَهُ ... ومالك يوما من علاه نصيب

أغَاظَكَ مِنه حُسْنُ خُلْقٍ حُرِمْتَهُ ... وللنارِ في قلبِ الحَسُودِ شُبُوبُ

وما هُوَ إلا الشَّمسُ شَعَّ ضِياؤها ... ومَا أَنْتَ إلا الثَّلجُ مِنهُ يَذُوبُ

تَــراهُ فتَعْــدو كــالخُرُوفِ أمامَــهُ ... ومــا هُــوَ إلا فِي حياتِــكَ ذِيــبُ

وكمْ حَسناتٍ أثقلتْ منهُ كاهلًا ... وأنــتَ الــذي قــد أثْقلتْــكَ ذُنــوبُ

وكَـمْ مِـنْ ثَنـاءٍ نالَـهُ حيـنَ لَمْ تَنـلْ ... سِــوي صــفعاتٍ في قَفَــاكَ تَغيــبُ

وكُــلُّ جَـديبٍ سَــارَ فيـه مُنَـضَّرٌ ... وكُــلُّ خَــصيبٍ سِرْتَ فيـهِ جَـدِيبُ

* * *

عَــدُوُّكَ يــا عبـدالوَدودِ حَبيــبُ ... ومــا لِحَبيــبٍ مِــنْ عُــلاكَ نَـصيبُ

فَدَعْـهُ ولا تَحْفِـلْ بكــلِّ وَعيـدِه ... فــإنَّ وعيــدَ العــاجزينَ كَــذُوبُ

هُــراءُ حَـسودٍ غاظَـهُ مـا بَلَغْتَـهُ ... وللنَّــارِ في قَلْــبِ الحَـسودِ شُـبوبُ

ومَنْ لَمْ يَكُنْ فِي المَجْدِ صِنْوَ عَدُوِّهِ ... فــأَهْوِنْ بــما يرمــي فلـيسَ يُـصيبُ

إذا طَرَقَـتْ أُذْنَيْـهِ ذِكـرَاكَ فُزِّعَـتْ ... مَفَاصِــــلُهُ واعْتَــــادَهُنَّ وَجِيْــــبُ

وإنْ رَاعَــهُ مَــرْآكَ بَلَّــلَ ثَوْبَــه ... مِـن الخَـوفِ بَـوْلٌ صَـارَ فِيـه يَصُوبُ

يَــراكَ فَيعْــدُو كَــالظَّلِيم لِخوفِـهِ ... ويقْفــزُ مَــصْروعًا كأنــكَ ذِيــبُ

كَأنَّـكَ قِـطٌّ وهْـوَ كالفـأْرِ مُـسرِعٌ ... لِينجُــوْ ومَــا يُنجيــهِ منــك هُــروبُ

كفـاكَ انْتـصارًا أنْ غـدوتَ رَئيسَهُ ... وأنْـــتَ عليـــهِ مُــشْرِفٌ ورَقِيـــبُ

* * *

الفأر الشاعر

مُحاضَرةٌ اسْتَعَرتُها من الصديقِ الزَّميلِ الأستاذْ مُحَمَّدٍ سَرحان فَعدا عليها الفأرُ سنة ١٩٤٥م.

رَبَّ اليراعِ بعثْتُ الشِّعْرَ يَشْفَعُ لي ... فَهلْ سَتَقْبلُ عَنِّي مِنْهُ أعْذَارُ

لَمْ أنْسَ فضلكَ أو أهْملْ محاضرةً ... أعَرْتَنِيها ولَكِنْ ثَمَّ أسْرارُ

فَأرٌ وَلوعٌ بِقرضِ الشِّعرِ شَاركَنِي ... فِي مَسْكَنِي ولَه في مَكتبي دَارُ

إذا رأي شاعرًا أمْسي يُعارِضُه ... قَرْضًا بِقَرْضٍ كأَنَّ الفَأْرَ غَيَّارُ

جَلوْتَها في رياضٍ منك نَاضِرةً ... فراحَ يَقْرِضُ من أوزانِها الفَارُ[1]

حَتَّى أتَتْكَ كَغِرْبالٍ مُخَرَّقَةً ... تُغْضِي حياءً كَمَنْ أزْرَي بِه العَارُ

لا تأسَفَنَّ علي طِرسٍ فقدتَ ولا ... عِلمٍ يضيعُ فما للعِلْمِ أقْدارُ

إنَّا لَفي زَمَنٍ خَيرُ الكِتابِ به ... دُرَيْهِمٌ وأجَلُّ العِلمِ دِينارُ

لمْ يبقَ للعلمِ قَدْرٌ أو لصاحبِهِ ... وللجهالةِ والجُهَّالِ أقْدارُ

قَدْ سادَ بالجهلِ فيهِ كلُّ ذي سَفَهٍ ... فمنْ يكونُ إذنْ شَوقي وبَشَّارُ؟

غَرْثَانُ مِنْ كَثْرَةِ الآلافِ يَجْمَعُها ... ومَا لَنا في رِحابِ الأرْضِ أشْبارُ

فَاقْبلْ (مُحمَّدُ) في تَمزيقِها إربًا ... عُذْرَ الأديبِ وبعضُ العُذْرِ أوْزارُ

---

١) الشطرُ الأوَّلُ كان في وحي الربيع :" أثرتَ غيرتَهُ بالشعرِ منتخِبًا..."

مأدبة اللئام

دعـــاني للقِــرى عَبدُالــسلام ... مُحــاولًا التَّـشَبُّهَ بــالكِرَامِ

وأعْلَــنَ عــن وَليمَتــه مُــشِيدًا ... بأطْيَـبِ مـا حَوَتْـهُ مِـنْ الطَّعـامِ

فَمَــنْ حَمَــلٍ إلي عِجْــلٍ حَنيــذٍ ... إلي تِـسْعِينَ زَوْجًـا مـن حَمَـامِ

وفيهــا للمُحَــافِظِ بِيْـسكُولا ... وللزِّنْــدِيقِ أقْــداحُ المُــدامِ

وقَــالَ مفــاخِرًا لمْ أدْعُ إلا ... كِبــارَ الأَشْــعَبِيِّينَ العِظــامِ

فَقُلــتُ لــه مَعَــاذَ الله دَعْنــي ... فَلَــمْ أعْتَــدْ مُجالــسةَ الطَّغـامِ

ولـستُ بمِـن يُسيغ طَعَامَ سُحْتٍ ... ولا مَــنْ يَرْتــضي أكْـلَ الحـرامِ

عَــلى أنَّ الوَليمــةَ قــد تَغَيَّــتْ ... سِــوَي دَعْـوى المحبـةِ والوئـامِ

وَسِــيلَةُ مــن يَـرومُ بُلـوغَ قَـصْدٍ ... فُيخْفِيــــهِ ليظْفَــرَ بـــالمَرامِ

ولــو خُــيِّرتُ بـين المـوتِ جُوْعًـا ... وبــين حُــضُورِ مَأدُبَــةِ اللئَــامِ

فــإنَّ المـوتَ أهْـونُ بَـلْ وأشْـهَى ... مَــذاقًا مِــنْ قِـرَى عَبْدِالــسلامِ

***

تكريم بلا مناسبة – ١٩٣٨م

"في حفلٍ أدبيٍّ فُكاهيٍّ أُقيمَ لتكريمِ الأديبِ المَهدِي مُصْطفى بلا مناسَبة"

قِفْ بِشُبْرَا يا صَاحِ وارْكَبْ تِرَامَهَ ... وسَلْ الكُمْسَرِيَّ أيْنَ القِيامَهْ

صرختْ في الوَرَي مَطيتُها الكُبري ... وعَوَّي دَجَّالُها العَلَّامَهْ

فإذا ما وصلتَ للبعثِ فاهْتِفْ ... للزَّعيمِ الدَّجالِ: تَحْيا الزَّعَامَهْ!

هُو هذا المَهديُّ مُنْتظَرُ البَعثِ فهلْ بعدَ هذه من عَلامَهْ؟

***

أيها المحتفونَ مِنْ غَيرِ دَاعٍ ... ولَدينا مِن الدَّواعِي الكَثيرُ

شاعرٌ مرهفُ الربابةِ شُعرورٌ ... ومَا كُلُّ شَاعِرٍ شُعْرورُ

أخذَ الشِّعْرَ عَنْه فِيكْتُورْ هُوجُو ... وتلقَّاهُ صَاغرًا شِكْسِبيرُ

وَهْوَ ذُو قُدْرَةٍ علي النَّشْلِ حتي ... ضَجَّ مِنه بُولِيسُه والمُرورُ

سَارَ يومًا في شَارِعِ السدِّ والجوع كواه والناس جمٌّ غفيرُ

وخِلالَ الزِّحَامِ بائعُ عيشٍ ... بائسٌ مُعْدِمُ الجُيُوبِ فَقِيرُ

مدَّ مهديُّ يمناه فاختطفت ... منه رغيفًا وراحَ وهْوَ يطيرُ

وإذا العَسْكريُّ وجْهًا لوجهٍ ... قد عَلا صَوتُه ودَوَّي الصَّفيرُ

***

ولقَـــدْ ضَـــاقَ مَـــرَّةً بـــالحَواشِي فَمَـــضَي هَـــائِمًا إِلي الأَحْـــراشِ

وَجَـــدَ الحَـــرْب قَـــائِمًا بَـــين إِيْطَاليـــا وبَـــين الفَـــوَارِسِ الأحْبَـــاشِ

زجَّ في الحَــرْبِ نَفْــسَهُ وتَفَــاني بِحَواشِــيْهِ في صُــفوفِ النَّجَــاشِي

فأصَـــابَتْه طعنـــةٌ مَـــاتَ منهـــا فَرَمَـــوْه في قَلْعـــةِ الأكْبَـــاشِ

بُعِـــثَ اليـــوْمَ بيـــنكُمْ يَتَهـــادَي في ضِـــياءِ التَّكْـــرِيْمِ كَالخُفَّـــاشِ

***

وقَـــدِيمًا مَـــشَي بِـــشَارِعِ كَـــالَوْتَ وفي أُصْـــبُعَيْهِ عُقْـــبُ سِـــجَارَهْ

وعَـــلَي رَأْسِـــهِ عِمَامَـــةُ هَـــارُونَ قَـــدِ اخْـــضَرَّ زِرُّهَـــا كالخِيَـــارَهْ

قُلْـتُ أيـنَ اتجاهـكَ اليـومَ قُـلْ لي يـــا عَـــلِيَّ بـــن حَمْـــزَةَ بـــنَ عِـــمارَهْ

قَـــالَ :أقْـــسمتُ أنْ أجاهِـــدَ في الله وأقْـــضي عَـــلي بُيُـــوتِ الـــدَّعَارهْ

أوْدَعُـــوهُ الخَنْكِـــيَّ عِـــشْرِينَ عَامًـــا كُـــلَّ يـــومٍ يَـــشنُّ فِيهـــا الغَـــارَهْ

وأتَـــاكُم مُفَـــاخِرًا بعـــد أنْ أبْـــدى خَفايـــا جُنونِـــهِ بِمهـــارَهْ

***

ولقـــدْ ضَـــاقَ بـــالخلائِقِ يَومًـــا فتَمنَّـــى لـــو عـــاشَ بـــينَ النُّجـــومِ

قـــالَ يـــا ربِّ أعجَبَتْنـــي الـــسَّمواتُ وإنِّي مِـــنْ حُبِّهـــا فِي جَحِـــيمِ

مـــا جُلُـــوسِي بَـــينَ الخَلائِـــقِ إلا كَجُلُـــوسِ الرِّجـــالِ بَـــينَ الحَـــرِيمِ

فَمُـــرْ الـــرِّيحَ أنْ تَطِـيرَ بِجِـسْمِي ... ومُــرِ الطَّـيرَ أن تَـشيلَ هُــدُومِي

ومَــشي في الخَـــلاءِ ينتظـــرُ الـــرَدَّ ويهـــذي بالخُلْـــدِ كـــالمَحمومِ

واعْــتلي قِمَّــةَ المُقَطَّــمِ تَخْفيفًــا عــلى الــرِّيحِ مِثْــلَ مُــوسَي الكَلِــيمِ

فَهَــوتْ رِجْلُــه فخــرَّ صَريعًــا ... وأتـــاكُم في حَفْلَـــةِ التَّكْـــريمِ

كَـــمْ لَـــه مِـــنْ مـــآثرٍ لـــو عَـــدَدْنا ... لقــضينا في العــدِّ طُــولَ الزَّمــانِ

أوَ لَيـــست تَكْفِـــي لِتكْريْمِـــهِ اليَـــومَ ولـــوْ فِي حَدِيقَـــةِ الحَيَـــوانِ؟

وإِذا لَمْ يَكُـــنْ فَيكْفيـــهِ فَخْـــرًا ... أنَّـــه مِـــنْ فـــضيلةِ الإنْـــسانِ

***

مَحكمةُ المَجاذِيبِ ١٩٥٥م

كتبَ أحدُ الكُتَّابِ واسمُهُ الرَّمْزى (عائدٌ) مقالًا ينتقدُ فيه سياسَةَ رئيسهِ الكبيرِ ويندِّدُ بما شَاعَ فى عهدِه من ظُلمٍ وفسادٍ فتَشَكَّلَ له مجلسُ تأديبٍ مُؤَلَّفٌ من اثنينِ مِن كِبارِ الرُّؤساءِ رمزنا إليهما باسمَي (تُركِى وسمعان) ومحامٍ مِن الخارجِ رمزْنا له باسمِ الهِلباوى وقبلَ انعقادِ المجلسِ بأيَّامٍ انفردَ العُضوانِ الكبيرانِ ، وتورَّطَا فى كتابةِ قرارٍ بفصلِ الكاتبِ ووقَّعاهُ اعْتقادًا منهما بأنَّ العضوَ الخارجىّ سيوافقُهما ويوقِّعُ على قرارهما ، ولكنَّه امتنعَ عن التوقيعِ واعتبرَ قرارَهُما هذا مُخالفَةٌ قانونيةٌ حولتْهُما من حَكَمينِ إلى خَصْمينِ ، ومن قاضيينِ إلى مُتَّهمين ، إذْ أنَّ قرارَهما صدرَ دون محاكمَةٍ أو دفاعٍ وقد نقلنا مَسرحَ هذه الأحداثِ إلى إحْدى ساحاتِ الدَّراويش.

المنظر الأول

ينفرجُ الستارُ عن حجرةٍ متوسطةٍ اجتمعَ فيها اثنان من أعضاءِ مجلسِ التأديبِ الثلاثةِ وهما الرئيسُ "سمعانُ" والعضو "تُركى" وذلك قبلَ الموعدِ الرسمىِّ للجلسةِ بأيامٍ.

(تركى): ما بالُ شَيخى اليومَ يُطرقُ سَاهِما ... هلْ جَدَّ أمرٌ أو تغيَّرَ حالُ ؟

والعهدُ فيكَ تروحُ قبلُ وتغْتَدى ... جَذلانَ مهما طَمَّتِ الأهوالُ

(سمعان) : لا شيءَ

(تركى):بلْ أفْصِحْ أُعِنْكَ بِحِيلَتى ... إنِّى لكلِّ مُعقدٍ حَلَّالُ

(سمعان):رَعَاكَ اللهُ يَا تُرْكِى ... فأنْتَ العَوْنُ فى الضَّنْكِ

إذا ورَّطَنِــــــى قيــــــدٌ مَننــــتَ عــــلىَّ بالفَــــكِّ

وإنْ أحَزنَنــــــى أمْــــــرٌ دَفَعــــت الحــــزنَ بالــــضِّحْكِ

وكَــــمْ مِــــنْ مُــــشْكلٍ أعْيــــا وكَــــمْ مِــــنْ حَــــادثٍ يُبْكِــــى

أحَلْــــتَ يَقينَــــهُ الفَــــضَّاحَ يــــا تُرْكــــى إلى الــــشَّكِّ

ولَكنَّنَــــا قــــد فُــــضِحْنا جَميعًــــا وكــــدْنا نُكَبْكــــبُ فى الهَاويــــهْ

(تركى): بهاذا ؟

(ســمعان):أتَنْسى الــذى أظْهَرَتْــهُ قَــضِيَّةُ "عَائِــدنا" القَاضِــيَهْ ؟

(تركى):أتَقْضِى علينا ونحنُ القضاةُ وفى يــدِنا الــصَّوْلَةُ العَاتِيَــهْ ؟

(سمعان):أذَاعَ على النَّاسِ أخْطَاءَنا وكَــشَّفَ أســتارَنا الخَافِيَــهْ

وقَــارَعَ بِــالحقِّ أوْهَامَنَــا وبَــدَّدَ حُجَّتَنَــا الوَاهِيَــهْ

غَــدونا مِــنَ الأمــرِ فى مُــشْكِلٍ فهــلْ عِنــدكَ الحَــلُّ ياداهِيــهْ؟

(تركى):أجَلْ ، والحَلُّ تُوجِبُهُ عَلينا رعايــةُ حَــقِّ رَائــدِنا الإمــامِ

يُحَتِّمُــهُ الــولاءُ لَــه وفَــضْلٌ أقــلُّ حقوقِــهِ رَعــىُ الــذِّمامِ

هُــوَ الفَــصْلُ الــذى يُنْهِــى القَــضايا ويَقْطَــعُ مــا يُقــالُ مِــنَ الكَــلامِ

(سمعان):أطال الله عمرَكَ للرزايا وبــورِكَ فيــك يــا بطــلَ الــصِّدامِ

أغِثْنِـــى بالنُّـــشُوقِ فـــإنَّ أنْفِـــى تـــوَرَّمَ مـــن تبَـــاريحِ الزُّكَـــامِ

(تركى وَهُو يناولُه النُّشوقَ): تَفَضَّلْ

(سمعان): يــا تُــرى هــذا حُسَيْنــى

(تركى): بلـى هـذا النشوقُ مِـنَ الإمامِ

(سمعان) يدسُّ النشوقَ فى أنفهِ ويقولُ:

(تركى): تَعـالى فَخُـطَّ مـا أُمْـلى علامَا؟

(سمعان): على أعْلى مُذَكِّـرَةِ المُحامى

مِنْ حيثُ أنَّ عائِدا قَدْ لامَ رَبَّ "المَعْشَرِ"

وأعْلَـنَ الحَـقَّ جِهـارًا ونَبا ، بالمُنْكرِ

وراحَ يُزرى بالنِّفاقِ وهْوَ ليس بالزَّرى

وضَاقَ بالفَسَادِ والمُجُـونِ فـى تَهَـوُّرِ

فَقَدْ رَأَينا فَصْلَهُ مِن المُحِيطِ "المَعْشَرِى"

(تركـى):اللهُ أكْبَرَ ذَاكَ حُكْـمٌ عَـادِلٌ قَـد زَادَ إنْـصَافًا بـما هـو حَـاوِى

وَقِّـــعْ عليـــهِ فـــإنَّنى وقَّعْتُـــه وابعـــثْ بِـــهِ ليوقِّـــعَ الهِلْبـــاوِى

يُناوِلُه إيَّاهُ لِيوَقِّعَه ويُسدَلُ الستارُ

(المنظرُ الثانى)

فى إحْدَى القاعاتِ جلسَ العضوان (سمعانُ)و(تركى) ومعهما (الهلباوى)العضوُ الثالثُ وبيده وثيقةُ قرارِهما المزيفِ الذى أبى أن يوقعَ عليه دونَ محاكمةٍ.

(الهلباوى):

أجِيْبونِي أليسَ الدِّينُ حقًّا؟ فكيفَ جعَلْتُموهُ هَوىً مُطَاعَا؟

لَعِبْتُمْ بالعدالةِ وهْيَ حِصْنٌ هَوَتْ كُلُّ الحصونِ وما تَداعَى

تَعالى اللهُ قدَّسَها وأوْصى بِها مِن أنْ تُهضَّمَ أو تُضاعَا

فكيفَ زَعَمْتُما أنِّي سَأرْضَى بِحُكْمِكُما وأتَّبِعُ اتِّباعَا!

أيُفْصَلُ مَنْ يقولُ الحَقَّ مِنْكُمْ ويُكْرَمُ مَنْ يُضَيِّعُهُ ضَياعَا ؟!

ولمْ أرَ ناصِحًا للهِ يَجْزِى بِقَطْعِ الرِّزْقِ أو يَخْشَى انْقِطَاعَا

تَسابَقْتُمْ إلى الحُكْمِ اعْتِباطَا وقَرَّرْتُم نِهايَتَهُ سِراعَا

وزَوَّرْتُمْ فلمْ نَشهدْ عليهِ مُداولةً ولَمْ نَسمعْ دِفاعَا

لقدْ كُشِفتْ مَخازِيكم فَبانَتْ وذَاعَ خَفِيُّ أمْرِكُمو وشَاعَا

وكانَ عَلى فَضائِحِكُم قِناعٌ فكَشَّفَ عَنْكُمُ اللهُ القِناعَا

(العضوان): رُويْدكَ إنَّ هذا الأمْرَ سِرٌّ

(الهلباوى): إذنْ قَدْ كانَ عائدُكُم شُجاعَا

وكيفَ نَسيتُما للهِ عِلمًا يُحيطُ بِسرِّ أمرِكُما اطِّلاعَا

(العضوان):

حسبنا، حسبنا، فإنا أفقنا ونوينا من الذنوب المتابه

هَذِه وَرْطَةٌ وأنْتَ المُرَجَّى فَامْحُ أخْطَاءَنا بِحُسْنِ الإصَابَهْ

وأغِثْنَــا بِـــرَدٍّ مَــا قَـــدْ كَتَبْنَــا ... أوْفَمَـــزِّقْ أوْرَاقَنَـــا والكِتَابَـــهْ

(الهلباوى):

كَيفَ أُغْضِي ووَاجِبُ العَدْلِ أنِّى ... أُبْلِــغ الأمْــرَ عَــنْكُما للنِّيَابَــهْ

(الشيخان):

يالَهَا مِـنْ فَضيحَةٍ !! بَـلْ قَـصاصٌ ... يُنْـصفُ اليـومَ مـنكمُ المظلومَــا

قَـــدْ مَكَـــرتُم واللهُ أسْرَعُ مَكْـــرًا ... وظَلَمْـــتُمْ وظُلمُكُـــمْ لـــنْ يَـدومَا

خـرجَ الأمـرُ مـن يـديكُم جميعـا ... لِيَـــدَىْ "عائـــدٍ" إليـــهِ فَقُومَــا

واطْلُبــا صَـــفْحَهُ بكـــلِّ رجـــاءٍ ... فعـسى أنْ يكـونَ سَمْحًا كَـريما

يخرجُ العضوان وهما يُرَدِّدان:

يـــالحكمِ الـــسَّماءِ!ياالقَـــضاها ... لائمُ القـومِ كيفَ يغـدو مَلُومَـا !؟

كيـــفَ كُنـــا؟ وكيـــفَ صِرنـــا ؟ ... لقدْ كُنا قُضاةً واليومَ صِرْنا خُصُومَا

يُسدَلُ السِّتارُ

المَنظرُ الثالثُ

"قاعَـةٌ فَـسيحةٌ اجْتمـعَ فيهـا أعْـضاءُ المحكمـةِ وكِبـارُ الـدَّراويشِ وجمـعٌ كبيرٌ مـنَ المجاذيبِ والأتباعِ والحاشيةِ والكلُّ فى انتظـارِ حضورِ عائـدٍ حسب الموعدِ المحـددِ لمحاكمتِهِ "

(أحدهم):

اليـــومُ يـــومُ الفـــصلِ يـــا أصْـــحابي

فاسْـــتَفتِحوا بالفـــاتِحِ الوَهَّـــابِ

وأقْبِلُـــوا عَليـــهِ بالمَتَـــابِ

هَيَّـــا اقْـــرَأوا فَاتِحَـــةَ الكِتَـــابِ

وعَفِّـــروا الوجـــوهَ بـــالتُّرابِ

وأدْمِنـــوا القـــرعَ عَـــلى الأبـــوابِ

فـــالفرجُ المنـــشودُ في اقْـــترابِ

(آخر):

يـــاتُرى مـــا لعائـــدٍ أبْطـــأَ اليـــومَ — علينـــا وقـــدْ مَللنـــا انتظـــارَا

لمْ نُجـــربْ عليـــهِ قبـــلُ غِيابـــا

(ثالث): — أتُـــراهُ قـــدْ أدْرَكَ الأسْـرَارا؟

أنَـــا أخـــشى ألا يجـــيءَ فنبقَـــى — هكـــذا واجِمِـــينَ خَوفًـــا حَيـــارى

لمْ أرَ النَّـــومَ مُنْـــذُ خَمْـــسٍ ليـــالٍ

(آخـــر): — وأنَـــا لمْ أذُقْـــهُ إلَّا غِـــرارَا!

(آخرون):

يـــشهدُ اللهُ مـــا طَعِمْنـــا طَعامًـــا — أوعَرفْنـــا لـــيلًا مـــضى أو نَهـــارَا

أحدهم):

اطْرَحُــوا يأسَــكُم فــما رَدَّ يــأسٌ ... حادثًــا أو أقَــال يومًــا عِثــارَا

واجْمَعُــوا الآنَ حِلْمِكُــمْ واسْــتَرِدُّوا ... مِــنْ بَقَايَــا أعْــصَابِكُمْ مَــا انْهَــارَاْ

(الحاجب): الآنَ جاءَ عائدٌ

(الرئيس): يا مَرحبًا بعائِدِ

قِفــوا جَميــعًا واغمروه بالحفاء الزائد

"يدخلُ عائدٌ فيقفُ الجميعُ ويعانقونَهُ"

(عائد):

ليــتَ شِــعْرى مَــاذا أرى أهْــوَ حُلْــمٌ ... أمْ هُــوَ الحَــقُّ لــيسَ فِيــهِ خَفــاءُ؟

مــا احْتفــاءُ الأعْــضاءِ بــى يــا تُــرى اليــومَ ومــاذا يُكِنُّــهُ الاحْتِفــاءُ؟

ولقــدْ كــانَ يجــرحُ الــنفسَ مــنهم ... إنْ رأَوْنــــى تَجَهُّــــمٌ وازْدِرَاءُ

إجْلِــسوا إجْلــسوا فــما أنــا مِمَّــنْ ... غَــرَّهُ فى الاعْــضاءِ هَــذا اللقــاءُ

واكْــشفو لى عَــن الحَقيقــةِ حتــى ... لا يُريــبَ الفــؤادَ منهــا خفــاءُ

(كبيرهم):

لاشــىءَ إلَّا أنَّ صــوتَ ضَــميرِنا ... قــد بــاتَ يلْــذَعُنا مِــنَ التَّأْنِيــبِ

وصَحَا فأدْرَكْنا الضَّلالَ مِنَ الهُدَى ... لَــيسَ الرُّجُــوعُ إلى الهُدى بِمَعِيــبِ

اليَــوْمَ بِاسْــمِ الحَــقِّ بَعْــدَ ظُهُــورِه ... جِئنــا لنُلْغِــى مَجْلِــسَ التَّأدِيــبِ

(عائد):

عَجِيبٌ أمْرُكُمْ فالعهْدُ فيكُمْ ... تُسِرُّونَ العَداوَةَ والخِصَامَا

فما لِعُبوسِكُم أضْحى ابْتساما ؟! ... ومَا لِزئيرِكُم أمَسي بُغَامَا؟!

بَلى إنِّى أُصِرُّ عَلى التَّقَاضِى ... ولَسْتُ أريدُ إلا الاحْتِكَامَا

(الكبير):

رُويدكَ قد أسأتَ الظنَّ فِينا ... ولمْ تَرعَ الحقوقَ ولا الذِّمَامَا

نُريدُ مَحبَّةً وتريدُ بُغْضًا ... وتَبغى الحَربَ إذْ نبغى السَّلامَا

فهلْ لكَ أنْ تفىءَ إلى حِمانا ... لتبلُغَ فى حِمايتنا المَرامَا؟

(عائد):

معاذَ اللهِ لستُ أريدُ جاهًا ... وليسَ هَوى المناصِبِ من طِباعى

فكفُّوا عنْ مُساوَمَتى بِدُنيا ... يُباعُ الحقُّ فيها كالمَتاعِ

(أحدهم):

أخى أرْهَقْتنا فأسْمعْ ودَعنى ... أُزِحْ عَنْ سِرِّنا زَيفَ القِناعِ

تَعَجَّلْنا بِفَصْلِكَ دُونَ أدنى ... مُداوَلَةٍ عليهِ ولا دِفاعِ

فكانتْ ورطةً كُبرى رمَتْنا ... إلى ذُلِّ التَّحايُلِ والمساعِى

فَرِفْقًا بالمجاذِيبِ الحَيارى ... وأبْقِ على الوِئامِ منَ التَّداعِي[1]

(عائد):

أجل : ألْغُوا قَضِيَّتَكُمْ لنَحْمِي ... حِمَانا من إشاعاتِ السَّماعِ

رضيتُ إذنْ ولكنْ لستُ أُعْفِي ... مَجاذِيبَ الإدارةِ مِن صِراعِي

لقَدْ ساءتْ بضَعْفِكمو وشاهَتْ ... وأسلَمَتِ الحقوقَ إلى الضَّياعِ

يمينُ اللهِ لا أُلْقِي سِلاحِي ... ولستُ بِمُغْمِدٍ يومًا يَراعِي

إلى أنْ يَطْهُرَ الكُرْسيُّ مِنْكُم ... ويَنجُو مِن أذاكم يا أفاعِي

ينهضُ الجميعُ فرحين ويقرعونَ الدفوفَ وهم ينشدون هذا النشيدَ:

الحَمْدُ لِمَنْ خَلَقَ الأُمَمَا ... واللَّوْحَ قَدِيمًا والقَلَمَا

وصلاةُ اللهِ على طَهَ ... وسلامُ اللهِ على (القُدَما)

والشكرُ لِمَنْ قَدْ أيَّدنا ... في وقفِ مَحاكِمنا كَرَما

تكفينا اليومَ موافَقَةٌ ... مِنه تَنفِي عنَّا التُّهَمَا

---

١) هذا البيت جمعه من بيتين في ١٩٩٣م :

فَرِفْقًا بالمجاذِيبِ الحَيارى ... بحرمةِ سيِّدي الشيخِ الرفاعي

وانقذْ سُمعةَ الأقْطابِ منَّا ... وأبْقِ على الوِئامِ منَ التَّداعِي

وكان الحذف خوفا من أن يظن ظانٌّ أنه يميل إلي تصوف الدراويش ويقدس القبور مع أنها دعابة وسخرية، وخاصة لو طبع الديوان بالمملكة السعودية كما كان يخطط لذلك.

وغـــــدا يُفرِجُهـــــا اللهُ إذا ... مـــا صـــالَ علينـــا أو هَجَـــما

يـــاربِّ صـــنيعُك مَـــشْكورٌ ... سُـــبْحانَكَ تَحْمـــى مَـــنْ ظَلَـــما

القَـــاضِى أصْـــبَحَ مُـــتْهَما ... عَجَبًـــا والخَـــصْمُ غَـــدَاْ حَكَـــمَا

مَـــدَدًا مَـــدَدًا يـــاالله(١) ... بَـــدْءًا فى القَـــوْلِ ومُخْتَـــتَما

ستار الختام

***

١) كانت في الأصل : مددا مددا يا سيدنا وغيرها لنفس السبب السابق في ١٩٩٣م، مع العلم أن الشاعر لم يذكر لفظ الدراويش أو المجاذيب إلا تعريضا وذمًّا وسخرية.



سوط النقد



الأقنعة الزائفة ١٩٧٧م (*)

عرفناك فاهزِلْ يا زمانَ الغرائبِ ونكِّل بأرباب النُّهى والمواهِبِ

تُجنُّ الليالي منكَ كلَّ عجيبةٍ فما تلدُ الأيامُ غيرَ العجائِبِ

سَلامٌ على الإنصافِ والعلمِ والتُّقَى سَلامٌ على ماضٍ من المجد ذاهبِ

عَلى المُثُلُ العُلْيا ، على القِيمِ التِي غَدَتْ في يَدِ الأوْغادِ لُعْبَةَ لاعِبِ

سل الأزهرَ المعمورَ أين جلالُه؟ وأين سنا أُفْقٍ مضيءِ الكواكبِ؟

لقد كانَ بالأمسِ المباركِ ساحُه سماءَ شيوخٍ كالنجومِ الثواقبِ

وكانَ لطُلَّابِ الحقيقةِ مَنْهلاً كثيرَ زحامِ الوِرْدِ عَذبَ المشارِبِ

فأقفرَ من أبطالِه الصِّيد واغتدَى زئيرُ الشرَى فيه صريرُ الجنادِبِ

مَعَاهِدُهُ أضْحَتْ بِحَشْدِ بُغَاثِها مَلاجئَ جيلٍ فاشلِ السَّعْي خَائِبِ

غُثاءُ كَتاتيبٍ ونبذُ مَدارسٍ فمن كلِّ أُمِّيّ ومِنْ كُلِّ رَاسِبِ

وصَارَت خَلايا (...) من حَلقَاتِه تكَايا وُصُولِيِّيْنَ شَتَّي المآربِ

كأنَّ بَواكِيه وقَد نَسَجَتْ بها خُيوطَ خُرافاتٍ بيوتُ العَناكبِ

(*) كان قد نقل هذه القصيدة إلى باب الشعر الاجتماعي في مراجعة ١٩٩٣م حتى يطبع في المؤسسة التي يتبعها، وحذف من أبياتها ما كان معلوما لأصحابه.

يَطـوفُ بِهـا قُطْـبُ الزَّمَـانِ وحَوْلَـه   مَجاذِيـبُ يَـسْتجدُونَ نَفْحَـةَ جَـاذِبِ

إذا أمْعنوا في الشَّطْحِ أرغَوا وأزْبَدوا   وثنَّوا بترقيصِ اللِّحي والعَصَائبِ

دَرَاويْشُ قَدْ خَفُّوا إلى قُطْبِ غَوْثِهِمْ   مَواكِـبُ جَـذْبٍ تَلتَقِـي بِمَواكِـبِ

يَؤُمُّـونَ بـينَ الـصَّحْوِ والمَحْـوِ تَائِهـا   يَهِـيمُ بِليـلٍ مُـدلهِمِّ الغَياهِـبِ

فَتُبْـصِرُ مِـنْهُمْ غَائِبـا غَـيْرَ حَـاضِرٍ   وتَـشْهدُ مِنهمْ حَـاضراً غَير غَائـبِ

تَمَـصْوُفُ مَحْبُـولِينَ مَـدُّوا شِـبَاكَهُم   علي كـلِّ دَرْبٍ لاقْتِناصِ الرَّغَائِبِ

تـصوف أهـل الحـق لله وحـده   ولـيس لجـاهٍ أو بلـوغ مراتـبِ

* * *

لجامعـة المعمـور فليبـك مـشفقٌ   علي ما دهاها بالـدموع الـسواكبِ

تَجُوبُ ذَواتُ البَنْطَلُونَـاتِ سَـاحَهَا   فُجُورًا ولا يَسْمَعْنَ صَيْحَةَ غَاضِبِ

و لا تَـسْتَبِينُ الفَـرْقَ بـين خَنـافِسٍ   تَجُـوسُ مَغَانِيهـا وبَـينَ الكَواعِـبِ

فكيف هوتْ من شامخ وتعثَّرت؟   وحاقت بها الأهوال من كل جانبِ؟

وفي كـلِّ يـومٍ تـابعٌ مـن فروعهـا   يُـشَيَّدُ للغِرْبـانِ فـوقَ الـذَّوائِبِ

فلـيس لعلـم مـا يـشادُ وإنـما   لمحض دعايات عـراضٍ كـواذبِ

أيرأسـها بعـد المغـاوير فايـدٌ   وأيـن مـن الآساد جبن الأرانـبِ؟

وكيف يـدير الأمـر أغبـي مُخاطَبٍ إذا جئتَـه يومـاً وأعيـا مُخاطِـبِ؟

ومـن يتحـدي النـابهين ويحتفـي بكـل جهـولٍ عنـتريّ الـشواربِ

ويخفـضُ مـن قـدرِ الأبيّ ويعـتلي بمنحرفِ الأخلاقِ جمِّ المعايبِ

أشاعَ بها فَـوْضَي القِيـادَاتِ خَابِطًا بِعَـشْوَاءِ رَأيٍ في الدُّجُنَّـةِ حَاطِـبِ

إلي ابـنِ (.....) يُلقِـي زِمَـامَ أمُـورِهِ فيـورِدُه بـالحُمْقِ شَرَّ المَعَاطِـبِ

كَـأنِّي بِـه فِي جَمْحِـهِ وشُرُودِهِ بَعِـيرُ فَـلاةٍ حَبْلُـهُ فَـوْقَ غَـارِبِ

أحَادِيثُـهُ عَـنْ زَرْعِـهِ وضُرُوعِـهِ تَـسيرُ بِهَا الأمْثَالُ مِنْ كُلِّ ضَارِب

ولـيسَ لـهُ في العِلـمِ سـهْمٌ ولا يَعي سوى سَمَرِ الزُّرَّاعِ فوقَ المَصَاطِبِ

مكـرٌ مفـرٌ دائـما متلفـتٌ تَلفُّت نَـشَّالٍ مـن الـسجنِ هـاربِ

ويـا مجلـسَ الآدابِ كيـفَ وسِـعته ومـا كنـتَ يومًـا مرتَعًـا للسَّوائِبِ

فلا فرقَ بين الفنِّ و(الفتِّ) عنده ولا بـين شـادٍ في الريـاضِ وناعـبِ

ولـو صـح ميـزان العدالـة لم يكـن (.......)غير راع للسوائم حالـب

***

أتجـارَ ديـنِ الله في عـصرِنا الـذي غـدا الـدِّينُ فيه مَتجرا للمكاسبِ

دخَلْتُم بـه سـوقَ النِّفـاقِ لتَغْنمـوا فَخَامـةَ جـاهٍ أو ضَـخَامةِ رَاتـبِ

ولـيس لوَجـهِ الله سـلٌّ يراعـةٍ ... ولا رفعُ صوتٍ في الإذاعةِ صاخبِ

فلولا اقْتِنَاصِ المالِ لمْ نُلْفِ مِنْكمو ... حَـديثَ مُـذِيعٍ أو مَقَالَـةَ كَاتِـبِ

ويـارُبَّ فَتْـوي للتَّزَلُّـفِ لمْ تَقُـمْ ... عَلي أي وَجْهٍ مِنْ وُجوهِ المذَاهِبِ

مضي سلفٌ كانوا الملوك صدارةً ... وجئتم فسرتم في ذيول المواكبِ

يؤمِّـلُ كـلٌ منكمـو شرّ غـيره ... ويطلبُ خيرا مـن وراءِ النوائـبِ

قُـصَارَي أمَـانِيْكُمْ مِـنَ الخَـيْرِ كُلِّـهِ ... تَقَاعُـدُ كَهْـلٍ أَوْ وَفَـاةُ مُرَاقِـبِ

فَفِـي وَفَيـاتِ الـصُّبْحِ تَـدْقيقُ نَـاظِرٍ ... وفي السنِّ طولَ الليلِ إحْصاءَ حاسبِ

أفي الـدينِ ألا عـزمَ عنـد شُـيوخِه ... إذا طَمحـوا إلا تمَنِّـي المَـصائِبِ؟!

***

هـو الأزهـرُ المعمـورُ أمسي خَرائبـا ... وأنـتم بحمـدِ الله بُـومُ الخرائـبِ

وقفـتم عـلى جُهالـه كـلَّ منـصبٍ ... وأغريتمـوهم بـاقترافِ المعايـبِ

إذا لاحَ في الآفـاقِ بـارقُ مَنْـصبٍ ... ترامـوا عليـه زَحمـةً بالمناكـبِ

طـوافٌ دَءوبٌ حَـوْلَ كُـلِّ رِئاسـةٍ ... وسَـعيٌ مُريـبٌ بـين شَـتَّى المكاتِـبِ

وتمثِيـلُ سـمتٍ واسـتِعَارَةُ [لحيـةٍ] ... وترْصِـيعُ مَـدحٍ وازدواجُ مـآدِبِ

وَسَـائِلُ يـأبى كـلُّ حـرٍّ سـلوكَها ... ويـأنَفُ منهـا عَبقـريُّ المواهـبِ

ولو شئتمُ الإنصافَ لم يُعطَ منصبٌ لحرصِ مُلحٍ أو لحاجةِ طَالبِ
ولكنْ كذا من قبلُ كنتم فكلكم عصائبُ نهبٍ تهتدي بعصائبِ
تقاسمتمُ الأسلابَ: جاهًا لخاملٍ ومدًّا لمحسوب ومالا لناهبِ
ومِنْ عَجَبٍ أنْ تَدَّعُوا الزُّهْدَ والتُّقي فأين تُقَاكُمْ يا لُصُوصَ المَنَاصِبِ؟
إذا لم تَروا غير (....) فَإِنَّ خِدَاعَ السَّمْتِ دِينُ الثَّعالبِ
وكَمْ مَلْتحٍ بَادي الصَّلاحِ بَسَمْتِهِ ولكَّنه في الحقِّ أكْذَبُ كَاذِبِ
وأخْطرُ مَنْ يجني على الدِّين خَادعٌ خبيثٌ بدا للناسِ في زِيِّ رَاهِبِ
ومَا الكُفْءُ إلا بِالمَنَاقِبِ والحِجَا ولَيْسَ بِسَمْتٍ خَادِعٍ وجَلَابِبِ

***

أقولُ ومالي من هوى في مناصبِ ولا أنا في حقِّي عليكُم بعاتِبِ
فكم عبقريٍّ قد قتلتم نبوغَهُ بأنيابِ حقدٍ أزهريِّ المخالبِ
شَرِيْعَةُ جَوْرٍ لا تَدينُ لنَابِهٍ بِحقٍّ ولا تَألوهُ كَيْدَ مُحارِبِ
ولكنَّ (.....) ترفعون شعاره وقفتم علي أطلاله كالنوادبِ
أغَارُ عَلَيهِ من تَمَصْوِفِ مدَّعٍ ومِنْ كُلِّ مِلْحاحِ الهَوَي مُتَكَالِبِ
ولو شئتُ ذُلَّ المرتقي لبلغتُه وأرْضَيْتُكُم مَدْحًا بزيفِ المناقِبِ

وعَـوذتُكُمْ بِـالله مِـنْ شَرِّ حَاسِـدٍ ... ومِنْ كُلِّ مُستخفٍ ومِنْ كُلِّ سَارِبِ

سـبيل النِّفـاقِ النـذْلِ سَـهلٌ وإنَّـما ... سـبيلُ الإبـاءِ الحُـرِّ جَـمٌّ المَصَاعِبِ

ولكنـنـي أعتـزُّ بـالله وَحْـدَهُ ... ولـيسَ لغـيرِ الله يـركنُ جـانبي

ولي مـن إبـاءِ الـنفسِ أكـرمُ عاصـمٍ ... عن الـذُّلِّ والزُّلفي وأمْنَعُ حاجبِ

ومـاضرَّنِي أن لم تـدعْ لي صراحتـي ... وفـاءَ محـبٍ أو مـودةَ صـاحِبِ

إذا كـانَ قـولُ الحـقِّ يـؤذي فـإنني ... ألفـتُ مـن الأيـامِ مُـرَّ النوائـبِ

مـصائبُ شَـتَّى رَوَّعَتْنـي فَرُضْـتُها ... بـصبريَ حتـى لم تَعُـدْ بمـصائبِ

بنيـتُ لكـمْ مجـدًا وشِـدتُ مفـاخرا ... ودَافعتُ عَنْكم كـلَّ بـاغٍ وغَاصِبِ

وكَـمْ قَدْ جَنَيْتُمْ مِـن ثِـمَارِ قَـصَائِدِي ... ولَمْ أجْنِ مِنْكُم غَيرَ سُمِّ العَقـاربِ

أغاريـدُ أمجـادٍ نَكـرتُمْ لُحُونهـا ... إذن فاسْمعوا مِني صِياحَ النَّواعبِ

ومَـنْ لم يَـرُقْ شَـدْوَ البلابـلِ سَـمْعَهُ ... شجَاه عَزيفُ الجِّن بينَ الـسباسبِ

سأصـليكموا شِـعري فـإن لم تُحِسُّه ... بلادُكُـمْ أخْرجْتُ مـا في الحَقائـبِ

سأفْـضَحُ مـا تُبْدُونَـهُ مِـنْ محَاسِـنٍ ... وأَكْـشِفُ مَـا تُخْفُونَـهُ مِـنْ مَقَالِـبِ

ولـستُ عـن الـرأي الـصريحِ بحائـدٍ ... ولا عـن طريـقِ الحـقِّ يومًـا بناكـبِ

ويـاربِّ إنْ كَانـت لِنفـسيَ غَايــةٌ ... فغايةُ نفـسي مِنـك حُسْنُ العَواقـبِ

***

نماذج بشرية

متمصوف

أعيذُكَ مِنْ ثقيلِ الظلِّ وَغْدِ ... يخادعُنا بمِسْبحةٍ وَوِرْدِ

إذا أبصرتُه أحسستُ أني ... على رأسي حملتُ جبالَ نجدِ

يذودُ الناسَ عنه جفاءُ طبعٍ ... كذي جربٍ من البعرانِ يُعدي

تبرأ سيبويهُ النحوِ منه ... ومن نَسبٍ إلى فُصحى مَعدِّ

وضجَّ النقشبنديون لَمَّا ... تَمَسَّحَ بالطريقِ النَّقْشَبنْدِي

وريْعتْ يثربُ الفيحاءُ منه ... بِفيلٍ دبَّ في سهلٍ ونهدِ

لجمعِ المالِ هجرتُه إليها ... وكلُّ مُهاجرٍ رهناً بقصدِ

طَرِيقُ اللهِ أسْمَى مِن دَعِيٍّ ... تَرَدَّي للخِداعِ مُسُوحَ زُهْدِ

ومِنْ مُسْتَعْبَدٍ للبطْنِ يطوي ... له الأميالَ مُلتَمسا لِرِفْدِ

يشرِّدُه فلا يؤويهِ بيتٌ ... ولا يحظى له أهلٌ بوُدِّ

يُطَوِّفُ في البلادِ فما يُبالي ... أحَطَّ على ثَرِيٍّ أوْ بِمُكْدِ

وكم فجعَ الأراملَ حينَ يغشَى ... بديكٍ ما ملكْنَ سواهُ فردِ

وَرُبَّ عَديمـــةٍ قَالَــتْ لجَــارٍ: أغِثْنـي بِـالقِرىَ فَالـشَّيخُ عِنْـدِي

ولم يـــرحَمْ سَــواغبَها اللــواتي كَـساهُنَّ الطَّـوى مَهْـزولَ بُـردِ

يُؤرِّقُـهُ الطَّعَـامُ مُنَـيً وشَـوْقا ويُورِثُـهُ الـسُّعارُ عَـذابَ سُـهْدِ

فـإنْ يَظْفَـرْ بِـه يَهجِـمْ عَليـه بِكَلْكَلِـهِ العَـرِيْضِ هُجُـومَ فَهْـدِ

ولـولا الأكـلُ لمْ يـسلُكْ طَرِيقـا ولمْ يهتــفْ بتــسبِيحٍ وحمــدِ

رِجــالُ الله أنْــضَاءٌ عِجَــافٌ وصَــاحِبنا كَبــشَّارِ بْــنِ بُــرْدِ

فــأيْنَ هُــزَالُ عُبَّــادٍ كَــساهُمْ شُـحُوبا مِـنْ مُجَاهَـدَةٍ وَوَجْـدِ؟

شَرُودٌ لا يقــيمُ عــلى ودادٍ ولا يُــوفي لــصاحبِهِ بعهــدِ

تبلَّــدَ حِــسُّهُ رُوْحًــا وذَوْقًــا فلــمْ يــشْعُرْ بــصَابٍ أوبِـشَهْدِ

ومَــنْ فَقَــدَ المَـشاعِرَ لَمْ يُـشاهِدْ جَمَــالَ الله مِــنْ حُجُــبٍ وَسَــدِّ

وتقــوى الله تظهــرُ في الــسجايا إذا مــا النــورُ حــل بقلــب عبــد

وأَعْجَـبُ مـا بِـه دَعـوي وُصـولٍ بُقــرْبِ الله وهْــوَ طَرِيــدُ بُعْــدِ

يتيــه ويــستطيل بهــا غــرورا ألم يعلــم بــأن التيــه يــردي ؟

ومــا كــانَ التَّــصَوُّفُ بِــاغْتِرارٍ ولامَــرَحٍ ولا تَــصْعِيرِ خَــدِّ

ولَا بتَمَـــشْدُقٍ ونِفَــاقِ قَــوْلٍ … وإضْــــمَارٍ لإيـــذَاءٍ وكَيْـــدِ

ولا شَـــهَواتِ بَطْـــنٍ أشْــعَبيٍّ … يَجُـــرُّ إلي الغِوايَـــةِ والـــتَّرَدِّيْ

ولكـــن التـــصوفَ صـــفوُ نفـــسٍ … ودفـــنُ غرورِهـــا المُـــزري بـــوأدِ

وبَـــذْلُ الـــوُدِّ للإِخْـــوانِ صِرْفًـــا … وإيْثَـــارٌ لَهـــم فِي كُـــلِّ قَـــصْدِ

ولِـينُ العِطْـفِ دُونَ جَفـاءِ طَبْـعٍ … وإِقْبَـــالٍ بِـــلا صَـــلَفٍ وصَـــدِّ

لقـــد ظَلَـــمَ التَّـــصَوُّفَ مُدَّعِيـــه … وجـــاوزَ في الظُّلامَـــةِ كُـــلَّ حَـــدِّ

وباســـمِ الـــدِّينِ كـــمْ يحيـــا لـــدَينا … دجاجِلـــةٌ بعـــيشٍ جـــد رغـــدِ

فـــلا تحكـــمْ عـــلى مـــن لم تجـــربْ … ولايخـــدعك شـــامخُ كـــلِّ طـــودِ

وسامُ الجهلِ

مَنحـوا وِسَـامَ الجَهْـلِ للكُـرْدي | يـا عِلـمُ ويْحَكَ مُتْ مِن الحِقْـدِ
ولّي زمانُـكَ حـين كنـتَ بِـه | مـستأثِرا بـالمنحِ والرِّفْـدِ
تَخْتـالُ مُنْفَـردًا بأَوْسِـمَةٍ | تُهْـدَي بِـلا حَـصْرٍ ولا عَـدِّ
والنـاس مفتونـونَ قـد خُـدعوا | بـسرابكِ الخـالي مـن الـوِرْدِ
والجَهْـلُ مَسْلُوبُ الحُقُـوقِ وكَـمْ | عَـانَي مِـن الحِرْمـانِ والجَحْـدِ
فـاليومَ انفُـكَ في الرَّغَـامِ وقَـدْ | سـاواك في التكـريمِ والمجْـدِ

***

أكـرمْ بهـا في العـدلِ جامعـةً | تُعطـي بـلا شرطٍ ولا قيـدِ
لا فَـرْقَ فيهـا بـينَ نابغـةٍ | حُـرِّ الـضَّميرِ وجَاهِـلٍ وَغْـدِ
حتـى علـي الكـردِّي مـا بخلـتْ | والعلـمُ مـن أعدائِـه اللـدِّ
وهْـوَ الـذِي لا يَـسْتَحِقُّ سِـوى | ضَرْبِ الوَطَـا واللَّعْـنِ والطَّـرْدِ
لَكنَّهـا عرَفَـتْ مَكَانَتَـهُ | فِي الـشَّرِّ والإِيْـذَاءِ والكَيْـدِ
ورأتْ لـهُ في الجهـلِ فَلْـسفةً | خَفِيـتْ علـى سُقْراطَ والكِنـدِي

فالجَهْــلُ نِــدُّ العِلْــمِ ضَــمَّهما ... دَرْبٌ وقَامَــا النِّـــدُّ بالنِّـــدِّ

وكلاهمــا قــادَ الحيـــاةَ إلى ... غاياتهـــا بـــالغيِّ والرُّشْـــدِ

ضـــدان لـمــا استجمعا حـسنا ... والــضد يــبرز ميــزة الــضد

والــشرُّ صــنو الخــيرِ قاسَــمَه ... دنيــا الــوري والــشوكُ كــالوردِ

والجَهْــلُ أسْــبَقُ في الوُجــودِ بــا ... فُطِــرَتْ عَلَيــه جِبِلَّـــةُ العَبْـــدِ

ســعدتْ بــصحبتهِ النفــوسُ ولم ... يــكُ بــالعلومِ لهــنَّ مــن عهــدِ

حتــى غزاهــا العلــمُ مقــتحمًا ... آفاقهـــا بـــسلاحِه المُــردي

وأدَالَ عنهـــا نَحْـــسُ طالِعـــهِ ... - لمــا دَهاهــا - طــالِعَ الــسَّعْدِ

والجَهْـــلُ سَـــهْلٌ لا عنـــاءَ بـــه ... والعِلـــمُ محتـــاجٌ إلى الجَهْـــدِ

والجاهـــلُ العِرْبيـــدُ في سِـــعَة ... والعـــالمُ النِّحْريـــرُ يَـــسْتجدِي

والجهل كـم يجدي الجهـولَ غنـىً ... والعلـــمُ لا يغنـــي ولا يجـــدي

جُهَّـــالُ مـــصرَ اليـــومَ ســـادتُها ... وملـــوكُ عـــيشٍ نـــاعمٍ رَغْـــدِ

مـــن حَائِـــكٍ أو ســـابِكٍ جَـــشِعٍ ... ومُتَـــاجِرٍ بحشيـــشةِ الهنـــدِي

أو مـــرتشٍ أو ســـارقٍ خطـــرٍ ... أو جـــازرٍ للعظـــمِ والجلـــدِ

فعمائـــرٌ للـــسُّحْبِ ناطِحـــةٌ ... وخــزائنٌ بَــشِمَتْ مــن النَّقْــدِ

ومَراكـــبٌ تختـــالُ فارِهـــةً ... صـــخَّابَةُ الأبـــواقِ كالرَّعْـــدِ

مَـصُّوا الـدِّماءَ ولمْ يُـصِبْ أحَـدًا ... مِـــنهم أذَى سَـــجْنٍ ولا جَلْـــدِ

والعَبْقَـــرِيُّ وقَـــدْ خَلَـــتْ يَـــدُهُ ... مُتَـــسَوِّلُ الحِرْمـــانِ وَالفَقْـــدِ

***

نَظَرِيَّـــةٌ في الجَهْـــلِ صَـــاحِبُها ... مُـــسْتأهِلٌ للـــشُّكرِ والحَمْـــدِ

ســـهر الليـــالي في صـــياغَتِها ... لم يـــشكُ مـــن تَعـــبٍ ولا سُـــهْدِ

وعـــدَ الرِّعـــاعَ بهـــا وحقَّقَهـــا ... عمـــلاً فـــأنْجزَ صـــادقَ الوعْـــدِ

قُـلْ لِـلأُولَى مِـنْ جَهلِـهِ سَـخْرُوا ... قُومُـوا اشْبَعُوا لَطْـمًا عَـلى الخَـدِّ

"راحــتْ علــيكُم" بعــد فلــسفةٍ ... الهـــزلُ فيهـــا مُنتهـــى الجِـــدِّ

لمـــا أســـاغَ القَـــومُ مَنْطِقَهـــا ... مَنَحُـــوا وِسَـــام العِلْـــمِ للكُـــردِي

يا ضيعةَ الإسلامِ من تُجّارِهِ ! [1]

كتب الشاعرُ هذه القصيدةَ بناءا على طلبِ السيدة زينب الغزالي صاحبة مجلة السيداتِ المسلماتِ وخروجا من المشاكل السياسية بدأها بالمقدمة التالية: «اقتحم دار المجلة منذ أيام مجذوب غريب أشعث أغبر، عرفنا من حاله أنه علي اتصال بعالم الأرواح وقد أخبرنا أن روح أمير الشعراء شوقي قد حلقت في إحدى جلساته الروحية وصرحت بهذه الأبيات التي أملاها علينا ثم هرول مسرعا إلى حيث لا نعلم».

طُفْ بالكنيسةِ بُكرةً وأصيلاً   واعْكَفْ علي يدِ قَسِّها تَقْبيلا !!

واخشعْ لدي حرمِ الصليبِ معظِّماً   واركعْ علي أعتابِه تبجِيلا !!

يا قارعَ النَّاقُوسِ مَنْغُومَ الصَّدَى   أرأيْتَ أشْجَي مِنْ صَداهُ صَلِيلا ؟!

قُمْ دُقَّهُ ودَعِ الأذَانَ فَلَمْ يَعُدْ   بِمُصَادِفٍ مِنْ سَامِعِيهِ قَبُولَا !!

واصبغْ عمائمنا بأسودَ فاحمٍ   حتى تراها شارةً ودليلا !!

واهرعْ لدى حرمِ الكنائسِ إنَّها   لله أهدي شِرْعةً وسَبيلَا !!

فِي ظِلِّ سَاحَتِها وفي محِْرابِها   أدِّ الطُّقُوسَ ورَتِّلِ الإنْجِيلَا !!

---

(١) الشاعر لا يعترض على الوحدة الوطنية بل يدعو لها فهو متسامح لأبعد حدٍّ، ولكنه كان ضد إهداء المصحف، وهذه زَلَّةٌ يرفضها كل مسلم شرعا؛ فالقرآن طاهرٌ وأمر اللهُ ألا يمسه إلا المطهرون.

ودع المساجدَ واطّرِح قرآنها ... ماذا عليك وقد وجدت بديلا !!

الكلُّ تنزيلٌ فخذْ ما تَشْتَهي ... لا أفْضَلًا فِيها ولا مَفْضُولاً !!

والرُّسلُ أشباهٌ فلا تَكُ مؤثراً ... يوما علي هذا الرسولِ رَسولا !!

يا فتيةَ الإسلام ليس عليكمُ ... حرجٌ إذا بدلتموا تبديلا !!

أفتاكُم الشيخُ الجليلُ بفعله ... وبقولِهِ والشيخُ أصدقُ قيلا !!

كُلُّ الشَّرَائعِ تَسْتوي في دينهِ ... لا نَاسِخا فِيها ولا مَفْصُولا !!

كُنْ مُسْلماً أو كُنْ مَسِيحِيًّا ولا ... تستهدفْ المَعْقولَ والمَنْقُولا !!

يا ضيعةَ الإسلامِ مِنْ تُجَّارِهِ ... ضلُّوا فلم يُهدوا إليهِ الجِيلا !!

مهلاً إمامَ المسلمينَ فَجَهْدُنَا ... ألا نَرَى شَيْخَ الهُدَي ضِلِّيلَا !!

اهدأْ فمنصبُكَ الذي فدَّيْتَهُ ... بالدينِ ليس بواهنٍ ليزولا !!

ستظلُّ فيهِ مدي الحياةِ فلا تكنْ ... قَلقًا وهدِّئْ رَوْعَكَ المَخْبُولَا !!

واغنمْ من الدنيا بكل رَغِيبةٍ ... و اصمتْ فلستَ عن الهدي مسئولا!

البعثُ وهمٌ والحسابُ خرافةٌ ... ليستْ لنا إلا الحَياةُ الأُولي!!!

لم يَهْدِكَ الذِّكرُ الحكيمُ فأهْدِهِ ... للقس واستبدل به الإنْجِيلا !!!

مناجاة عاطفية للحضرة الفرهودية

سَـــلْ عنـــه رابطـــةَ الأدَبْ تَـــسْمعْ أعاجِيـــبَ العَجَـــبْ

أزْرَي بِـــسُمْعَتِها ولَطَّـــخَ بِاسْـــمِهِ وَجْـــهَ الأدَبْ

أنَّـــى يقـــود زمامهـــا لـــص خفـــاجيُّ النـــسب؟

يَـــدُهُ الأثِيمَـــةُ تَـــسْتَبِيحُ رَصِـــيْدَها تَبَّـــتْ وَتَـــبْ

جَـــشِعٌ يتـــاجرُ باسْـــمِها فِي كـــلِّ صَـــوبٍ أو حَـــدَبْ

لا تقـــترب منـــه فويـــلٌ للـــذي منـــه اقـــترب

أَدْهَـــي بَنِـــي الـــدُّنيا وأخْبَـــثُ مَـــنْ عَـــلي الغَـــبْرَاءِ دَبْ

وألـــحُّ أفَّـــاقٍ وصـــوليُّ الـــسعايةِ والأربْ

وألـــصُّ مُحتـــالٍ مخالَـــسةً وأكـــذبُ مـــن كَـــذَبْ

ربُّ العـــمارات التـــي طالـــتْ فطاولـــت الـــسُّحُبْ

واللهُ يعلـــمُ أنـــه رَفـــعَ البنـــاءَ بـــما نَـــصبْ

قَـــالُوا أبـــو دُلَـــفٍ تَقمَّـــصَهُ وألْبَـــسَهُ اللَّقَـــبْ

والـــبَعْضُ قَـــالَ: أبُـــو دِلاَمَـــةَ عَـــادَ بَعْـــدَ أنْ احْتَجَـــبْ!

والـــبعضُ قـــالوا: أشـــعبٌ والـــبعضُ قـــالَ: أبـــو لهـــبْ!

***

وســـل اتحـــاد الكـــاتبينَ بمـــصرَ كيـــف لـــه انْتـــسبْ؟!

أبِـــما يُلَفِّـــقُ مِـــنْ قُـــصَاصَاتٍ تُـــسَلُّ وتُـــسْتَلَبْ؟!

ويـــروحُ يـــسلحها عـــلى الأســـوارِ مـــسعورَ الـــدأبْ

كُتُـــبٌ تُـــروِّعُ كـــلَّ مزْكـــومٍ فَـــيمعنُ فِي الهَـــربْ

وتُـــصيبُ بالغَثَيـــانِ قَارِئَهَـــا فَـــيلْعَنُ مـــن كَتَـــب

والـــشِّعْرُ يَنظِمُـــهُ فينـــذِرُ بـــالكَوارِثْ والنُّـــوَبْ

وإذا تَعَاطَـــاهُ تَقَاذَفَـــتْ الكَواكـــبُ بالـــشُّهُبْ

لا رُوْحَ فِيـــه ولا رُواءَ كَأَنَّـــهُ كُتَـــلُ الخَـــشَبْ

يـــا صَـــبرَ أَيُّـــوبٍ تَـــدَارَكْ مَـــنْ بـــه يَومًـــا نُكِـــبْ

إن الخفـــاجِيْ محنـــةٌ فاصـــبر عليهـــا يـــاعزبْ

أفـــشاعرٌ هـــو؟من تكـــونُ ومـــن يكـــون إذن (رجـــبْ)؟

هـــو حاطـــب الليـــل الـــذي لم يـــستبِنْ مـــا قـــد حطـــبْ

مرضـــان فيـــه أزمنـــا واستعـــصيا عـــن كـــل طـــبْ

صـــنوان :قَـــيءُ الـــشعرِ ممجوجـــاً وإســـهالُ الكُتُـــبْ

شَرَكٌ يـــصيدُ الوافـــدين مـــن الأعـــاجِمِ والعـــربْ

ويَـــرُوْضُ مَـــنْ أعْيـــاهُ بِـــالزَّارِ المُجَلْجِـــلِ بالـــصَّخَبْ

حَيْـــثُ الـــدُّفُوفُ تَحَلَّقَـــتْ حـــولَ المَبـــاخِرِ واللَّهَـــبْ

قَـــدْ عَرْبَـــدَتْ دقَّاتُهـــا عُنْفًـــا كَعَرْبـــدَةِ الغَـــضَبْ

والكُدْيَـــةُ الرَّعْنَـــاءُ أغْـــرَتْ صَـــيْدَه حَتَّـــي انْجَـــذَبْ

فـــتراه يـــرقص ضـــاحكًا حينًـــا وحينـــاً ينتحـــبْ

أَمَّـــا أَبُـــو دُلَـــفٍ فَقَـــدْ جَـــلَّى وفَـــازَ بِـــما نَهَـــبْ

جَـــذْلانُ يَـــرْقُصُ رَقْـــصَةَ النَّـــشْوانِ مِـــن فَـــرْطِ الطَّـــرَبْ

فَـــرِحٌ بِـــصيدٍ قنيـــصةٍ بَلْهـــاءَ يُوردُهـــا العَطَـــبْ

كَـــمْ بالـــدَّهَاءِ ابْتَزَّهَـــا وكَـــمْ اسْـــتَغَلَّ وكَـــمْ سَـــلَبْ

يَـــا كُدْيَـــةَ الـــزَّارِ ارْحَمِـــي المَخْـــدُوعَ مِـــنْ هَـــذا التَّعَـــبْ

أرأيـــت أكـــدي مـــن أبي دلـــفٍ عـــلي مـــر الحقـــب؟!

أغْـــرَي بِطِـــبِّ الـــزَّارِ مَعْتوهـــا فَـــصَدَّقَهُ و(طَـــبْ)

هـــي قِـــصةٌ هَرميـــةُ الأَحْـــدَاثِ بَالغَـــةُ العَجَـــبْ

لمـــا (أبـــو صـــبحٍ) أزاح الـــسترَ عنهـــا والحُجُـــبْ

دوت فـــضيحتُها بمـــصر وفي الريـــاض وفي حلـــبْ

جـــوَّابُ آفـــاقِ الـــبلادِ فَـــلا مَـــلالَ ولا نَـــصَبْ

في كـــلِّ دَرْبٍ مَـــذهبٌ وبكـــلِّ وادٍ مُـــضْطَرَبْ

متـــسولٌ جـــشعٌ وقـــد مـــلأ الخـــزائنَ بالـــذهبْ

لا ينقـــضي أبـــداً لـــه طمـــع ولا يَفنـــى سَـــغَبْ

أمـــا النـــدي فلـــسانه في الجـــود أسـخى مـــن وهـــب

فعيـــاره المفلـــوت يمتـــدح الرشـــاقة في الـــدببْ

حتـــى عـــلى الزَّبَّـــالِ يـــسخو بـــالرفيعِ مـــن الرُّتَـــبْ

دعـــه يلهِّـــبْ كيـــفَ شـــاءَ إلى المـــصيرِ المرتقـــبْ

إن المهـــرِّجَ مثلـــه عقبـــاهُ ســـوء المنقلـــب

باب النجار ١٩٨١م

البعيرُ

لِـــشيخةِ الجامعــــاتِ شَـــيخٌ غِــرٌّ عـــلي عرشِـــها تربَّـــعْ

تَوقَّـــعَ النَّــاسُ مِنْــهُ خَــيْرًا ورُب مُـــــسْتَيْئِسٍ تَوَقَّـــعْ

وقِيـــلَ : يُرْجَــي عـــلى يَديْـــهِ إصْـلاحُ مـا انْقَـضَّ أو تَـصَدَّعْ

فَــإنَّ (قَادُوْمَـــهُ) سَـــيَفْرِي وإنَّ (مِنْـــشَارَهُ) سَـــيَقْطَعْ

لكنــــه خيـــبَ الأمــــاني فكـــان أدهـــي ، وكـــان أفظـــعْ

وَزَادَ طِـــينَ الفَـــسادِ بَـــلًّا والخَـرْقُ مِـن عَجْـزِهِ تَوَسَّـعْ

يُقْـضَي بِــلا أمْــرِهِ ويُمْـضَي وأَنْفُـــهُ فِي الرَّغَـــامِ أَجْـــدَعْ

ومـــن يكـــنْ مثلُـــه عَبيطـــا فبالعــــصا كالعبيـــدِ يُقْمـــعْ

بَلاهــــةُ الأغبيـــاءِ تَبـــدو في وجهِـــهِ الكـــالحِ المقنـــعْ

ألمْ يُـــضِفْ جَـــدُّهُ قِطَـــارًا ليَحْتَـــسِي شَـــايَهُ المُنَعْنَـــعْ

***

وقِيـــلَ : مَــدُّوا لَــه فَقُلْنـــا : إنْ طــالَ حَبْــلُ البَعــيرِ بَرْطَــعْ

مُـــزورٌ لا يُحِـــقُّ حقًّـــا ولا لـــصوتِ الــضَّمِيرِ يَـــسْمَعْ

كـــم بَيَّـــتَ الكيـــدَ في ظَـــلامٍ ومـــا رعـــى اللهَ أو تـــورَّعْ

زِيـــرُ النِّـــساءِ الــــذي تَـــراهُ إنْ شَـــمَّ ريـــحَ النِّـــساءِ هَبَّـــعْ
وغـــاب عـــن وعيـــه صريعًـــا كـــذاك ضـــاري الـــسُّعارِ يَـــصْرَعْ
ولـــيس منـــه يفيـــقُ حتـــى يبـــصُق في وجهـــه و يـــصفعْ

***

سُـــبْحانَ مَـــنْ مُلْكُـــهُ فَـــسيحٌ وفِيـــهِ هَـــذَاْ البَعِـــيْرُ يَرْتَـــعْ
وقائـــل : كـــم لـــه عظـــاتٌ تـــصكُّ أســماعَنا وتقـــرعْ
وقَائـــلٍ : مستـــشارُ بنـــكٍ وقَائـــلٍ : عُـــضو كـــلِّ مَجْمـــعْ
تَـــساءَلوا : هَـــلْ تَـــرَاه حَقًّـــا يَـــدعو إلى اللهِ أم لمطمـــعْ ؟
فقلـــتُ : بـــل يرتـــدي قناعًـــا يُخفـــي بـــه حرصَـــه ويَخْـــدَعْ
أمَـــا تَـــرَاهُ بِكُـــلِّ وَادٍ يَهِـــيمُ مُـــسْتَجْدِيًا ويُهْـــرَعْ ؟
كُنـــوزُ قَـــارونَ في يَدَيـــهِ ولَـــيس يَـــرْضَى ولـــيس يَـــشْبعْ
فاعجـــبْ لـــه داعيًـــا لزُهْـــدٍ ومـــا دعـــا نفـــسَهُ لتقنَـــعْ

***

وشـــيخةُ الجامعـــاتِ تبكـــي حزنـــا عـــلى مجـــدِها المـــضيَّعْ
وكيـــفَ يُرجَـــي لَـــه صَـــلاحٌ وبَـــابُ نَجَّارِهـــا "مخلَّـــعْ" ؟

***

المجنون [١]

أَزْرَى بمجمعِنا الشريفْ مجنونُه (عبدُ اللطيفْ)[٢]

البلطجيُّ الأحمقُ المتشنجُّ الفظُّ العنيفْ

العُصْبَجيُّ الخُطُّ هتافُ المواكبِ والرصيفْ

يتطايرُ الإجرامُ من عينيهِ كالشررِ الكثيفْ

وينمُّ عن إجرامِه وجهٌ له جَهْمٌ كَسِيفْ

حبُّ التَّسَلُّطِ عندَه مرضٌ يؤرِّقُه مُخيفْ

ونزوعُه الشلليُّ داءٌ في جِبِلَّتِه سَخِيفْ

هَلْ يَسْتَعِينُ بشلةٍ إلا المُعقَّدُ والضعيفْ ؟

تَحكى عصابتُهُ النعاجَ وقد أحاطتْ بالخروفْ

يتسابقونَ لنَعْلِهِ فيمرِّغُونَ به الأنُوفْ

ويسارِعُونَ بحمدِه رقصًا علي قرعِ الدفُوفْ

قُمْ يا أبا شَادوفَ أنْشدنا علي (هزِّ القُحُوفْ)

وأشِدْ بمبعوثِ العنايةِ صاحبِ المددِ الشريفْ !

قُطبِ الزمانِ وسرِّ أسرارِ الطلاسِمِ والحروفْ !

---

(١) في ديوان ١٩٨٤م كانت بعنوان «مجنون الأزهر».

(٢) ما بين القوسين كان نقط في ١٩٨٤م.

هُــــوَ آيــــةُ اللهِ الإمـــامُ وعــــصمةُ الــــدينِ الحنيـــفْ !

وزعـــيمُ كـــلِّ المــــصلحين مــــن التليـــدِ إلى الطريـــفْ !

مــــن كـــان مرتقـــبَ العُـــصورِ وحُلْـــمِ آلافِ الألـــوفْ !

حتــــى أتـــاحَ ظهـــورَهُ في عـــصرنا قـــدرٌ رؤفْ .. !

لـــولاهُ ضـــلَّ الأزهـــرُ المعمـــورُ في حلـــكِ الكُهُـــوفْ !

فعليـــهِ مـــن أســـوانَ يـــسطعُ نـــورُه حتـــى مُنُـــوفْ !

مَلـــكَ الجُنـــونَ وتاجَـــهُ وممالـــكُ الـــدنيا صُـــنوفْ !

يبنـــي الخيـــالُ لـــه قـــصورًا مـــن تهاويـــلِ الطيـــوفْ !

فـــالكون في عينيـــهِ أشـــباحٌ بكعبتِـــهِ تطـــوفْ !

والنـــاسُ أقـــزامٌ عـــلي أعتـــابِ سُـــدَّتِه وقُـــوفْ !

ونوابـــغُ الحكـــماءِ في محـــرابِ حِكمتِـــهِ عُكُـــوفْ!

وطوابـــقُ الـــسبعِ العُـــلا بإطـــارِ مكتبـــهِ رُفُـــوفْ!

وبـــأمرِهِ يَعْـــرُو الكُـــسُوفُ الـــشمسَ ، والقَمـــرَ الخُـــسوفْ

والـــرزْقُ بـــين يَديْـــهِ يُجرِيـــه عـــلى حـــسبِ الظـــروفْ

لِلّاعِقـــينَ حِـــذَاءَهُ لا لِـــلأَبيِّ أو العَفيـــفْ

قـــلْ للمـــدلِّ مُفـــاخِرا بـــالعلمِ والعقـــلِ الحَـــصِيفْ

الجهـــلُ – ويحـــكَ – والجنـــونُ وســـيلتا المجـــدِ المُنيـــفْ

قـــذفا بـــذياكَ (الجهـــولِ) إلي مقدمـــةِ الـــصفوفْ

ورمَـــى بـــه الفُـــصحى زمـــانٌ غـــالَ مغناهـــا مَـــؤُوفْ (١)

عـــصفتْ عمادتُـــهُ بـــروضِ بيانِهـــا الغـــضِّ الورِيـــفْ

وأطـــارَ شـــاديَ أيكِهـــا عـــن عُـــشه الحـــاني العطـــوف

باتـــتْ مغانيهـــا خـــلاءً لا أنـــيسَ ولا أليـــفْ

قـــد ظلَّلتْهَـــا وجمـــةٌ خرســـاءُ تنـــذِرُ بـــالحُتُوفْ

وتنـــاثرتْ أعلامُهـــا بـــددًا كـــأوراقِ الخريـــفْ

عـــرِّجْ عـــلى أطلالِهـــا إنْ كـــان يُجـــديكَ الوقـــوفْ

تَـــرَ كيـــفَ صـــارتْ للعيـــونِ قـــذىً ، ونتنـــا للأُنـــوفْ

وكأنَّـــه فيهـــا غـــرابُ الـــشؤمِ ينعـــقُ في كنيـــفْ

فـــإذا اصـــطبحتَ بـــه فَقُـــلْ (ســـبعينَ) : لطفـــكَ يـــا لطيـــفْ

أي امـــرئٍ لم يـــستجرْ بـــالله مـــن (عبـــدِ اللطيـــفْ)

---

(١) المؤوف : المصاب نفسه.

بائعُ الكرشَةِ

أبصرتُ بائعَ (كِرشةِ)(1)   في السوقِ يومَ الجمعةِ

غَالي فضاعفَ سِعرَها   عن جدولِ التسعيرَةِ

ومضى يشيدُ بحُسنِها   ويعدُّ كلَّ مزيَّةِ

ويقولُ : يا حسناءُ يا   أحْلى بناتِ الحِتَّةِ

واشْتطَّ في تصغيرِها   مِنْ (كِرْشة) لـ (كُريشةِ)

مَعْ أنها قَدْ جاوزتْ   سِنَّ العجوزِ الحُطْمَةِ

والروْثُ فيها يزكمُ   الآنافَ مثلَ الرمَّةِ

جاءتْهُ من بولاقَ ستُّ   الدارِ أمُّ نعيمةِ

لما رأتْ سعرَال(كُريشةِ)   ولولتْ: يادَهوتي

وتفنَّنتْ في الرَّدحِ وهي   أصيلةٌ في الصَّنعَةِ

وتقولُ كيفَ تبيعُها   بدلَ الجنيهِ بخمسةِ

وأتتْ بشرطيٍّ فأسلمَهُ   لقسمِ الشرطةِ

سألوهُ : أنتَ أبو (كُرَيْشَةَ) ؟   قالَ : ليستْ بابنتي

قد كانَ والدُها يبيعُ   (السقطَ) في السبتيةِ

لما خَلا (المعمورُ) من   جيلِ الثقاةِ الصفوةِ

---

(1) كل ما بين الأقواس في القصيدة كان (...) في ١٩٨٤م، وأخذتها من الشاعر مشافهة في ١٩٩٣م عندما خشي أن يضعها.

وتحولت كليةُ (الفُصحَى) إلى سلخانةِ
وخَلا المجالُ لكي تعيثَ به ذئابُ الشِّلَّةِ
ورأوه في أذنابِهم رَهنًا لكل إشارةِ
جعلوه فورا قائما بعمادَةِ الكليَّةِ
فأنا علي ابنتِهِ مجردُ حارسٍ بالأُجْرةِ
لَمَّا اطمأنُّوا أفرجُوا عنه بغيرِ كفالةِ
ومَضَى لحالِ سبيلِهِ بعدَ اللتيَّا والتي
وأبو (كُرَيشةَ) أوقعوه وحدَهُ في التهمةِ

***

لكنَّ تُهمتَهُ بـ (تزويرٍ) شهادةُ خِبرةِ
فالجُرمُ عنوانُ الكفايةِ في زمانِ الخسَّةِ
والجهلُ مقياسُ الجدارَةِ بالعُلا والرفعةِ

***

وكذاكَ صارَ أبو (كُرَيشةَ) وارثًا للعُصْبَةِ
يَنهَي ويأمرُ باسمِها مستسلِمًا كالدُّمْيةِ
عَبدٌ ينفذُ أمرَ سيدِهِ بدونِ تَلَفُّتِ
ذيلٌ لكلِّ مُدَلِّسٍ في الحقِّ دونَ تثبُّتِ
متقبضٌ جَهمُ المحيَّا مُكْفَهِرُّ السحنَةِ

سمجٌ ثقيلُ الظلِّ مغرورٌ خبيثُ البسمةِ
متكلفٌ سمتَ الوقارِ ومظهرَ المتزمِّتِ
أو ليسَ يعلمُ أن حبَّ الناسِ أكبرُ ثروةِ ؟
والمرءُ ليس ينالُهُ بتشدُّدٍ وتعنُّتِ
لكنَّهُ التقليدُ ، أو مرضُ الشعورِ بعُقْدَةِ
لا يعرفُ الإيمانَ إمَّعةٌ بلا شخصيةِ
أوْ مَنْ يبيعُ ضميرَهُ زُهدا بأبخسِ قِيمَةِ
أوْ مَنْ يجامِلُ ظَالما لينالَ أدْني رُتْبَةِ
ما قيمةُ الإنسانِ لَوْ يحيا بلا حُرِّيَةِ
تبًّا لطالبِ مَنْصبٍ يَسْعَى إليهِ بِذِلَّةِ
لا كنتَ يا زمنَ الخَنا وعليكَ ألفا لعنةِ
ملكَ الصعاليكُ الأمورَ وتلكَ أعظمُ محنةِ

***

رثاءُ الكَلْبِ (فَرْهُود)

عثر الشاعر (......) على كلب مهزول ضال ، تطارده الكلاب ، ويذاد عن الأبواب، فآواه ورعاه ، وأطلق عليه اسم (فرهود) وظل يعتني به حتى سمن واكتنز ، وصار رئيسا للكلاب ، ولكنه تنكر للشاعر . وطغى على الكلاب وبغى ، واستأثر بالنهب والسلب ودفعه الجشعُ إلى التسلل في جنح الظلام إلى خروفٍ أعدَّه الشاعرُ للعيد فأتى عليه حتى قضى نَحبه ، وأسلمَه الظلامُ الذي استهانَ به إلى الظلام الأبدي : فرثاه الشاعر بهذه القصيدة التي تجمع بين الرثاء له والشماتة فيه .

واحرَّ قلباهُ ، ماتَ الكلبُ فَرْهودُ ... أبلغْ كلابَ الحِمى وانْدُبهُ يا عيدُ

هل كنتَ مِنه علي وعْدٍ فأنجزَهُ ... وقلما صدقتْ منهُ المواعيدُ ؟

آويتُهُ مُستضامًا نِضوَ مخمصةٍ ... يذادُ عن كلِّ بيتٍ وهْوَ مَطرودُ

وكنتُ أحميهِ من بَطشِ الكلابِ وقدْ ... أعْيَاه عن دفعِها جوعٌ وتَشريدُ

إلي أن اشْتدَّ بعد الضعفِ ساعِدُهُ ... وصارَ كالدبِّ يعدو وهْوَ عِربيدُ

(جَضْعٌ) قصيرٌ حَكي البرميلَ دَحْرجَةً ... إذا مَشى ، وإذا أقْعَى فَطُرْبيدُ

وراح يحرسُ أغنامي وماشِيتي ... فليسَ يقربُها لصٌّ ولا سِيْدُ

يُجْبَى حصادُ الوسايا في الفروعِ له ... فَرضًا وزُلْفَى، فَمَحمُولٌ ومنْقُودُ[1]

ألبَسْتُه جُبةً من فوقِها نَهضَتْ ... عمامَةٌ طيُّهَا آثامُهُ السودُ

أخْفَتْ قماءَتَهُ مِنْ طُولِها فغَدَا ... في الحيِّ وهْوَ من الأشياخِ مَعْدُودُ

(لزومُ شُغْلٍ) لكي يحظَى بِهيمنَةٍ ... علي الكلابِ كَما تقضِي التقاليدُ

---

(١) الأبيات الأربعة بداية من هذا البيت كانت محذوفة في نسخة ١٩٩٣م.

حتَّى وجدتُ به غَدرًا شقيتُ به ... بـرغمِ أن وفـاءَ الكلـبِ معهـودُ

لكنَّنِي والوفاءُ الحقُّ من شِيَمِي ... أبكيهِ ما ناحَ فوقَ الأيْكِ غِرِّيدُ

أوْدَى به الجشعُ المنهومُ، وَالهَفِي ... عليهِ وهو طريحُ الأرضِ ممدودُ

كم ظل يَبشَمُ مِنْ نَهْبِ اللُّحُومِ إلى ... أنْ باتَ وهْوَ بِبَطْنِ الأرْضِ مَلْحُودُ

***

ما كان أغناكَ يا فرْهودُ عن جَشعٍ ... فكمْ عليكَ تَوالي مِنِّيَ الجودُ

لما غدوتَ رئيسًا للكلابِ وقدْ ... صارتْ إليكَ بما تهوى المَقَالِيدُ

أخذتَ تَنهبُ حتى صرتَ مُكتَنِزًا ... وهُمْ خِمَاصٌ مَهازِيلٌ مَعاميدُ

غلُظْتَ جِسما ورأْسا واكتَنَزْتَ قَفًا ... كأنَّك الفيلُ لا عُودٌ ولا جِيدُ

ورُحتَ تنكرني تِيهًا وغَطْرسَةً ... وباتَ عندكَ فَضْلِي وهْوَ مَجْحُودُ

كذاكَ من خَبُثَتْ عِرْقا فَصِيلتُهُ ... وبينَ أحضَانها شَبَّ الفراهِيدُ

فاسلخْ علي كل فرهودٍ ظَفِرْتَ به ... إن الفراهِيدَ أنجاسٌ مناكِيدُ[1]

لما تسلَّلْتَ في جوفِ الدجى نَهِمًا ... وأنتَ لصٌّ شديدُ الحرصِ رِعْدِيدُ

قضى عليكَ ظلامٌ قد مكرتَ به ... مُهدِّدا حيثُ لم ينفعكَ تَهديدُ

وهَلْ ينالُ نُباحُ الكلبِ من أسدٍ ... يصولُ وهو قويُّ البَطْشِ صِنْدِيدُ؟

أصبحتَ أضحوكةً يلهو النديُّ بها ... ويسمُرُ الشيبُ والشبَّانُ والغِيدُ

وصرتَ أحدوثَةً صحَّتْ روايتُها ... عن الثِّقاتِ، وقوتْها الأسانيدُ

---

(١) هذا البيت محذوف من مراجعة ١٩٩٣م.

فضيحةٌ هزَّتِ الدنيا تبوءُ بها ... ورجعُ أصدائِها لَعنٌ وتندِيدُ

مُهلِّبٌ وانتهازِيٌّ ومُختلِسٌ ... ومُستَغِلٌّ وخَدَّاعٌ ونَمْرُودُ

مَساوِئٌ ما لها حَصْرٌ ولا عَددٌ ... ولا يحيطُ بها وصفٌ وتحدِيدُ

قد أخرسَتْكَ فلمْ تنطقْ ببنتِ فِمٍ ... وللمخازِي فَمٌ بالعِيِّ معقودُ

كم لطمةٍ فوقَ خديكَ انسجمتَ بها ... كأنَّها مَقْطَعٌ غَنَّاهُ دَاوُدُ

وفوقَ رأسِكَ تَنْهالُ النِّعالُ وقدْ ... شَجَاكَ مِنْها الأغاني والأغاريدُ

وفي قفاكَ يرنُّ الصفعُ تَسْمَعُهُ ... لحنا يوقِّعُه الجيتَارُ والعودُ

أما تحسُّ ؟ ألا ينديَ جبينُك مِنْ ... عارٍ؟ أما تستَحِي؟ أم أنتَ جلمُودُ؟

إن كنتَ بالنَّهبِ قدْ شَيَّدتَ ناطِحةً ... فإنها لك قبرٌ يا (فُرِيهيدُ)

طردُ العميد

مَـنْ لـيسَ يَـصْلُحُ أنْ يكُـونَ مُعِيـداً … قَـدْ بـاتَ يحلُـمُ أنْ يكـونَ عَميـدَا!

فاعْجَـبْ لِـذَيْلٍ خَـانِعٍ مُتبَلِّـدٍ … عـيٍّ يـرومُ إلي السـماءِ صُـعُودَا

دع عنك يا صبحُ المناصبَ والتمسْ … منـأيً بجهلـك للثـراءِ بعيـدا

واسـتر غبـاءَك بادِّعـاءِ العلـمِ كـي … تغنـي فكـم أغنـي الغبـاءُ بليـدا

إنَّ العـمادةَ لم تكُـنْ أُلْعُوبَـةً … كَـي تَعْـتلي كُرْسِـيَّهَا وتَـسُوداْ

حُلْمٌ صَحَوْتَ عَلَى الحَقِيقَةِ بَعْدَهُ … فَوجَـدْتَ نَفْسَكَ فَجْـأَةً مَطْـرُوْدَاْ

مَـنْ أنْـتَ حَتـى تَـسْتطيلَ عَـلى … سَعْدِ الظَّلامِ -الفَارسَ الصِنْديدَا

إنْ كُنـتَ بـالفَرهودِ لُـذْتَ مُـؤَمِّلاً … فَلَقَـدْ أذَلَّ بِبأْسِـهِ الفَرْهُـودَا

كَـمْ نَـالَ مِـنْ سَـعْدٍ وأقْـصَاهُ بِـلا … ذَنْـبٍ وأنْكَـرَ فَـضْلَهُ المَـشْهُودَاْ

والشمسُ تشهدُ أن سعدًا خيرَ من … طلعـتْ عليـه شـجاعةً وصُـمودَا

الجامعـاتُ حـسدنَ جامعـةَ الهـدى … فيـه فبـاتَ لمجـدِه محـسودا

سـيردُّ للمعمـورِ سـالفَ عـزِّه … ويعيـدُ مجـدًا للحنيـفِ تليـدا

هـو سـيِّدُ العُمَـدَاءِ والعُلَـماءِ مَـنْ … يـستأْهِلُ التَّعْظِـيمَ والتَّمْجِيـدَا

قَـدْ أَلْعـقَ الفَرْهُـودَ نَعْـلَ حِذَائِـهِ   وأَذَاقَـهُ كَـأْسَ الهَـوَانِ صَـدِيْدَاْ

مـــازَالَ يَفْـــضَحُ سِرَّهُ حَتَّـــي أَتي   مُتَعَثِّـــرا في ذُلِّــــهِ مَكْـــدُودَا

مُتَوسِّـــلًا مُـــسْتَرْحِمًا مُـــسْتَعْطِفًا   يَرجُـــو ويَأمُـــلُ أنْ يَـــراهُ وَدُوْدَا

حتـى عفـا سـعدٌ وسـعدٌ لم يـزلْ   بالـصفحِ عـن أعدائـه معهـودا

***

قُمْ وانْتحِرْ يا صُبح أو فَالْطُم على   خَـديك وانْـدب حَظَّـك المَنْكُـودَا

أوَ مَا تُحسُّ ؟ أمَا خَجِلْتَ أمَا تَـرَى؟   أم قَـدْ خُلِقْـتَ مُـصَبَّرًا جُلْمُـودا؟

أوَكُلَّـما أبْـصَرْتَ بَرْقًـا خَادِعًـا   أمَّلْـتَ فِيـه مَنْـصِبًا مَنْـشُودَا؟

أيْـنَ الخَفَـاجِيُّ المُهَـرِّجُ لاهثـاً   يُغْـرِي بِوَعْـدٍ أوْ يَـصُولُ وعِيْـدَا؟!

أين ابن جـادٍ صـاحبِ الغثِّ الـذي   سـماه شـعراً أو دعـاه قـصيدا؟!(1)

أعْمـي يقودُكُمـو فيـا لـكِ شِـلَّةً   خَابـت وسَـاءتْ قَائـدا ومَقُـودَا!!!

صرتُـم هبـاءًا حـين صـاحَ بجمعكـم   سـعدٌ وبـدَّد شـملكُم تبديـدا!!!

مـادونَ يـومٍ عـاد فيـه مظفـراً   يـومٌ تـسميه العـمادةُ عيـدا !!!

---

(١) ذكر نفسه في القصيدة للتمويه حتى لا تنسب إليه مع أن الأزهريين كانوا يميزون أسلوبه وشعره. وقد حذف البيت من مراجعة ١٩٩٣م.

عودة العميد

سَجَّلتَ للتاريخِ خيرَ كتابِ ... ودخلتَه من أوسعِ الأبوابِ

يكفيكَ أنك حين يعتكُر الدجى ... سعدُ الظلامِ وشمسُ كلِّ ضبابِ

يا أشجعَ الشجعانِ في أيامنا ... يهنيكَ نصرُ المنْعِمِ الوهَّابِ

أقسمتُ أن الأزهرَ المعمورَ لم ... ينجبْ سواكَ على مدى الأحقابِ!

أيقظتَ جامعةَ الهُدي من نومِها ... وفضَحْتَ سِرَّ لصوصِها الأوْشَابِ

لو أنصفوا جعلُوكَ أنتَ رئيسها ... بدلا من الأوغادِ والأذنابِ!

فلقد وهبتَ لها حياتَك راضيا ... لا للمناصبِ أو هوىَ الألقابِ!

ما زِلتَ بالفَرْهُودِ تكْشِفُ زَيْفَهُ ... حَتَّي أَتاكَ مُقَبِّلَ الأعْتابِ

كم ظَلَّ يَنْعِقُ كَاذِباً ومُهَدِّدًا ... أيَخافُ مِثلك مِنْ نَعيقِ غُرابِ؟!

ألقمته نعلاً فعيّ لسانُه ... خزياً ولم ينطقْ بأيِّ جوابِ

هل جاوزَ الفَرْهُودُ قَدْرَ ذبابةٍ ... ظَنَّت بأُذُن غضنفرٍ وثّابِ؟!

أغْراهُ (صُبحٌ) كالسَّرابِ ومَنْ يَكنْ ... ظَمآنَ يلهثُ خَلفَ كُلِ سَرابِ

طَهَ بْنُ عَبدالبرِّ ينْهَقُ جَامِحاً ... جُمْحَ الحَصَاوِي في فَسِيحِ يَبَاب

والجاهلُ الأعمى ابن جادٍ[1] يمتري ... وخفاجةٌ يهذي بغير صَوابِ

صاروا بغاثاً إذ رأوك عليهمو ... تنقضُّ يا سعد انْقِضَاضَ عُقَابِ

---

(١) ذكر نفسه هنا ليتخلص من نسبة القصيدة له لكن هيهات.

لله درك مـــن تقـــيٍّ زاهـــدٍ ورع منيـــب ناســـكٍ أوابِ!!

الــصِّدْقُ فِيــكَ سَــجِيَّةٌ وتَخَلُّــقٌ مَـا كُنْـتَ يومـاً بِـالفَتَي الكَـذَّابِ!!

والحــقُّ عنــدك لا يــشابُ بباطــلٍ أو زيــفِ زورٍ أو هــويً غــلابِ!!

أمـا الوفـاءُ فأنـتَ واحـدُه الـذي مــا عــقَّ يومــاً أو ألمَّ بعــابِ!!

لَولا انْقِطَاعُ الـوَحْي خِلْتُكَ مُرْسَلاً يُــوْحَي إِلَيــكَ بِــشِرْعَةٍ وكِتَــابِ!!

لكـنْ بحـسبكَ أن تُعَـدَّ مـع الأُولى سَبَقوا مـن الخُلفَـاءِ والأَصْحَابِ!!

***

الــشِّعْرُ أنْــتَ أمِــيرُهُ بِجــدارةٍ وبِــرغمِ كــلِّ مكــابرٍ مُرتــابِ!!

أخْملــتَ شــوقي البيــانِ حافظــاً وأوائــلَ الــشُّعَراءِ والكتــابِ!!

إن حلَّقــوا بخيــالهم فــوقَ الثـرى كُنتَ المحلِّق فوقَ كلِّ سحابِ!!

***

تِلــك المَــآثِرُ لَــيْس يَفْهــم سِرّهــا أو قَــدْرَها إلا أُولُــو الألبــابِ!!

على هامش العودة

خابـتْ ظنونَـك يـا ابـن جـاذْ[1] ســعدُ الظَّــلامِ اليــومَ عــاذْ

أرأيـــتَ كيـــفَ تكـــونُ عاقِبـــةُ التَّجَنِّـــي والعِنـــادْ؟

الحـــقُّ مَهـــما نَـــال مِنـــه المُرجِفُـــونَ إلي مَعـــادْ

أعـــماكَ جَهْلُـــكَ حـــينَ (للفرهـــودِ)أسْـــلمتَ القيـــادْ

وَهْـــوَ الـــذِي شَـــاعَتْ مَخازِيـــهِ وَطَبَّقَـــتْ الـــبِلادْ

والعَـــارُ لَطَّـــخَ وجْهَـــهُ حَتَّـــى تَجلَّـــلَ بالـــسَّوادْ

لكنـــه رَاضٍ قَريـــرُ العَـــينِ مُرتَـــاحُ الفُـــؤادْ

مُتَـــبَجِّحٌ لا يَـــسْتَحِي إلا إذَا اسْـــتَحْيَا الجَـــمادْ

وعـــلام يخجـــلُ أو يورِّقـــه مـــن العـــارِ الـــسهادْ

وهْـــوَ الـــذِي بالنَّهْـــبِ والتَّهلِيـــبِ قَـــد بلـــغَ المُـــرادْ

يكفيـــه صـــيدُ (أرانـــبٍ)[2] أثـــري بهـــا وبنـــي وشـــادْ

وليَنْفَلِـــقْ مَـــنْ رَاح يَـــسْلُقُه بِألْـــسنةٍ حِـــدادْ

بـــالله كيـــفَ وصـــمتَ بـــالتزوير (ســـعدًا) يـــا ابـــن جَـــاذْ؟!

أتـــدينُ أشرفَ مـــن تُقـــلُّ الأرضُ مـــن كـــلِّ العِبـــادْ؟!

---

(١) هنا أيضا ذكر اسمها حتى ينفي عن نفسه تهمة القصيدة عندما انتشرت في الأزهر وعدَّلها في ١٩٩٣م إلى (يا عماد) ولكن أبقيتُها لفهم القصة.

(٢) الأرنب: المليون جنيه.

وهْــــوَ الــــذي فَــــضحَ اللــــصُوص ودَكَّ أركــــانَ الفــــسادْ
عنــــوانُ أزْهرنــــا ورَمــــزُ فَخــــارِهُ في كــــلِّ وادْ
الغَــــيْرَةُ الحَمْقَــــاءُ أعْمَــــتْ نَاظرَيــــكَ عَــــن الرَّشــــادْ
أتطــــاولُ الجَبــــلَ الأشَــــمَّ وأنْــــتَ أحْقــــرُ مِــــن قُــــرادْ؟!
أقْــــصِرْ فَــــدُونك والــــسُّمُوِّ لمجــــدِهِ خَــــرطُ القتــــادْ
مَاأنْــــتَ إلا دِمْنَــــةَ المَــــاضِي الــــذِي ولَّي وبَــــادْ
مَــــاضٍ تَعَفَّــــنَ واسْــــتَحَالَ إلي رَمــــادْ
أمثالُــــك الزَّمْنَــــي أحَــــقُّ بــــأنْ يُبــــاعوا في المَــــزادْ
دع عنــــك ســــعداً والــــتمسْ قــــبراً يــــضمك يــــا ابــــن جــــادْ

على هامش العودة

أبو نسب

حَسِبْتَ الشِّعْرَ جَعْجَعَةً ودَشَّا فَرُحتَ تَصوغُهُ صَخْراً ودِبْشَا

جلاميدٌ من الألفاظِ مَوتى صنعتَ لها من الألفاظِ نعشَا

وما أعيَتكَ في نَحْتٍ وحَمْلٍ فأنتَ الفَذُّ حَفَّارًا و(ونْشا)

كَفَي يا حاطِبَ اللَّيلِ انْتِهازاً وتَهْرِيجاً وتَدْلِيساً وغِشَّا

كَشَفْتُكَ حِينَ رُحتَ تَسَبُّ سَعْدًا وأَنْتَ تَفِشُّ غِلَّك فِيه فَشَّا

وكنت تظن سرَّكَ ليس يُفشي وها هو سرُّكَ المفضوحُ يفشَى

ولكِنِّي عَذَرْتُكَ في حُقُوقٍ عَلَيْكَ لِمَن غَدَاً بِالنَّهْبِ طِحْشَا

سَتَغْنَمُ مِن غَنائِمِهِ فإنْ لم تَنَلْ مِنهَا بَعِيراً نِلتَ كَبْشَا

وتكْسِبُ من أرانِبِهِ فإنْ لم تُحَصِّل أسْتِكاً حَصَّلتَ قِرْشَا

أبا الأنْسابِ دَعْ للشِّعرِ سَعْدًا فَشِعْرُك صَيَّرَ الأسْماعَ طُرْشَا

فَفِي مَيدانِه سَعدٌ جَوادٌ وفي الميدانِ ما جاوزْتَ جَحْشَا

يصوغُ الشِّعرَ تفاحاً ووردًا وأنتَ تَصوغُه بَصَلاً ومِشَّا

ويُغْنِيــهِ الــشَّذَا عَــن قَطْــفِ وَرْدٍ وأنــتَ تحــشُّ وردَ الــرَّوْضِ حَــشَّا

ويعــشقُ حــين يعــشقُ ذاتَ دلٍ وأنـت إذا عـشقتَ عـشقتَ وحْشَا

وشِــعرُكَ مُوجِــبٌ للغُــسْلِ مِنــهُ فَــلا تَــأْثَمْ بِــه إثــماً وفُحْــشَا

فــإنْ قَارفْتَــه وأبَيْــتَ نُــصْحِي فَخُـذْ - بَعْـدَ انتهائِـكَ مِنُـه - دُشَّـا

العبيدُ

أما سَئمتمْ طولَ هذا السُّجودْ؟ قوموا فقد ولّى زمانُ العبيدْ

أرى فلا أبصرُ فيكمْ سِوى عمائمًا فوق رؤوسِ القرودْ

نمتُم على الهُونِ ومن حولكم قد قامتْ الدنيا وأنْتُم قُعُودْ

واستعلنَ الفجرُ فلم تنهضوا ولم تفيقوا من نفاقِ السجودْ

أنشودةُ الذلِّ بأفواهِكِمْ حَلَتْ فلم تُصْغُوا لِحُرِّ النشيدْ

ورنةُ الصَّفْعِ بأقفائكم أشْجى رنينًا من تَرانيمِ عودْ

من ثورةِ الأحرارِ فى أرْضِكُم اهتزتْ الدُّنْيا وسادَ الوجودْ

فُكُّوا مِنْ الأعْنَاقِ أغْلَالِها وحطِّمُوا الغُلَّ ودوسُوا القيودْ

أين اعتزازٌ كان أسلافُكم به ملوكًا للملوكِ الأسودْ

صانوا جلالَ العلم لم يُغرِهم وعْدٌ ولم يخشوا أذىً من وعيدْ

مضوا كرامًا واستكنتُم فما قام لكم رأس ولا طال جيدْ

الأحمقُ الحقودُ

وأحمقَ مغرورٍ يتيهُ بمالِه ويسْعِفُهُ فى الجهْلِ حَظٌّ مُحالِفُ

يرى لذةَ النُّعْمى بِحِرْمانِ غيرِه ويؤذيه غيثٌ يغمرُ الناسَ واكِفُ

إذا نالَ خيرًا راحَ يسأل مُلْحِفا أأدركَ غيرى مثلَه ؟ وهو لاهِفُ

ينغِّصه حقٌّ يصادفُ أهلَه ويشغله -مما يودُّ- المخاوفُ

أصونُ جلالَ الشعرِ عن لؤمِ حقدِهِ وما أنا ذو عيٍّ ، ولا أنا خائِفُ

ولكننـــي أبـــصرتُه فوجدتُـــه هباءًا ، وهل تُشجِى الهباءَ المعازفُ؟

إذا قُلتُـه مـدحًا فـما هـو فـاهمٌ وإن قلتُـه ذمًّـا فـما هـو عـارفُ

وهبـتُ لحـظِّ الجـاهلينَ غـرورَه وقد يصرفُ الإنسانَ للصمتِ صارِفُ

وآمنتُ بالأرزاقِ تخطيءُ ذا الحِجَى فَـيُرزقُ معلـوفٌ ويُحْـرَمُ عـالفُ

هجاء للثواب

هجوتُـكَ لا أحـاولُ حـصرَ عيبٍ فقـد جـاوزتَ رَمَـلَ الأرضِ عابَـاْ

ومـا بِـى فى هجائِـك مـن غَـرامٍ ولكنِّـى رجـوتُ بـه الثوابـاْ

وبَعْـضُ الهَجْـو تـسبيحٌ وإلا ذَمَمْنـا فى الـشَّياطِينِ الـسِّباباْ

صريع الغرور

عُـدْ كـما كُنـتَ يـاصريعَ الغـرورِ وأفِـقْ مـن خيالِـكَ المخمُـورِ

ذهبـت غفلـةُ الزمـانِ وولـتْ نـشوةُ الجـاهِ يابليـدَ الـشُّعورِ

فَاجْلُ من عينكَ الغِشاوةَ وانظرْ مـا يلاقيـكَ مـن هـوانِ المـصيرِ

ياطريـدَ الأقـدارِ مالَـكَ مَنْجـىً أو فِـرارٌ مـن قبـضةِ المقـدورِ

لا البطانَـاتُ عنْـك أغْنَـتْ ولا المـالُ وقـد سُقْتَـه لِغَـيرِ الفَقِـيرِ

لفظتْـك العيـونُ لفْـظَ نـواةٍ واسـتراحتْ من حِقْـدِكَ المسعورِ

أرقَّـت ليلَهـا مظـالمُ (نـيرونَ) فتاقـت لهفـى لـصُبح مُنـيرِ

فـإذا بـالأذَانِ بَـشَّر بـالفجْرِ ودوَّى بـاليُمْنِ صـوتُ البـشيرِ

وتنـادَى صرْعَـى غـرورِكَ بالـشُّكْر وضـجُّوا بالحمـدِ والتَّكْبـيرِ

فتجـرعْ كـأسَ النَّدامَـةِ جَامًـا فـاض بـالعلقمِ الكريـهِ المريـرِ

أيُّهـــذا المغـــرورُ كيـــف تناسيْـــتَ انتقـــامَ اللهِ العـــليِّ الكبـــيرِ ؟
لا تـــردُّ الـــسماءُ دعـــوةَ مظْـــلُومٍ وليـــستْ تنـــامُ عـــن مُـــستَجِيرِ

لـــَـــوْحُ .....

لوحٌ من الجهلِ محسوبٌ علي الأدبِ ... قـد أنـصفوا حـين سـموه (.....)[1]
ومـــاردٌ تخـــدعُ الأبـــصارَ قامتُـــهُ ... وكـم وراءَ خـداعِ العـينِ مـن كـذبِ
شـوامِخُ الـسرْوِ إذ طالـت بـلا ثمـرٍ ... ما جاوزتْ قدرَ أعـوادٍ مـن الحَطبِ
أعْيَـى الغُـرُورُ عـلي جَهْـلٍ بَـصِيرَتَهُ ... فَـما يُفَـرِّقُ بـين الفَحْـمِ والـذَّهَبِ
حتـى تخيـلَ أن الـشمسَ هامتَـه ... وأنّ نعليـهِ قـد قُـدَّا مـن الـشُّهُبِ
والأنجمَ الزهرَ من أنواره اقتبستْ ... فمزقـتْ كبـدَ الظلـماءِ والحُجُـبِ
وكـلَّ موعظـةٍ مـن هديـهِ انطلقـتْ ... فبـدَّدَتْ نزعـاتِ الـشكِّ والرِّيَـبَ
وأنـــه شـــاعرُ الـــدنيا بمفـــردِهِ ... وأنـــه وحـــدَهُ صـــنَّاجةُ العـــربِ
قد ادعي كلَّ شيءٍ وهـو لـيس عـلى ... شيءٍ مـن العلـمِ أو حـظٍّ مـن الأدبِ
ويحـسبُ الفـنَّ ألفاظًـا مُنمَّقـةً ... والعلمَ ضربًا مـن الأسـجاعِ والخُطَـبِ
لـه عـلي كـل بـابٍ قـرعُ مُنْتَجِـعٍ ... يَسْتعذِبُ الذلَّ في الإلحاحِ والطلبِ
فاعجـــبْ لذلَّتِـــه في عُنْجِهيَّتِـــه ... ومـن جهالتِـهِ مـا شئتَ مـن عَجِـبِ
من شاءَ فهو أبو سفيانَ في صلفٍ ... ومـن يـشأْ فهـو في جهـلٍ أبـو لهـبِ
كـم يزدهيـهِ غُـرورا طـولُ قامتِـه ... ومـا دري أنـه لـوحٌ مـن الخـشبِ

---

(١) (أبو خشب) مكان النقط وهي من حفظي عن الشاعر ولكنه تركها هكذا.

ابن نوح

عَجِبَ الناسُ حين قلتُ : أبوه ... قُطْبُ أهلِ التقي وبابُ الفتوحِ

عرفَ اللهَ مخلصًا فحباهُ ... بالفيوضَاتِ والشهودِ الروحي

ثم قالوا : وكيفَ يولدُ نقصٌ ... من كمالٍ وفاسدٌ من صحيحِ ؟

كيفَ باللهِ يُنجبُ الطهرُ رجْسًا ... ويجيءُ المقبولُ بالمقبوحِ ؟

إن (.......) عارٌ على الفصحى وجرثومةٌ لكل قبيحِ

سرطانٌ يدبُّ في مهجةِ الفصحى ... ويَفري قلبَ البيانِ الفصيحِ

قف تأملْ كليةَ الضَّادِ تشهدْ ... أيَّ ثَكْلَى تَنوحُ فوق ضَريحِ

وَأَدَ العلمَ والكرامةَ والأخلاقَ والحبَّ في ثراها الفسيحِ

لا تراه إلا خَبيئًا بوكرٍ ... كوجارِ الرقطاءِ ذاتِ الفحيحِ

ينفثُ الغدرَ أو يُبيِّتُ كيدًا ... فاجرَ الدسِّ ، داعرَ التجريحِ

كَمْ يُعانِي قِسمُ (البلاغةِ) منه ... ويُقاسِي من جهلِهِ المفضوحِ

أسندوه لأحمقٍ أعجميٍّ ... مستبدِّ الهوى جهولٍ جموحِ

جمع الشرَّ كله في إهابٍ ... خادعُ السمتِ ماكرُ التسبيحِ

قرةُ العينِ عنده في أذى الناسِ ، وفي رؤيةِ الدمِ المسفوحِ

يكره الخيرَ العمى فكأيِّن ... من جريحٍ بغدرِه ، وذبيحِ

جسَّمَ اللهُ فيه صورةَ إبليسَ فجاءت نهايةً في الوضوحِ

فعليهِ بكل ذرَّةِ رملٍ ... وحصاةٍ ، في كل نسمةِ ريْحٍ

لعـــنةُ الله والملائـــكِ والنـــاسِ ومــوسى وأحمــدٍ والمــسيحِ

قلـتُ : يـا قـومُ كـان نـوحٌ نبيًّـا ومَـعَ الكَـافِرِيْن كـانَ ابـنُ نـوحِ

البهلوان

وبهلـوانٍ وضـيعٍ سـافلٍ دُونِ قفـاهُ نهـبٌ لـصفعِ الـذلِّ والهُوْنِ

قـد بـاعَ بَيْعَ البغايـا عِرضـةَ ثَمنـا لكُنـترولٍ فمغبـونٌ بمغبـونِ

كليةُ الضاد أمسي فوقَ مسرحِهَا نجـمًا يمثِّـلُ أدوارَ الثعـابينِ

يقـوده أفعـوانيٌّ يُدرِّبُـه كـما يقـادُ زمـامُ القـردِ (ميمونِ)

بـادرْهُ بالركـلِ واقذفْـه بمحـبرَةٍ واضربه بالنعلِ واطعنه بسكينِ

واصفعهُ وابصقْ عليه ثم ألقِ لـه بـدرهمٍ يلتقطْـه جـدٌّ ممنـونِ

دراهـمُ الكنـترولِ المستميتِ بـه تشفي الجراحَ وتأسو كـلَّ مطعونِ

وإنْ شَكَا مـن صُداعٍ في كرامتِـه فالقِرْشُ يُغنيهِ عَنْ (رِيفو وأسكينِ)

لم أدْرِ من أيِّ شيءٍ صاغَ عُنْصرَه من صوَّرَ الناسَ من ماءٍ ومن طينِ

كـأنها نـسلتُه في حماقتِـه من حمأةِ الشرِّ أصلابُ الشياطينِ

حربـاءُ كـل زمـانٍ في تلونِـه فـما يقـيمُ عـلي عهـدٍ ولا ديـنِ

ولـيس تـؤمنُ في حـالٍ بوائقُـه ولـيس جانبُـه يومـا بمـأمونِ

لما أصابَ الغني من بعدِ مسغبةٍ أطغتـه ثروتُـه إطغَـاءَ قـارونِ

من شبَّ في خِسة لم يرتفعْ أبدًا ... ولــو تملَّــك آلافَ الملايــينِ

والنذلُ يبطره بعدَ الطوى شِبعُ ... فـلا يُطـاقُ للـؤمٍ فيـه مكنـونِ

المـال خبَّلـه حتَّـى كَـأنَّ بـه ... مَـسًّا فأصبـحَ مختـلَّ المـوازينِ

وطيرَّ النصفَ من سمعٍ له وحجًا ... فصارَ نصفَ أصمٍ نصفَ مجنونِ

لو صُوِّرَت خِسَّةُ الدنيا مجسمة ... في الناس لم تكُ إلا في ابن بسيوني

الذئب والشاة

قــالوا : بأسـيوطَ شــادوا ... كليـــــةً للبنـــــاتِ

وطَنْطَنُـــوا بالمَبـــانِي ... وطبَّلـــوا للبُنـــاةِ

لكـــنهم عَمَّـــدوها ... بأقـــصرِ القامَـــاتِ

وأســـندوها لـــذئبٍ ... ضـــاري الـــسُّعارِ (فــلاتي)

وكيـــف يحمـــي حِماهـــا ... مراهـــقُ الـــشهواتِ ؟ !

نهَّـــابُ كـــلِّ متـــاحٍ ... نهَّـــازُ كـــلِّ مُـــواتِي

جاســـوسُ كـــلِّ وضـــيعٍ ... عـــلي الكـــرامِ الأبـــاةِ

مخـــــادعٌ في ودادٍ ... متـــاجرٌ بالـــصِّلاتِ

يَبِيـــعُ حُـــرَّ ضَـــميرٍ ... بَخْـــسًا بـــأدْني الفُتـــاتِ

ويـــشتري بقُـــريش [1] ... مـــا شـــاء مـــن أُمنيـــاتِ

(١) قُريش : تصغير قرش ....

ولــيس يــألو عُقوقَــا للفــضلِ والمكرُمــاتِ
قــد ضـمَّ غــدرَ الأفــاعي إلي خــداعِ الحُــواةِ
فـلا وفــاءَ لمــاضٍ ولا أمــانَ لآتٍ
فقلـتُ قـد صـحَّ عنـدي فيــه حــديثُ الــرواةِ
(مُفعَّــلُ) بــنُ (فَعيــلٍ) مــستودعُ المخزيــاتُ
لــو أنــصفوا لم يعمَّــدْ إلا عــلي الومــساتِ
إن الوصــوليَّ عــارٌ عــلي حمــى الحرمــاتِ
ولــلصعيدِ حفــاظٌ مُــرٌّ عــلي الفتيــاتِ
وكيــف يــؤمنُ ذئــبٌ عــلى حراســةِ شــاةِ ؟!

الخنزير العانس

هـرمَ الخَنَـا ومـشى عـلي عُكَّـازِ متجـسدًا في صـورةِ العـزَّازِي
جُثـمان خِنزيـرٍ وسـحنةُ مـومسٍ شـمطاءَ سـاكتْ وجهها بـبرازِ
مـا بـين هامِتِـه وأخمـصِ نعلِـه مـلءُ الإهـاب مـساويٌ ومخـازي
متفـرِّدٌ في الجـودِ كـلُّ سـخائِه بـأعزِّ مـا يُحمـي مـن الأحـرازِ
كلـفٌ بإعجـازِ الكـرامِ فكلـما جـادوا بـمالٍ جـادَ بالأعجـازِ
سـمْحُ الجنـابِ فـما يـردُّ للامـسٍ كفًّـا ولـيس يـصدُّ نـزوةَ نـازي
ولكَـمْ يعلـلُ بالـسجائرِ نفـسَه عنـد الـسُّعارِ وحرقـةِ الإعـوازِ
لا يـبرحُ الملقـاطُ سـاحلَ خـدِّه إلا لنتــفِ حَــشائشِ البُوغــازِ

يُفني مساحيقَ النساءِ تَجَمُّلا فكأنَّه أنثى بلا (أبزازِ)
رَحْبُ الخيالِ أبو لميعةَ عنده لم يغْدُ حدَّ الصدقِ والإيجازِ
فهو الشجاعُ العنتريُّ فَسلْ به كم خاضَ هولَ معاركٍ ومغازي
يُزري بطائِيِّ النَّدى ويغضُّ من فتكِ الضراغمِ وانقضاضِ البازي
سبحانك اللهم كونُك مفعمٌ بغرائبِ الأسرارِ والألغازِ
أيكونُ عزازيُّ في كليةٍ وتميزُ بين حقيقةٍ ومجازٍ ؟!
بعضُ السوائمِ في الحقولِ وبعضها بمعاهدِ التعليمِ كالعزازي

***

الإيدز

شَكى (فَعْلٌ فَعَالٌ) ذاتَ يومٍ لفُعْلِي من عُضالٍ فيه مُخزي
يقولُ أشرْ عليَّ فإن دائي رمي النطسَ الفحولَ بكل عجزِ
لَدَي فَيْرُوسِهِ وَقَفُوا حَيَارَي وُقُوفَ العاجِزينَ أمَامَ لُغْزِ
تبناني ابنُ عثمانٍ زماناً أبحتُ به حمايَ له وحِرْزي
فأرهقني ركوعاً أو سُجوداً وأغراني بكلِّ خناً ورِجزِ
وكَانَ قَضَي زمَانَا في فَرَنْسَا وعادَ وعِنَدهُ مِكْرُوبُ إدْزِ
فأعداني وصيَّرني عليلاً أقاسي الويلَ من ألمٍ ووخزِ

كَـسَاني العـارَ حتـى صرتُ نهبـاً لتعـــريضٍ وتلمـــيحٍ وغَمْـــزِ
فَقــالَ لَــه: وقَعْــتَ عَــلى خَبِـيرٍ يَبِيــعُ ضَـميرَهُ بِرَغِيــفِ خُبــزِ
فــداؤك لحيتــي شركُ احتيــالي وسـمتُ خـديعتي وشـعارُ هبـزِ
يُـضَاعِفُ طُولُهـا نُقْـصانَ عَقْـلي وهَــذا الــسرُّ في ركْـضِي وقَفْـزِي
وإني رهــنُ أمــرِكَ فاصــطنعني فـــإني ثعلبـــانيٌّ ودُرزي
أنـا مَـنْ تَرْتَـضِيهِ هَـوىً ولُؤْمًـا فَــدَيْتُك مِــن مُغَــامَزَةٍ ولمــزِ
أزوِّر في الحقــوقِ بــلا حيــاءٍ وأســخو في العقــوقِ بغـيرِ كَـزِّ
نفــاقي والتجــسسُ رأسُ مــالي وغـدري عُـدتي ، والـشرُّ كنـزي
فــسائلْ مكــةَ الغــراءَ عنــي وقـد يُغني عـن التـصريحِ رمـزي
وما للملتحي الدجالِ مثلي سواكَ وأنـــتَ جـــاهُ المـــستعزِ
معــاذَ أبي نُــواسٍ والكِــسَائِي وحُرْمَــةِ ثعلــبٍ وسَـعِيد كــرزِ

مُستشارٌ

(....) اليـــومَ مستـــشارُ مِـــنَ المـــواخيرِ مُـــستعارُ
(....) مـــــــن أذَاهُ وجَهْلِــهِ الفاضــحِ اســتجاروا
مـــن أي بـــارٍ تلقَّفَتْـــهُ كليـــةٌ ســـمتُها الوقـــارُ ؟
شريعـــةَ (الأزهــرِ) انبذِيـــهِ فإنَّـــه سُـــبَّةٌ وعـــارُ

النـــورُ في شرعـــهِ ظـــلامٌ ... والليـــــلُ في عُرفـــــة نهـــارُ
مـــا صـــحَّ في ذِهنِـــه صـــحيحٌ ... فكيـــــفَ بـــــالله يستـــــشارُ ؟
ومالــــه في القـــضاءِ فهـــمٌ ... إلا كَـــــما يَفْهَـــــمُ الحـــمارُ

مديرٌ

ســألتُ القــومَ كيـفَ جعلتمـوه ... مُـــديرًا يـــنطحُ الفَلـــكَ المُـــدَارَا ؟
وكيـفَ عـلى رئاسـتِه حرصْـتُم ... وجـــددتُم لـــه فيهـــا مـــرارا ؟
هـل اسْـتَوفى قَواعِـدَكم أصـولا ... ووفَّاهَـــا ســـلوكًا واختبـــارا ؟
فقـــالوا : إنَّـــه اسْـــتَوفَى ووَفَّى ... ولمْ نَـــرَ مَـــنْ يَـــشُق لَـــه غُبـــارا
فمـن جهـةِ الجهالـةِ كـانَ فيهـا ... لــــهُ بَـــاعٌ طويـــلٌ لا يُجَـــارَى
ونَحـنُ (الأزْهَـرِيِّيْنَ) الْتَزَمْنَـا ... بِقَاعِـــدةٍ جَعَلْنَاهَـــا شِـــعَارَا
إذا قُـــرنَ الحـــمارُ بعبقـــريٍّ ... وقيـــل تخـــيروا اخترنـــا الحـــمارا
وفي بـابِ النفـاقِ أجـادَ حتـى ... تـــألَّقَ فيـــه حِـــذقا واقْتِـــدارا
وأتقـنَ حفـظَ منهجـه شُروْحًـا ... وحاشـــيةً ومتنًـــا واخْتِـــصَارَا
وعـــدَّدَ في مـــسائله اجتهـــادًا ... وجـــدَّدَ في وســـائِلِهِ ابْتِكَـــارَا
سَعَى ورَمَى وطَافَ بِكُلِّ رُكْنٍ ... وقَبَّـــلَ ذَا الجِـــدارَ وذَا الجِـــدَارَا
وأمـا العِـيُّ فـالعَجمُ اسْـتَمَدُّوا ... فَهَاهَتَـــــهُ وباقـــــلٌ اسْـــــتَعارَا
وأمَّـــا في البَلاهَـــةِ فَهْـــي إرثٌ ... عـــن الآبـــاءِ وَقْفـــا واحْتِكَـــارا
تـري في وجهـةِ " عبطًا " يُغشِّى ... ملامحَـــــه فتحـــــسبُه وقـــــارا

إِذا افْتَخَـرَ امْـرُؤٌ بِـأبٍ كَـرِيْمٍ فَـإِنَّ أَبَـاهُ قَـدْ (عَـزَمَ القِطَـارَا)

عميد ٦٣

اعـوِ يـا ذئـبُ وانهقـي يـا حمـارةْ قـد تَـوَلَّي العِـمادَةَ ابْـنُ (عِـمارةْ)

أَصْـبحتْ دارُ يعـربٍ غُـرْزَةُ الفُـصْحَى وأمـستْ رحابُهـا خمَّـارةْ

اصـحُ يـا ديـبُ لم يعـد بمحـالٍ أن تذوقَ (الزُّزَبيفَ) بعد البِصارةْ

نِـدُّكَ اليـومَ صـارَ فينـا عميـدًا يتبـاهى بحاجِـبٍ وإدارةْ

أعميـدًا مـن كـان أقـصى الأمـاني عنـده أن يكـونَ شـيخا لحـارةْ ؟!

وينـال المرتَّـبَ الـضخْمَ مـن كـان مـع (الـديب) لـيس يملـك (بـاره)

لـو تَـرَاهُ يَـدسُّ في الفـمِّ شَـيْئًا لا أُسَـمِّيِةِ أو يَلُـفُّ سِـجَارَهْ

قلـتَ يـا للهـوانِ يـا ذِلَّـةَ المنـصبِ ممـن عليـه يخلـعُ عـارَه

زمـنٌ عبقريُّـه في هـوانٍ مـن جحـودٍ ونَذلـه في الـصدارةْ

طبيبُ المصْطَبةِ

قـالوا : طبيـبٌ تقـيٌّ زاهـدٌ ورعٌ هيهـاتَ مـا مِثْلُـه في النـاسِ هيْهَاتـا

وغـرَّني سـمتُه حتـى فَتَحـتُ لَـه قلبـي وأرعيتُـه سـمعًا وإنـصاتَا

ورحتُ من (عبطي) أُطْري شمائلَهُ وأنـسجُ المَـدْحَ ألْوانًـا وأشْـتاتَا

صرَّفتُ فيه فنونَ القولِ مُبتدِعًا رسـائِلا ومقامـاتٍ وأبياتَـا

حتى عَرفتُ علي قربٍ حقيقتَهُ وقِيـل لي بعـدَ أن فـاتَ الـذي فاتَـا

القـومُ في غفلـةِ الأيـامِ حيـنَ رأَوا أن يجعلـوا قمـةَ المأسـاةِ ملهـاةَ

شَادوا (بأزهرنا المعمورِ) مصْطَبةً وصـفَّفُوا حولهـا التُّمْبـاكَ والقَاتَـا

وكـان صـاحبُنَا مـن بعـدِ خَيبتِـهِ ... في الطـبِّ يبحَـثُ عـن شُـغلٍ ليقتَاتـا
فلـم يـروا مثلَـهُ صـدرا لمجلسِـنا ... يُمسـي ويـصبحُ عجَّانـا ولتَّاتَـا
فـصرتُ أقـرعُ سـنِّي نادمـا حَنِقًـا ... وألعـنُ النـاسَ أحيـاءً وأمواتَـا
وعدتُ للائـمِ اللاحـي علي كـذِبي ... أقـولُ معـذِرةً مـا فـاتَ قـد ماتـا
إنْ كان مَدْحِي لـه بالزيتِ لطَّخني ... فعُـذْرُهُ أننـي أطريـتُ (زَيَّاتَـا)
حبوتُـهُ تـاجَ زيـف صـاغَهُ قلمـي ... فـاليومَ أحبـوه تاجًـا صـاغهُ باتـا

جرادة

رأَيْـتُ في (كليـةٍ) للـضَّادِ ... جـرادةٌ مِـنْ أحقـرِ الجَـرادِ
يـدعونَها بــ (....) بـنَ (....) ... تائهـةً مخبولـةَ الفـؤادِ
تخـبطُ كالعـشْواءِ في البـوادِي ... حطَّـتْ عـلي مـستنقَعِ الأحْقـادِ
تـشربُ مِـنْ حماقـةِ (....) ... فـلا تميـزُ الغـيِّ مـن رَشَـادِ
ولا تَعِـي البيـاضَ مـن سـوادِ ... أو تـستبين رائحًـا مـن غَـادِ
تقـولُ عَنهـا عـصبةُ الأوغـادِ: ... أَخَطَـبُ مـن قـالَ عـلي الأعـوادِ
غطَّـى عـلي سـحبانَ والإيـادي ... وشـاعرٌ مـا مثلُـه في الـوادي
وعـالمُ الأحيـاءِ والجـمادِ ... وفيلـسوفٌ نـادرُ الأنْـدادِ
وعبقـريُّ الطِّـرْسِ والمـدادِ ... ورائـدٌ مِـن أعظـمِ الـرُّاود
وناقـدٌ مـن أكـبرِ النُّقـادِ ... وفـارسُ الهيجـاء والجِـلادِ
مفـزِّعُ النـسورِ والآسـادِ ... (إحِـمْ إحِـمْ)يـا شِـلَّةَ الفَسَادِ

فمــنْ يــماري في أبي الفــصادِ ؟ ومــن يــشكُّ في حِجَــا القُــرَادِ ؟
هــو المطيــعُ المُــسْلِسُ القِيــادِ محتكِــــرُ النِّفَــــاقِ للأسْــيَادِ
وبــائعُ الــضَّمِيرِ بــالمزادِ ونقــشبيُّ الفَــيضِ والإمْـــدادِ
لُطفًا بنا يا خالقَ الجَرَادِ

احرصْ كما شئتَ على المنصبِ

احرصْ كما شئتَ على المنصبِ وليعْمُــرِ (الأزهــرُ) أو يخْــرُبِ
في ذمَّــةِ الله حقــوقٌ لــه أضــعْتَها بــالطَّمَعِ الأشْــعَبي
قــد بعــتَ بــالكرسيِّ آمالَــهُ وشِرعـــةَ اللهِ وإرثَ النبـــي
كــأنَّما جئــتَ لتخْريبِــهِ وتركِــهِ للبــوم والعَقْــرَبِ
سَــلِّم كــما تهــوى بــضاعاتِه وليــشهدْ التــاريخُ ولْيَكتــبِ
واغــترَّ بالأيــامِ في ســلمِها وصُــلْ صيالَ الفــارسِ الأغلــبِ
وأبلُــغْ مــن الآمــالِ مــا تــشتَهِي وارْضَ عــلى مَــنْ شــئتَ أو فاغــضَبِ
واشبعْ نفاقًا واجرِ مِنْ موكبٍ مهــرولَ الــذلِّ إلي موكــبِ
فكــلُّ ليــلٍ خلــفَ أســتارِهِ فَجــرٌ وضــوءُ النــورِ لم يكــذبِ
يــا مــنْ تــولَّى الأمــرَ في غفلــةٍ كــاللصِّ يــسعي في دُجــى الغَيهــبِ
صــحائفُ التــاريخ عنوانُهــا بمثلــكَ (الأزهــرُ) لم يُنْكَــبِ
قــدْ لُطِّخَــتْ بالعــارِ في عهــدِكُم كرامـــةُ الأمــردِ والأشْــيببِ
فَــضيحةٌ دقَّـــتْ نواقيــسُها في مــشرقِ الإســلامِ والمغــربِ
ولطمـــةٌ رنَّـــتْ بأصــدائِها جوانــبُ الأقطــارِ مــن يَعْــرُبِ

يـا عـصبةَ المكتـبِ رِفقًـا بـه ... رفقًـا بـه يـا عـصبةَ المكتـبِ
أصـمُّ إلا عـن وشـاياتِكُم ... أو عـن نفـاقِ المـادحِ المُـسْهِبِ
فـإنْ يَجِـدَّ الجِـدُّ في موقـفٍ ... يَـرُغْ مـن الموقـفِ كالثعلـبِ
زئـيرُهُ في الـسلمِ مـستأسدًا ... يغـدو بغـامَ الظَّبـي في ربـربِ
إبْكِ علي (الأزهرِ) يا صاحِبي ... واسكُبْ دموعَ الحزنِ ثم اسكُبِ
أحالَـهُ (الـشيخُ) إلى مَنْعَـبٍ ... وهـو غـرابُ الـشؤمِ في المنعـبِ

إليكَ عن الرئاسة

ألا أبلـغْ (رئيسَ القسمِ) عنِّي ... فلـستُ أري لـه عنـدِي شـفيعَا
إليـكَ عَـنْ الرئاسـةِ لا ترُمْهـا ... ولُـذْ بالـسَّترِ إنْ تَـكُ مُـسْتَطيعا
فلـستَ تُجيـدُ إلا حلـبَ شـاةٍ ... إذا نفـرتْ مريـتَ لهـا الـضُّرُوعا
ولم يـشغَلْكَ مـن دنيـاكَ شيءٌ ... سـوى أن تـشتري أو أن تَبيعَـا
أيَـصلحُ مـن يُتـاجرُ في المَـواشِي ... لأنْ يتعهـدَ الأدبَ الرفيعَـا؟!
ويـصبحُ في البيـانِ رئـيسَ قـسمٍ ... ومـا يـدري البيـانَ ولا البـديعَا
مقـامٌ يـستطيلُ بـهِ علينـا ... ويحـسبُنا بعزبتِـهِ قَطِيعـا
ولم يطمـعْ لـه إلا لكَـيما ... يـشيُع بـه الجهالـةَ والخُنُوعـا
ولـو جـاءوا بـسائمةٍ سـواهُ ... أطعنَاهـا ولم نـأنَفْ خُـضوعا
فـإنَّ الـبَهْمَ أفـصحُ منـه نُطقـا ... وأبلـغُ مـن فَهَاهتـهِ نُـصُوعا
تخـرَّجَ مـن حظائرِهـا وليـدًا ... ودبَّ عـلي مَبَارِكِهـا رَضِـيعا

وشبَّ على خلائِقِها جُمُوحًا وشاخَ علي مذلتِها هُلوعا
ولم يفهمْ عن الأبقارِ إلا إذا ما رجَّعتْ ظمأً وجوعا
فيا دُنيا اهزلي في ليلِ جهلٍ رياحُ دجاهُ أطفأتِ الشموعا
ويا (كليةَ الفُصْحَى) سَلامًا فَلْستِ تَريْنَ للماضِي رُجُوعا

عدو النبوغ

ما علينا إذا هجونا جُناحُ عِرضُك اليومَ عندنا مُسْتباحُ
أيهذا الضِّلِّيلُ راحتْ ألاعيبُك طيَّ الدُّجى ولاحَ الصباحُ
يا عدوَّ النبوغِ ليسَ بِبِدْعٍ منك أن تَقْدَحَ النبوغَ الجراحُ
سنةُ (الأزهرِ) الجَحُودِ فَكَمْ مِن عَبْقَريٍّ به طوتْهُ الرياحُ
وأديبٍ أنكرتُموه جُحُودًا وهْوَ في غَيْرِ أفْقِكُمْ مِصْبَاحُ
أيُّهذَا الضِّلِّيلُ رأيُك عِندي يستوي فيه خيبَةٌ وفَلَاحُ
فنَجَاحِي علي يدكَ سُقُوطٌ وسقُوطِي علي يديْكَ نَجَاحُ

لصُّ العيُونِ

قالوا طبيبُ عيونٍ قلتُ ويْحَكُمُو أعمي البصيرةِ لا يشفِي عمَي البَصَرِ
وهل (.. ......) ذو نظَرٍ في الطبِّ حتى يُداوي علَّةَ النَّظَرِ ؟
إذا دخَلْتَ عليهِ خِلْتَهُ صَنَمًا أو بالعَا صنما من وجههِ العَكِرِ
فظُّ اللقاءِ غليظُ الطَّبْعِ تحسبُهُ من عالَمِ الوحشِ لا مِن عالَمِ البَشَرِ
أصمُّ أبْكَمُ جهمُ الوجهِ قد جُمِعَتْ فيهِ الكآبةُ حتى صارَ كالحَجَرِ
فلا يردُّ سلامًا أو يجيبُ علي سؤالِ مستنْجِدٍ مِنْ مِحْنَةِ القَدَرِ

نَقـصٌ يعوِّضُـه تيهًـا وغَطْرَسَـةً ... وعُقْـدَةٌ كَـشَفَتْ عَـنْ أصـلِهِ القَـذِرِ

الطـبُّ لُطـفٌ وإحسانٌ ومَرحَمةٌ ... ولـيسَ بالجشعِ المـسعورِ والبطَـرِ

وفي البشاشةِ ما تُؤسى الجراحُ به ... لا في الـتجَهُّمِ والتَقطِيـبِ والكَـدَرِ

كم يدَّعى الطبَّ مغرورٌ كصاحِبِنا ... لـصِّ العيـونِ فكُـنْ مِنـه عَـلى حَـذَرِ

في كفِّـهِ الـشؤمُ لـو مَسَّتْ أنامِلُـهُ ... عـينَ البـصيرِ لأعمتْهَـا عـلى الأثَـرِ

حَـجٌّ

وقـالوا حَـجَّ فرهـودٌ فقُلنـا ... ألا ياليتَـهُ مـا كـانَ حَجَّـا

مَـضي وعليـهِ زِنْبيـلٌ خَطَايَـا ... فعـادَ يجُـرُّ زِنبـيلا وخُرْجَـا

فـإنْ يـكُ طـافَ بالأركـانِ سبعًا ... وهـرولَ سـاعِيا ودعَـا وضَـجَّا

ورجَّ البيـتَ تلبيـةً وركـضًا ... ومـجَّ بزمـزمَ الآثـام مـجَّا

فلـم يرفـعْ بهـذا الحـجِّ رأسًـا ... ولم يبلـغْ بـه أمـلًا مُرجَّـى

ولم يـزدَدْ بـه إلا خَطايَـا ... ولعْنَـاتٍ تَـشُجُّ الـرأسَ شَـجَّا

وأنْجَسُ مـا يكـونُ الكلـبُ يومًا ... إذا شـقَّ العبـابَ وخـاضَ لُـجَّا[1]

فيـا لَـكِ حَجـةً مـا طهَّرتْـهُ ... ولا أبقـتْ لـه في العقـلِ بُرجَـا

وكيـفَ ينـالُ معتـوهٌ قَبـولا ... ولم يـرَ غـيرَ دَربِ الإثـمِ نَهجَـا

---

(١) للشطر الأخير رواية أخرى (...... إذا ما خاض في ماءٍ وجًّا).

يسن البواب[1]

أتيتُ إلي ياسينَ أزجي بشارةً ... وإنِّي لسبَّاقٌ لحملِ البشائرِ
أقولُ له أبشرْ ستأتِيكَ رُتْبَةٌ ... وتصبِحُ أستاذا لكلِّ مُجاورِ
فقالَ : عجيبٌ كيف ذاك وإنَّنِي ... لمن معشرِ الزنجِ الغلاظِ المشافِرِ
وهل يَصلحُ الزِّنْجِيُّ إلا لبوظَةٍ ... ووِقْفَةِ بوَّابٍ وخِدمةِ عَاهرِ؟
فقلتُ له : هذا صنيعُ مَقادِرٍ ... رويدكَ لا تعجبْ لصنعِ المَقادِرِ!
ألم تَرَ (نورا) صارَ أستاذَ شُعْبَةً ... وقَدْ كان بوَّابا لإحدَى العمائِرِ؟

نائب نائبة

برئَ اللهُ منكَ يا أفعوانُ ... وتولَّى قيادَكَ الشيطانُ
أيُّهذا الأفَّاقُ يَمرحُ كالبَهْمِ ... وفي الجهلِ تمرحُ القُطعانُ
إنَّما الجهلُ شارةُ السبْقِ في مصرَ ... وصكٌّ يُرجَى به الغُفْرَانُ
وعلي الفضلِ والكفاءَةِ عُنوانٌ ... وللمَجْدِ والعُلا بُرهانُ
هبةٌ من مواهبِ اللهِ يعْلُو ... لذويها جاهٌ ويُرفَعُ شانُ
بلدٌ فيهِ ذو المواهبِ يشقى ... ويفوزُ المهرِّجُ الثُّعْلُبَانُ

***

أنت من حارب الغلاءَ شجاعًا ... حين ضاقتْ بحربِهِ الشجعانُ
وأشَعْتَ الرخاءَ في قيمِ الأخْلاقِ ... حتى تهاوتِ الأثمانُ

---

(١) بدايات الهجاء عند حسن جاد بعد تعمد أستاذه في البلاغة أن يرسب في درجتين.

لـكَ سـوقٌ تُـشْرَي الـضمائرُ فيـه ... وتُبــاعُ الحقــوقُ والأوطــانُ

رُبَّ حــقٍّ أضــعتَهَ برغيــفٍ ... حُجَّــةُ الــزورِ عنــدك الرُّغْفــانُ

وضـميرٍ أغرقْـتَ في كـأسِ خَمْـرٍ ... صَــبَّها رِشْــوةً لــكَ النُّــدمَانُ

ولو اسْطَعْتَ بعتَ مصرَ بِقرشٍ ... وعليهــا للمــشتَرِي الــسودانُ

أنــتَ بــين النُّــوَّابِ نائبــةٌ كُــبرى وللحــقِّ ذِلــةٌ وهَــوانُ

إنــمَّا أنــتَ ســبَّةٌ تــستحي الأمَّــةُ مِنْهــا ويخجــلُ البرلَمــَانُ

زئير وبغام [(١)]

ليــشهدِ التــاريخُ وليكتُــبِ ... ليــثُ الــوغَى قــد لاذَ بــالمَهْرَبِ

فَــضيحةٌ دقــت نَوَاقيــسُها ... في مــشرقِ الإســلامِ والمغــربِ

ولطمــةٌ رنَّــتْ بأصــدائِها ... جوانِــبُ الأقطــارِ مــن يَعْــرُبِ

هزيمــةٌ للحــقِّ في بأسِــهِ ... وكَبْــوَةٌ للفــارسِ الأغْلَــبِ

استَغْـضَبَ الرعدِيـدُ حتـي إذا ... رأي وعيــدَ الــشرِّ لم يغْــضَبِ

زئــيرهُ في الحــقِّ مُــستأسِدا ... عَــادَ بُغَــامَ الظبــي في ربْــربِ

بطولَــةٌ كانَــتْ عــلي طبعِــهِ ... غريبــةُ المنْــزَعِ والمَــشْرَبِ

يــا عُــصْبةَ المكتــبِ رفقًـا بـه ... رفقًــا بــه يــا عــصبة المكتــبِ

أصــمٌّ إلا عـــن وشــاياتِكم ... وعــن نفــاق المــادح المــسهب

أفقَــمُ أنــتُمْ بوقُــهُ كاذِبًــا ... وعهــدنَا بــالبوق لم يكــذبِ

---

(١) ديوان (وحي الربيع) ١٩٥٢م، وكان الشاعر صنع منها قصيدة «احرص كما شئت على المنصبة».

لسانُه شُدَّ بأفواهِكم ... كما يُشدُّ الشِّسْعُ بالشِّبْشِبِ
وما يرى إلا بأبصارِكُم ... كأنَّما عيناهُ في غَيْهَبِ

كافور الجديد

قد كَفَاني هِجَاءَكَ المُتَنَبِّي ... فدعِ اللَّومَ واطَّرِحْ عنكَ عَتْبي
ما هجائي في الزنجِ غيرُ صداه ... أي لومٍ عليَّ أمْ أيُّ ذَنبِ
كلُّ ما قالَهُ لكافورَ صدقٌ ... صادقٌ فيك من هجاءٍ وربِّي
أتُراهُ قد كان يستطلعُ الغيبَ فيهْجوكَ من مَطالعِ غيبِ

السامريُّ

يذكرني بموسَي السامريِّ ... (أبو موسي) الدعيُّ ابنُ الدَّعيِّ
إذا ما صوتُه الصخَّابُ دوَّي ... ذكرتُ خوارَ عجلِ السامريِّ
يصيحُ سفاهةً ويثُورُ حُمقًا ... لأدنى هيعَةٍ أقلِّ شَيِّ
ويُطْغِيه الغِنَي مِنْ بِعْدِ فَقْرٍ ... وتِلكَ خَسيسةَ النَّذلِ الغَنيِّ
وفي أعماقِة فرعونُ نفسٍ ... تَجيشُ بكلِّ طغيانٍ وغيِّ
فليسَ صياحُهُ المعتوهُ قَصدا ... لوجهِ الله بلْ ، لهوي خفيِّ
هو الشُّلَلي – فاعلمْ – ذيلُ وغدٍ ... وصوليٍّ وآخرَ نقشَبيِّ
ربيبُ عِصابَةٍ صَنَعتْهُ بُوقا ... وصاغَتْ منه أخْطَرَ بَلْطجيِّ
وأفعَى شُلَّةٍ دأبتْ علي أنْ ... تكيدَ لكلِّ ذي خُلُقٍ نَقيِّ
يذُودُ الناسَ عنْهُ جَفاءُ طبعٍ ... يُنفِّرُ كلَّ سَمحٍ أرْيَحيِّ
وشرُّ الناسِ منْ تُرِكَ اتقاءً ... لسوءِ الطبعِ والخُلُقِ الدنِيِّ

فــلا تحفَــلْ بكــل أبٍ لموســى ولا مُوسَــى ســوى مُوْسَــى النبــيِّ

منقذ الجهل !!

ولابـنِ (....) فَـضْلٌ كـل جاهِـلٍ ولـيسَ لـه يومـا عـلي عَـالمٍ فَـضلُ
فلـولاهُ في كليـةِ (الـضادِ) لم تَـسُدْ جوانِبَهـا الفـوضى ولا نَهـضَ الجَهـلُ
ولولاهُ أضْـحي العلمُ كـالوحشِ مُطْبِقا عـلي الجهـلِ واغتالتْهُ أنيابُـه العُـصْلُ
له في اعْتناقِ الجَهْلِ دينٌ ومَذْهَبٌ تفـرَّدَ فيــهِ فهْــوَ لــيسَ لــه مِثــلُ
فــإنَّ طريــقَ العلــمِ وعــرٌ ســلوكُهُ ولكـنْ طريـقُ الجهـلِ مَسْلكُه سَـهلُ
وحريــةُ الفــوضَى انعتــاقٌ وراحَــةٌ وكــلُّ نِظــامٍ في الحيــاةِ هــو الغُــلُّ
ومـا ومَـضاتُ العقـلِ إلا خديعـةً بها العبقريونَ الـصعاليكُ قـدْ ضَـلُّوا
فأســـلمُ شيءٍ في الحيـــاةِ جَهَالَـــةٌ وأخْطَرُ شيءٍ في الوجـودِ هـوَ العقـلُ
يفـوزُ الفتـى العـدَّاءُ في كـلِّ موكـبٍ ويبلــغُ أســمى مــا يــرومُ ويحتَــلُّ
إذا شـامَ غُـنْما راح يعـدو كثعلـبٍ ويـركضُ أحيانـا كـما يـركُضُ البَغـلُ

الضليل [1]

هجاؤك يا ضلِّيلُ فرضٌ مـن الفرضِ وذَمُّكَ عند الله مـن أحسنِ القَرضِ
نــسينا بِــكَ الــشيطانَ لمــا نــسخْتَه وبؤتَ بلعنٍ في الـسمواتِ والأرضِ
وقد كانَ في الأذهانِ غير مُشَخَّصٍ فشخَّصْتَهُ للعينِ بـالطولِ والعَرضِ
تماديـتَ في التـضليلِ ركـضا كـأنَّما أمِنْـتَ عـلي الأيـامِ عاقبـةَ الـركضِ

---

(١) في وحي الربيع كان اسمها (الشيطان).

وأرسلتَ كالمِخلاةِ لحيةَ زائفٍ لتستَرَ ماتُخفي من الحقدِ والبُغْضِ

أعرها حمارا جامِح الطبعِ نافرًا فقد تمنعُ المخلاةُ فاهُ من العضِّ

بين حارة عبد الباقي ومصر الجديدة

أنسيتَ عهدَ زقاقِ عبدِ الباقي وزمانَ عيشٍ مَرَّ في إمْلاقِ ؟

يا ناسيا عهدَ الزُّقاقِ أهكذا تُنْسيكَ (فِيلا) العزِّ عَهْدَ زُقاقِ ؟

مِصرُ الجديدةُ جددتْكَ فلمْ تَعُدْ تُعنَى بحفظِ العهدِ والميثاقِ

يا فاغرا فمَهَ أتلكَ بلاهةٌ أم ذاكَ عيٌّ أم شهيقُ فُواقِ

قالوا (.....) فقلتْ هلْ ذلُّوا فأمْرُهُمُو إلي أفَّاقِ

لقَبٌ لعمري صارَ رمزَ تندُّرٍ ومثارَ سخريةٍ بكلِّ رُواقِ

غارٌ من الخزفِ الْمُقَيَّرِ زائفٌ قد شأنَ رأسَ (الأزهرِ) العملاقِ

أزري بهيبتهِ وشوَّهَ مجْدَه وهوَى به مِنْ ذِلَّةٍ ونِفاقِ

ويُقالُ مجدٌ نالَه بجدَارَةٍ وأقولُ جَلَّ مُقَسِّمُ الأرزاقِ

موسوس

مُضَلَّلُ التفكيرِ في عقلِهِ وعبقريُّ الشكِّ في قَلْبِهِ

واللحيةُ الشوْهَاءُ في قُبْحِهَا نَمَتْ علي الآثامِ في شَيبِهِ

موسوسٌ يشكُّ في نفسِهِ ويستبيحُ الشكَّ في ربِّهِ

من شاءَ تكفيرًا ففي لعنِهِ كفارةٌ للمرءِ من ذنبِهِ

لو يُنْزِلُ الرحمنُ منْ آيةٍ لخصَّهُ باللَّعْنِ في كُتْبِهِ

يُثابُ كفُّ المرءِ في صَفعِه وتُؤجرُ الألسنُ في سبِّهِ

الخفافيش

شابَ الزمانُ وما شابتْ نواصينا ... ولم يَعُـدْ فيـه مـنْ خـيرٍ يعزِّينـا
وآذنتنـــا مآســـيهِ بـــآخِرِهِ ... إذا هَـذَا الكَهْـلُ فـانظُمْ فيـهِ تأبينـا
فامضي كما شئتِ يا دنيايَ هازلةً ... واحكُمْ بما شئتَ يا مُجري القَضا فِينا
ويا ظلامُ أغِرْ فالشمسُ كالحَةٌ ... ويـا ضيـاءُ احتجِـبْ فـالنورُ يُعْشِينا
ويـا خفـافيشُ قـد ولّي نهـارُكُمُو ... ويـا ذئـابُ ارتعِـي قـد غـابَ راعِينـا
مِنْ كل مَنْ بَسَقَتْ في الزُّورِ لِحيتُه ... وراحَ يحـسبُها سـمْتَ التقيينـا
وتحـتَ كـلِّ طويـلٍ مـن ذوائبهـا ... شـيطانٌ كفريـسبُّ اللهَ والـدِّينا
وهـائمٍ في ظـلامِ الـشكِّ مُختَبِطٍ ... يعـيشُ في عـالمِ الأوهـامِ مَفتونـا
الكونُ في فِكْرِهِ المعكوسِ مُنعكسٌ ... فـلا يَـري فيـهِ شَـيئا قـطُّ مَوْزُونَـا
قد صِيغَ من ظُلُماتِ الشكِّ عُنْصُرُهُ ... فلـيسَ عنْـصُرُهُ مـاءً ولا طِينـا
مُعقَّـدٌ ضَـيِّقُ الآفـاقِ سِـحْنَتُه ... كلعنـةِ اللهِ تـشويها وتهجِينـا
في عقلـهِ يعقـدُ الـشيطانُ مجلـسَهُ ... ويبعـثُ الجنـدَ في الـدنيا ملايينـا

دعيٌّ

سبيلُ دعـيِّ المجـدِ غـيرُ موصِّـلِ ... وكـلُّ خفـيٍّ مـن طوايـاهُ يـنجلي
ومـن يتكلـفْ غـيرَ مـافي طِبَاعِـه ... تَكـشَّفَ مـن مكنونِـهِ كـلُّ مَـدخَلِ
ومـن يجعـلِ التهـريجَ سلمَ مجـدِهِ ... يكـنْ قـبرُهُ مرقـاهُ مـن حيـثُ يعتَلِي
طمَحـتَ إلى مـا يـستحيلُ كـأنما ... تطلبـتَ وقْـدَ النـارِ في مـاءِ جَـدولِ
قفـاكَ لبـوابي العمائـرِ مـصفَعٌ ... ووجهُـكَ للحُجَّـابِ أقـذرُ مَتْفَـلِ

أما تَستحي من سِحْنةٍ إن تَطَلَّعَتْ ... إلى الشمسِ أدجَتْ أو إلى البدرِ يأفُلِ

لو أبْصرَها المولودُ ساعةَ مولدٍ ... لفرَّ من الدنيا لبطنٍ ومِهَبَلِ

ثالثةُ الأثافي

وقَالوا: المجلسُ الأعْلى حباهُ ... بثالثةٍ من الحظِّ المُوافي

فقلتُ جَفتْه رابعةٌ وملَّتْ ... جِوارَ الشكِّ من طولِ اعتسافِ

وقد يُكْدِي من الدنيا طَمُوحٌ ... ويَسْعَدُ قاصِرُ الآمالِ غافِ

دَهَا الدرجاتِ مِنه أجلَّ رُزْءٍ ... فعزُّوها وجُرحٍ غيرُ خافِ

تنقَّلَ بينها كالسلِّ يُعْدِي ... وكالحمَّى تغلغَلُ في الشِّغَافِ

إذا لفَظَتْهُ مَرْتَبَةٌ لأخرَى ... فقدْ لفظَتْ أذَى السُّمِّ الزُّعَافِ

ليَهْنَ اليومَ إبليسٌ فما إنْ ... سِواه اليومَ جمُّ البشرِ ضافي

تنقَّلَ جُنْدُه وفْدًا فوفْدًا ... وقَدْ شقُّوا المسامعَ بالهِتافِ

يبشِّرُ بعضُهُم بَعضا وينعي ... بِعُرْسِ الإثمِ آمالَ العفافِ

***

رويدكَ يا موسوسُ علَّ هذي ... تكونُ عليكَ خاتمةَ المطافِ

وما هي فيك ثالثةُ المعالي ... ولكن تلكَ ثالثةُ الأثَافي

لا شيءَ

سموتُ بِشعْرِي عَنْهُ والشِّعْرُ عازِفُ ... وما أنا ذو عيٍّ ولا أنا خائِفُ

ولكنني أبْصَرْتُهُ فوجَدتُه ... هَباءًا، وهل تُشجي الهباءَ المعازِفُ؟

ولو كانَ شيئا قلتُ فيه كغيرِهِ ... ولكنَّه في الآدميِّين زائفُ

إذا قُلْتُه مدحًا فما هو فاهِم ... وإن قُلتُه ذمًّا فما هُو عَارفُ

وهبتُ إذنْ لله والصمتِ عرضَهُ ... وقد يَصرِفُ الإنسانَ للصمتِ صارِفُ

وآمنتُ بالأرزاقِ تجري بلا حِجَي ... فيُرزَقُ مَعْلُوفٌ ويُحرَمُ عالِفُ

اللِّحى الزائفةُ

بعضُ الملتحيين لم يتخذوا اللحيةَ شعارًا للتقوى أو اتباعًا للسنة ، وإنما أطلقوها وسيلة لغرضٍ أو شركاً للخداع والتمويه.

لحـى الله اللِّحـى والملتحينـا ... مـن المتكلفـين الزَّائفينَـا

وصـبَّ الله نقمتَـه علـيهم ... وصـيَّرهُمْ قُـروداً خاسـئينا

ثَعالـبُ كـلُّ مَـنْ تَلقـاه مِـنهمُ ... تطـالعُ فيـه شَـيْطاناً لَعِينـا

ولم أرَ كـاللِّحى شَرَكَ احْتيـالٍ ... لمـنْ رامَ اصْـطِيادَ الجَاهِلينـا

مَكَـانِسُ لَـو تُـصدِّرُ مِـصرُ مِنهـا ... لأغْنتْهـا وسَـدَّدَتْ الـدِّيُونَا

ذوائبهـا إذا طالـت أفـاعٍ ... تَفـحُّ وتنفـث الـسمَّ الـدَّفينا

فَمَـنْ يَـرَ في اللِّحـي سَـمْتًا لِتَقْـوَي ... يَـرَي كُـوْهِيْنَ أتْقَـي الْمُتَّقِيْنَـا

فكـمْ مـن ملـتحٍ خـدَّاعِ سـمتٍ ... يريـكَ الـذِّئبَ شـيخَ الناسِـكينا

وكـم مـن لحيـةٍ طالـتْ إذا مـا ... رآهـا النـاسُ قـالوا: منـشدينا:

ألا ليـتَ اللِّحـي كانـت حشيـشًا ... فترعاهـا حمـيرُ المـسلمينا

القاضي المخمورُ

إبْـرهيمُ بـن (......) بـن (.......) ... سـاقطُ الأصـلِ جيفـةٌ وابـنُ جيفـهْ

داعــرٌ شــب في مــراحيضِ ربــعٍ　　　مــن ربــوعِ الخرائــبِ الموقوفــهْ

خَادِمًـــا في بُيـــوتِ إسْـــنَا ، فَبَوْابًـــا، فَقَـــوَّادَ عَـــاهِرٍ مَعْرُوْفَـــهْ

مَــنْ رَمَـاهُ في سَـاحَةِ العَـدلِ حَتَّـي　　　لَطَّـخَ الـسَّاحَ والرِّحَـابَ النَّظِيفَـهْ

مُسْتَـــشَارٌ يَـــا لَلْخَنَـــا والمَخَـــازِي　　　وهَـــوانِ المُقَدَّسَـــاتِ الـــشَّرِيْفَهْ

ينفـــقُ الليـــلَ فِي المَـــواخِيرِ مَخْمُـــوراً ويَغْـــدو مُعْرْبَـــدًا في الوَظِيْفَـــهْ

كيـف يقـضي مـن لا يفيـق ومـن　　　كـان(....) في الـشرابِ حليفَـهْ

نــحِّ هــذَا المِرْحَــاضَ يــا مجلــسَ الــشَّعْبِ فالــشَّعبُ سَــدَّ أُنُوفَــهْ

حَمُّور

قـالو فـلانٌ وضـيعٌ جاهـلٌ جـشعٌ　　　يظـلُّ يلهـثُ خلفَ المالِ مسعوراْ

كـم راح ينهـبُ مـا لا حـقَّ فيـه لـه　　　ظُلـما ويمسي قريرَ العينِ مسروراْ

تحـيَّرَ النـاسُ أي اسـمٍ يلائمُــه؟　　　وأرهقـوا العقـلَ إمعانًـا وتفكـيراْ

فـالبعض سـماه كَلبـا مـن تكالبُـه　　　والـبعض مـن رجْسِه سماهُ خنزيـراْ

لكـنما الكلـبُ والخنزيـرُ قـد برئـا　　　منـه فقلـت لهـم سـموه حمُّـوراْ

خط الصعيد

قُـــلْ للمباحِـــثِ أبْـــشِري　　　وافـــاك أصـــدقُ مخـــبرِ

عنـــــدي لـــــك النبـــــأ اليقيـــــن فبادريـــــه واحـــضِري

خُـــــطُّ الـــــصعيدِ أوي إلي كُليـــــةٍ في الأزْهـــــرِ

متنكـــــراً في زيٍّ أهـــــلِ العلـــــم باســـمِ الفَنْجَـــــريّ

مُتـــــزعِّما لعـــــصابةٍ جَعلـــــوهُ شـــيخَ (المِنْـــسرِ)

خَـــــدَعَ الـــــشُّيوخَ فَـــــصَدَّقُوهُ وَهْـــــوَ أَخْطَـــــرُ مُفْـــــتَرِي

وغَـــــدا مـــــديرَ إدارةٍ فيهـــــا يبيـــــعُ ويـــــشتري

فاعْجَـــــبْ لأمـــــيٍّ جَهـــــولٍ فاتِـــــكٍ متنهِّـــــرِ

يـــــسطو وينهـــــبُ غـــــير هيَّـــــابٍ ولا متـــــسترِ

ياشرطـــــةَ الأمـــــنِ الحقيـــــنا واضـــــبطيهِ، تُـــــشكَري

صبح سدوم
علي صبح

صُبحٌ كصُبحِ (سدُومٍ) شؤْمُ ميقاتِ ... نـذيرُ شـتى الرزَايـا والبَليَّـاتِ

مأسـاةُ كُليـةِ الفُـصْحَى وسُـبَّتُها ... وعارُهـا بـين مَبعـوثِي الإعَـاراتِ

مـن يـا تُـري للسعوديينَ رشَّـحَه ؟ ... لقـدْ أسـاءَ إلى أهـلِ المـرُوءَاتِ

أحطُّ منْ وصلوا بالجهلِ واقتنصوا ... عُـصْمَ (الأرانـبِ) أو شادُوا العِمارَاتِ

حُلْـمُ العِـمادَةِ أغْـراهُ فـصدَّقَهُ ... حتـى أفـاقَ عـلي ضربِ الهِـراواتِ

كأنَّـهُ لعنـةٌ قـد صـبَّها غَـضَبا ... عـلي الكنـانيِّ جبـارُ الـسماواتِ

فَوجهُـهُ وجـهُ ثكْـلي مـاتَ واحـدُها ... شـمطاءَ تلطـمُ في إحـدَى الجنازَاتِ

تـنمُّ عـن جَهْلـه أو عـنْ غبَاوَتِـه ... شـتي مخايِلـهِ الخُـرْسِ الفَـصِيحاتِ

ومِـنْ كآبتِـهِ البَلهـاءِ سِـحْنَتُهُ ... كبُومَـةٍ فَـوقَ أطْـلالِ الخَرَابـاتِ

لا كنـت يـا زمنـا حـازَ الثـراءَ بـه ... أهـلُ الغبـاءِ وأربـابُ الجهـالاتِ

بـالله كيـفَ غَـدا للعِلْـمِ مُنْتَـسِبا ... مـن لـيس يَرقـي إلي فَهْـمِ البدِيْهاتِ؟!

وكيـف يـا أزْهـرَ الأعـلامِ تمنحُ مَـنْ ... يَعيـا بِخـطِّ اسْـمِهِ أعْـلي الشَّهَادَاتِ؟

وهَلْ (عَليٌّ) بْنُ (صُبْحٍ) غَيْرُ سَائِمَةٍ ... تَرْعَـي وتَرْتَـعُ في حَقْـلٍ مِـنَ القَـاتِ ؟

أحالَـه الجَـشَعُ المَـسعُورُ مُفْتَرِسًـا بَـادِي النواجِـذِ مَشبوبَ الـضَّرَاوَاتِ

أدْهَـي وأخْبَـثُ خَـدَّاعٍ بِمَظْهَـرِهِ عَـن مخْـبرٍ مُـضْمِرٍ شَرَّ الإسَـاءَاتِ

كـل الفـضائلِ ليستْ حين يقرنُها بالمـالِ غـيرَ المخـازي والخرافـاتِ

قَالوا:رَئيسٌ لِقِسْمِ النَّقْدِ قُلْتُ لهم: نَقْـدُ القَـصَائدِ أم نَقْـدُ الجُنيهـاتِ ؟!

و كيـف يـنهضُ عِـيٌّ بالبيـانِ ولا يكـادُ ينطـقُ إلا بالإشـاراتِ؟!

إذا خَـلا الغَـابُ مِـن آسَـادِهِ رَتَعَـتْ فِيـهِ الثَّعالـبُ قَنْـصًا للفَرِيـسَاتِ

أجـدِرْ بِـهِ سَـاعِيا نِـيطَ البرِيـدُ بـه أو حاجِبًـا بـين حُجَّـابِ الـوَزَارَاتِ

أو جَامِعًـا للقِمَامَـاتِ التـي حَجَبَـتْ وَجْـهَ الـشَّوارِعِ أو أرْضَ الأَزِقَّـاتِ

أوْ بائعًـا دَأْبُـهُ حَمْـلُ (المِـشَنَّةِ) مِـنْ حَـيِّ الإمَـامِ - إلي شُـبْرَا المَظَـلَّاتِ

مـا شـأنُه بـيراعٍ راحَ يحملُـه ؟ أولي بـه حمـلُ أعـوادِ المقـشَّاتِ

لكنَّـه عـصرُنا الأعمـى ومنطِقُـه ومـا احتيالُـكَ في عـصر الحماقـات ؟

عبدالعزيز الزَّبْنْ

مــن أيِّ داهيــةٍ أقبلــتَ يــا زَبِــنُ ... لقــد رمتنــا بــك الأرزاءُ والمِحَــنُ

ما ذنبُ مصرَ وقد دنَّست ساحتَها ... لما أطلَّ عليها روحُك النَّتِنُ ؟

حللتَهـا بومـةً بالـشؤمِ ناعبـةً ... يا ليتها ما أراها وجهَك الزمنُ

فمـن أبـاحَ لهـا سـكني خمائلهـا ... ومسكنُ البومةِ الأطلالُ والدِّمنُ ؟

إن الـسعوديةَ الغـراءَ قـد طَهـرتْ ... لما نفتْـكَ فـلا رجـسٌ ولا دَرنُ

ولتـك مكتـبَ توظيـفٍ أحـقُّ بـه ... مهـذبُ مـستنيرُ العقـلِ مُتَّـزِنُ

فلَـيسَ مِثْلُـكَ في جَهْـلٍ وغَطْرَسَـةٍ ... يَومًا عَلي مَكْتَبِ التَّوْظِيفِ يُؤْتَمَنُ

جهلتَ قدرَك حتَّى ما حفلتَ بمنْ ... لـه عـلى مثلـكَ الآلاءُ والمِـننُ

تلقـاهُ جهـما بـلا ذوقٍ ولا أدبٍ ... كأنَّـه جـاء يـستجدي فيُمْـتَهنُ

وأنـتَ أحقـرُ مِـن نعليـهِ منزلـةً ... والنَّعلُ مهما يكـن شيءٌ لـه ثَمـنُ

وأنـت مثـلُ صعاليكٍ تهشُّ لهـم ... والنـذلُ كـلُّ قبيحٍ عنـده حَسنُ

وكيفَ تعرف أقدارَ الرجالِ وقدْ ... أعماكَ عن كل فضلٍ عقلُك العَفِنُ ؟

غبـاؤك الأحمـقُ المعتـوهُ مُـشتهرٌ ... حتـى لقـد صـار بالأمثالِ يَقتـرِنُ

حملـتَ أعـلى وسـامٍ للحمـيرِ وكـمْ   صَـبا إلى مثلـهِ أمثالُـك الأُتُـنُ

فـانهقْ كـما شئتَ يـا عبدالعزيز فلـمْ   ينلـه إلا الأتـانُ النـاهقُ الأَرِنُ

إن (الـدَّرِيسَ) الـذي استطعمتَه علفًـا   مثل الشعيرِ بـه يرجي لـك السِّمنُ

عـلام تـرفضُ ترشيحي وتحرمنـي   مـن التعاقـدِ علـما أنني قَمِـنُ؟

لـو صـورت خسةُ الـدنيا مجسمةً   في الناسِ لم يك إلا أنت يا (زبنُ)

نبوت الغلام

سَـمْيتَ نفسكَ يـا مغـرورُ نبُّوتَـا
فَـلا تَلُـومَنَّ مَـنْ يـدعوكَ "هلفوتـا"

أأنتَ حقًّا تقيُّ الدِّينِ ؟كيفَ وقدْ
عبـدْتَ مـن دونِ ربِّ النـاسِ طَاغُوتَـا؟!

أصْبحْتَ ظلَّ غُلامٍ صِرتَ في يدهِ
"نبوتَ"بَطشٍ وفي رجليهِ "شَلُّوتا"

لـوْ قـالَ كفـرًا صريحًا قلتَـهُ تَبعًـا
بـل زِدَت في القـولِ تأكيـدًا وتثْبيتـا

لقـدْ خلفـتَ ابـنَ عـثمانٍ عليـهِ إلي
أنْ صِرتُما في الهوي روميو وجولييتا

أيـن التُّقـي والـضميرُ الحرُّ واأسفَا
أكـانَ ذلـكَ بـالكرسيِّ موْقُوتـا ؟!

وأيـنَ صـدقُ وفـاءٍ بعتَـهُ ثَمَنًـا
لمنـصبٍ لا يـساوي اليـومَ سَـحْتوتَا

فكيفَ لـو حُزتَ أعـلي منه مرتبةً؟
إذنْ لأمعنـتَ تقتـيلًا وتَـشْتيتا

بـالأمسِ كنـتَ وديـعَ الطبـعِ هادئَـهُ
فكيـفَ في لمحـةٍ أصـبحتَ عِفْرِيتـا؟!

وكيفَ أصبحْتَ مَفْلُوتَ العِيارِ ولمْ
يَكُـنْ عِيـارُكَ قَبـلَ اليـومِ مَفْلُوتَـا ؟

"وكالـةُ الـبلحِ" اسـتهوتْك بابِلُهـا
حتَّـى أصـابَك مِنْهـا سِـحْرُ هَارُوتَـا

سِـحرٌ إذا مـسَّ كتكوتـا غَـدَا أَسَـدًا
وإنْ أصـابَ هِزبْـرًا صـار كَتْكُوتـا

ياقاتـلَ اللهُ مَـنْ أعْـماهُ مَنْـصِبُه
حتـى رأي الخيـرَ دونَ الـشرِّ ممقوتَـا

نَكِّلْ كما شئتَ بالمستَضْعفينَ ولا ... تحفلْ بمستصْرِخٍ أو تخشَ مَكْبُوتا

وخلِّ كُليةَ الفُصْحى مُنافِسةً ... في الكيدِ والفتكِ والتدميرِ «بيروْتا»[1]

الله أكبرُ ممنْ تَستَعِزُّ به ... إنْ كنتَ سَيفا له أو كنتَ "نبُّوتَا"

أقبح مسْخ [2]

قل لليهودِ خذوا من أمسكُم عظةً ... فإن في أمسكم للحق برهانا

آباؤكم شوَّه الرحمنُ خِلقتهم ... بالمسخِ لَمَّا اعتدَوا في السبتِ عِصيانا

وقال:كونوا قروداً خاسئين ولمْ ... يجعلْ لهم في رحاب الأرض أوطانا

وقد أعدَّ لكم أدهي وأقبحَ من ... مَسْخِ القُرودِ فهل أدْرَكْتمُ الآنا

هَذِي فَلسطينُ مَنْ يُنشئْ بها وطناً ... مِنْكم سَيمسَخُه الرَّحمنُ (عِجْلانَا)

ملاحاة أدبية

من علَّم المَنطقَ الغُرابَا ... فَراحَ يَلغو به نُعابَا

ومن تُرى علَّم القوافِي ... مُصِّيرا شَدوها انْتحابَا

يظلُّ كالببَّغاء يهذي ... بِها فلا يحسنُ الخِطابَا

---

(١) يُشير إلى الحرب الأهلية في لبنان في الثمانينيات.

(٢) من ديوان " وحي الربيع".

مُــــستجديا شــــاردَ القـــوافِي وطارِقـــا للخيـــالِ بَابَــــا

ويبـــصقُ القـــولَ في حـــروف تَـــسيلُ في طِرســـه لُعابَـــا

قفـــاه للـــــصافعينَ نَهْـــبُ لا يَرتَجِـــي مِنهمـــو حِـــسابا

كَـــذاكَ مـــن يـــدَّعِي المَعـــالِي ولم يُهـــيِّءْ لهـــا انْتِـــسابَا

***

مَـــنْ راحَ يُغريـــكَ بانْتِقـــادِي أَوْرَدَكَ الهُلْـــكِ والعَـــذَابَا

ســـقيتُك العـــذبَ مـــن ودادي واليـــومَ فـــاشربْ قلايـــا صَـــابا

قَـــدْ ضَـــجَّ عَنْـــكَ المَقَـــالُ حَتَّـــى أَثَـــارَ في حَلْقِـــكَ الْتِهَابَـــا

وفـــرَّ مـــن ماضـــغيكَ كـــيما يثـــيرُ في وجهـــكَ الترابـــا

يـــا نـــاعِمَ القـــولِ عـــدِّ عـــن ذا وهـــيِّء الـــصِبغَ والخِـــضَابَا

إليـــكَ عـــن دولـــةِ المَعـــاني وحَـــالِفْ الجَـــبْرَ والحِـــسَابَا

صَـــيَّرت رَوْضَ القَـــرِيْضِ قَفْـــرًا مُـــصوَّحًا زهـــرُه يبابـــا

قـــد صـــاحَ فيـــه غـــرابُ بَـــيْنٍ وكنـــتَ يـــا صـــاحبي الغُرابـــا

***

الشعر الملكي



في مواكب الشُّعْلَةِ

مهرجان النيل (*)

في عيد ميلاد الفاروق عام ١٩٤٥
وقد فازت هذه القصيدة بالميدالية الذهبية

مِنَ الأفُقِ الخُلْديِّ نَغَّمَ طَائِرُهْ ... وفاضتْ على سمعِ الزمانِ بشائِرُهْ
يُرقْرِقُ في الفجرِ النديِّ لُحُونَه ... فتهتزُّ في شطِّيهِ نشوي أزاهِرُهْ
تراقَصَتِ الأدْوِاحُ فوقَ ضِفافِهِ ... عرائِسَ وادٍ جُنَّ بالحُسْنِ سَامِرُهُ
على لهواتِ الطيرِ من صَبَواتِها ... طرائفُ شدوٍ أبدعتْها حناجِرُهْ
تساءلتِ الدنيا عن النيلِ مالَهُ ... ترنَّحَ عِطْفاهُ وصفَّقَ زاخرُهْ ؟
وما هذه الأفراحُ في جنباتِهِ ... وما ذلكَ الصدَّاحُ رنَّتْ مزاهرُهْ ؟
وما بهجةُ الوادي تسيلُ مواكِبا ... بأمثالِها لم يحظَ قبلُ قياصرُهْ ؟
وما ذلك الصبحُ الذي طالعَ الدُّنا ... بما لم تُتِحْهُ في الزمانِ بواكِرُهْ ؟
وما الشرقُ يهفو نحو مصرَ مشاعِلا ... توهَّجَ من لُبنانَ فيها مشاعِرُهْ ؟
هي الفرحةُ الكبرى يبشِّرُ فجرُها ... بيومٍ على الأيامِ تُرْوي مآثِرُهْ
بَشيرٌ إلي الشرقِ العتيدِ بعاهلٍ ... على تاجِهِ الميمونِ تحيا مفاخِرُهْ
بَشيرٌ بفاروقٍ محياهُ كلَّما ... تبدَّي بليلِ الشرقِ وَلَّتْ دياجِرُهْ

* * *

أمولايَ هذا عيدُ ميلادِكَ الذي ... تغنَّي به الوادِي فأشجَتْ قياثِرُهْ

(*) هذا الباب كله كما هو في ديوان وحي الربيع دون تغيير.

هـو الأرجُ العطـريُّ في كـلِّ زهـرةٍ ... يـضوعُ بها ساجِي النَّسِيمِ وعاطِرُهْ
تفـرَّدَ في الأيـامِ حتـى كـأنَّما ... على أسَلاتِ الدهرِ ماتتْ نظائرُهْ
تـأنَّقَ فيه الشعبُ رُوحا وخَاطِرا ... فـما هـو إلا حُبُّـهُ وخـواطرُهْ
لقـد أسـعدَتْهُ منـكَ غُـرٌّ مـآثرٍ ... تغنَّـتْ بهـا أريافُـهُ وحـواضِرُهْ
فلا بِدعَ أن يزجِي لك اليومَ (شُعلَةً) ... تَمثَّلَ فيهـا صـادقُ الحـبِّ طـاهرُهْ
وقـد علِقَـتْ أبـصارُه بـك ترتَـدِي ... مـن الشوقِ حتـى ما تملُّ نـواظِرُهْ
تأمَّـلْ فهـذي روحُـهُ في مَـشاعِلٍ ... توقَّـدَ فيهـا بالأمـانيِّ خـاطِرُهْ
مـشاعلُ أذكاهـا شـبابُك ناهِـضا ... ومن عزمِكَ الوقَّادِ شعَّتْ منائِرُهْ
فمَـنْ شـاقَهُ أن يشهدَ الحُـبَّ مـاثِلا ... فهـذي معانيـهِ وتلـك مظـاهِرُهْ
ومـن سرَّهُ رُوحُ الـشبابِ فهـذهِ ... مـشاعلُ رُوحٍ لـيسَ تخبُـو ثـوائِرُهْ
ومـن شـاقَه عـزُّ الجهـادِ ومجـدُهُ ... فهـذي بوادِيـهِ وتلـكَ بـواكِرُهْ
إذا شِـيْدَ ملـكٌ بـالقلوبِ عَنَـا لـه ... عـصيُّ أمانيـهِ وذلَّـتْ مخـاطِرُهْ

***

هو الغربُ بعدَ الحربِ قد بأنَ غدرُهُ ... وأفـصحَ عـما أضـمرتْهُ سرائِـرُهْ
تغلغـلَ فيـه الغـدرُ بغيـا وشِرَّةً ... فـضلَّتْ عـن الحقِّ القـويمِ بـصائِرُهْ
تَنكَّـرَ للحـقِ القـويُّ وغـرَّهُ ... مـن النـصرِ فـوزٌ طالعتْـهُ بـوادِرُهْ
كـأنْ لم يكـنْ عهـدٌ أجَدَّتْـهُ محِنـةٌ ... فـما هـو وافيـهِ ولا هـوَ ذاكِـرُهْ
تـصامَمَ عـن صوتِ المُطالـبِ سمْعُهُ ... ونـام عـلي حـق المُحالفِ نـاظِرُهْ

ومـا ينفـعُ المغلـوبَ منطـقُ حقِّـهِ ... ومنطـقُ سـفاكِ الحقـوقِ بـواتِرُهْ

إذا الـذئبُ لم يـسمعْ لغـيرِ ضراعـةٍ ... مـن الحمَـلِ الـواني فـما هـو عـاذِرُهْ

مبـادئُ مـنْ شرعِ الـسباعِ شَـدا بهـا ... مُزَّيـفُ قـولٍ خـائسِ العهـدِ غـادِرُهْ

ومـا كحِمَـي الأخـلاقِ حـصنٌ لأمـةٍ ... إذا نُكِبـتْ فيـه فـماذا تحـاذِرُهْ

وقـد يـنهضُ الـشعبُ الجريحُ بروحِـهِ ... ولـيس يقـومُ الـشعبُ ماتـتْ ضـمائِرُهْ

هـو الحـقُّ لا يُعطَـى لذلَّـةِ طالـبٍ ... ولكـنْ إذا ضـجَّتْ زئـيرًا كـواسِرُهْ

***

هـو الـشرقُ قـدْ القـي إليـكَ قيـادَهُ ... وأضـحتْ علي يُمناك تُرجي مصائِرُهْ

رأي فيـكَ وثَّـابَ العـزائمِ طامحـا ... وسـبَّاقَ آمـالٍ إلي مـا يخـامِرُهْ

جمعـتَ بـه شـملَ العروبـةِ فالتقـتْ ... أمانيـهِ بعـدَ الـشتِّ والْتـامَ نـاغِرُهْ

مُنـيً كفَـراشِ الزهـرِ حولَـكَ حُـوَّمٌ ... وروضٌ تـضم الطـيرَ فيـهِ أزاهِـرُهْ

هـي الوحـدةُ الكُـبرى بنـاؤك شـامخا ... يعـزُّ بـه رُكنـا وتقـوي أواصِرُهْ

هـي الغـابُ ممنـوع الجنـات عزيـزُهُ ... تُهـابُ بوازِيـه وتُخـشى قـساوِرُهْ

ومـا حطَّـم الأغْـلالَ مِثـلُ تـضامُنٍ ... يَـذلُّ لـهُ صُـلبُ الأسـيرِ وآسرُهْ

أفـاروقُ هـذا الأزهـرُ اليـومَ قـد شـدا ... بمولـدِك الأسْـنَي وحيـاكَ شـاعِرُهْ

نهـضتَ بـه للـدينِ والعلـمِ فاغتَـدى ... يتيـهُ عـلي المـاضي ويعتـزُّ حـاضِرُهْ

ومـنْ يجعـلْ الـدينَ القـويمَ سـلاحَهُ ... فلا الخطبُ غازيِه ولا الدهرُ قاهِرُهْ

هنا مِشعلُ النورِ استفاضَ على الحِمى ... سناهُ و جابَ المشرقينَ مسافِرُهْ

ومن ها هنا شَبَّ الجهادُ تحوطُه ... شريعةُ حقٍّ ما تزالُ تؤازِرُهْ

هنا العزماتُ الحمرُ يذكي لهيبَها ... فناءُ شبابٍ صارخُ الدم ثائِرُهْ

شبابٌ إذا رابَ الحِمى ظنٌّ غاشمٍ ... فإن الدماءَ الغالياتِ تكابرُهْ

فَدُمْ في أمانِ الله ترعاكَ عينُه ... وتحميكَ من عادِي الخطوبِ مقادِرُهْ

ولا زالَ للأيامِ عيدُك بهجةً ... ترفُّ على الوادي فتُذْكي مشاعِرُهْ

❊ ❊ ❊

مَواكِبُ الولاءِ

في عيدِ التاج

أشرقَتْ من جبينِكَ الأيامُ … وصَفَتْ يومَ عيدِكَ الأحلامُ

ما الربيعُ الضَّحُوكُ ما بسمةُ الزهرِ يُغاديهِ في الرياضِ الغَمَامُ

ما شروقُ الآمالِ ما بسمةُ الصُّبحِ إذا لاحَ وجهُكَ البسَّامُ ؟

موكبٌ إثرَ موكبٍ وجموعٌ … في جموعٍ وصبوةٌ وهيامُ

وقلوبٌ تغدو حَجِيجا إلى السَّاحِ وحشدٌ من المُنَي مستهَامُ

خطرتْ في الضُّحى مواكبُها الغرُّ تشقُّ الزحامَ وهي زِحامُ

والصباباتُ حائماتٌ كطيرٍ … نَسمَتْها من الرُّبى أنسامُ

إن (عَبْدينَ) كعبةٌ للأماني … ومطافٌ للآئذينَ حرامُ (١)

طُفْ بها خَاشعا وأطْرِقْ مَلِّيا … فلها حُرمةٌ وفيها ذِمامُ

وعلى عرشِها الرفيعِ المُفدَّي … ملكٌ دينُه الهدى والسلامُ

***

مَلِكَ النيلِ إنَّها مصرُ حُبا … إنَّما الحبُّ قوةٌ ودِعامُ

هتفَتْ يومَ عيدِ تاجِكَ يا فاروقُ فاهتزَّ بالهتافِ الشامُ

وعلى شاطئِ الفراتِ صداهُ … وبِوادِي الحجيجِ عرشٌ يُقامُ

جُنَّتْ الحربُ واستشاطَ لظاها … ودَجا ليلُها وطمَّ القَتَامُ

تصرخُ الأرضُ من دماءِ بنيها … وتضجُّ الوهادُ والآكامُ

(١) يقصد قصر عابدين.

والدُّخان الألَفُّ قد سمَّمَ الجوَّ فلا بهجةٌ ولا أنسامُ
وكأنَّ الطيورَ قد عافت الدوْحَ فلا نشوةٌ ولا أنغامُ
ربِّ لُطفا بكلِّ شَعْبٍ وديعٍ ما له شهوةٌ بها أو غرامُ
مَلِكَ النيلِ إنها مصرُ مَهْما لفَحَتْهَا الخطوبُ والآلامُ
سعدتْ في حماكَ فالخطبُ سهلٌ إن عراها وجُرحها ملتامُ
وإذا شملُها تبدَّدَ يوما بين أبنائِها فأنتَ الضِّمامُ
وإذا ما ازدَهى بها الشرقُ يوما فهي عِقدٌ له وأنت النظامُ
شعلةٌ من شبابِك الغضِّ أذكتْ رُوحَها فهْي جُذوة وضِرامُ

* * *

يا نصيرَ الدينِ الحنيفِ وما خابتْ مصارعُ لها به استعصامُ
ليس بدعا وأنتَ حامي حماهُ يومَ تُوِّجْتَ تُوِّجَ الإسلامُ
لا يضامُ (المعمورُ) ما دمت ترعاهُ ومَنْ كنتَ حِصْنَهُ لا يُضامُ
حسدتْ مجدَه الليالي فأمْسى يُفزعُ المجدَ كيدهُنَّ الجِسامُ
ومشتْ فيه للسياساتِ أفْعىً دارَ مِنْ سمعها على النشءِ جامُ
شيعٌ فاقتِ المذاهبَ حَصْرا ورِغابٌ ضلَّتْ بها الأفْهامُ
إن للعلمِ والشيوخِ قداساتِ حرامٌ أن تستباحَ حرامُ

* * *

نفثَاتٌ في فرحةِ العيدِ يا فاروقُ تهفو وذو الشجونِ الكلامُ
فرحٌ في مشارقِ الأرضِ مسرَاهُ ومن مصرَ بدؤهُ والختامُ

لحنُ السلام
في عيــدِ الفَارُوقِ

من نـورِ طَلْعَتكَ استفاضَ بهاؤُه ... وتهلَّلَــتْ بــك أرضُــهُ وســماؤُهُ

ومشي الزمـانُ إليه يُزجي موكِبا ... أربـى عـلي شرفِ الـسِّماكِ لـواؤُهُ

وأهلَّتْ البُشري على النيلِ الـذي ... صــدقَتْ أمانيـه وصــحَّ رجــاؤُهُ

لمـــا رأى الأفـــراحَ في جنباتِـــهِ ... صــدقَتْ هواتِفُــه وصــفَّقَ مــاؤُهُ

يا بـسمةَ الـوادِي وبلـسمَ جُرْحِـه ... والكــونُ قــد عــصفتْ بــهِ أرزاؤُهُ

غنَّيتُ باسمكَ والرياحُ عواصفٌ ... فَــسرَت تُبــشِّرُ بالــسَّلامِ رُخَــاؤُهُ

وأهَـلَّ مـن علياءِ عرشِـكَ سـاطعٌ ... غَمَــرَ الحِمــى فتقــشَّعَتْ ظلــماؤُهُ

ما زالَ رأْيُكَ والخُطوبُ حوالِكٌ ... كالــسيفِ فيــه زُواؤُهُ ومَــضاؤُهُ

فـاروقُ عيـدُكَ للكنانـةِ مَوسِـمٌ ... زَخَــرَتْ مَباهِجُــه وفــاضَ رُواؤُهُ

يـشدو بـهِ الـشعبُ الـوفيُّ محبَّـةً ... فيهــزُّ رُكــنَ المــشرقينِ غِنــاؤُهُ

نـشوانُ يهتـفُ بـالقلوبِ حنـاجرًا ... سَــكْرَي فتنــتِظمُ الــدُّني أصْــداؤُهُ

أصْـفَيْتَه الحـبَّ المقـدَّسَ فاغتـَدَتْ ... تــسري بِحبِّــك في القلــوبِ دمــاؤُهُ

وأسَـوْتَ مِـنْ بُرَحَـائه فـإذا شـكا ... ألمـــا فأنـــتَ دَوَاؤُهُ وشــــفاؤُهُ

مــن راحَ يبنــي بالمحبَّــة مُلْكــه ... رَسَــخَت جوانِبُــه وعــزَّ بنــاؤُهُ

لا زلــتَ راعيــهِ ولم يــبرحْ بــه ... داعٍ لمجـــدِك لا يُـــردُّ دُعَـــاؤُهُ

***

في المِهْرَجَانِ العَبْقَرِيِّ

الزِّفافُ المَلَكي

« نالتْ هذه القصيدةُ الميداليةَ الذهبيةَ في المِهْرَجَانِ الذي أقيم بدار الأوبرا الملكية بمناسبة الزفافِ الملكي عام ١٩٣٨ »

صُبْحٌ يضاحِكُ ثغرُهُ الأنوارَا ... ملأ المشارِقَ رَوعَةً وفَخَارَا

ضحكتْ به الآمالُ حتى إنَّها ... من فرْطِ فرحتِها غدتْ تَتَبارَي

وسرتْ به بُشري الزفافِ كأنَّها ... نَغَمٌ يهزُّ بلحنهِ الأوتارا

تستقبلُ الأطيارُ بسمةَ نَوْرها ... وُرْقا تُسابِقُ في النشيدِ هَزارا

سَكْرى على الأفنانِ تصطبحُ السَّنا ... فتهزُّ من وسناتِها الأزْهارا

والنيلُ نشوانُ الضفافِ مُصفِّقٌ ... غَرِدٌ يساجِلُ في المني الأطْيارا

لما رأى الأفراحَ في جنباتِه ... باهي البحارَ وفاخرَ الأنْهارا

فاروقُ هذا عيدُ مصرَ بأسرِها ... شَمِلَ المدائنَ واحتوى الأمْصَارا

اللهُ أكبرُ حين لاحتْ طلعةٌ ... لك في سماها تستبي الأقمارا

في موكبٍ حَرسَ الجَلالُ جمالَهُ ... من بين حرَّاسِ الملائِك سَارا

اليومَ تهتفُ مصرُ من أعماقِها ... فتهزُّ من هتفاتِها الأقطارا

ويسجلُّ التاريخُ أروعَ صفحةٍ ... للشرقِ لم يَسْعَدْ بها الأدْهارا

عيدُ الزفافِ يهزُّ أعطافَ القُرى ... شوقا إليه فَتُوفِدُ النُظَّارا

حتَّى الروابي أوفدتْ أعلامَها ... أوَ مَا تَرى الأزهار والأنوارا

والأرضُ سابقت السماءَ بموكبٍ ... نثرتْ عليهِ من القلوبِ نِثارا

فـالكونُ مـن ألـقِ المُنـى في صـحوةٍ ... تُـذْكِي الـشعورَ وتُلْهِـمُ الأشـعارا

فـاروقُ حُبـك في النفـوسِ سـجيةٌ ... رَسـختْ فكانـتْ للنفـوسِ شـعارا

أسَّـست مُلكـكَ بالمحبـةِ فاسـتوى ... بـين الممالـكِ صـولة وفخـارا

إن جَـنَّ ليـلُ الحادثـاتِ بـساحهِ ... حوَّلـتَ ليـلَ الحادثـاتِ نهـارا

والله ألهمَـك الـسدادَ بحكمـة ... تفْـرِي الخطـوبَ وتـدفعُ الأخطـارا

وكـساكَ مـن نـورِ الـصلاحِ بـشاشةً ... ومـن الجـلالِ العبقـريِّ وقـارا

فُـتَّ النجـومَ مَعاليـا ومَراميـا ... هـل تبتغي بعدَ النجومِ مـدارا؟!

ورفعـتَ ديـنَ اللهِ في أُفْـقِ العُـلا ... حتـى سَرَرْتَ نبيَّـهُ المختـارا

الـدينُ نـبراسُ الحـضارةِ فاحمـهِ ... مِمَّـنْ يُثـيرُ عَـلي سَـناهُ غُبـارَا

إن آزرتـه أمـةٌ سـعدتْ بـه ... أو جانبتْـهُ ولَّـتِ الأدبـارا

لله مـسبحةٌ تفـاخرُ أنهـا ... في الـذكرِ تلمسُ كفـك المِدْرارا

غـارتْ شـفاهُ الـشعبِ مـن حبَّاتِهـا ... فـشكَتْ مـن الـشوقِ المُلِـحِّ أُوارا

عـزَّتْ عـلي ريـشِ القـريضِ شمائلٌ ... صـيَّرْنَ أقـلامَ البيـانِ حَيـارى

حـسدتْ ورودُ الـروضِ عبْـقَ أريجِهـا ... لمـا تـنقَّصَ نَفحَهـا المِعطـارا

اللهُ تـمَّمَ فـضلَهُ بعقيلـةٍ ... كَرُمَـتْ وطابـتْ عُنْصرا ونُجـارا

عقـدتْ عليهـا مـصرُ كـل رَجائهـا ... وتيمَّنَـتْ بزفافِهـا استبـشارا

فاسـتقْبِلَا صـفوَ الـسعادةِ والمُنـي ... وتـسنَّما الإجْـلالَ والإكْبـارا

لا زالَ عرشُـك بـالقلوبِ موطَّـدا ... وبقيـتَ للـدينِ الحنيـفِ مَنـارا

ذكرى الملكِ فؤاد

تلفَّتَ خاطري وغفا جناني ... واطرقَ في مواكِبها بياني
يروعُ جلالهُا قلبي فتعنو ... لهيبتِهَا كَريماتُ المعاني
أروحُ أسائلُ الماضي فيعْيا ... وأينَ جوابُهُ مما أعَاني ؟
ومن يُطْري مسالمَةَ الليالي ... كمَنْ يُطْري الشجاعة في الجبانِ

***

لمحتُ بغمرةِ الذكرى شُعاعا ... من الفاروقِ ، لَّاحِ الأماني
يمرُّ نَدي سناهُ على جبيني ... فيغمُرُني بأطيافِ الحَنانِ
وأسمعُ هاتفا في الأفْقِ يَشدو ... فيملأُ صوتُه رحبَ العنانِ
رويدَكَ إنما الفاروقُ شبلٌ ... لهذا الليثِ ، ينهضُ في اسْتِنانِ
وهذا النورُ من ذاكَ المحيَّا ... وهذا الرُّمْحُ من تلكَ السِّنانِ
وهذا ملءُ أبصارٍ وسمعٍ ... وذلكَ ملءُ أفئدةٍ حوانِ
وهذا جنةُ الدنيا بمصرٍ ... وذلك في فراديسِ الجنانِ

وفتْ مصرٌ لعاهِلِها فؤادٍ ... فلبيتُ الوفاءَ وقد دعاني
إذا ذكرتْهُ رجَّعتِ البوادي ... ورجَّعَ عن صداها المشرقانِ
مضى في الخالدينَ من افتداها ... وبوَّأَ عرشَها أعلي مكانِ
ومن نفثَ الحياةَ بها طموحا ... وبثَّ بجيلِها رُوحَ التفاني
ومُرْسٍ للحضارةِ كلَّ أُسٍّ ... ورافعُ ركنِ نهضتِها وباني
وطيدَ المكرماتِ ، وكلُّ مجدٍ ... يزيِّفُه شبا الأقلامِ فانِ

وأفصحُ من بيانِ الناسِ لُسْنٌ فِصَاحٌ من مآثِرِهِ الحِسانِ
كفاهُ بمجْدِهِنَّ خلودُ ذِكرٍ تسابَقُ فيه ألسنةُ الزمانِ
إذا احتفلَ الحمى في كلِّ عامٍ وأفصحَ عن وفاءٍ وامتنانِ
فإنَّ الأزهرَ المعمورَ حقٌّ عليهِ ذِكرُه في كلِّ آنِ
أعزَّ حماهُ فاستعصتِ منالًا كرامتُهُ على ذلِّ الهوانِ
وأسبغَ من أيادِيه عليهِ مآثرَ قد رواها الخافقانِ
وجادَ عليه من كلتا يديْهِ بأغلى ما تفيضُ به اليدانِ
فصار مكانُه يُشجي الأعَادي ويحسُدُهُ عليه الفرقَدَانِ
تعهَّدَهُ بإصلاحٍ وسامي بكليَّاتِهِ شُمَّ المغَاني
وسنَّ شرائِعا للعلمِ غُرَّا تشنُّ الحربَ فيه على التَّوَاني
جوائزُ للأوائلِ فيه تُغْري وتَحْفِزُ للمعالي كلَّ وانِ
وتقديرٌ تَوَالي من نَداهُ يدُ الفاروقِ فيَّاضُ البنانِ
فهذي النهضةُ الكُبرى غِراسٌ جناها اليومَ بالفاروقِ دانِ

***

إمامَ المسلمينَ ومُصْطفاهم سلمتَ،سلمتَ من ريبِ الزمانِ
سَقامُك كان للآمالِ سُقما وكانَ ضنيَ يُحطِّمُ في كِياني
فديتُكَ أنتَ أولُ من حبَاني بتقديرٍ وأكرمُ من رَعَاني
إذا صادفْتُ من دَهْرِي جُحُودا كفاني منكَ تقديرٌ كَفَاني
عرفتُ الفخرَ مُذْ أطريتَ شِعري ودِنْتُ النجمَ مُذْ أعليتَ شَاني
إذا أنشدتُه يوما أصاخَتْ له الدنيا وأصغي الشِّعْرَيانِ

فرائِدُ من يتيمِ الدرِّ شاقَتْ ... كرائِمُهنَّ لبَّاتِ الغَواني

وما عرفَ البيانَ الحرَّ شادٍ ... إذا لم يُنْشِ منكَ شذا البيانِ

بقيْتَ لنا تبلغُنا المعالي ... وتدفعُنا لها منك اليدانِ

* * *

محمد علي الكبير

يا خالدَ الذكرِ يفني الدهرَ والحِقَبا — أعيَتْ مآثرُك الأشعارَ والخُطَبا

غنَّي بذكرِك شعبٌ أنتَ منقذُه — من غاشِم عاثَ أو من فاتِكٍ سَلَبا

ودولةٌ من قُيودِ الذلِّ قد نَهضَتْ — علي يديْكَ تُباري النجمَ والشُّهُبا

جمعتَ أشلاءَها من كلِّ ذي ظُفُرٍ — نَـذْلِ الحكومـةِ في أوصالها نَشَبا

طرقْتَها ساريا والليلُ مُعْتكرٌ — أمسي حماها بهِ للفتكِ مُنْتَهَبا

تعدو الذئابُ علي قُطعانِه شَرَهًا — فمَنْ يفزْ بقطيعٍ مُفْرَدٍ وَثبا

مخالبٌ من فلولِ الظلمِ يشرعُها — على الكنانَةِ غابٌ شرعُهُ غَلبا

ورجمةٌ من رجومِ الغربِ ينفثُها — على البلادِ جحيمًا يَنفُثُ اللَّهبا

والجهلُ قد مدَّ في الآفاقِ أروِقَةً — ترى المفاسدَ والفوضَى لها طُنُبا

فلوَّحتْ يدُك البيضاءُ في غَسقٍ — فمزَّقتْ كبدَ الظلماءِ والحُجبا

لَوتْ زعازِعُها أرماحُهم فغَدَتْ — غُصْنا لِدانا وأمستْ قُضْبُهم عُشُبا

وكنتَ فجْر الحيارَى في مفازَتِهم — وكنتَ صُبحا من الآمالِ مُرْتقبا

بدَّلتَ خوفَهُمو أمنا وذلَّهُمو — عِزًّا وبأسَهمو من نجدةٍ رَغَبا

بعثتَها من رُقادِ الموتِ مملكةً — رددتَ عن ساحِها الأحداثَ والنُّوَبا

يا رافعًا مِشعلَ الأخلاقِ في بلدٍ — ما كانَ يعرفُ إلا الغِشَّ والكذبا

وباعثا نهضةً أرسَتْ دعائِمَها ... يَدٌ صَناعٌ وفكرٌ يثقُبُ اليَلَبَا(١)

مصرُ الغداةُ وقدْ أحييتَ ميِّتها ... قامتْ وفاءً لتقضي بعضَ ما وَجَبا

لما رأتْ فيكَ سبَّاقا لنهْضَتِها ... وأبصرَتْكَ علي آمالِها حَدِبا

ألقتْ إليك زمامَ الملك راغبةً ... ولم تبايعْكَ إرْغاما ولا رَهَبا

محبةٌ في قلوبِ الشعبِ أودعَها ... من اصطَفاك لعرشِ النيلِ وانتخَبا

محمدٌ يا عليَّ المجدِ أي فتيً ... سواكَ أعيا المعالي والمُنى طَلبا

أنتَ العصاميُّ بالله اعتززْتَ وما ... تَخِذْتَ يوما سواهُ للعلا نَسبا

مضاءُ عزمِكَ يُنبي عنك في نسبٍ ... وحدُّ سيفكَ يكفي في العلا حَسبا

والمجدُ كالمالِ موروثٌ ومُكتسبٌ ... لكنَّ أروعَهُ ما كان مُكْتسبا

قالوا الحضارةُ قُلنا أيُّ ناحيةٍ ... من الحضارةِ لم تمدُدْ لها سَببا ؟

قد كان عهدُك فجرا فاض مشرقهُ ... على العلومِ وعم الشِّعر والأدبا

أبا البطولةِ والأبطالِ عَزَّ عُلًا ... من كنتَ جدًّا له بين الورى وأَبا

***

---

(١) في الصِّحاح: اليَلَبُ: الدروع اليمانية، كانت تتَّخذ من الجلود يُخرزُ بعضُها إلى بعض. وهو اسم جنسٍ، الواحدة يَلبة.

فرحةُ الميلادِ

لحنٌ تردَّدَ في سماءِ الوادِي ... طَرِبتْ له الدنيا وغنَّى الحادِي

في بسمةِ الفجرِ النديِّ تجاوبَتْ ... أصداؤُه بين الضياءِ الهادي

يسري مع الأنسامِ في تسبيحِها ... فيُثِيرُ شجوَ صوادحِ الأعوادِ

بُشرى تُرقرقُها السماءُ تحيةً ... تختالُ بين مواكبِ الاسْعادِ

أغْلى الزمانُ على المدى مقدارَها ... شرفًا وضنَّ بها على الآبادِ

هي مُنيةُ الوادي ، هي الأملُ الذي ... جمعَ المُني ، هي فرحةُ الميلادِ

فاروقُ قد هتفَ الزمانُ وكبَّرتْ ... في المشرقينِ حواضرٌ وبوادي

لا غَرْوَ عيدُكَ عيدُ مصرَ ولم يزلْ ... يزهو بروعتِهِ على الأعيادِ

أضفَى على الكونِ المسرةَ فاكتسى ... حُللَ السرورِ قشيبةَ الأبرادِ

والشعبُ يقبسُ من شَبابِك فرحةً ... تُنسيه ويلاتِ الزمانِ العادِي

عجبا ونارُ الحربِ تلتَهِمُ الدُّنى ... في الأرضِ في الآفاقِ في الآرادِ

البحرُ يفزعُ من لهيبِ سفينِهِ ... والجوُّ يشكو صولةَ المنطادِ

والليلُ أليلُ والظلامُ مؤرِّقٌ ... لا يُسْتَساغُ به لذيذُ رُقادِ

والناسُ بين مُفزَّعٍ ومُفَجَّعٍ ... نابي المضاجعِ من ضنىً وسُهادِ

قد جاء عيدُك مَرْهَمًا لجراحِهم ... وبشِيرُ أمالٍ وروحُ غوادِ

يفيدكَ شعبٌ أنتَ كلُ حياتِهِ ... ولأنتَ منه الروحُ للأجسادِ

شعبٌ وفيٌّ من شبابِكَ رُوْحه ... ومن الشبيبةِ وحْيُ كلِّ جِهادِ

مُلْكٌ بنيتَ على المحبةِ أسَّه ... والحبُّ خيرُ دعامةٍ وعِمادِ

إنَّ الشبابَ وأنتَ أكبرُ قدوةٍ ... لهمو أصابوا فيكَ أكبر هادِ

كم ذا سعيتَ إلي المساجدِ خاشِعا ... لله فوقَ ركابِكَ المتهادِي

في موكبٍ حرَسَ الجلالُ جمالَه ... يحدوهُ من ملأِ الملائكِ حادِ

هتفتْ محاريبٌ سجدتَ بساحِها ... وأريتَنا فيها تُقي العُبَّادِ

كادتْ تبادِلُك الدعاءَ وترتَجِي ... ما ترتجِيه لأمةٍ وبلادِ

مولايَ قُدْ شعبًا ملكتَ فؤادَهُ ... بالدِّين إن الدِّين خيرُ قيادِ

بيمينكَ النصرُ المبينُ وإنَّما ... نَصْرُ الرعيةِ في يدِ القُوَّادِ

أربَي علاكَ علي السماكِ وجلَّ عَنْ ... شأوِ الخيالِ وعزَّ عنْ إنشادِي

لا زالَ عيدُكَ للكنانَةِ فرحةٌ ... وبقيتَ للأوطانِ يا ابن فؤادِ

* * *

اعتــذارٌ

ببابــكَ يـــا ربَّ الفــضيلةِ شــاعرٌ نبـــا بخطايـــاهُ فجـــاءكَ تائبـــا
أيغضبُ سمْحُ النفس من طيشِ هفوةٍ فـديتُك مـسامحا وأفـديكَ غاضِـبا
وكيــفَ يـضيقُ اليــومَ صــدرًا بنـزوةٍ مُعوِّدُنـــا أن يطـرحَ اللغــوَ جانبـــا
ومــاذا يــضيرُ البــدرَ في الأفــقِ عاليـــا إذا سبَّه مـن كـان في الأرضِ عَائبا
محاســـنُ محمـــودِ الخـــلالِ محاســـنٌ وإن راحَ يُـسمِيها الحـسودُ مثالبـــا
أمانـــا لمظلـــومٍ دجـــا ليـــلُ ظلمـــهِ فأمـسي بليـلِ الأزهـريِّينَ حاطِبـــا
رمي خيرَ من يهوى ومن يرْمِ في الدُّجى أصــابَ عــدوا أو تحيَّـفَ صـاحِبا
وعُتبـاكَ بعـد العتْـبِ أسْـني رغـائِبي فـما أجمـلَ العتبـى بمـنَ كـان عَاتِبـا
لـك الفـضلُ في الحـاليْنِ إن كنـتَ غـافرًا إســاءةَ مقتــولِ المُنــى أو معاقِبـــا

***



أناشيد



نشيد الأم

أنــا – مــا عــشتُ – محــبٌّ لـــكِ يـــا أمِّـــي الحبيبـــهْ
أنـــتِ نبـــعٌ فـــاضَ عَطفـــا وحنانـــــا وعُذُوبَـــــهْ
أنــــتِ روضٌ يطَّيبِنِـــــي كُلـــما اســـتروحْتُ طِيبَـــه
أنـــتِ في أيـــامِ دَهْـــرِي بَـــسْمَةٌ تمحـــو قُطُوبَـــهْ
لـــستُ أنـــسي لـــك عمـــري فـــضلَ نُعـــماكِ الرطِيبـــهْ
كـــم ترفَّقْـــتِ بمهـــدي وتعـــــشَّقْتِ ربيبَـــــهْ
وإذا سُـــــقْمٌ عَـــــرَاني كنـــتِ لي نِعْـــمَ الطَبيبـــهْ
تـــسهرين الليـــلَ يَقظَـــي وتُقاسِـــــين كروبَــــــهْ
وإذا بـــــتُّ كئيبـــــا بـــتِّ مـــن أجـــلي كئيبَـــهْ
وإذا مـــا رُمْـــتُ شـــيئا كنـــتِ لي نعـــمَ المُجيبَـــهْ

❊❊❊

أنـــا في عيـــدكِ أشْـــدو لـــك يـــا أمـــي الحبيبـــهْ
وأنـــا طفـــلٌ نجيـــبٌ شـــبَّ عـــن أمٍّ نجيبَـــهْ

نشيد جامع الأزهر

أطِــلِّي عــلى مجــدِنا وانظُــري وتيهــي بأيامِنــا وافْخَــري
سـماؤك يـا شـمسُ قـد أطْلَعَـتْ مــن الــشرقِ جامعــةَ الأزهــرِ

***

ســناها يــشعُّ عــلي العــالمين منــارةَ هــدْيٍ لــدنيا ودِيــنْ
ومَنْهَلُهَــا العــذْبُ للظــامئِينْ ينــابيعُ فاضــتْ مــن الكــوثرِ

***

أطِــلِّي عــلي مجــدِنا وانظُــري وتيهــي بأيامِنــا وافْخَــري
سـماؤكِ يـا شـمسُ قـد أطلعَـتْ مــن الــشرقِ جامعــةَ الأزهــرِ

***

شــبيبَتُهَا نحــنُ ، جُنْــدُ الــسماءْ وجُنْــدُ العروبَــةِ يــومَ الفــداءْ
مــشاعلُ نــورٍ إلي الأوليــاءْ وشــعلةُ نــارٍ عــلي المفْــتَري
أطِــلِّي عــلي مجــدِنا وانظُــري وتيهــي بأيامِنــا وافْخَــري
سـماؤك يـا شـمسُ قـد أطْلَعَـتْ مــن الــشرقِ جامعــةَ الأزهــرِ

***

نمتنــا أعــزاءَ فيهــا أبــاهْ نقــودُ إلي الفجــرِ ركــبَ الــسُّرَاهْ
فمــن ذا رآنــا خفــضنا الجبــاهْ لغــيرِ ســنا الخــالقِ الأكــبرِ؟
أطِــلِّي عــلى مجــدِنا وانظُــري وتيهــي بأيامِنــا وافْخَــري
سـماؤك يـا شـمسُ قـد أطْلَعَـتْ مــن الــشرقِ جامعــةَ الأزهــرِ

***

أبوهـا عـلى الـدهرِ أفنى الحِقَـبْ وغالَــبَ أحــداثها و النُّــوَبْ

ووحَّـدَ تحـتَ لـواهُ العَـرَبْ | عـلى الحـقِّ مِـنْ سـالفِ الأعْـصُرِ
أطِـلِّي عـلى مجـدِنا وانظُـري | وتيهـي بأيامِنـا وافْخَـري
سـماؤك يـا شـمسُ قـد أطْلَعَـتْ | مـن الـشرقِ جامعـةَ الأزهـرِ

* * *

بهَـدْيِ الكتـابِ وديـنِ النبـيْ | طـوي الأفُـقَ باللَّـسَنِ اليعْـرُبي
عـلي مـشرقِ الـشمسِ والمغـربِ | وفي يـابسِ الأرضِ والأخـضرِ
أطِـلِّي عـلي مجـدِنا وانظُـري | وتيهـي بأيامِنـا وافْخَـري
سـماؤك يـا شـمسُ قـد أطْلَعَـتْ | مـن الـشرقِ جامعـةَ الأزهـرِ

* * *

سـنحمي رسـالتنا الخالـدهْ | ونبنـي لأجيالِنـا الـصاعِدَهْ
عـلي صرحِ أمجادِنـا الخالـدهْ | وعزَّتِهـا ، حـاضرُ الأزْهَـرِ
أطِـلِّي عـلي مجـدِنا وانظُـري | وتيهـي بأيامِنـا وافْخَـري
سـماؤك يـا شـمسُ قـد أطْلَعَـتْ | مـن الـشرقِ جامعـةَ الأزهـرِ

فيـا بطـلَ الـشرقِ أعـلِ البنـاءْ | عزيـزَ الكرامَـةِ حـرَّ الإبـاءْ[1]
لترعـي صـنيعَك عـينُ الـسماءْ | وتفـديكَ جامعـةُ الأزهـرِ
أطِـلِّي عـلي مجـدِنا وانظُـري | وتيهـي بأيامِنـا وافْخَـري
سـماؤك يـا شـمسُ قـد أطْلَعَـتْ | مـن الـشرقِ جامعـةَ الأزهـرِ

---

(١) هذا المقطع كان الشاعر قد حذفه في مراجعتنا عام ١٩٩٣م ولكني أثبتُّه لإتمام القصيدة كما كانت في الأصل المنشور قبل ذلك.

نشيد اليتيم

اليَتِـــــيمْ. . . اليَتِـــــيمْ ارحمــــوا دمـــعَ اليَتِـــيمْ

* * *

راعـه الـدهرُ وأصماهُ الزمـانْ فـــــــارحموهْ
وشـكا لله مــن فقـدِ الحنـانْ فــــــاكْفُلُوهْ
اليَتِـــــيمْ. . . اليَتِـــــيمْ ارحمــــوا دمـــعَ اليَتِـــيمْ

* * *

ناعـبُ اليُـتْمِ محـا مـن سمعِهِ نغـمَ الـدنيا وأفـراحَ الغِنَـاءْ
مـن صـدي آهاتِـهِ أو دمْعِـهِ تفـزعُ الأرضُ وتهتـزُّ السماءْ
اليَتِـــــيمْ. . . اليَتِـــــيمْ ارحمــــوا دمـــعَ اليَتِـــيمْ

* * *

لُؤْلُـؤٌ بـاليُتْمِ فـاقَ الجـوهرا خانَـهُ الحـظُّ فغـشَّاهُ الثَّـرَي
فخُـذُوه واصـقِلُوا مـن درِّهِ يلمـعُ الـدرُّ ويـسطعْ عُنـصرا
اليَتِـــــيمْ. . . اليَتِـــــيمْ ارحمــــوا دمـــعَ اليَتِـــيمْ

* * *

علمـوه يـأتِكُمْ منـه غـدًا بطـلُ الجيـلِ وفخـرُ النـابِهينْ
نهـضَ اليُـتْمُ بِطَـهَ أحمـدا فهـدَي الخلقَ وساسَ العالمينْ
اليَتِـــــيمْ. . . اليَتِـــــيمْ ارحمــــوا دمـــعَ اليَتِـــيمْ

* * *

أكـرمُ الأيـدِي رضـا عنـدَ الإلـه راحـةٌ مـرَّتْ علي رأسِ اليَتِـيمْ
يكـرمُ اللهُ ويرعَـى مـن رعـاهْ ويثيـبُ الخيرَ بـالخيرِ العمِـيمْ
اليَتِـــــيمْ. . . اليَتِـــــيمْ ارحمــــوا دمـــعَ اليَتِـــيمْ

نشيد النصر (١)

اهتفـوا للنـصرِ وامْـضُوا للأمـامْ وانـشروا النـورَ فَقَـدْ ولَّى الظـلامْ
رَكْبُنَـا الظَّـافِرُ في يـومِ الـسَّلامْ طـافَ بالبُـشْرَي عَـلَى كـلِّ الأنَـامْ

* * *

نحنُ جندُ النصرِ ، أبطالُ الكفاحْ زاحَمَـتْ أنفُـسُنا فيـه الـسِّلاحْ
قـد وهبناهـا لمـوتٍ أو جـراحْ إنـما المجـدُ صراعٌ وزِحـامْ

* * *

يومُنَـا في هامَـةِ الأيـامِ غَـارْ ذِكـرُهُ العـاطِرُ في الآفـاقِ سـارْ
وحَـدَا العِيسَ بـه حـادي القِفـارْ مُلْهَـمَ الـصبوةِ ، مـشبوبَ الهُيَـامْ

* * *

نَحنُ جُنُّ الأرضِ آسادُ الشَّرى ونـسورُ الجـوِّ عـزَّتْ مَنْـسَرا
كَمْ سددْنا الأُفْقَ في هولِ السُّرَي وحجَبنـا الغـيمَ بـالغيمِ اللُّـهامْ

* * *

عزمُنا الـصامدُ من عزْمِ الأسُـودْ بأْسُنا الـصادقُ من بأسِ الحدِيـدْ
كـم قَهَرْنـا كـلَّ جبَّـارٍ عنيـدْ لم يُطِقْ صبرا علي هَولِ الصِّدَامْ

* * *

في سبيلِ السِّلْمِ والعدْلِ القَويمْ خَوضُـنا اللجـيَّ أو نـارَ الجَحـيمْ
إنـما يغـضبُ للـضيمِ الكـريمْ ويـري خيرا مِـن الـضيمِ الحِـمَامْ

* * *

---

(١) فاز في مسابقة الشعر البريطانية عند انتهاء الحرب العالمية الثانية .

كــم أغَثْنــا لهفــةَ المُــستَنْجِدِ ... ودفعْنــا عنْــهُ بــأسَ المُعْتــدي
وكفَلْنــا الأمــنَ طــولَ الأمَــدِ ... وأعــدنا العــدلَ مخفــورَ الــذِّمامْ

***

اشهَدي يا أرضَ واحكي يا سماءْ ... وارووِ يـا تـاريخُ عـنْ هـذا اللِّـواءْ
قـد كتَبْنـا المجْـدَ فَخْـرا بالـدِّماءْ ... وبنينــا صرحــهُ فــوقَ الغــمامْ

***

مــاتَمُ الطغيــانِ أعــراسٌ لنــا ... وعــلي صرعــاهُ نبنــي مجْــدَنا
ونُغَنــي وتُغنينــا المُنــي ... مـن نـشيدِ النصرِ ألحـانَ الـسلامْ

***

طابــتْ الآمــالُ هيــا يــا رِفــاقْ ... هزَّنـا الـشوقُ إلي طيـبِ العِنـاقْ
أيُّهـا الأحبـابُ قـد حـانَ الـتلاقْ ... لا عــدِمْنَا بيــنكُم طِيــبَ المُقــامْ

نشيدُ الكشَّافةِ العرَبِ

نحـنُ الكـشافةُ ، للعَـرَبِ أشـبالُ المجـدِ المُرْتَقَـبِ
نَبنـي أمجـادَ عروبَتنـا ونـذودُ عـن الـوطنِ العَـرَبي

***

وطـنٌ نعتـزُّ بوحدتِـه ونقـيمُ الأسَّ لنهـضتِهِ
شـعبٌ عـربيٌّ مُتَّحِـدٌ حَطَـمَ الأغـلالَ بوثْبَتِـهِ
نحـنُ الكـشافةُ ، للعَـرَبِ أشـبالُ المجـدِ المُرْتَقَـبِ
نَبنـي أمجـادَ عروبَتنـا ونـذودُ عـن الـوطنِ العَـرَبي

***

كـم غنَّـي الـدهرُ بماضِـينا وروَي التـاريخُ مَعـا لِينـا
واليـومَ يجـددُ حاضرُنـا مجـدا نبنيـهِ بأيـدِينا
نحـنُ الكـشافةُ ، للعَـرَبِ أشـبالُ المجـدِ المُرْتَقَـبِ
نَبنـي أمجـادَ عروبَتنـا ونـذودُ عـن الـوطنِ العَـرَبي

***

بِـشهامَتِنا والإيثـارِ ووفـاءٍ كالمثـلِ الـساري
وفـداءٍ صـارَ لنـا دينـا يُـزري بحديـدٍ أو نـارِ
نحـنُ الكـشافةُ ، للعَـرَبِ أشـبالُ المجـدِ المُرْتَقَـبِ
نَبنـي أمجـادَ عروبَتنـا ونـذودُ عـن الـوطنِ العَـرَبي

***

أطـواءُ الخـيرِ طوايانـا وسـجايا الحـرِّ سـجايانا
خُلُـقُ العـربيِّ ورِثنـاه وبـه سـنتوِّجُ دُنيانـا
نحـنُ الكـشافةُ ، للعَـرَبِ أشـبالُ المجـدِ المُرْتَقَـبِ
نَبنـي أمجـادَ عروبَتنـا ونـذودُ عـن الـوطنِ العَـرَبي

نشيد الشرطة

نحنُ جُنْدُ الأمنِ حُرَّاسُ الوَطَنْ ... لِحِمى روحٍ ومالٍ وسَكَنْ
كُلُّ جندي فِداهْ ... ساهرا يرعى حِماهْ
ويُلبِّي من دعاهْ ... مخلصُ النجدةِ في كلِّ المِحَنْ

* * *

كلُّنا في خدمةِ الشعبِ الأمينْ ... ورعايا أرضِهِ من كلِّ دِينْ
نحنُ أقسمنا ووفينا اليمينْ ... وسنبقي أوفياءً للوطنْ
نحنُ جُنْدُ الأمنِ حُرَّاسُ الوَطَنْ ... لِحِمى روحٍ ومالٍ وسَكَنْ
كُلُّ جنديٍّ فِداهْ ... ساهرا يرعى حِماهْ
ويُلبِّي من دعاهْ ... مخلصُ النجدةِ في كلِّ المِحَنْ

* * *

وطنَ الاحرارِ يا مَهدَ السلامْ ... يا سماءً لم يكدِّرْها غَمامْ
إنما الشرطةُ أمنٌ ونظامْ ... تكفلُ الصفوَ وتحمي يا وطنْ
نحنُ جُنْدُ الأمنِ حُرَّاسُ الوَطَنْ ... لِحِمى روحٍ ومالٍ وسَكَنْ
كُلُّ جندي فِداهْ ... ساهرا يرعى حِماهْ
ويُلبِّي من دعاهْ ... مخلصُ النجدةِ في كلِّ المِحَنْ

المحتويات

الجمع التصويري والإخراج الفني
دار الثقافة اللغوية
المنصورة- مصر
ت: ٠١٠٠٥٨٨٥٠٣١

* * *